المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية
Democratic Arabic Center
For Strategic, Political & Economic Studies

مجلة اتجاهات سياسية

تحليلات سياسية

دورية علمية محكمة

العدد الحادي والعشرون كانون الأول – ديسمبر ٢٠٢٢ المجلد ٦

Twenty-First Issue - December 2022

رقم التسجيل: VR.3373.6289.B

ISSN 2569-7382

المركز الديمقراطي العربي

مجلة اتجاهات سياسية

Journal of Political trends

International scientific periodical journal

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية
Democratic Arabic Center
For Strategic, Political & Economic Studies

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة اتجاهات سياسية

تحليلات سياسية

دورية علمية محكمة

ISSN

النـــــــــــاشـــــــر:

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

ألمانيا/برلين

Democratic Arabic Center

Berlin / Germany

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه

في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر.

جميع حقوق الطبع محفوظة

All rights reserved

No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, without the prior written permission of the publisher

البريد الإلكتروني

magazin@democraticac.de

مجلة اتجاهات سياسية

Journal of Political Trends

مجلة اتجاهات سياسية مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن المركز الديمقراطي العربي " برلين_ ألمانيا"

العدد الحادي والعشرون كانون الأول – ديسمبر

2022 المجلد 6

Twenty-First Issue - December 2022

Nationales ISSN-Zentrum für Deutschland
ISSN 2569-7382
Journal of Political Trends

Democratic Arab Center For Strategic

Political & Economic Studies

Journal
Of
Political Trends

International Standard Serial Number

ISSN (Online): 2569-7382

An Academic, periodic, and peer-reviewed Journal issued by The Democratic Arabic Center Germany-Berlin It is a collection of political, legal, and media reports. Its analysis deals with all international and regional affairs that are related to the Arab reality, in particular, and the international reality, in general.

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة اتجاهات سياسية

Journal of Political Trends

رئيس المركز الديمقراطي العربي
أ. عمار شرعان
رئيس التحرير
د. حمدى سيد محمد محمود
رئيس اللجنة العلميّة
أ.د.ميرال صبري العشري
نائب رئيس التحرير
د.علي فرجاني
مدير التحرير
د. فتحية رحالي
د. ربيعة تمار

اللجنة العلمية:

-أ.د. نيرمين الأزرق أستاذ الصحافة بكلية الإعلام- جامعة القاهرة مصر

-د. علاء نزار العقاد أستاذ العلوم السياسية – جامعة غزة – فلسطين

-د. ماهر العربي أستاذ العلوم السياسية – جامعة القاهرة – مصر

-د. أحمد الأطرش أستاذ في السياسة والعلاقات الدولية – جامعة طرابلس – ليبيا

-د. خلود محمود أستاذ الإعلام – معهد الدراسات الأدبية جامعة الاسكندرية – مصر

د.عمر المبروك اسباقة - أستاذ مشارك في العلوم السياسية جامعة بني وليد-ليبيا

-د. نبيلة عبد الفتاح قشطي أستاذ النظم السياسية جامعة المنوفية – مصر

-د. سعيد مراح أستاذ الإعلام – جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس – الجزائر

-د. علي مصباح الوحيشي أستاذ مشارك بالأكاديمية الليبية للدراسات العليا ليبيا

-د. عبير محمود مجاهد أستاذ الاقتصاد – كلية التجارة جامعة الأزهر – مصر

-د. طارق المنصوب أستاذ الاقتصاد جامعة إب – اليمن

-د. محمد مساهل أستاذ علوم الاتصال -كلية الإعلام- جامعة قسنطينة – الجزائر

-د. تامر عز الدين باحث علوم سياسية و مدير مكتب فرنسا 24 مصر

-د.حسين اللامي أستاذ العلوم السياسية جامعة ميسان- العراق

-د.جهاد ملكة باحث ومحاضر لدى مركز التخطيط الفلسطيني فلسطين

-د.عصام عيروط أستاذ العلوم السياسة فلسطين

- د. ميثم كاظم العميدي أستاذ القانون الدستوري والنظم السياسية العراق

-د. محمد زروق أستاذ العلوم السياسية جامعة شندي – السودان

-د. إقبال ناجي سعيد أستاذ القانون كلية مزايا الجامعة – العراق

كلمة رئيس التحرير..

يسعدني أن أرحب بكم في صدور العدد الواحد والعشرون من مجلة اتجاهات سياسية، مع إطلاق هذا العدد تطوى خمس سنوات من عمر المجلة، بعد عمل جماعي دؤوب وجهد شاق لمن سبقونا من أساتذة أفاضل و زملاء أكفاء؛ تمكنوا في غضون سنوات قليلة من إثراء مكتبة المركز الديمقراطي العربي بالعديد من الإصدارات العلمية الرصينة، حيث أن الآفاق مفتوحة لمزيد من المساهمات البحثية في كافة المجالات المعرفية لكل الباحثين.

وفي إطار مسعانا الدؤوب لتقديم عمل يرقى إلى مستوى قارئنا الكريم ومن منطلق رؤيتنا لأن تكون مجلتنا ملتقى لإسهامات المتخصصين من رجالات العلم والفكر، ومايعرضونه من تحليلات سياسية و قانونية و إعلامية؛ تغطي كافة الشؤون الدولية والإقليمية ذات الصلة بالواقع العربي بصفة خاصة والدولي بصفة عامة، فإننا نستهدف جعل مجلتنا تتبوأ المكانة التي تستحقها، بوصفها نافذة تهتم بالتحليل العلمي والتقييم الموضوعي في مختلف القضايا والأحداث والنظريات والاتجاهات الرئيسية ذات الطابع السياسي والفكري على حد سواء، وبفضل مساهمات الأكاديميين والباحثين في كافة الأقطار العربية وغير العربية.

ونؤد أن نؤكد لكم جميعا على تطلعات واهتمامات مجلتنا نحو تقديم اسهامات علمية رصينة ومتميزة، وهذه بمثابة دعوة نوجهها مجدداً للباحثين والكتاب والمفكرين لاغتنام الفرصة وللمساهمة معاً في أداء رسالتنا المنبثقة من إيماننا الراسخ بقيمة العلم والبحث العلمي.

كما انتهز هذه المناسبة للتوجه ببالغ الشكر والامتنان لكل العاملين في أسرة تحرير المجلة وإلى أعضاء اللجنة العلمية الكرام على جهودهم الصادقة التي بذلوها طيلة فترة إصدار هذا العدد، كما أتمنى للقراء الأعزاء و كل المهتمين بالبحث العلمي مزيدا من النجاح والتوفيق.

وأخيراً أتوجه بخاص الشكر والعرفان للأستاذ عمار شرعان مدير المركز الديمقراطي العربي على جهوده المتواصلة ومساعيه الحثيثة لإخراج منجزات المركز على الوجه الأكمل، وبتأكيد الالتزام بأقصى معايير المهنية البحثية والأكاديمية، وهذا ما يشكل مكسباً مهماً وتوجها داعماً لنا جميعاً، وللباحثين في مساهماتهم التي أصبحت اليوم تحظى باعتراف واسع من مؤسسات مرموقة وفاعلة في التعليم العالي والبحث العلمي، ويضعونها بمحل تقديراتهم نظراً لقيمتها العلمية.

د.حمدي سيد محمد محمود

رئيس التحرير

فهرس العدد

م	العنوان	ص
	كلمة رئيس التحرير	07
1	آفاق التعاون الثقافي العربي الأفريقي في اطار العلاقات السياسية والاقتصادية د.نبيلة عبد الفتاح قشطى	09
2	التدابير والوسائل اللازمة لتعزيز القوة الناعمة في السياسة الخارجية العراقية بعد عام ٢٠٠٥ سلار سعد محمد - أ.د فلاح حسن حمادي	25
3	الديمقراطية في السودان واسباب فشلها العهد الديمقراطي الثاني نموذج 1965 – 1969 د. شيماء عبد السميع عبد الله	53
4	الشرق الاوسط – الإسلامي واستراتيجية صدام الحضارات أ. د. أحمد جاسم إبراهيم	69
5	الصمود في مواجهة "اتفاقية إبراهيم" أمجد بشكار	92
6	العرائض آلية للتأثير في القرار الترابي بالمغرب د.عادل عيدون	114
7	الغزو الروسي لأوكرانيا عام 2022 وأثر تداعياته في رسم ملامح النظام الدولي أ.م.د. زياد يوسف حمد	131
	مبدأ المركزية واللامركزية الإدارية في الدولة البسيطة والدولة المركبة لقمان محمد عيسى كريف	149
8	المشاورات اليمنية: محطات، ومعوقات (2015-2021) د. صريح القاز	161
9	النظرية السياسية والاسئلة الكبرى - محاولة للفهم صابر يوسف علي رمضان	181
10	تأثير التحولات السياسية في العراق على تطور النظام الصحفي والاعلامي للفترة 2003_2020 د.محمد أحمد محمد طرفة	191
12	مستقبل الصراع في إقليم ناغورني كاراباخ بعد حرب عام ٢٠٢٠ حوراء حسين كريم - أ.د محمد منذر جلال	234
13	معضلة التحولات الديمقراطية في ظل الأزمات الاقتصادية: تونس نموذجا. حفيظ ديدون	262
14	العقيدة السياسية لحزب الليكود ودوره في السياسة الخارجية الإسرائيلية مؤيد جبار حسن - حوراء رشيد مهدي - أحمد فاضل حسون	288

آفاق التعاون لعربِي الأفريقِي في اطار العلاقات السياسية والاقتصاديةة

Prospects of Arab-African cultural cooperation within the framework of political and economic relations

د.نبيلة عبد الفتاح قشطى

أستاذ النظم السياسية - جامعة المنوفية – مصر

الملخص:

تسعى الدول العربية والأفريقية على مدار سنوات طويلة إلى إقامة علاقات وروابط قوية مع بعضها البعض، إيمانًا منها بأهمية البعد العربِي الإفريقِي, وقد مرت هذه الروابط بفترات من الإزدهار والانحسار وفقًا لعوامل تاريخية مختلفة, وسوف تُبرز هذه الدراسة الدور الذي يمكن أن يلعبه التعاون الثقافِي بين الدول العربية والأفريقية فِي تطوير الشراكة الاستراتيجية والروابط المتبادلة جنبًا إلى جنب مع الروابط السياسية والاقتصادية.

ومن مظاهر الوحدة والتنمية بين الأمة العربية والأفريقية استمرار التواصل بينهما فِي جميع مجالات الحياة المختلفة؛ لحاجة كلاً منهما إلى التلاحم للنهوض والتقدم والازدهار؛ إذ أنّ الشعوب العربية والأفريقية تربطهما روابط تاريخية مشتركة، وحضارة أزلية قديمة، ولِما كان الأمر كذلك أحببت أن أضع خطوطًا عريضة للصلات العربية الأفريقية خاصةً الثقافية.

فجاء هذا البحث ليعبّر عن هذه الصلات الأزليّة، وتطلّعًا إلى المستقبل المنشود؛ وقد بذلت قصارى جهدِي فِي سبيل لمْ شتات هذا الموضوع تحقيقًا للمقصود, واستنارة للطريق استناداً إلى المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: التعاون؛ الثقافة؛ الصلات العربية؛ التنمية؛ التواصل الأفريقِي.

Abstract:

For many years, Arab and African countries have sought to establish strong relations and ties with each other, believing in the importance of the African-Arab dimension, These links have gone through periods of prosperity and decline according to various historical factors, This study will highlight the role that cultural cooperation between Arab and African countries can play in the development of strategic partnership and mutual ties along with political and economic ties.

One of the manifestations of unity and development between the Arab and African nation is the continued communication between them in all different areas of life, Because of the need for both of them to come together to promote, progress and prosperity, The Arab and African peoples have common

historical ties and an ancient eternal civilization, And since that's the case, I liked to draw broad lines for Arab-African connections, especially cultural ones.

This research came to reflect these eternal connections, Looking to the desired future, I have done my best to keep this issue open for the purpose, and to enlighten the road based on sources and references.

Keywords: Cooperation, Culture, Arab Connections, Development, African Communication

مقدمة:

تسعى الدول العربية لترسيخ علاقاتها وتعميقها مع القارة السمراء, ومن الخطأ اختزال العلاقات العربية الأفريقية فِي النواحِي الاقتصادية والتجارية، بل آن الأوان لإحياء واستثمار قوة الدول العربية الناعمة المتمثلة فِي الثقافة باعتبارها من الروابط التِي تتسم بالاستدامة وقوة التأثير, وتحتاج الدول العربية لتكوين رؤية واضحة واستراتيجية منتقاة لإدارة أوجة التعاون فِي المجال الثقافِي يقوم على استثمار الخبرات وتنوع الحاجات الأفريقية.

كما أن صياغة خريطة ثقافية مستقبلية فاعلة بالقارة الأفريقية سوف يكون بمثابة شراكة استراتيجية تُلقِي بِظلالها على مختلف التحديات الأخرى, فالدول العربية بما تمتلكه من ثقل وخبرات ثقافية يمكنها من خلق تأثير بارز فِي قلب القارة السمراء ينشأ معه داعم قوِي لمصالحها.

وللنهوض بالعلاقات العربية الأفريقية لا بدّ من بذل جهود صادقة من قِبَّل العلماء والمختصّين بشأن الأمة العربية والأفريقية؛ تحقيقًا للمصالح المشتركة والتنمية المستدامة فِي أرض الواقع؛ من أجل أن تنعم الشعوب العربية والأفريقية بنتاج أبنائها على مرّ الأزمان.

أشكالية البحث:

لا يستطيع أحد أن ينكر الأهمية القصوى للعلاقات الثقافية بين الدول العربية ودول العالم أجمع؛ لِما لهذه العلاقات من أثر إيجابِي دائم بين الدول وشعوبها, وعندما تكون هذه العلاقات بين الدول العربية والقارة الأفريقية يتجلى لنا ضرورة خلق علاقات ثقافية تتسم بالإستدامة.

وتكمن مشكلة الدراسة فِي عدم التقدير الواضح أحيانًا لهذا النوع من العلاقات بين الدول العربية والدول الأفريقية, حيث تأتِي غالبًا متأخرة بعد العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية, فِي حين أن العلاقات الثقافية تُعد تمهيدًا لمختلف العلاقات الأخرى.

كما تكمن مشكلة الدراسة فِي الإجابة على تساؤل هام ألا وهو, ما مدى أهمية التعاون الثقافِي العربِي الأفريقِي؟ وإلى أى مدى وصل هذا التعاون؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسِي عدة أسئلة فرعية يمكننا الإجابة عليها فى ثنايا هذه الدراسة, وذلك على النحو التالِي:

1- ما هو مفهوم التواصل العربِي الأفريقِي؟
2- ما هى آليات التواصل العربِي الأفريقِي؟
3- ما هى وسائل التواصل العربِي الأفريقِي؟

أهمية البحث:

أهمية أيِ دراسة أو بحث يقوم به الباحث تتوقف على القيمة الظاهرة التي يدرسها, وجوهرها العلمي, وما يصبوا إلى تحقيقه من نتائج يمكن الاستفادة منها, فالهدف الأساسي من وراء بحثنا يتمثل أولًا في توسيع دائرة معارفنا في مجال التعاون الثقافي العربي الأفريقي هذا من جهة، ومن جهة أخرى إثراء مكتبتنا بمثل هذه الدراسات؛ لكي يتسنى للطلبة الإطلاع عليها, وأخذ فكرة بسيطة حول الموضوع.

أهداف البحث:

يُعد تحديد أهداف البحث من الخطوات الأساسية في سبيل الوصول إلى نتائج متكاملة وصحيحة, ويتمثل الهدف العام للبحث في التعرف على آفاق التعاون الثقافي العربي الأفريقي, والهدف الأساسي لهذا البحث هو محاولة الإجابة على الإشكالية المحددة سابقًا من أجل تحقيق الأهداف الخاصة بموضوع الدراسة.

كما تهدف هذه الدراسة إلى تقييم الوضع السابق والحالي للعلاقات الثقافية بين الأمة العربية والدول الأفريقية؛ حيث سيساعدنا كثيرًا في فهم أبعاد هذه العلاقات ومدى تأثيرها على قوة ومتانة العلاقات العربية الأفريقية بشكلٍ عام.

منهج البحث:

لتحقيق أهداف البحث السابقة الذكر وللإجابة على إشكالية الدراسة اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، لكونه من أنسب المناهج في دراسة الظاهرة محل البحث, وقد قمت باستخدام المصادر من الكتب والمجلات العلمية المتخصصة.

ويعتبر المنهج الوصفي التحليلي الأكثر استخدامًا في دراسة الظروف والوقائع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، لأنه يقوم على وصف ظاهرة من الظواهر مع تحديد خصائصها وطبيعتها ونوعية العلاقة بين متغيراتها، وقد تم الاعتماد على الوصف في أجزاء الدراسة المتعلقة بعرض المفاهيم الخاصة بالعلاقات الثقافية، فضلًا عن تاريخ هذه العلاقات.

هيكلة البحث:

بناءً على الإشكالية السابقة ونظراً لأهمية الموضوع اشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع على النحو التالي:

المبحث الأول: ماهية التواصل العربي الأفريقي.

المبحث الأول: وسائل التواصل العربي الأفريقي.

الخاتمة (النتائج-التوصيات)

المبحث الأول: ماهية التواصل العربي الأفريقي

تمتد العلاقات العربية الأفريقية امتدادات تاريخية عميقة منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث، وتُشكل الروابط الاقتصادية والثقافية والبشرية التي نسجتها قرونٌ طويلة من الحِراك الاجتماعي والتفاعل الثقافي بين الشعوب العربية والأفريقية الكثير من أوجه التواصل، ومن أجل تحقيق هذا التواصل على نحو أمثل يجب الاسترشاد

بالقيم والمصالح المشتركة التي تربط بين الطرفين العربي والأفريقي، وتعزيز فُرَّص الحوار والتشاور بما يحقق المنفعة المشتركة للطرفين, ويجعل منظومة العلاقات بينهما أساسية وضرورية, وعليه تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: مفهوم التواصل العربي الأفريقي

التواصل موضوع تتجاذبه مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، لذا من الطبيعي أن تتعدد تعاريفه ومفاهيمه ودلالاته ومعانيه, على الرغم من تداوله في مجالات متباينة إلا أنه لا زال غير واضحًا لدى مستخدميه؛ بسبب تفرع أهدافه وتنوع وسائطه وتداخل أبعاده.

فعلى المستوى اللغوي يعتريه بعض الغموض بسبب غناه المعجمي، فهو من جهة يتقاطع في الدلالة مع مجموعة من المصطلحات مثل الترابط، الالتئام، الإبلاغ، الإخبار، التخاطب، التحاور والاقتران...إلخ، ومن جهة ثانية يتقاطع في الدلالة والجذر مع مجموعة أخرى من الكلمات مثل الوصل، الصلة، الصُّلة (الوصلة)، الاتصال، الوصول، التوصيل، الإيصال، المواصلة، الوصال والتوصل(.)[1]

فيقال تواصل يتواصل تواصلًا، والتواصل ضد التصارم، والتصارم: التقاطع، يقال: تواصل القوم إذا اجتمعوا واتفقوا، وتواصلت الأشياء إذا تتابعت ولم تنقطع، ومنه تواصلت الدروس في الجامعة(.)[2]

والتواصل لغةً هو الاقتران والاتصال والصلة والترابط والالتئام والجمع والإبلاغ والانتهاء والإعلام، وتعني إنشاء علاقة ترابط وإرسال وتبادل، وتواصل الصديقَان أي واصل أَحدهما الآخر في اتفاق ووئام اجتمعا، اتفقا، وتواصل الحديث حول المائدة أي توالى، وتواصلت الأشياء أي تتابعت ولم تنقطع(.)[3]

وذهب الأستاذ عبد الرحمان طه إلى أن التواصل يدل على معانٍ ثلاثة:

1- نقل الخبر، واصطلح على تسمية هذا النقل بـ "الوصل".
2- نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، وأطلق على هذا الضرب من النقل اسم "الإيصال".
3- نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم ومقصده الذي هو المستمع، وسمى هذا النوع من النقل "الاتصال"(.)[4]

وظهرت كلمة "communication" في الفرنسية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي, وتعود إلى الأصل اللاتيني "communes"، الذي يفيد المشاركة وتكوين العلاقة, كما أرجع البعض هذه الكلمة إلى الأصل "common" بمعنى عام أو مشترك, وقد تطور هذا المعنى وأصبح يعني النقل، وسيطر في الفرنسية المعاصرة على باقي المعاني الأخرى, وقد أضاف "روبير" في عام 1970 معنى آخر جديد في معجمه "le grand Robert" وهو تدخل العلاقة

---

[1]- الفيروزآبادي, القاموس المحيط, دار الطباعة الحديثة, القاهرة, 2009, ص75

[2]- ابن منظور, لسان العرب، مرجع سابق, باب اللام فصل الواو

[3]- إبراهيم أنيس وآخرون, المعجم الوسيط, الطبعة الثانية, المكتبة الإسلامية, استانبول, تركيا, 1972, حرف الصاد مع الواو

[4]- نور الدين دريم, التواصل ومصطلحاته في فعل التخاطب من منظور طه عبد الرحمان, مجلة جسور المعرفة, مج3, ع12, 2017, ص105

الدينامية في عمل ما, وفي اللغة الإنجليزية ظهرت هذه الكلمة في القرن الخامس عشر وجذرها اللاتيني ""communes كان أخصب وأغنى في المعنى، وهو مرادف لـ communion"" أي مشاركة(.([5]

أما التواصل اصطلاحاً فهو عملية نقل للأفكار والتجارب وتبادل المعارف بين الأفراد والجماعات، وقد يكون التواصل ذاتيًا بين الإنسان ونفسه _أي حديث النفس_ أو جماعيًا بين الآخرين، وهو مبنيٌّ على الموافقة أو المعارضة، ويُعد جوهر العلاقات الإنسانية وهدف تطويرها؛ لذلك يوجد وظيفتان رئيسيتان للتواصل: وظيفة معرفية متمثلة في نقل الرموز الذهنية وتوصيلها بوسائل لغوية وغير لغوية، ووظيفة وجدانية تقوم من خلال تقوية العلاقات الإنسانية.

والتواصل على المستوى الاصطلاحي يُستخدم بمعانٍ متنوعة تتدرج من التفاعل بين الأفراد إلى استخدام شبكات الاتصال التكنولوجية عندما يتبادل الأفراد المعلومات، وعندما يتبادلون الرسائل فيما بينهم، ولا يقتصر ذلك على الجانب اللفظي فقط بل يتضمن الإيحاءات والإشارات والمظهر وأوضاع البدن(.([6]

وقد ذهب "كارل كولي"([7]) إلى أن: "التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور, إنه يتضمن كل رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان, ويتضمن تغييرات الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون, ويشمل آخر ما تم في الاكتشافات في المكان والزمان".

الثابت من خلال ما سبق أن المعاجم الفرنسية والإنجليزية استخدمت كلمة "التواصل" كأحد مرادفات المصدر العربي "التشارك" أو"التفاعل", ويبدو أن استعمال مصطلح التواصل في الفرنسية والإنجليزية خضع تاريخيًا للتطور، فتطور معناه من الأصل اللاتيني إلى أن صار يعني في المعاجم الكبرى:

- إرسال شئ ما لشخص معين.
- الانتقال من مكان إلى آخر.
- التحاور مع شخص ما.
- التحدث عن شئ ما(.([8])

أما المقصود بالتواصل العربي الأفريقي هو استمرارية الصلات والروابط الحضارية والثقافية والتجارية والاجتماعية بين الأمة العربية والشعوب الأفريقية من أجل التعاون والتناصر، وتبادل الخبرات والمصالح، وبالتالي تحقيق التقدم والتطور والإنماء.

---

[5] -4- محيي الدين صابر، العرب وأفريقيا, المكتبة العصرية، صيدا، بيروت, 1987, ص39.

[6] - حميد دولاب ضيدان، الجذور التاريخية للصلات العربية الأفريقية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، ليبيا، 1993, ص37، 39.

[7] -عالم الاجتماع الأمريكي ورائد علم النفس الاجتماعي

[8] - أحمد العايد وآخرون, المعجم العربي الأساسي, المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, 1988, حرف الواو مع الصاد

المطلب الثاني: آليات التواصل العربي الأفريقي

تُعد تجربة التعاون العربي الأفريقي من أقدم تجارب التعاون الإقليمية, حيث تمتد لتشمل الروابط الاقتصادية والثقافية والبشرية والحضارية, التي نسجتها قرونٌ طويلة من الحِراك الاجتماعي والتفاعل الحضاري بين الشعوب العربية والأفريقية, وقد تضافرت الجهود خلال العقود الأربعة الماضية لدفع عجلة التعاون العربي الأفريقي في المجال الاقتصادي والمالي والثقافي.

أولاً: آليات المتابعة والرصد والتنسيق

1- مؤتمرات القمة العربية الأفريقية: يعتبر مؤتمر القمة العربي الأفريقي الجهاز الأعلى للتعاون العربي الأفريقي الذي يرسم سياساته ويحدد توجهاته العامة, ويتم انعقاد مؤتمر القمة العربية الأفريقية المشتركة كل ثلاث سنوات، وتنعقد لجنة تحضيرية له قبل انعقاد القمة بسنة تقريبًا، وتتكون اللجنة من الجامعة العربية والاتحاد الأفريقي، والدولة المضيفة للقمة العربية الأفريقية.

2- المجلس المشترك لوزراء الخارجية: ينعقد هذا الاجتماع قبل القمة العربية الأفريقية، وهناك مقترح لانعقاد هذا الاجتماع في منتصف المدة بين القمتين إذا ما انعقدت القمة العربية الأفريقية كل خمس سنوات.

3- الاجتماعات الوزارية: تعتبر الاجتماعات الوزارية القطاعية العربية الأفريقية المنعقدة حتى الآن هى الاجتماع الوزاري العربي الأفريقي المشترك للتنمية الزراعية والأمن الغذائي، والذي انعقد ثلاث دورات حتى الآن، "شرم الشيخ فبراير2010", "الرياض اكتوبر2013", "الخرطوم اكتوبر- نوفمبر2016".

4- لجنة التنسيق على المستوى الوزاري وكبار المسئولين: تتألف لجنة التنسيق من ثلاثية تتكون من ممثل للرئيس الحالي للإتحاد الأفريقي والرئيس الحالي للقمة العربية والرئيس السابق والقادم للجانبين.

5- مفوضية الاتحاد الأفريقي والأمانة العامة بجامعة الدول العربية, وتنعقد لجنة التنسيق على المستوى الوزاري كل عام في نيويورك على هامش اجتماعات الجمعية العامة، وقد انعقدت حتى الآن على مدى خمس دورات كان آخرها في سبتمبر 2017.

أما لجنة التنسيق على مستوى كبار المسئولين فتجتمع كلجنة تحضيرية كل ستة أشهر على مستوى كبار المسئولين, وانعقدت حتى الآن عشرة دورات.([9])

ثانيًا: آليات التشاور والتيسير

اجتماع التعاون العام بين الجامعة العربية والاتحاد الأفريقي: يُعد أهم هذه الاجتماعات اجتماع التعاون العام بين المنظمتين الذي يُعقد عادةً بنهاية العام بالتناوب في مقر الجامعة العربية ومقر مفوضية الاتحاد الأفريقي، الذي انعقدت دورته السابعة في ديسمبر 2017 بالقاهرة، بالإضافة إلى اجتماعات تشاورية تُعقد بين المنظمتين قبيل اجتماعات لجنة التنسيق أو لمتابعة التعاون بين المنظمتين بصفة عامة.([10])

ثالثًا: البرامج والأجهزة التي تنفذ استراتيجية التعاون العربي الأفريقي، وتتمثل في:

---

[9]- *السيد عبد العزيز سالم, التاريخ السياسى والحضارى للدول العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ص5*

[10]- *2- أحمد حجاج, التعاون العربي الفريقي بين الواقع والأمل, مجلة جامعة الدول العربية الأمانة العامة, ع109, 2002, 186*

1- المعرض التجاري العربي الأفريقي: أقيمت سبع دورات للمعرض في دول أفريقية وعربية في الفترة من 1993 إلى 2014، وكانت آخر دورة منعقدة بالرباط المملكة المغربية في مارس 2014، لتشجيع التجارة والاستثمار بين المنطقتين.

2- المعهد الثقافي الأفريقي العربي: مقره في باماكو- مالى، وأنشئ عام 2002 كمؤسسة غير ربحية, شارك في تأسيسها كل من الاتحاد الأفريقي وجامعة الدول العربية, ويُشرف على المعهد مجلس تنفيذي تتكون عضويته من ممثلي الحكومات والمؤسسات العربية والأفريقية, ويتم اختيار المدير العام للمعهد من إحدى الدول العربية، ويختار نائبه من إحدى الدول الأفريقية, ومهمة المعهد العمل على تصحيح الانطباعات والصور الذهنية الخاطئة, وتعميق التفاهم المتبادل بين الشعوب العربية والأفريقية, وتشمل نشاطاته تنظيم ورش عمل وندوات ومؤتمرات ودورات تدريبية ومناسبات رياضية، بالإضافة إلى طباعة ونشر الكتب والمواد الثقافية الأخرى.

3- مجموعات العمل المشتركة:

1. اللجنة التوجيهية لتنفيذ خطة العمل العربية الأفريقية في التنمية الزراعية والأمن الغذائي.
2. اللجنة الأفريقية العربية الفنية والتنسيقية حول الهجرة.
3. المنتدى الاقتصادي العربي الأفريقي.
4. الصندوق العربي الأفريقي للاستجابة للكوارث.
5. الصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الأفريقية.([11])

وكان للتعاون العربي الأفريقي في حرب أكتوبر 1973 دورًا بارزًا؛ حيث قطعت كل الدول الأفريقية علاقاتها بإسرائيل, باستثناء أربع منها هى: "مالاوي وليسوتو وسوازيلاند وموريشيوس", وظلت الدول الأفريقية على موقفها هذا حتى أبرمت مصر اتفاقيات كامب ديفيد 1978 واتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية 1979.

وبلغ التعاون العربي الأفريقي أوجهه بعقد مؤتمر القمة العربي الأفريقي في القاهرة في مارس 1977، الذي ضم (65) دولة عربية وأفريقية، وأصدر بيانًا سياسيًا تضمن المبادئ الأساسية التي تحكم التعاون العربي الأفريقي، وبيانًا اقتصاديًا حول التعاون الاقتصادي بين الطرفين, وتبنى المؤتمر هيكلًا مؤسسيًا للتعاون, احتوى على: مؤتمر القمة، مجلس وزراء, لجنة دائمة للتعاون ولجنة للتنسيق ومحكمة عربية أفريقية وصندوق تمويل مشترك.

وأصيب التعاون العربي الأفريقي بالجمود بعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد، وتم نقل مقر الجامعة العربية إلى تونس, واستأنف التعاون العربي الأفريقي نشاطه مرة آخرى، وعقد اجتماع لرؤساء ومديري المنظمات الإعلامية العربية والأفريقية في القاهرة مايو 1990، وتم فيه وضع خطة للتعاون العربي الأفريقي في مجالات الاتصالات السلكية واللاسلكية والإذاعية والتلفزيونية والصحافة.

[11]- *السيد عبد العزيز سالم, التاريخ السياسي والحضاري للدول العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ص5*

ومن الجدير بالذكر أن مؤتمر القمة العربيِ الأفريقيِ لم يُعقد إلا مرة واحدة فِي القاهرة عام 1977، وكذلك الحال بالنسبة إلى المجلس الوزاريِ العربيِ الأفريقيِ, ولم تنشأ المحكمة العربية الأفريقية، وكذلك الحال بالنسبة إلى المؤسسة العربية الأفريقية للتمويل والاستثمار ومنطقة التجارة التفضيلية العربية الأفريقية والمعهد الثقافِي العربيِ الأفريقيِ.([12])

أما اللجنة الدائمة للتعاون العربيِ الأفريقيِ التِي كانت من الأطر التنظيمية التِي أقرها مؤتمر القمة العربيِ الأفريقيِ عام 1977 عقدت أحد عشر اجتماعًا منذ مايو 1977 وحتى أكتوبر 1989، وتوقفت اجتماعاتها منذ ذلك التاريخ.

وتوقفت لجنة التنسيق للتعاون العربيِ الأفريقيِ -مهمتها متابعة تنفيذ القرارات الصادرة عن أجهزة التعاون العربيِ الأفريقيِ- عن الاجتماعات منذ أكتوبر 1994, وأقيم المعرض التجاريِ العربيِ الأفريقيِ الأول بتونس فِي أكتوبر 1993, وأقيم الثانِي فِي جوهانسبرغ 1995, والثالث فِي الشارقة 1997, والرابع فِي داكار 1999, وعقد أسبوع رجال الأعمال العرب والأفارقة الأول فِي سنة 1995(.([13])

ويعود هذا التراجع إلى الأوضاع الدولية التِي أعقبت انتهاء الحرب الباردة بعد انهيار الاتحاد السوفيتِي, وظهور العولمة بعد سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على المسرح العالمِي والمنظمات الدولية, حيث تقلصت مكانة العرب وأفريقيا على الصعيدين السياسِي والاقتصادِي، وعمت الفوضى وعدم الاستقرار فِي أفريقيا، وتراجع النظام الإقليمِي العربيِ حتى كاد يتلاشى, وغاب التضامن العربيِ بعد الغزو العراقِي للكويت, وغزو الولايات المتحدة للعراق واحتلال أراضيه.

المبحث الثانِي: وسائل التواصل العربيِ الأفريقيِ

كان لتأسيس منظمة الوحدة الأفريقية عام 1963 فرصة كبيرة لتطوير العلاقات العربية الأفريقية، فاهتمت جامعة الدول العربية بإنشاء معاهد ومراكز للدراسات العربية والإسلامية, والمشاركة فِي التنظيمات والتجمعات العلمية والثقافية, والاشتراك فِي المؤتمرات والأدوات الأفريقية, كما عملت المنظمة على إقامة علاقات مباشرة مع اتحاد الجامعات الأفريقية, وتعاونت معه فِي مجالات الأنشطة المشتركة والعون الفنِي، وسعت الحكومات العربية والقطاع الخاص لتمويل المراكز الثقافية العربية فِي الدول الأفريقية([14]), ولتوضيح وسائل التواصل العربيِ الأفريقيِ تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين على النحو التالِي:

المطلب الأول: وسائل التواصل الثقافِي والاجتماعِي

يعود تاريخ التواصل الحضاريِ والثقافِي بين الأقطار العربية والأفريقية إلى قرون عديدة قبل ظهور الإسلام، ولكنها كانت ضعيفة ثم تكاثرت مع نقل العرب صورًا عن الحضارة العربية معهم فِي هجراتهم إلى القارة الأفريقية, مثل فن العمارة وصناعة الأسلحة وأعمال الخشب وغيرها(.([15])

وبعد دخول الإسلام القارة الأفريقية وانتشاره فيها أصبحت أفريقيا مركزًا هامًا من مراكز الحضارة الإسلامية، وأصبحت اللغة العربية لغة الفكر والثقافة فِي أفريقيا، فبسبب انتشار الإسلام فِي أفريقيا تعزز التبادل الثقافِي بين

---

[12] - علِي محمد عبد اللطيف: أفريقيا العربية, مكتبة الإعلام للبحوث والنشر, ليبيا, ص6

[13] 1- إبراهيم نصر الدين, الأطر التنظيمية للتعاون العربيِ الأفريقيِ ومدى فاعليتها فِي العرب وأفريقيا فيما بعد الحرب الباردة, مركز دراسات الدول النامية، القاهرة، 2000، ص12

[14] - شوقِي الجمل: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، 2004, ص44

[15] - محِي الدين صابر, العرب وأفريقيا, المكتبة العصرية, صيدا, بيروت, 1987, ص80

العرب والأفارقة، واتسع استعمال اللغة العربية والحروف العربية في العديد من اللغات الأفريقية، كما استعادت اللغة العربية الكثير من الألفاظ والمصطلحات الأفريقية(.)[16]

ولهذا الاتصال الفكري والثقافي بين العرب والأفارقة أبعاد واسعة، حيث أصبح للعرب وجود كبير في القارة الأفريقية؛ فأثروا في مختلف جوانب الحياة الأفريقية التي أصبحت بمرور الزمن صورةً من الحياة العربية سياسيًا ودينيًا واجتماعيًا وثقافيًا، فأقام العرب والأفارقة وحدة تاريخية قوامها العقيدة الإسلامية، تمثّلت في نُظم الحكم والإدارة والاقتصاد والعمارة والإنتاج الفكري والثقافي, لذا فإن النشاط العربي في مجال الثقافة في أفريقيا لا يبدأ من فراغ؛ بل هناك قاعدة صلبة في وجدان الأفارقة تمثّلت في مراكز تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة في القرى والمدن، يَفِد إليها الأطفال لتعلم القرآن والخط العربي, بالإضافة إلى التراث الفكري العريق(.)[17]

وجاء في أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ما نصّه: "لعبت القبائل العربية في تشاد وعموم أفريقيا دورًا ثقافيًا هامًا بفضل اللغة العربية وتعاليم الإسلام السمحة، وتعتبر اللغة العربية اللغة الوحيدة المكتوبة في تشاد حتى في الاستعمار، وقد ساعد في انتشارها العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين العرب وبقية السكان", وجاء فيها أيضًا: "إنّ بين الأفارقة والعرب وشائج قربى واتصالات قديمة وتأثيرات متبادلة في ميادين الاجتماع والثقافة والتجارة، ثم إن التقاء الثقافتين الإسلامية والأفريقية في الكثير من القيم والمعايير يَّسّر التفاهم بينهما، وشجع الأفارقة على اعتناق الإسلام، وفي أحضان الإسلام قامت إمبراطوريات سادتها مبادئ الأخوة والإنسانية".)[18]

وبدأ الاتجاه نحو الاهتمام بالقضايا الثقافية بين الدول العربية والأفريقية، فقرر مؤتمر القمة العربي السادس بالجزائر عام 1973 دعم وتوسيع التعاون الثقافي مع الدول الأفريقية، كما جاء إعلان الخرطوم حول التعاون العربي الأفريقي مؤكدًا لهذا الجانب، وإعلان الندوة العربية الأفريقية التي عقدت في الشارقة ديسمبر 1976 جاء تأكيدًا لهذا الأمر.)[19]

ونظرًا لأهمية تعزيز الصلات الثقافية والاجتماعية والعلمية والإعلامية بين العرب والأفارقة نصّت وثائق إعلان برنامج العمل للتعاون العربي الأفريقي -الذي صادق عليه مؤتمر القمة العربي الأفريقي الأول بالقاهرة لعام 1977- على تكثيف العلاقات الثقافيّة بين الشعوب العربية والأفريقية، وذلك بعقد اتّفاقات تشمل الآتي:

1- البعثات الثقافية والمهرجانات.
2- المنح الدراسية وبرامج التدريب.
3- التعاون في ميدان الوسائل الإعلامية.

---

[16]- *حسن أحمد محمود, الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999, ص4*

[17]- *محمد المبروك يونس, تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الأفريقية 1952-1977, طرابلس, ليبيا, 1986, ص17*

[18]- *أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء, كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس- ليبيا، 1999, ص378*

[19]- *خالد حنفي علي, الإقليمية الجديدة في أفريقيا أسباب التعثر مع التطبيق على تجمعي الساحل والصحراء والسادك، مجلة السياسة الدولية، مج36، ع144، أبريل2001، ص186*

4- تنسيق أنشطة البحث وتبادل المعلومات والدراسات العلمية والتقنية.

5- توسيع نطاق التعاون الفنّي.

6- تشجيع وتيسير السياحة ودعمها؛ لما تقوم به من دور إنساني وثقافي.

ومن الصور المثالية للتواصل الثقافي والحضاري رحلة ابن بطوطة المغربي الأفريقي، حيث قام بزيارة مصر والشام والحجاز والعراق وتركيا والهند والصين وباكستان وشمال أفريقيا وشرقها، كما قام بزيارة مالي وغيرها من البلدان والمدن, واتصل خلال هذه الرحلة بكثير من الملوك والأمراء فأفاد واستفاد, وألّف لنا كتابًا أسماه "تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، قدم من خلال هذه الرحلة كثيرًا من المعلومات التاريخية عن مناطق معروفة وأخرى غير معروفة، فأثرى بذلك الساحة الثقافية والعلمية(.([20]

أهم تلك الوسائل:

1- إصدار موسوعة عربية أفريقية مشتركة تتضمن الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية للشعبين العربي والأفريقي بهدف إنماء الوعي بين الشباب.

2- إقامة الاتحادات الثقافية المشتركة، كاتحاد الجامعات العربية الأفريقية، واتحاد الشباب العربي الأفريقي، والاتحاد العربي الأفريقي للكتّاب والصحفيين، والاتحاد العربي الأفريقي للنساء.

3- الإكثار من اللقاءات العربية الأفريقية المشتركة على المستوى الثقافي والإعلامي, وذلك من أجل تبنّي خطط لمواجهة التحديات المشتركة التي تواجه الطرفين, وصولًا إلى تحديد المصالح المشتركة.

4- الإكثار من الندوات والملتقيات والمؤتمرات الفكرية المحلية والدولية حول المواضيع المتعلقة بالتواصل العربي الأفريقي(.([21]

5- إنشاء مراكز أبحاث ومؤسسات علمية متخصصة, تقوم بدراسة المشكلات المشتركة بين العرب والأفارقة، (مثل مشكلات الحدود والمياه, وإشكاليات الفقر والتخلف, والصراعات الداخلية, وعدم الاستقرار السياسي.. إلخ)، وتقديم الحلول الخاصة بها بعيدًا من أي تدخلات أجنبية.

6- تصحيح الصورة المتبادلة عن العرب والأفارقة, وإبراز جوانب التداخل والترابط الثقافي والحضاري بينهم.

7- دعوة القيادات العليا صاحبة القرار إلى تشجيع التواصل العربي الأفريقي في الميادين الثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

8- زيادة عدد المقبولين من الطلبة الأفارقة في الجامعات والمعاهد والدورات الدراسية في العالم العربي، مما ينمّي لديهم المهارات ويساعد على اكتشاف الكفايات، علاوة على إيفاد الخبراء والفنيين إلى الدول الأفريقية للعمل والتدريب في المؤسسات التعليمية والمهنية والفنية المختلفة.

---

[20]- *عبد السلام البغدادي, الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في أفريقيا، مركز دراسات الوحده العربية, بيروت, ط2, 2000, ص191–200*

[21]- *إبراهيم نصر الدين,الأطر التنظيمية للتعاون العربي الأفريقي ومدى فاعليتها في العرب وأفريقيا فيما بعد الحرب الباردة, مرجع سابق, ص45*

9- على المهتمّين بموضوع التواصل العربيِ الأفريقيِ أن يكونوا على إلمام بمعرفة كبريات اللغات الأفريقية التيِ يتكلم بها عشرات الملايين اليوم فيِ أفريقيا، كاللغة السواحلية والهوساوية، والفلانية والصومالية؛ فمعرفة تلك اللغات تُمكن الباحث من الاتصال المباشر بالسكان والحصول على معلومات كثيرة عن طريق الروايات الشفوية(.[22])

10- العناية الكبيرة بالروايات الشفوية التيِ تتناقلها الأجيال فيِ المناطق الأفريقية، التيِ تعتبر مصدرًا ذاخرًا بالمعلومات الثمينة عن تاريخ تلك المناطق وشعوبها وملوكها وأنساب القبائل فيها وتاريخ تنقلاتها وأصولها البشرية، وتاريخ العلاقات بين مختلف تلك البلدان(.[23])

المطلب الثانيِ: وسائل التواصل التعليميِ والتربويِ

تُشير المصادر التاريخية إلى أنّ هذه الصلات تعود إلى ما قبل التاريخ المدون، حيث شاءت إرادة الله تعالى أن يظهر القحط فيِ شبه الجزيرة العربية؛ مما نتج عنه نزوح وهجرات متتالية من شمال جزيرة العرب إلى الجنوب حيث اليمن وأراضيها الخصبة، وإلى الشرق حيث بلاد الرافدين، وإلى الغرب حيث مصر ووادي النيل([24])، ثمّ تتابعت الهجرات من اليمن لتصل إلى نصف القارة الأفريقية عبر الحبشة والصومال، وقد عُثر على نقوش سومرية بابلية فيِ ساحل شرق أفريقيا تؤكد وصول أهاليِ الرافدين إلى تلك البقاع(.[25])

لذا أصبحت أفريقيا وطنًا تاريخيًا لكثير من شعوب الأمة العربية، والعرب فيِ هذه البلاد بحكم جوارهم ولسانهم العربيِ وثقافتهم الإسلامية وامتزاجهم وتصاهرهم مع إخوانهم الأفارقة كان لهم الأثر البارز فيِ تمتين أواصر الصداقة والتعاون بين الشعوب العربية والأفريقية(.[26])

وجاء فيِ كتاب تاريخ العرب العام: "كان العرب فيِ زمن الجاهلية منتشرين خارج جزيرتهم؛ فأقاموا ممالك صغيرة فيِ العراق وسوريا ومصر، وكانت صحاريِ أفريقيا تلوح أنّها ميراث لهم"([27]), وقال ابن خلدون فيِ تاريخه: "الطبقة الأولى من العرب هذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح, وأعظمهم قدرة وأشدهم قوة وآثارًا فيِ الأرض، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه"([28]), أما فيِ عصر الإسلام فكانت الهجرة الأولى إلى الحبشة؛ حيث أمر النبيِ صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فرارًا بدينهم لمَّا اشتد عليهم أذى كفار قريش.

---

[22]- صالح أبو بكر عليِ, العلاقات العربية الأفريقية بين الماضيِ والحاضر دراسة متعددة الأبعاد، دار النهضة العربية، القاهرة, 2006, ص24

[23]- سعد ناجيِ جواد, الأمن القوميِ العربيِ ودول الجوار الأفريقيِ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية, أبو ظبيِ، دراسة رقم (31) 1999 ، ص30 – 34

[24]- محيِ الدين صابر, العرب وأفريقيا, مرجع سابق, ص39

[25]- عليِ محمد عبد اللطيف, أفريقيا العربية, مرجع سابق, ص39

[26]- محمد سليمان الطيب, موسوعة القبائل العربية, الطبعة الثانية, دار الفكر العربيِ, القاهرة, 1977, ص27

[27]- سيدو, تاريخ العرب العام, الطبعة الثانية, عيسى البابيِ الحلبيِ وشركاه, 1969, ص28

[28]- ابن خلدون, تاريخ ابن خلدون, مؤسسة الأعلميِ للمطبوعات, بيروت, لبنان, 1971, ص18

ثم تلت تلك الهجرة العديد من الهجرات، كهجرة أهل الرِدّة فِي زمن الخليفة أبِي بكر الصديق رضى الله عنه, وهجرة الخوارج فِي زمن الخليفة علِي بن أبى طالب رضى الله عنه, وهذه الهجرات المتعددة ما هى إلا دليل قاطع على عمق الصلات العربية الأفريقية.([29])

فمنذ القدم ارتبط العالم العربِي بالقارة الأفريقية؛ ولعل العامل الجغرافِي والبشرِي والطبائع والعادات المتشابهة والمصالح المشتركة هى الأسباب الأساسية فِي التواصل العربِي الأفريقِي قبل أيِ شعب آخر.

أولًا: لجنة الشئون الثقافية والتربوية والإعلامية والاجتماعية

أُنشئت على أثر انعقاد مؤتمر القمة العربِي الأفريقِي فِي القاهرة مارس 1977، لتفعيل أشكال العمل العربِي الأفريقِي فِي لجان رئيسية وفعلية, وقد أوصت هذه اللجنة لدراسة أسس النشاط الثقافِي والحضارِي, وإنشاء مراكز البحوث, وإقامة التظاهرات الثقافية، ومن ناحية أخرى ارتبط عدد من البلدان العربية باتفاقات ثقافية مع كثير من الدول الأفريقية تدور حول تشجيع إقامة الصلات بين المؤسسات الثقافية والأدبية, وتبادل الأساتذة والخبراء والعمال، وتقديم المنح العلمية والتدريبية، وتشجيع الزيارات الودية بين رجال العلم والثقافة والفن والرياضة وتبادل المعلومات والمواد الثقافية والعلمية والفنية المختلفة، كما بادر عددًا من الدول العربية لإقامة مراكز ثقافية عربية أو إسلامية فِي عواصم أفريقية على أساس اتفاقيات ثنائية.([30])

ثانيًا: المعهد الثقافِي العربِي الأفريقِي

نشأت فكرة إقامة معهد ثقافِي عربِي أفريقِي تنفيذًا لدعوة القمة العربية الأفريقية الأولى التِي أقيمت بالقاهرة عام 1977، لتعزيز الصلات الثقافية بين دول المجموعتين بهدف تحقيق تفاهم وتعاون أفضل بين شعوبها، ووافقت اللجنة الدائمة للتعاون العربِي الأفريقِي فِي دورتها السادسة بتونس عام 1988 على مشروع النظام الأساسِي للمعهد الثقافِي العربِي الأفريقِي الذِي تقدمت به الأمانتان العامتان لجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية، كما صادق عليه مجلس الجامعة 1983 ومجلس المنظمة 1985، وتم التوقيع على اتفاقية إنشاء المعهد فِي يناير 1986 بدمشق, وقد وافقت الأمانة العامة لمنظمة الوحدة الأفريقية للمعهد على مقترحات الأمانة العامة للجامعة بأن يكون للجانب العربِي منصب المدير العام للمعهد وأن يكون المقر ومنصب المدير المساعد للجانب الأفريقِي.([31])

ومما لا شك فيه أن التعاون العربِي الأفريقِي ضرورِي نظرًا للأهمية الكبرى التِي تمثلها أفريقيا سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا بالنسبة إلى العرب, أما الأسس التِي ينبغِي أن تقوم عليها هذه العلاقات فيمكن إيجازها بما يلِي:

1- الاتفاق على استراتيجية جديدة للتعاون العربِي الأفريقِي من أجل تحقيق الأهداف المرجوة من هذا التعاون، وذلك بالتعاون بين الاتحاد الأفريقِي وجامعة الدول العربية.([32])

---

[29]- *أعمال ندوة التواصل الثقافِي والاجتماعِي بين الأقطار الأفريقية على جانبِي الصحراء، مرجع سابق, ص378*

[30]- *رشيد حسين عكلة: العمل العربِي الأفريقِي المشترك فِي إطار جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية, جامعة الدول العربية، القاهرة, 2006, ص65*

[31]- *ورقة عمل مقدمة من قسم النظم السياسية والاقتصادية, معهد البحوث والدراسات الاقتصادية, جامعة القاهرة, وندوة العلاقات العربية الأفريقية, منشورات جمعية الدعوة الإسلامية, طرابلس, 2005*

[32]- *محيى الدين صابر, العرب وأفريقيا، مرجع سابق, ص39*

2- دعوة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى إنشاء وحدة خبراء تابعة للأمين العام لاستكمال قاعدة معلومات لجميع الأنشطة التي تقوم بها الدول العربية في أفريقيا على جميع المستويات.

3- من واجب الاتحادات العربية والمنظمات ذات الطابع القومي أن تتفق على استراتيجية للتعاون مع مثيلاتها الأفريقية بما يعزز التعاون العربي الأفريقي ويحقق أهدافه، والتنسيق في نشاطاتها مع جامعة الدول العربية والإفادة من خبرتها في هذا المجال.

4- مواصلة الجهود لإنشاء المعهد الثقافي العربي الأفريقي الذي تمت الموافقة على إنشائه منذ عدة سنوات، من أجل توثيق العلاقات الثقافية العربية الأفريقية.([33])

خاتمة:

إن التعاون العربي الأفريقي هام ومفيد للأجيال الحالية والقادمة في كلٌ من أفريقيا والوطن العربي, حيث يكتسب هذا التعاون يومًا بعد يوم أهمية كبيرة بسبب ما يملكه الوطن العربي والقارة الأفريقية من إمكانيات مادية وبشرية, مما يحتم دعم التعاون العربي الأفريقي بمختلف الوسائل الاقتصادية والفنية والمالية والثقافية، ليصبح تعاونًا شاملًا ومفيدًا لجميع الأطراف.

وعلى الرغم من أن النتائج الإيجابية التي حققها التعاون العربي الإفريقي الذي يُشكل عاملًا أساسيًا للثقة بمستقبل هذا التعاون المفيد, إلا أن مسيرة التعاون العربي الأفريقي مازالت كبيرة وتحتاج إلى كثير من الجهد والتنسيق, لذا في ختام هذه الورقة البحثية انتهينا إلى بعض النتائج والتوصيات وذلك على النحو التالي:

أولًا: النتائج:

1-تمتاز العلاقات الثقافية بالاستدامة، نظرًا لم توفره من فهم للآخر وثقافته وعاداته، مما يجعلها مدخلًا لينًا لبناء علاقات سياسية واقتصادية وتجارية, لذا يجب الاهتمام من قبل صانعي سياسات الدول بهذا النوع من العلاقات وإعطاؤه أولوية إلى جانب العلاقات السياسية والاقتصادية، فقد يكون بمثابة حائط صد في حال الاختلاف السياسي.

2-تمتلك الدول العربية قاعدة قوية من الروابط الثقافية مع الشركاء الأفارقة، يمكن اتخاذها كقاعدة انطلاق لفتح آفاق جديدة لهذه العلاقات, حيث مرت علاقاتها الثقافية بفترات من الإزدهار والإنحسار.

3-يُعد البعد الثقافي أحد أهم أوجه التعاون بين الدول العربية والأفريقية, فهو يساعد في تقريب وجهات النظر وخلق علاقات طيبة بين الشعوب.

ثانيًا: التوصيات:

هناك عدد من التوصيات التي قد يكون لها أثرها الإيجابي في توطيد العلاقات الثقافية العربية الأفريقية:

1- استثمار العلاقات العربية التاريخية بالقارة الأفريقية.

2- استغلال الثروات الطبيعية في الدول العربية والأفريقية لصالح شعوب المنطقة.

[33]- *هاشم نعمة فياض, أفريقيا دراسة في حركات الهجرة السكانية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، 1992, ص109*

3- استكشاف جوانب العلاقات التاريخية العربية الأفريقية لتعميق التعاون بين الدول العربية والأفريقية.

4- إصدار مجلة جامعة باللغات الثلاثة العربية والفرنسية والإنجليزية، يُجند لها أصحاب الكفاءات من المفكرين؛ لإبراز الصلات الحضارية والتاريخية بين الأفارقة والعرب، وكشف التحديات المشتركة التي تواجههم في بناء المستقبل.

5- إعادة التفكير مجددًا في مفهوم الأمن القومي العربي ومجاله الحيوي؛ لبناء علاقات تعاون استراتيجي وسياسي واقتصادي وأمني ومائي مع منطقة القرن الأفريقي.

6- إنشاء جامعة عربية أفريقية كبرى على غرار جامعة الأمم المتحدة بطوكيو تعتني بمسائل التنمية وتتصدى للقضايا التي تواجه العالم العربي والأفريقي.

7- إنشاء مراكز للمخطوطات والآثار الأفريقية، وإمدادها بالمعدات والأجهزة الفنية مع الدعم والتطوير للقائم منها.

8- تأسيس مركز للبحوث المشتركة حول الصلات العربية الأفريقية، بالإضافة إلى وضع جوائز عالمية في مجال الدراسات العربية الأفريقية.

9- تسهيل إمداد الدول الأفريقية بالنفط العربي لتحسين الإنتاج وتطوير التصنيع.

10- تعزيز التعاون الاقتصادي بين الدول العربية والأفريقية بما يخدم مصالح كل طرف.

11- تكثيف الاستثمارات العربية في أفريقيا في مجالات الثقافة والسياحة والاقتصاد, وتبادل الخبرات في المجال العلمي والتربوي.

12- تكوين رؤية عربية واضحة للعلاقات الثقافية تجاه الدول الأفريقية، تقوم على دراسات مدققة وأهداف واضحة وأولويات ملحة تشترك فيها جميع الجهات ذات الشأن.

13- التوسع في المنح الدراسية لطلاب الدراسات العليا.

14- الحفاظ على المكتسبات ووسائل الحصول على مزيد من التكامل والإنجازات.

15- عقد مؤتمرات تتجه نحو المستقبل لرسم خطوط التعاون بين العرب وأفريقيا.

16- العمل على إيجاد أسلوب موحد للتقريب بين الدرجات والشهادات والإجازات العلمية في مختلف المستويات بهدف تبادل الخبرات.

17- العمل على تفعيل أوجة التعاون التي تشملها بنود الاتفاقيات الثقافية والبرامج التنفيذية، مع العمل على توقيع وثائق جديدة تتماشى مع التغيرات الحاصلة في النواحي الثقافية.

18- وضع مشروع مشترك بين اتحاد الجامعات الأفريقية واتحاد الجامعات العربية حول التاريخ النضالي المشترك بين العرب والأفارقة، على أن يسمح بتداوله بين الطلاب..

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنيس وآخرون, المعجم الوسيط, ط2, المكتبة الإسلامية, استانبول, تركيا, 1972, حرف الصاد مع الواو.

2. إبراهيم نصر الدين, الأطر التنظيمية للتعاون العربي الأفريقي ومدى فاعليتها في العرب وأفريقيا فيما بعد الحرب الباردة, مركز دراسات الدول النامية، القاهرة، 2000.

3. ابن خلدون, تاريخ ابن خلدون, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت, لبنان, 1971.

4. ابن منظور, لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان, باب اللام فصل الواو.

5. أحمد العايد وآخرون, المعجم العربي الأساسي, المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, 1988, حرف الواو مع الصاد.

6. أحمد حجاج, التعاون العربي الأفريقي بين الواقع والأمل, مجلة جامعة الدول العربية الأمانة العامة, ع109, 2002.

7. أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء, كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس- ليبيا، 1999.

8. حسن أحمد محمود, الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.

9. حميد ضيدان، الجذور التاريخية للصلات العربية الأفريقية, مركز الدراسات الأفريقية، سبها، ليبيا، 1993.

10.خالد حنفي علي, الإقليمية الجديدة في أفريقيا أسباب التعثر مع التطبيق على تجمعي الساحل والصحراء والسادك، مجلة السياسة الدولية، مج36، ع144، أبريل2001.

11. رشيد حسين عكلة: العمل العربي الأفريقي المشترك فى إطار جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية, جامعة الدول العربية، القاهرة, 2006.

12. سعد ناجي جواد, الأمن القومي العربي ودول الجوار الأفريقي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية, أبو ظبي، دراسة رقم (31) 1999.

13. السيد عبد العزيز سالم, التاريخ السياسي والحضاري للدول العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية.

14. سيدو, تاريخ العرب العام, ط2, عيسى البالي الحلبي وشركاه, 1969.

15. شوقي الجمل: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، 2004.

16. صالح أبو بكر علي, العلاقات العربية الأفريقية بين الماضي والحاضر دراسة متعددة الأبعاد، دار النهضة العربية، القاهرة, 2006.

17. عبد السلام البغدادي, الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في أفريقيا، مركز دراسات الوحده العربية, بيروت, الطبعة الثانية, 2000.

18. علي محمد عبد اللطيف: إفريقيا العربية, مكتبة الإعلام للبحوث والنشر, ليبيا.

19. الفيروز آبادي, القاموس المحيط, دار الطباعة الحديثة, القاهرة, 2009.

20. محمد المبروك يونس, تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الأفريقية 1952-1977, طرابلس, ليبيا, 1986.

21. محمد سليمان الطيب, موسوعة القبائل العربية, ط2, دار الفكر العربي, القاهرة, 1977.

22. محيي الدين صابر، العرب وأفريقيا, المكتبة العصرية، صيدا، بيروت, 1987.

23. نور الدين دريم, التواصل ومصطلحاته في فعل التخاطب من منظور طه عبد الرحمان, مجلة جسور المعرفة, مج3, ع12, 2017.

24. هاشم نعمة فياض, أفريقيا دراسة في حركات الهجرة السكانية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، 1992.

25. ورقة عمل مقدمة من قسم النظم السياسية والاقتصادية, معهد البحوث والدراسات الاقتصادية, جامعة القاهرة, وندوة العلاقات العربية الأفريقية, منشورات جمعية الدعوة الإسلامية, طرابلس, 2005.

التدابير والوسائل اللازمة لتعزيز القوة الناعمة في السياسة الخارجية العراقية بعد عام ٢٠٠٥

Measures and Means to Enhance Soft Power in Iraqi Foreign Policy after 2005

باحثة ماجستير/ سلار سعد محمد

كلية القانون والعلوم السياسية- الجامعة العراقية

أ.د. فالح حسن حمادي

كلية القانون والعلوم السياسية- الجامعة العراقية

الملخص:

يمكن ان تكون القوة الناعمة ومصادرها وخصائصها وأدواتها أن تصبح أداة لتحقيق أهداف سياسة العراق الخارجية، وليتمكن من خلالها من استعادة مكانته الإقليمية والدولية، فضلاً عن مواجهة التحديات التي تعترض عمل السياسة الخارجية أن كانت هذه التحديات على المستوى الداخلي أم الخارجي، واستثمار وسائل القوة الناعمة المتعددة ومن اهما السياحة الدينية، والمعالم الأثرية، والتنوع العرقي الذي يحتويه لمواجهة التحديات ومواكبة التطورات الإقليمية والدولية بما يمكن صانع القرار السياسي من التغلب على المعوقات المستقبلية التي تواجه السياسة الخارجية العراقية، كما توصلت الدراسة إلى ضرورة تبني الحكومة العراقية استراتيجية واضحة ومحدده تدرك من خلالها المقومات التي يمتلكها العراق لتوظيف قوته الناعمة في سياسته الخارجية.

الكلمات المفتاحية: القوة الناعمة، السياسة الخارجية، العراق.

Abstract:

Soft power, its sources, characteristics and tools can become a tool to achieve Iraq's foreign policy goals, In order to be able to regain its regional and international standing, as well as to face the challenges that objects foreign policy, whether these challenges are at the internal or external level, and investing in the various means of soft power, and one of the most important of these means are religious tourism, archaeological monuments, and the ethnic diversity it contains to face the challenges and keep pace with regional and international developments, In order to enable the political decision-maker to overcome the future obstacles facing Iraqi foreign policy, The study also found the need for the Iraqi government to

adopt a clear and specific strategy through which it recognizes the assets that Iraq possesses to employ its soft power in its foreign policy.

Key words: Soft Power, Foreign Policy, Iraq

المقدمة:

تهدف السياسة الخارجية إلى إدامة التواصل مع دول العالم الخارجي باستخدام أنماط سلكية تمكن الدولة من تحقيق أمنها وضمان حدودها وإشباع احتياجاتها الأساسية؛ إذ تختلف سبل ووسائل تحقيق الأهداف حسب قدرات الدولة، فتذهب بعض الدول لاستخدام الطرق السلمية، بينما تلجأ دولًا أخرى إلى القوة باستخدام الحرب والعدوان ضد الآخرين لتحقيق أهدافهم، وأن تحديد هذه الوسيلة وغيرها لا يرتهن برغبات صناع القرار، بل أن القدرات المادية لدولهم وطبيعة سياستهم مع الآخرين لها تأثير مهم في تحديد وسائل التنفيذ.

أرتبطَ العراق بمحيطه الإقليمي والدولي قبل عام ٢٠٠٥ من خلال استخدام القوة الصلبة ألا أنها تغيرت بعد تغيير النظام، فضلًا عن أنّ من عدم بلوغ العراق المستوى الذي يتطلع إليه كدولة لها تاريخها وحضارتها ومكانتها الاقتصادية بين دول الشرق الأوسط، وما يمتلكه من موارد نفطية كبيرة وموقع استراتيجي، غير أنها لم تسخر بالشكل الصحيح ولم تحقق له مكاسب جيوسياسية.

على الرغم من توجه العراق لتبني القوة الناعمة في مفاصل عديدة منها الاقتصادية والثقافية والدينية والرياضية، ألا أنها لم تحقق شيئًا يذكر حتى الآن أن كان على المستوى الداخلي بتحسين الخدمات الاجتماعية أو دفع مسار العجلة السياسية للنهضة بالدولة أو تطوير البنى المؤسساتية و الاقتصادية، أو أن كان على المستوى الخارجي بحل القضايا العالقة مع دول الجوار أو على الاقل بفرض هيمنة تمنع هذه الدول بالتدخل في شؤونها، إذ إن دولة بأمكانات العراق وموقعه الجغرافي تطمح إلى أن تكون مثل دول الخليج العربي الأخرى بعد أن كانت الأمارات تطمح إلى أن تكون مثل العراق، فالعراق يمتلك الموقع الاستراتيجي والموارد (النفط والغاز الطبيعي) ويمتلك رأس مال بشري، لكن طرق توظيفه لم تكن صحيحة، في كثير من الجوانب منها تغيير الحكومة وانتهاجه النظام الديمقراطي، فضلًا عن أن مبادئ الديمقراطية لم تطبق، ومشاركة الشعب في الحكم وأدراه شؤون الدولة ضعيفة، ومن ثم اسند عمل الحكومة على مبدأ المحاصصة في توزيع الوظائف.

أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في كونها من الدراسات الحديثة التي اختصت بالحديث عن إمكانية توظيف القوة الناعمة في السياسة الخارجية العراقية، إذ إنّ سياسة العراق الخارجية بعد عام ٢٠٠٥ أتسمت بعدم الوضوح لوجود جملة من التحديات الداخلية والخارجية التي اعترضت سبل توظيف مصادر القوة الناعمة، هذا ما دفعَ بدراستنا لتشخيص وتقديم الحلول والرؤى التي تسهم في صنع سياسة خارجية للعراق مؤثرة في البيئة الإقليمية والدولية.

أهداف البحث:

تسعى دراستنا إلى تحقيق عدد من الأهداف، وهي كالآتي:

1.ضرورة تبني الحكومة العراقية لمفهوم القوة الناعمة كأداة رئيسة لتحقيق أهدافها، من خلال إيضاح الواقع العملي للقوة الناعمة في العراق وإمكانية تحقيق إنجازات مهمة في هذا المجال.

2.ابتعاد العراق عن الاستخدام المفرط للقوة الصلبة والتحول باتجاه القوة الناعمة لتلاشي الوسائل الداعمة للقوة الصلبة، سيسهم في زيادة تأثير العراق في محيطه الإقليمي والدولي، وما ينجم عنه من تغيرات بنيوية في النظام السياسي.

3.تقديم الوسائل البديلة التي تدعم الكيفية التي تتم من خلالها إقامة سياسة خارجية فعالة ومؤثرة في البيئتين الإقليمية والدولية.

إشكالية البحث:

تنطلق الإشكالية من تساؤل رئيسي مفاده ماهي أبرز التدابير والوسائل لتعزيز القوة الناعمة في السياسة الخارجية العراقية بعد عام ٢٠٠٥؟

فرضية البحث:

تظهر الفرضية حقيقة أنّ القوة الناعمة أصبحت من أهم الوسائل التي تستخدمها الدول في تنفيذ سياستها الخارجية وتحقيق اهدافها، وإنّ العراق من الدول المالكة لتلك المصادر،ألا إنّ تغيير النظام بعد عام 2003 واجراء الانتخابات بعد عام 2003 وإقرار الدستور افرزت حكومة جديدة تفتقر لمؤهلات إدارة الدولة، فضلا عن تدمير العديد من مصادر قوته الاقتصادية والثقافية أدّت إلى ضعف قدرة الدولة على فرض أجندتها في البيئة الدولة وهدم القدرة على تحقيق الاستثمار الأمثل لمصادر القوة الناعمة لحماية مصالحة.

منهجية الدراسة:

استجابة لمتطلبات موضوع الدراسة تمت الاستعانة بعدد من مناهج البحث العلمي؛ مع التركيز على منهج التحليل النظمي في كتابة الهيكلية العامة للدراسة إذ هو على تماس مع مدخلات ومخرجات السياسية الخارجية، مع الاعتماد على المناهج العلمية الأخرى للوصل إلى دراسة تجمع بين الوصف والتحليل، وهو ما سمحَ بطرح التساؤل ومحاولة الإجابة عنها، وقد تمَّ استخدام المنهج الوصفي بتقديم المعطيات الداخلية والخارجية التي تدعم استخدام العراق لوسائل القوة الناعمة في سياسته الخارجية، مع تقديم أهم التطورات التي طرأت على النظام السياسي بعد عام ٢٠٠٥ وإبراز المتطلبات التي يسعى إليها العراق.

الدراسات السابقة:

لا يمكن الإقرار بعدم وجود دراسات اختصت بالحديث عن العراق في مختلف الفترات الزمنية، غير أن الكثير من الدراسات لم تتحدث عن توظيف القوة الناعمة في السياسة الخارجية بعد عام ٢٠٠٥، ومع ذلك سنتطرق الى بعض الدراسات التي مثلت نقطة الالتقاء بدراستنا:

1. Hussein.M, (2020), the Prospect of Establishing a Sovereign Wealth Fund in Iraq, Friedrich-Ebert-Stiftung, Jordan.

في هذه الدراسة تحدث الباحث عن البيئة الاقتصادية للعراق، مع ضرورة التأكيد على اتخاذ خطوات التنويع لتجنب الأزمات الاقتصادية ومخاطرها على البلاد، وعدم الاعتماد الكلي على جانب معين الا وهو الصفة المميزة للعراق وهو الاقتصاد الريعي والتوجه الى الانفتاح باعتماد صناديق الثروة السيادية وسيلة لتحقيق ذلك.

فيما اختلفت دراستنا عن البحث أعلاه في عدة جوانب؛ اذا ركزت دراستنا على السياسة الخارجية العراقية ودورها منذ عام ٢٠٠٥ واستعراض مكامن الضعف والتحديات التي أعاقت سبل الوصول الى الريادة الإقليمية، فضلاً عن الإشارة إلى أبرز الوسائل التي يتمتع بها العراق إلى جانب الوسائل الاقتصادية، فلم يقترب البحث من دراستنا إلا في جانب واحد وهو الجانب الاقتصادي بالتركيز على إمكانية انشاء العراق للصناديق السيادية.

2.خالد عليوي، دور القوة الناعمة في اعادة تشكيل الشرق الأوسط العراق وسوريا نموذجا ٢٠١٨، مجلة اهل البيت، كربلاء، العدد٢٤، ٢٠١٩.

حيث تناولت الدراسة اتجاه الحكومات المتضررة من التنظيمات الإرهابية وفشل الأداء الحكومي الى اتخاذ وسائل اقل كلفة ماديا للتغيير، كما انها ركزت على الإطار النظري للمفهوم ولم تقترب من السياسة الخارجية العراقية سوى بشكل مقتضب.

في حين ان ما يميز دراستنا انها اختصت بالحديث عن اهم جوانب القوة الناعمة مع تسليط الضوء على أكثر العوامل فاعلية، وركزت على التحديات كعنصر اساسي يعيق تطور السياسية الخارجية العراقية، وعملت الى إظهار قدرة القوة الناعمة على تغيير التوجهات الحكومة العراقية والنهوض بها للعب الدور الاقليمي الموازي لدول الجوار.

المبحث الأول: الوسائل الدبلوماسية

أن الدبلوماسية من أهم وسائل تحقيق أهداف السياسة الخارجية، بل هي الوسيلة الأولى لتنفيذ أهداف السياسة الخارجية لاسيما في أوقات السلم، يتفق العديد من المتخصصين على حقيقة أن الدبلوماسية هي فن وإدارة وتنظيم العلاقات الخارجية بين الدول؛ إذ تم استخدامها منذ العصور القديمة كأداة للوصول إلى أهداف معينة قبل اللجوء إلى الحرب، والدبلوماسية الفعالة مدعومة بكل الوسائل المتوفرة لدى الدول سواء كانت هذه الوسائل (سياسية- اقتصادية– عسكرية) (.[34]

لم تُعدُّ الدبلوماسية مقتصرة على العلاقات الثنائية بين الدول، انما أمتدت لتشمل علاقات الدول مع المنظمات الدولية والإقليمية والمؤسسات والوحدات السياسية الأخرى في المجتمع الدولي، ولهذا السبب يتم توظيف الدبلوماسية رسميًا من قبل الدولة في تنفيذ وإدارة سياستها الخارجية، كما أشار المهتمين بالشؤون الدبلوماسية بانه يمكن تحقيق أهداف الدولة ومصالحها الخارجية إلا من خلال الدبلوماسية الناجحة وأن يتولى هذه المهمة من يتمتع

[34](1) Leonard.M, (2002), Public Diplomacy, the Foreign Policy Center, London, p.5.

بالذكاء والكفاءة والصبر، وهذا يعني أن الدبلوماسية علم وفن له قواعده ومبادئه، ومن يمارسه يجب أن يتقن عمل العلاقات العامة والدولية، وتقع عادة المهام الدبلوماسية على الهيئات التي تقوم بالتمثيل الدبلوماسي (.)[35]

لكن هذا لا يعني أن نجاح العملية الدبلوماسية يعتمد على قيام الدبلوماسيون بهذه المهام؛ إذ أن هنالك العديد من العقبات التي تقف في طريقهم، فيلجأون في كثير من الأحيان إلى وسائل الإقناع كتقديم المكافأة، أو الوعد بتقديمها، أو التهديدات أو التعهدات، أي أن العمل الدبلوماسي يذهب لإنجاز أربع وظائف رئيسة، هي (حماية مصالح الدولة والدفاع عن حقوقها في الخارج- تمثيل الدولة وعرض آرائها وشرح توجهاتها للدول الأجنبية- متابعة كل ما يتعلق بوضع الدولة في الخارج وإعداد التقارير بشأنها- التفاوض وتُعدُّ هذه الوظيفة أهم جوانب العمل الدبلوماسي)[36].)

المطلب الأول: الدبلوماسية الثقافية

عند النظر إلى البيئة الخارجية المحيطة لعمل الدبلوماسية العراقية وما رافقها من أحداث وتطورات وأزمات شهدتها المنطقة مع مراجعة الاعتماد على الأداء الدبلوماسي كوسيلة لزيادة فاعلية السياسة الخارجية العراقية في البيئة الإقليمية والدولية، يتضح أن العمل الدبلوماسي لسياسة العراق الخارجية بعد عام ٢٠٠٥ لم يكن سوى صراع من أجل البقاء، فضلًا عن أنّ من التحديات الإقليمية التي واجهها، ألا أن النجاح وإن حدثَ يكون في حدود هذه البيئة التي لازالت تسعى جاهدة لعدم خروج العراق من حالة النزاع الداخلي والفوضى العارمة، فضلًا عن أن العمل الدبلوماسي للعراق في المستقبل القريب يجب أن يخرج من دائرة الصراعات الإقليمية ويتجاوزها؛ وفق رؤية جديدة لسياسته الخارجية التي تتعهد الدبلوماسية بتنفيذها، من خلال توفير الأمكانيات المناسبة لها، وأن توافق هذه الفرصة أو تلك يترك أثرًا واضحًا على الدبلوماسية العراقية ومدى فاعليتها على الصعيد الخارجي(.)[37]

لا يمكن الاعتماد على الوسائل الدبلوماسية بشكلها السياسي فقط لضمان استخدام العراق لقوته الناعمة؛ فما هو سائد أن عوامل القوة التقليدية (الاقتصادية– العسكرية) وغيرها تهيمن على العلاقات الدولية، ألا أن القوة الناعمة مع الثقافة تُعدُّ متغيرًا مهمًا له تأثير على تطور العلاقات الدولية، إذ صرح ممثل مدرسة الواقعية الكلاسيكية (هانس مورجنثاو) في كتابه (السياسة بين الأمم- النضال من أجل السلطة والسلام) أن "القوة الإقناعية لثقافة متفوقة والفلسفة السياسية الأكثر جإذبية أفضل من استخدام القوة العسكرية والوسائل الاقتصادية وأكثر فاعلية؛ لأن هدفها ليس احتلال الأراضي والسيطرة على الحياة الاقتصادية بل السيطرة وغزو عقول الناس كوسيلة لتغيير علاقات القوة بين الأمم" (.)[38]

---

[35](2) Stanzel.V, (2018), New Realities in Foreign Affairs: Diplomacy in the 21st century, SWP German Institute for International and Security Affairs, Germany, p.50.

[36](1) Alan.K, (2006) what can Diplomacy Achieve?, Netherland Institute for International Relations, p.26.

[37](2) Yenigün.C, (2015), (Foreign Policy of) Republic of Iraq, Cuneyt Yenigun/ Mesut Ozcan, p.45.

[38](3) Robson.E, (2022), Cultural Heritage Prediction in Iraq the Sectarian Appropriation of the Iraq's Past, Chatham House, Middle East and North Africa Programme, p.22.

على الرغم من أن العراق بلد يتمتع بموارد ثقافية كبيرة غير أنه لم يستغل منتجاته الثقافية مقارنة بالدول الأخرى، ومع التغيير الذي شهده وانتشار الثقافة ومفاهيمها في معظم المحافظات العراقية غير أنه لم يستخدم الثقافة كقوة؛ فإذا ما تم تحويل الثقافة بنجاح يمكن أن تشكل قوة ناعمة، فلم تكن الأهرام في مصر قوة الناعمة إلا بعد أن بدأت في جذب السياح من دول العالم للتعرف على حضارة وادي النيل، هذا ما يعبر عن إن الموارد الثقافية العراقية نفسها ليست قوة ناعمة ما لم يتحقق ما يعرف بـ(التحول الناجح)؛ هو ما يُظهر قدرة الدولة على دمج الموارد وتحويلها، بل أن التحول والتغيير الناجح للموارد الثقافية يتحقق مع الاستخدام الأمثل لها وهو أكثر أهمية من الموارد المملوكة للدولة، لاسيما وأن العراق بلد الحضارات وسمي بحضارة (بلاد ما بين النهرين)؛ فأسست تلك الحضارات صروحها وأصبحت معالم أثرية، وعرف من خلال هذه المعالم الأثرية التاريخ والحضارة والسياسة والقانون بمدوناتها ومسلاتها الأثرية (.)[39]

صُنفت بعض المواقع الأثرية العراقية ضمن مواقع التراث العالمي وهذا ما تم الإشارة إليه سابقًا، تحددت هذه المعالم من قبل لجان مختصة في هذا الشأن تابعة لمنظمة اليونسكو؛ وأن من أهم أهداف منظمة اليونسكو هو حرصها على المحافظة على المواقع الأثرية المدرجة في قوائمها وتنظيم زيارات متتالية لرصد التغيرات التي تطرأ عليها خوفاً من تعرضها لأخطار طبيعية أو بشرية، أن ما تشهده الأهوار بعد انخفاض منسوب المياه وما رافقها من تغير مناخي يشير إلى إمكانية خروجها من ضمن المواقع المدرجة التي يجب الحفاظ عليها واستبعاد خطر زوالها، هناك عدد من الآثار العراقية التي كانت قد أدرجت بشكل مؤقت في قائمة التراث العالمي إذ أدرجت آثار أوروك في محافظة المثنى إلى قائمة الآثار عام ٢٠٢١ (.)[40]

لا تقتصر القوة الناعمة على المعالم الأثرية أو حتى الوسائل الدبلوماسية فبتغير العالم أصبحت القيم والمبادئ هي جزء من القوة الدينية الناعمة، وتشكل ركنًا أساسًا ضمن التصنيف المحدد (القوة الشاملة للدولة)، وقد بدى تأثير هذا الجانب أكثر وضوحًا بعدَ تطور المعرفة التكنولوجية وتقارب الشعوب مع بعضها البعض، هذا وأن القوة الدينية الناعمة بحاجة إلى عناصر تعتمد عليها لقيامها، منها الأماكن الدينية، والمعالم السياحية الدينية، الشخصيات الدينية المؤثرة في صنع القرار والتي تهدف إلى توحيد الصف العربي والإسلامي ، وعند النظر إلى هذه العناصر نجد أن لها حضور واسع في البيئة العراقية؛ فتأثير المرجعية الدينية والمجمع الفقهي يمتد إلى الدول العربية وحتى الغربية (.)[41]

---

[39](1) Stone.P, (2008), the Identification and Protection of Cultural Heritage During the Iraq Conflict: a Peculiarly English Tale, National Center for Cultural and Heritage Studies University of Newcastle, UK, p.938.

[40](2) Andrew.N, (2021), Impacts of Politician and Conflict on Archaeological Resources: an Analysis of Trends in Iraq, a Thesis Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Science in Anthropology, University of Wisconsin-Milwaukee.

[41](3) Iraq 2020 International Religious Freedom Report, International Religious Report for 2020 United States Department of State, Office International Religious Freedom, (2020), p.20.

إذ أن المرجعية الدينية تتمتع بدى واسع يمتد تأثيرها خارج العراق ان كان على المستوى الإقليمي أو الدولي، كما أن مقلديها يعيشون وينشطون ويمتلكون جنسيات هذه الدول مما عززَ من إمكانية تأثيرها، وقد اتجهت المرجعية إلى أقامه مؤسسات تابعة لها في بريطانيا وبلجيكا وهولندا والمانيا وأفريقيا وكندا وغيرها من الدول الأوروبية، ولجأت إلى تقديم النصح والمشورة إلى القيادات السياسية العراقية، والمساهمة على حث أفراد المجتمع للتصدي للإرهاب، كما أكّدت على ضرورة إجراء تغيير على النصوص الدستورية لعدم ملائمتها مع الشأن العراقي فضلًا عن سعيها لأحتواء القضايا التي تهدد الأمن المجتمعي للبلاد .([42])

تظهر قوة الجذب الناعمة بصورة واضحة في الأحداث الدينية التي يحتضنها العراق، إذ يكتظ البلد بالزوار الأجانب من كافة الدول مع توفير أهم الخدمات من إذ النقل والايواء والاطعمة، وفي الوقت ذاته لا يقتصر توجه الزوار نحو المراقد الدينية فقط بل تقام نشاطات مختلفة تتعلق بالنحت والرسم ومعارض للكتب وغيرها تُعرف الوافدين بأهمية الحدث الديني المقام فضلًا عن تلاقي الأفكار، واليوم مع تطور وسائل الاتصال والاعلام وبث الخبر بلغات متعددة لا تقتصر على اللغة العربية أصبح من الممكن الترويج للظواهر الدينية والثقافية لجذب الجماهير وحثهم لزيارة الأضرحة المقدسة والمعالم الأثرية والترويج للقوة الناعمة العراقية بين مختلف دول العالم .([43])

مثلت زيارة البابا فرنسيس نقلة نوعية في السياسة العراقية كما كانت لها أبعاد جيوسياسية للعراق مع دول العالم، وأخذت هذه الزيارة صدى اعلامي واسع المدى تمكن العراق من خلالها خلق انطباع حول العمق الحضاري له؛ لاسيما وأن البابا حث المسيحين للقيام بالحج المسيحي لكون العراق يحتوي على الكثير من المواقع المقدسة المسيحية والإسلامية وإليهودية، وعلى أثر هذه الزيارة اتجهت الجهود الحكومية بالإشارة إلى أن سومر وأور ارض يحج إليه المسيحيين .([44])

أن أهم المكاسب الاستراتيجية التي حققها العراق من خلال هذه الزيارة هو استعادة علاقته مع العديد من الدول؛ تجسدَ هذا الأمر من خلال منح العراق تأشيرة الدخول لـ(٣٦) دولة ومنها (بريطانيا– فرنسا– المانيا– فلندا– سويسرا– كندا– إيطاليا– هولندا– بلجيكا– إسبانيا– الدنمارك– السويد– إيرلندا– بولندا– اليونان– قبرص– روسيا– الصين– اليابان– كوريا الجنوبية– بلغاريا- التشيك– إستونيا– مالطا– لوكسمبورغ– البرتغال– ليتوانيا– لاتفيا– رومانيا- سلوفاكيا– سلوفينيا– نيوزلندا– أستراليا– المجر وغيرها)، قدمت الحكومة تسهيلات للسياح عند الدخول للمطار أو المنافذ الحدودية، مع إلزام الحكومة بتوفير الحماية للسياح أثناء زيارتهم للمواقع الأثرية والدينية،

[42](4) Hasan.H, (2019), Religious Athority and the Politics of Islamic Endowments in Iraq, Carnegie Endowment for International Peace, p.2.

[43](1) Wellman.E, (2013), Religious and Conflict Case Study Series Iraq Buttressing Peace with the Iraqi Inter-Religious Congress, Berkley Center for Religious, Peace and World Affairs, p.11.

[44](2) Alexander.E, (2021), Pope Francis Historic Visit to Iraq: Its Significanct for the Christian Minority, Religious Diversity and Reconstruction, Policy Brief, p.1.

فهنا سيتشجع العديد من الأجانب لرؤية هذا الأماكن المنتشرة في عموم البلاد، ومن المتوقع أن تقوم الدول بذات الخطوة من خلال منح العراقيين تسهيلات تأشيرة الدخول مما يؤدي إلى رقع أهمية ودرجة الجواز العراقي (.)[45]

أن بابا الفاتيكان شخصية سياسية ودينية في الوقت ذاته هو رئيس دولة؛ أي إن زيارته كانت دعوة لتوحيد المسيحيين والمسلمين العراقيين في أراضيهم، والالتزام بما يتفق مع حب الوطن وغرس المواطنة فيه وعنصر رئيسي من نسيجهم الاجتماعي لا كمغتربين أو زوار، فضلًا عن أن هذه الزيارة جاءت كرسالة سلام ودعم لجميع الأقليات في العراق، والدعوة لإعادة إعمار الكنائس والمواقع الأثرية التي تعرضت للدمار والنهب من قبل التنظيمات الارهابية (.)[46]

المطلب الثاني: الدبلوماسية الرياضية

تُعدُّ الرياضية هي أحد أنواع القوة الناعمة التي لها دور في كسب الشعوب؛ وأن مصادر القوة الناعمة هي (الثقافة- القيم السياسية- السياسة الخارجية) إذ تظهر الدبلوماسية الثقافية الطريقة التي يمكن من خلالها استخدام الثقافة كوسيلة للدبلوماسية العامة والقوة الناعمة، ويمكن أن يتحقق هذا الأمر من خلال إقامة معسكرات لتدريب الشباب وطلبة الجامعات والهواة على مختلف أنواع الأنشطة الرياضية، لاسيما فئة المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة لتنمية مواهبهم وتقديم الدعم المعنوي لهم، واتجهت العديد من الدول لتحقيق أهدافها من خلال استضافة الألعاب الأولمبية والدوريات كوسيلة للقوة الناعمة ([47])، في الشكل الآتي:

1. الحماية الأمنية: تسهم في تعزيز الأمن الداخلي للمجتمع وتحفيز الشباب نحو المشاركة في الأنشطة الرياضية، ونبذ العنف والتطرف، والتشجيع على التسامح وقبول قيم المنافسة.
2. العلامة التجارية للدولة: ترويج للدولة على أنها نموذج عالمي، فهي تمثل الحضارة والتوسع الحضري وتظهر مدى التقدم التكنولوجي والاقتصادي بما يعزز الصورة الإيجابية للبلد المضيف في الوعي العام العالمي (.)[48]
3. المكاسب الاقتصادية: توفر هذه النشاطات دعم اقتصادي للدولة، وزيادة فرص الاستثمار التجاري لرجال الاعمال في مختلف الدول مع تأمين قيمة عالية للاستثمار الداخلي.
4. ثقافة التعايش: تتجه الألعاب الأولمبية لتوظيف قيم الانفتاح والتسامح، وقبول الآخر ومعرفة ثقافة المجتمعات، وتسهم في إظهار الدولة خارجيًا على إنها مجتمع منفتح ومتحضر يقبل التعددية (.)[49]

استخدمت المانيا الأنشطة الرياضية بعد عام ٢٠٠٦ كوسيلة دبلوماسية لاستعادة مكانتها الدولية وتحسين صورتها الخارجية بعدما كانت توصف بسلوكها العدواني وتاريخها النازي خلال القرن العشرين، فلجأت لتنويع

[45](3) Francis in Iraq Speeches, Homilies and Prayers of Pope Francis in his Apostolic Journey to Iraq, Institute of International Peace, (2021), p.7.

[46](4) Bauer.A, (2021), Archbishop Warda: the Pope's Visit should Open Minds to Fastor Reconciliation, Konrad Adnauer Stiftung, Spotlight Syria / Iraq Office, p.2.

[47](1) Crix.J and Houlihan.B, (2014), Sports Mega- Events as Part of a Nation Soft Power: the Cases of Germany and UK (2012), the British Journal of Politics and International Relations, p.321.

[48](2) Crix.J and Houlihan.B, Op.Cit, p.326.

[49](3) Galion.P, (2011), the Olympic System: Toward a Geopolitical Approach, in Annales De Geograpjie, Translated from French by JPD System, Issue 4, p.425.

مصادر تصدير ثقافتها من خلال أقامه مراكز ثقافية، وأرسال بعثات ثقافية معززة للغة الالمانية مثل معهد جوتة ومنظمة خدمات التبادل الأكاديمي الالماني، فضلًا عن أنّ من عدم وجود مقاييس محددة لنجاح القوة الناعمة ألا أن استخدام المانيا لأحد أدواتها أثبتت فاعلية نجاحها فبعد استضافتها لكاس العالم لعام ٢٠٠٦ أستمرت السياحة بتزايد لمدة ٦ أعوام فحققت قبول وارتياح من خلال جذبها للسياح فضلًا عن العوائد المالية الضخمة لشركات الطيران (.[50])

لا زالت العديد من الدول تستخدم الرياضة كأداة للدبلوماسية أو لتنفيذ أهداف اجتماعية وسياسية وأحيانًا مالية؛ وإذا كانت الأنظمة السياسية تتجه لإصلاح ما خلفته الحروب بين الدول من صراعات جيوسياسية فبأمكان الرياضة أن تصلح ما أفسدته السياسية، إذ أن العلاقات السعودية– العراقية مرت بفترة من القطيعة؛ غير أن الأنشطة الرياضية استطاعت بناء الجسور لتقريب الدولتين وإعادة العلاقات الاستراتيجية بينهما واللجوء لسياسة التعاون وحسن الجوار، هذا يظهر في عام ٢٠١٨ عندما أقيمت مباراة بين الدولتين بعد قطيعة دامت ٢٨ عامًا، ورفعت شعارات الترحيب إذ بادرت المملكة العربية السعودية بأهداء العراق مدينة رياضية متكاملة سيتم العمل بها في حزيران ٢٠٢٢ بعد الاتفاق على اختيار الموقع الملائم لها، فضلًا عن دعوة المملكة لرفع الحظر الدولي عن العراق المفروض من قبل الاتحاد الدولي لكرة (الفيفا) (.[51])

لابد أن تكون للخطوات السياسية المتبعة من قبل قادة الدول تأثير إيجابي على القطاع الرياضي، فلا يزال العراق يعاني من تدهور في توفير دورات تدريبية للفرق الرياضية بفعل الأزمة السياسية، وفي كثير من الأحيان تسيء الحكومة استخدام الرياضة كوسيلة لأثبات سلطتها لذا يتم اختيار الأنظمة بمدى جاذبيتها للناخب؛ ونلاحظ أن التوجه الجديد للأنظمة الحالية قائم على أشراك النخب الرياضية في العملية السياسية والاستفادة من مؤيدي الشخصيات الرياضية لكسب أصوات الناخبين وهو جزء من سياستها الناعمة، مثل أشراك اللاعب الراحل أحمد راضي في مجلس النواب العراقي عام ٢٠١٤، واختيار عدنان درجال وزيرًا للرياضة عام ٢٠٢٠ وترشيحه إلى انتخابات مجلس النواب عام ٢٠٢١ (.[52])

لجأت العديد من الشركات متعددة الجنسية إلى الأدراك أن توجه الدول الحالي لم يعد محدد بالرأسمالي أو الشيوعي بل المصلحة هي المحرك الرئيس؛ فذهبت هذه الشركات إلى تجنيد السياسيين واعتبارهم موظفين مهمتهم الضغط على الحكومة لأقرار القوانين التي تتيح لهم بيئة تشغيل مناسبة، أي أن الاستثمار في القطاع الرياضي أصبح

[50](4) Shaltaev.O, (2019), Sport and Soft Power: the Case of Sport as a Tool of Immigrant Integration in Germany, Tampere University, Faculty of Management and Business, p.16.

[51](1) Sport Diplomacy: a Literature Review of Scholary and Policy Sources, Co-Funded by the Erasmus Programme of the European Union, (2017), p.12.

[52](2) Meissen.J, (2005), the New Public Diplomacy Soft Power in International Relations, Netherlands Institute of International Relations, Clingendael, p.75.

متأثر إلى حدٍ ما بالعملية السياسية، مما يستلزم اقامة تفاعلات هدفها المحافظة على تدفق الأرباح الداعمة للمشاريع الرياضية (.)[53]

بالنظر إلى ما تم ذكره سابقًا لابد أن تتخذ إجراءات مستنيرة من قبل الحكومة والأوقاف الدينية المحلية وكذلك مؤسسات التراث الدولي والجهات المانحة؛ بتوفير برامج دعم وطنية ودولية وآليات جديدة تعالج حالة التراجع وعدم الاهتمام في التراث الثقافي العراقي وبدء التعافي المستدام، أن من أهم الخطوات الرئيسة للاهتمام بالتراث الثقافي العراقي موصوفه أدناه:

- للحكومة العراقية والمؤسسات التراثية:

1. أنشاء استراتيجية وطنية للتراث الثقافي مع الأخذ بنظر الاعتبار توافر العناصر الرئيسة للتراث الوطني العراقي؛ بما في ذلك العناصر المتعلقة بالموسيقى والفنون والمخطوطات والمتاحف، مع أعداد قاعدة بيانات مهنية بالاشتراك مع المؤسسات الدولية لتوثيق القطع الثقافية العراقية المسروقة.
2. تخصيص ميزانية لدعم إعادة التأهيل والتعافي الثقافي، وإعطاء الأولوية لاستخدام أفضل للتمويل الدولي لضمان توافق الدعم الدولي مع أولويات التراث العراقي.
3. إنشاء معهد وطني لحفظ التراث وتطوير الممارسات الجيدة في مجال الحماية والحفظ؛ بالنظر إلى للانهيار الثقافي الحالي فلابد أن تحظى هذه المبادرة بدعم المنظمات الدولية ذات الصلة مع إمكانية تعيين خبراء على الصعيدين الإقليمي والدولي لمعالجة حالة التدهور الثقافي في العراق (.)[54]
4. إصلاح القوانين والأنظمة الرقابية في العراق وضمان عدم تسييس التراث الثقافي والهوية، مع سيطرة الدولة العراقية على التمويل الخارجي (التمويل الدولي خارج النظم القانونية العراقية) الذي يوفر فرصًا كبيرة للفساد وسوء إدارة الموارد، ومشاركة هيئة الرقابة ومكافحة الفساد في مراقبة مشاريع التراث الثقافي الممولة من الخارج، واستحداث نماذج وممارسات للمشاركة الفعالة ومشاركة المجتمع في حماية التراث الثقافي والاحتفاء به.
5. تطوير صندوق استراتيجي للتراث الثقافي يدار من قبل وزارة الثقافة والسياحة والآثار والمؤسسات الثقافية والمالية الدولية، سيسهم هذا الصندوق في تعزيز الجهود الوطنية والدولية للاستجابة لمتطلبات الإصلاح والحفظ والتوثيق، إذ لابد أن يُدعم الصندوق من قبل الوكالات الحكومية والدولية والهيئات الثقافية وخبراء والمتاحف، ويجب أن يكون هذا التدخل لغرض توفير الدعم الدولي.
6. الترويج للرموز الثقافية والانفتاح الثقافي مع مختلف الثقافات واحترام التنوع الثقافي العراقي، من خلال حملات التوعية الوطنية والتثقيف وتطوير المهارات النظرية والعملية اللازمة لحماية التراث العراقي؛ كوسيلة للقوة الناعمة من أجل بناء العلاقات السياسية والاجتماعية، لاقامة مشاريع اقتصادية مع الدول الأجنبية

[53](3) Lekakis.N, (2019), the Limits of Soft Power-Sports Diplomacy Templates in IR Research, E-international Relation, p.5.

[54](1) Robson.E, (2022), Cultural Heritage Prediction in Iraq the Sectarian Appropriation of the Iraq's Past, Chatham House, Middle East and North Africa Programme, p.25.

من خلال الاستثمار في القطاع السياحي لجذب السياح، من خلال تأهيل وتطوير المعالم الأثرية وتغييرها إلى قرى سياحية تسهم بعملية الاستدامة، مع ضرورة أدراج الثقافة في عملية التنمية المستدامة كعنصر فعال في رفع الإنتاج ودعم الصناعات الثقافية (.)[55]

- للأوقاف الدينية:

1. المشاركة مع المنظمات غير الحكومية والمجتمعات المحلية في حوار وطني حول المحافظة على التراث الثقافي العراقي وحمايته، والعمل نحو أهداف مشتركة وضعت بالشراكة مع مؤسسات الدولة المركزية.
2. إعادة هيكلة مع أجراء تحديثات معمارية لبعض مواقع التراث الديني العراقي بعد التشاور وزارة الثقافة والسياحة والآثار، تأكيدًا من أن مثل هذه التدخلات تلبي المعايير المعترف بها دوليًا.
3. السعي لاستحداث عناصر تنمية بديلة وغير مدمرة للمناطق المرتبطة بالأضرحة وبناء الثقة بالمشاركة الكاملة مع المجتمع (.)[56]

- للمانحين الدوليين والمجتمع البحثي:

1. أقامه مشاريع طويلة الأمد بما يتوافق مع احتياجات العراق وليس بناء على رغبات الشركاء الأجانب، وضمان تنفيذ المشاريع الملائمة للتصدي لحالة الإهمال للمواقع التراثية في العراق.
2. ضمان توصل هذه المشاريع إلى نتائج ملموسة من خلال التعاون مع الجامعات ومنظمات المجتمع المدني والمجتمع، والتأكيد على أتباع هذه المشاريع الدولية معايير الشفافية المالية ومشاركة التقارير المفصلة مع سلطات الدولة ومديريات الآثار المحلية.
3. مساءلة القادة عند سوء استخدام الأموال وإدارة الموارد في مشاريع التراث الدولي ومصادرة الأموال واستخدامها لتقديم الخدمات للمجتمع لضمان مكافحة الفساد (.)[57]
4. توجه المانحين الدوليين ومنظمات التمويل للتعامل مع مؤسسات الدولة بشكل مباشر واتخاذها مركزًا لعملهم في العراق.
5. استخدام التراث الثقافي كوسيلة لبناء السلام والوساطة السياسية لإظهار دوره الإيجابي في إعادة تشكيل الهوية الوطنية العراقية (.)[58]

على العراق التوجه نحو زيادة قوته الناعمة من خلال تفعيل دور الدبلوماسية المضيفة أو ما يعبر عنه بالزيارات الرسمية، إذ أن القوة الناعمة في الساحة الدولية تظهر ويتم تعزيزها بالمهارات والاساليب الدبلوماسية المتقنة، فضلًا عن أن الاستراتيجية العامة للعلاقات الدولية التي يمكن أن تخلق صورة إيجابية على المسرح الدولي

[55](2) Abdulameer.H, (2022), Intangible Cultural Heritage in Iraq: between Ambition and Reality, a Step forward to the revision of National law Legal Aspects on the protection of Iraq cultural Heritage, Proceeding of the Symposium, Baghdad, p.116.

[56](1) Robson.E,Op.Cit, p.26.

[57](2) Ibid, p.30.

[58](3) Abdulameer.H, Op.Cit, p.120.

وبالتالي نحسن من القوة الناعمة، ولا يمكن اغفال دور الوسائل الاقتصادية في تعزيز القوة الناعمة للعراق وهذا ما سيتم التطرق إليه في المبحث الآتي.

المبحث الثاني: الوسائل الاقتصادية

يعد العامل الاقتصادي أكثر الوسائل التي تستخدمها الدول لتنفيذ أهداف السياسة الخارجية، ولا يمكن أنكار أن الدول التي تمتلك عوامل القوة الاقتصادية لها القدرة التأثيرية التي تدعم بها سياستها الخارجية؛ هذا ما عبرَ عنه جوزيف ناي عندما أكّد ظهور وسائل أخرى للقوة لا تقتصر على التهديد أو الإكراه بل اظهرت أنماط جديدة بين الدول تتمثل بالقدرة على التأثير المتبادل بعيدًا عن القوة الصلبة (.[59])

لم تُعدُّ الوسائل الاقتصادية تقتصر على شكل واحد بل تعددت أشكالها كأحد أدوات تنفيذ السياسية الخارجية بين الدول؛ فغالباً ما تأخذ شكل المساعدة الاقتصادية والتي عادة ما تلجأ إليها الدول ذات الأمكانات الاقتصادية الكبيرة، ومع ذلك، فإن ما يتم اللجوء إليه في الوقت الحاضر هي (المساعدة الإنسانية– المساعدة الإنمائية– المساعدة العسكرية– المساعدة التقنية)، وأحيانًا أخرى تُستخدم الوسائل الاقتصادية بشكل المقاطعة؛ وتعني قطع العلاقات التجارية مع بعض الدول أو إحدى مؤسساتها لألحاق الضرر المادي بالدولة المراد مقاطعتها، وتهدف المقاطعة الاقتصادية التأثير على صانع القرار للخضوع للطرف الآخر أن كانت دولة أو مجموعة دول، والشكل الآخر للوسائل الاقتصادية هو المنع أو التحريم أو الحظر الذي يطبق في أحيان كثيرة على المبادلات التجارية وربما يكون جزئيًا أو شاملًا؛ فضلًا عن هذه الأشكال توجد وسائل اقتصادية متعددة منها (القيود النقدية- التعريفات الجمركية– التلاعب بالعملة- الحصص الاقتصادية- القروض) وغيرها (.[60])

إذا تم الجمع بين هذه الوسائل الاقتصادية تصبح الدولة لها القدرة على إحداث تغيير لدى الدول المستهدفة من خلال آلية تحويل علاقات القوة، واتجهت بعض الدول إلى استخدام طريقة الجمع بين الموارد الاقتصادية والقوة الوطنية للتأثير على سلوك الدول الأخرى، لأشعار الخصم بخطر عوائد أتخاذ اي إجراء خارجي، هنا تصبح هذه الدولة طريق لتنفيذ أهداف الخارجية للدولة المعنية (.[61])

المطلب الأول: مبادرة الحزام والطريق

تدعو الاستراتيجية الجديدة للعراق إلى استخدام وسائل القوة الناعمة المتمثلة (القدرة على الإقناع- التفاعل الأخلاقي– تحديد المصالح المشتركة والاستعداد للتعاون- تشجيع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بينه وبين الدول الأخرى)، وتمثل القوة الاقتصادية إحدى أهم الخطط الاستراتيجية التي يفترض على العراق أتباعها؛ إذ عقد

[59](4) Gimbal.Z and Ibrahim.G, (2018), a Review of External Factors that Determine foreign Policy Formulation, Indo-Iranian Journal of Scientific Research (IIJSR), Issue 1, p.127.

[60](1) Michael. C, (2018), Foreign Policy in a Changing Multi-Faceted Global Milieu: Revisiting the Political-Economic Interface, Greek Political Science Review, Ελληνική Επιθεώρηση Πολιτικής Επιστήμης , No.2, p.17.

[61](2) Strange.S, (1977), International Economics and International Relations a Case of Mutual Neglect, Royal Institute of International Affairs, Oxford University Press, No.2, p.309.

الرئيس السابق عادل عبد المهدي اتفاقية انضمام العراق لمبادرة الحزام والطريق مع الصين عام ٢٠١٩، والتي من المتوقع ان تحقق نهضة اقتصادية بل وحتى ثقافية إذا ما احسن العراق استخدامها (.)[62]

أصدر مركز التمويل والتنمية الاخضر التابع لجامعة (فودان في شنغهاي) تقرير أوضح به تقديم الصين ٥.١٠ مليار دولار للعراق عام ٢٠٢١، مما جعل العراق يحتل المرتبة الثالثة عالميًا لشركاء الصين في مبادرة الحزام والطريق بعد باكستان وروسيا، وتحولت الصين إلى أكبر شريك تجاري للعراق متفوقة على منافسها الهند، وأصبح العراق ثالث اكبر مصدر للصين بعد روسيا والسعودية في مجال النفط، فالصين تستحوذ على ٤٠٪ من صادرات النفط العراقية، فضلًا عن أنّ من إعلان الصين خفض انفاقها الخارجي بنسبة ٢٥٪ اي ما يقارب ٥٥٠ مليون دولار بدلا من ٧٤٠ مليون دولار، إلا أنها لا زالت تسعى جاهدة للاستثمار في العراق ([63])، فماذا تسعى الصين إلى تحقيقه في العراق في الوقت الذي تُقلص فيه من انفاقها الخارجي؟، وما هي طبيعة الاستثمارات الصينية في العراق؟، والأهم من هذا ما الفائدة التي ستعود بها هذه الاستثمارات للعراق؟

بالنسبة للصين هي أكبر مستورد للنفط والعراق يملك خامس اكبر احتياطي نفطي عالميًا، ومع حاجة الصين لموارد الطاقة للمحافظة على نموها الاقتصادي فلابد لها المحافظة على ضمان استمرار تدفق النفط إليها من العراق، غير أن الصين تدرك ان للعراق موقع استراتيجي مهم يقع على طرق التجارة الرابطة بين اسيا وأوروبا وقربه من دول البحر المتوسط (تركيا- مصر- سوريا- لبنان- إسرائيل) فضلًا عن دول الخليج، هذه المناطق تقع ضمن خطة المبادرة وتدرك الصين أن قرب العراق وتوسطه للمنطقة يعود عليها بالفائدة، بمعنى أن أهمية العراق بالنسبة للصين اقتصادية وجيبولتيكية (.)[64]

كما أن الصين لها حضور واسع في إقليم كردستان إذ أقيمت برامج للسياحة والاسكان وقد تقررت الميزانية بما يقارب ٥ مليون دولار، فضلًا عن المعرض التجاري الصيني الذي يقام في كل عام، والمساعدات الإنسانية أثناء جائحة كورونا، والأنشطة الثقافية منها قيام جامعة صلاح الدين في الاقليم بإقامة مركز عام ٢٠١٩ لتعليم اللغة الصينية، وقيام المواقع السياحية والفنادق في أربيل بتقديم معلومات باللغة الصينية، مع ترجمة العديد من الكتب الصينية إلى اللغة الكردية، أن قيمة هذه الأمور اكبر مما هي تبدو عليه؛ إذ أن قيام الصين بتبني مشروع بناء (١٠٠٠) مدرسة في بغداد له تأثير بعيد المدى، فمن خلال مشاركة الصين في بناء هذه المدارس وربما إدارتها ستتمكن من خلق طبقة شابة مؤمنة بالقيم الصينية بدلًا من قيم بلدها، ولها توجه بديهي للمحافظة على الشركات والمصالح الصينية بفعل ارتباطها بها ثقافيًا، وهذا يظهر مدى تأثير هذه السياسات على المدى الطويل (.)[65]

---

[62](3) Zidane.S, (2019), Iraq , China Launch Oil for Reconstruction Agreement, Al-Monitor, Available on the Website https://www.al-monitor.com/originals/2019/10/iraq-china-india-oil-construction.html, Date of Visit 15 July 2022.

[63](4) Wang.C, (2022), China Belt and Road Initiative (BRI) Investment Report 2021, Green Finance & Development Center, FISF Fudan University Shanghai, p.20.

[64]((1 China's Belt and Road Initiative: an opportunity for Iraq, Al-Bayan Center for Planning and Studies Series of Publication, (2018), p.11.

[65](2) Amjed.H, (2021), China and Iraq 1949 – 2016, Thesis President for the Degree of Doctor of Philosophy of Political Science, School of Social Science, University of Western Australia, p.246.

أما العراق بعد ما خلفه تنظيم داعش من تدهور على كافة الأصعدة أن كانت اقتصادية أو ثقافية أو حتى اجتماعية بدأ بوضع خطة إعادة الأعمار والتعافي الاقتصادي، تقوم هذه الخطة على تطوير الموارد النفطية غير المطورة كون أن النفط يمثل ٦٥% من الناتج المحلي الإجمالي و٨٧% من عائدات الصادرات، بموجب هذه الخطة العراق بحاجة إلى أن يرفع متوسط إنتاجه اليومي من ٥.٤ مليون برميل يوميًا إلى ٨ او٩ مليون برميل يوميًا وتحديدًا قبل نهاية ٢٠٢٧؛ إلا أن هذه الخطة تقابلها معوقات منها تندي البنية التحتية ونقص المياه المهمة لعملية استخراج النفط فضلًا عن صعوبة تطوير المصافي اللازمة لعملية التكرير (.[66])

يظهر دور الصين في خطة العراق بتوفير القروض والاستثمارات، فالعراق بحاجة إلى استثمارات قدرها البنك الدولي بما يقارب ٨٨ مليار دولار لإعادة الاعمار، والصين لديها قدرة إقراض تفوق أية دولة أخرى، كما أن قروضها لا تتضمن شروط معقدة، وعند النظر إلى طبيعة الاستثمارات الصينية وقروضها الميسرة نلاحظ أن معظم الاستثمارات الصينية قادمة من شركات مملوكة للدولة وليس من القطاع الخاص؛ أي أن هذه الاستثمارات والقروض لا ترتبط بالجدوى الاقتصادية بقدر ارتباطها بأجندة الدولة الاستراتيجية، بمعنى أن الصين تسعى إلى خلق مناطق نفوذ في المنطقة وليس استثمارات فقط (.[67])

المشكلة التي يعاني منها العراق هو أن سداد الديون قائم على قاعدة النفط مقابل الغذاء وهذا الأمر يوقع العراق في العديد من المتاعب؛ إذ أن أسعار النفط عرضة للتقلبات ففي حال شهدت أسعار النفط انخفاضًا ستعجز الحكومة العراقية عن سداد الديون الصينية وستقع في ما يطلق عليه الغرب بفخ الديون الصينية، التي تعني اغراق الصين الدولة بقروض ميسرة غير مشروطه لاقامة مشاريع كبيرة ومن ثم الاستحواذ عليها كمراكز نفوذ وتطبيقًا لنموذج حديث للاستعمار الاقتصادي (.[68])

الأمر الأخرى مرتبط بطبيعة العراق ومحاولة استقراره إذ أن مؤسساته البيروقراطية تعيق ذلك؛ فأرتفاع نسبة الفساد تشير إلى أن أموال القروض لا تذهب لأغراض التنمية بل تذهب لشبكات المحسوبيات السياسية والقوى المتنافسة على السلطة، فضلًا عن الأنفاق البيروقراطي الواسع على التوظيف والرواتب للقطاع العام لتجنب الغضب الشعبي، فالعراق ينفق سنويًا على الرواتب ما يقارب ال ٤٠ مليار دولار كما أن الموظف الذي يعمل لمدة ٨ ساعات لا ينجز سوى ١٥ دقيقه وهو سبب العجز الذي أشار إليه خبراء الاقتصاد (.[69])

ان على الحكومة العراقية الاستفادة من الشركات الصينية في خطة إعادة الاعمار والتنمية، وعلى التكنوقراط العراقيين معرفة المصالح التي تخدم المجتمع وتسخير الاستثمارات الصينية لهذا الغرض، فيجب على

---

[66](3) Iraq Socio-Economic Response Plan, United Nation, (2020), p.48.

[67](1) Iraq Economic Monitor from War to Reconstruction and Economic Recovery with a Special Focus on Energy Subsidy Reform, World Bank Group, (2019), p.28.

[68]*(2)) يوسف قحطان نعمة، السياسية الخارجية العراقية تجاه التعاون الاقتصادي مع الصين، المركز الديمقراطي العربي، ٢٠٢١ ، متاح على الموقع الإلكتروني* https://democraticac.de/?p=75344، *تاريخ الزيارة ١٥ يوليو٢٠٢٢ .*

[69](3) Baker.R and Tobaqchail.A, (2022), Iraq Economic Review Iraq's Industrial Sector Green Building Ukraine War, Institute of Regional & International Studies, American University of Iraq, SulaimanNo.1, p.17.

العراق الاستفادة من الخبرات الصينية في تطوير المجال السيبراني وتكنولوجيا المعلومات والتجارة الإلكترونية، إذ أن تحقيق المنفعة المشتركة للبلدين سيدفع الصين إلى الانفتاح على العراق ودعمه سياسيًا واقتصاديًا .([70])

أن انضمام العراق لمبادرة الحزام والطريق له فوائد اقتصادية كبيرة إذا ما أحسنت الحكومة العراقية استخدامها، فإذا ما تم التعامل مع هذه المبادرة بذكاء وحرفية ومهنية بالتأكيد ستسهم في احداث تغيير على الاقتصاد العراقي لأنه سيمد العراق بموارد اقتصادية جديدة، فعلى الحكومة العراقية تقليل الاعتماد على النفط، من خلال دخول العراق لهذا المشروع سيعمل على توسع قاعدته الاقتصادية عن طريق التنويع فالمشروع لا يقتصر على النقل؛ بل هو مشروع ثقافي سياحي واقتصادي، فالتبادل الثقافي والتجانس بين القوميات التي تسكن هذه المناطق سيسهم في نشر العراق لثقافته بين شعوب هذه المناطق لاسيما وأن هذه الشعوب متنوعه ثقافيًا، مما يعزز من أبراز بغداد عاصمة الدولة الإسلامية ومقر الخلافة العباسية، فتصبح نقطة اتصال بين الصين في الشرق وبغداد في الغرب ومنها إلى بلاد الشام وأفريقيا وأوروبا .([71])

لا يمكن عد انضمام العراق للمبادرة هو الحل الوحيد المتوفر لإصلاح الوضع الاقتصادي؛ إذ لم يتم تحديد المدى المحدد لها ولم يتم الإعلان عن بدء التنفيذ، فضلًا عن أن الوضع الاقتصادي العراقي متأزم ويستدعي أتخإذ خطوات جادة لإصلاحه، فتفشي وباء كورونا الذي أنهكَ القطاع الصحي وادى إلى ارتفاع نسبة الفقر من ٢٠٪ إلى ٣٥٪ حسب تقديرات وزارة التخطيط، وانخفاض أسعار النفط بالاستناد إلى تقارير مجموعة البنك الدولي إذ بلغ متوسط عائدات النفط في العراق نحو 6.5 مليار دولار في عام 2019، بينما وصل متوسط عائدات النفط في عام 2020 نحو 3.1 مليار دولار .([72])

شكلَ النفط ما يقارب ٩٢٪ من الإيرادات الحكومية غير أن هذه النسبة لا تغطي نفقات القطاع العام الشهرية والتي تصل إلى 4.1 مليون دولار، فضلًا عن الإنفاق الحكومي الشهري الذي يصل إلى 6.9 مليون دولار؛ ومع تزامن قيام منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) لعقد اتفاقية خفض انتاج النفط بنسبة ٢٣٪، فضلًا عن أنّ هذه الاتفاقية مهمة لضمان الاستقرار في اسعار النفط ألا أنها كانت أكثر ضررًا للعراق فهو من أكثر الدول اعتمادًا على عائدات النفط؛ إذ حقق العراق عام ٢٠٢٠ عائدات قدرت بما يقارب ٥.١ مليار دولار .([73])

المسألة الأخرى التي لها تداعيات اقتصادية بالغة التأثير على الإصلاح الاقتصادي هو الخلاف بين الحكومة الاتحادية في بغداد وإقليم كردستان في اربيل، إذ أن غياب عدد من القوانين مثل قانون النفط والغاز وتراجع التعاون الاقتصادي، فضلًا عن أن المفاوضات الأخيرة بين الحكومة الاتحادية وإقليم كردستان حول تخصيصات الميزانية الفيدرالية لعام ٢٠٢٠ أدت إلى أثارت الشكوك حول طبيعة العلاقة بين الطرفين، وتوجه الإقليم للعمل بصورة مستقلة من خلال توقيع عقود النفط والتعريفات الجمركية وحتى الضرائب، ومع هذا لايزال الإقليم يطالب بحصة

---

[70]) محمد كريم، العراق ومباشرة الحزام والطريق: العوائد والتحديات، مركز رواق بغداد للسياسات العامة، ٢٠١٩ ، ص٥.

[71]) هديل حربي، أثر مبادرة الحزام والطريق الصينية على العراق فرص وتحديات، مركز البيان للدراسات والتخطيط، ٢٠١٩ ، ص ١٧ .

[72](1) Wang.C, Op.Cit, p.22.

[73](2) Baker.R and Tobaqchail.A, Op.Cit, p.19.

من الميزانية الفيدرالية، هذه القضية جعلت الأزمة المالية الحالية أكثر تعقيدًا، وهذا الأمر أدى إلى توتر الطرفين مع عدم ثقة أي منهم بالآخر.([74])

المطلب الثاني: صناديق الثروة السيادية

يمكن عد مصاريف الثروة السيادية هي أحدى الوسائل المتاحة للتخفيف من الإثار الاقتصادية للأزمة الحالية، فقد عرفَ صندوق النقد الدولي صناديق الثروة السيادية على أنها صناديق استثمار عامة تمتلكها الحكومة ولها أهداف اقتصادية محددة قد تكون متوسطة أو طويلة الأمد، معتمدة على (عمليات الصرف الأجنبي- الفوائض والعوائد المالية العامة- عائدات الخصخصة- صادرات السلع)، وتطبق هذه الصناديق استراتيجيات تشمل الاستثمار في الأصول المالية الأجنبية .([75])

بمعنى يمكن عد الصناديق السيادية على أنها محفظة استثمارية تؤسس من قبل الدول لغرض إدارة ثرواتها وفوائضها المالية، وتلعب دور القطاع الاستثماري للدولة من خلال ضخ استثمارات في الأنشطة الاستثمارية لتحقيق الربح ([76]). أن توجه الدول نحو إقامة الصناديق السيادية له أهمية كبيرة لاسيما للدول النامية لتتمكن من مواجهة ظاهرة عدم الاستقرار الاقتصادي، وما زادَ من أهمية هذه الصناديق هي الأزمات المالية المتكررة منها أزمة عام 2008، فتمكنت بعض الاقتصادات الناشئة من الخروج بأمان وتفادي مخاطرة الأزمة بسبب مدخراتها المالية وصناديقها السيادية، منذ ذلك الوقت ازدادت أهمية الصناديق السيادية ([77])، وتظهر هذه الأهمية من خلال يلي:

1. تمثل فرصة استثمارية للدول ذات الاعتماد الكلي على الموارد الطبيعية؛ ففي حال نضوب النفط لابد للدولة من البحث عن موارد أخرى تسهم في التعويض عن النقص الناجم في الدخل الذي كان يُوفر من قبل عائدات النفط، إذ بإمكان الاستفادة من عوائده لحماية الاقتصاد الوطني والموازنة العامة للدولة من مخاطر الأزمات الخارجية التي تأتي من تقلبات ناتجة عن عائدات التصدير.
2. تسهم في وتوسيع القاعدة الاقتصادية وتنوع دخل الدولة مما يؤدي إلى تقليل الاعتماد على الصادرات السلعية غير المتجددة، ويعد وسيلة لتمويل برامج التنمية الاقتصادية، هذا بدوره يحقق نمو مستدام للدول المالكة للموارد بما يضمن مبدأ العدل بين الأجيال.
3. يحافظ على أمن واستقرار النظأم السياسي والاقتصادي من خلال حماية الاقتصاد الوطني والحفاظ على الموازنة العامة من الانهيار.

---

[74](3) Wang.C, Op.Cit, p.38.

[75](4) De.M, (2011), Global Standards for Sovereign Wealth Funds: the Quest for Transparency, Asian Journal of International Law, No.1, p.349.

[76](1) *فارس ال سلمان، الصناديق السيادية ودورها في التنمية الوطنية، موقع الحوار المتمدن، 2017، متاح على الموقع الإلكتروني* https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=582892 ، *تاريخ الزيارة ٢٠ تموز ٢٠٢٢ .*

[77](2) Hussein.M, (2020), the Prospect of Establishing a Sovereign Wealth Fund in Iraq, Friedrich-Ebert -Stiftung, Jordan, p.12.

4. إمكانية الاستثمار في قطاع الآثار لما يتمتع به هذا القطاع من فرص متاحه حاليًا، إذ بإمكان الاستفادة منه لإصلاح المناطق الأثرية بما يعزز من فرص دخول المستثمرين وزيادة المقبولية العالمية والانفتاح الدولي ([78])، كما هو مبين في المخطط أدناه ().

الشكل (1-1) الصناديق السيادية ودورها في أدارة هياكل الحكومة

المصدر: a Sovereign Wealth Fund for Iraq, Al-Bayan Center for Planning and Studies,(2018), p.21.

يُعدُّ العراق من أكبر الدول النفطية في العالم وهو على وشك إحداث ثورة في الإنتاج والصادرات، لذلك لابد له من بناء صندوق سيادي وربطه بالموازنة العامة والاستفادة من عوائد الموارد الطبيعية واستثمارها مع استغلال توافر المقومات الأساسة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو بشرية أو اجتماعية .([79])

من بين الأسباب التي تدعو إلى أنشاء صندوق سيادي عراقي هو الاسهام في تفادي مخاطر الأزمات الاقتصادية والمالية التي تنشأ بفعل عوامل داخلية أو خارجية، وبالتالي حماية اقتصاد الدولة في أوقات الركود المشابهة للوضع الحالي في العراق، كما أنه يسهم في تحقيق التنمية المستدامة وإعادة بناء البنية التحتية المتضررة من خلال استثمارات واسعة النطاق، والتي من الصعب تمويلها بمعزل عن صندوق الثروة، فضلًا عن الادخار للأجيال القادمة وهذا يتحقق من خلال صندوق رواتب التقاعد، مع احتمالية ان زيادة عدد السكان سيؤثر على ميزانية الدولة، والسبب الآخر الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالعراق وغالبًا ما يتم تجاهله هو المساعدة في دعم الديمقراطيات الهشة فصناديق الثروة السيادية لها القدرة على توفير مكاسب اقتصادية وسياسية .([80])

[78](3) Hussein.N, (2020), Iraq's Sovereign Wealth Fund is an Economic Neccessity for a Sustainbal Development, Multicultural Education, Issue 1, p.11.

[79](1) Leith.H, (2018), Developing Iraq's Infrastructure through a Sovereign Wealth Fund, Iraq Energy Institute, p.10.

[80](2) Hussein.N, (2022), Sovereign Funds and their Role in Financial Crises with a Possibility of Creating a Sovereign Wealth Fund in Iraq, Enterpreneurship Journal for Finance and Business, Issue 1, p.294.

توجد خمسة أنواع رئيسة من صناديق الثروة السيادية هي (صناديق الادخار- صناديق احتياطي التقاعد- صناديق الاستثمار الاحتياطية- صناديق الاستقرار- صناديق التنمية)، وسنعمل على تقييم مدى صلاحيته كل منهم قياسًا بالعراق .([81])

1 – صناديق الادخار

تسعى صناديق الادخار إلى تحويل الأصول المالية أو الموارد غير المتجددة لسلع أو موارد مستقرة عن طريق استثمارها في قطاعات متعددة، إذ أن الغرض منها هو تحقيق أهداف بعيدة المدى من خلال توفير الموارد المالية لتلبية متطلبات التنمية المستدأمة التي تسهم في رفع الإيرادات وتطوير المستوى الوطني، وهذا ما يؤدي إلى التخفيف من المعوقات التي تفرضها لعنة الموارد إذا ما تم إدارتها بشكل صحيح وإنشاء مصادر دخل بديلة ودعمها .([82])

عند تقييم جدوى صناديق الادخار في العراق نلاحظ وجود عدد من المعوقات التي تعترض قيامها:

1. العراق دولة غنية بالنفط وتتمتع بقدرات عالية من الإنتاج والتصدير، غير أن هذا الأمر ذهبَ بهِ للاعتماد المفرط على عائدات النفط وعدها وسيلة لتمويل الميزانية، وإن محاولة أدخار أي من عوائدها النفطية لن يؤدي سوى إلى تفاقم عجز الميزانية الحالية.
2. أدى اعتماد العراق على العوائد النفطية إلى تقويض دور الصناعات الأخرى وأهمالها، وفي الوقت ذاته السعي لبناء صندوق ادخار في الوقت الحالي سيقابل بالفشل ولن ينجح العراق في التخلص من لعنة الموارد.
3. كان من الأفضل أن يتم بناء صندوق ادخار في سبعينيات القرن العشرين عندما كان الاقتصاد العراقي مزدهرًا، قبل تحول العراق إلى دولة ريعية، وبالتالي فإن تأسيس صندوق ادخار عراقي في الوقت الحالي لن ينجح ولن يساعد في التخفيف من حدة التحديات الحالية التي تم توضيحها في الفصل الثاني .([83])

٢ – الصناديق الاحتياطية للمعاشات التقاعدية

هي الأموال التي توظف لغرض استخدامها كوسيلة للوفاء بالالتزامات الطارئة التي قد تواجهها ميزانية الدولة، تسعى في الوقت ذاته إلى المحافظة على الرواتب والمعاشات لتكوين رأس مال يلبي متطلبات التزامات المعاشات التقاعدية المستقبلية، وهي مشابهة لصناديق الادخار بتوجهها نحو خلق استثمارات طويلة الأمد، إلا أنها تختلف عن صناديق التقاعد التقليدية من انها لا تذهب لدفع المعاشات بصورة منتظمة؛ بل تسعى للتخفيف من ضغوط الأعداد المتزايدة من المتقاعدين والتي تتجاوز القوة العاملة الحالية .([84])

---

[81](3) Samir.F, (2019), Sovereign Wealth Fund and their Role in Financing the Economics of Oil States of Iraq and Kurdistan Region: a Proposed Mechanism for Financial Sustainability for 2030, Academic Journal for Nawroz University, No.1, p.298.

[82](4) Capapè.J, (2022), Sovereign Wealth Fund Embrace the Sustainbal Development Goals: who, how and why?, Center for the Governance of Change, IE University, p.55.

[83](1) Muniz.M, (2022), Toward a New Normal? Sovereign Wealth Fund Direct Investment 2020 – 2021, Center for the Governance of Change, IE University, p.12.

[84](2) Omer.S, (2013), Sovereign Wealth Fund and the Possibilities of Establishing them in Iraq, Thesis submitted to the graduate Faculty, LL.M. program of University of Wisconsin Law School in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of (LL.M.) Master of laws, p.19.

عند النظر إلى النمو السكاني الحالي في العراق نجده تجاوزَ عدد المتقاعدين المسنين، أي أن العراق يعترضه تحدي من إذ توفير فرص عمل مستدامة لاقتصاده، وقد يكون هناك سوء إدارة لصندوق الرواتب، ألا أن ذلك يمكن علاجة بالاستثمار في المشاريع الإنمائية وتوفير فرص عمل دون الحاجة إلى اللجوء إلى إنشاء صندوق احتياطي لمعاشات التقاعد (.)[85]

٣ – صناديق الاستثمار الاحتياطية

تسعى صناديق الاستثمار إلى الاستفادة من الاحتياطيات الأجنبية التي تمتلكها الدول من خلال تشغيلها في استثمارات ذات عوائد مالية مرتفعة، وفي كثير من الأحيان ترتبط هذه الصناديق باستثمارات معينة لكي لاتؤثر على المحفظة الاستثمارية للدولة، مع تجنب المحافظة على الاحتياطيات دون أي عائد، مثل صندوق سلطنة عُمان الذي يستثمر الفائض في عائدات النفط والغاز لتحقيق عوائد مستدامة (.)[86]

أن مثل هذا النوع من الاستثمارات والأنشطة تتطلب بنية تحتية اقتصادية وثروة كبيرة فضلًا عن الخبرة التي يفتقر إليها العراق، ومع قيام البنك المركزي باستخدام الاحتياطيات في تقليص العجز، هذا الأمر الذي يجعل صناديق الاستثمار الاحتياطية خيارًا غير قابل للتطبيق في العراق (.)[87]

٤ – صناديق الاستقرار

هذه الصناديق تقدم حلول قصيرة الأمد للدول التي تشهد أزمات مالية، أو للدول التي يعتمد اقتصادها على الموارد الطبيعية (النفطية) كالعراق، إذ تسعى صناديق الاستقرار إلى تحقيق الاستقرار العام من خلال عزل الميزانية العأمة والاقتصاد بعيدًا عن تقلبات أسعار المواد، تجنبًا للتغيرات الخارجية كانخفاض الأسعار أو الطلب، فضلًا عن أن هذه الصناديق تسهم في تخطي أعباء لعنة الموارد من خلال سحب الإيرادات المكتسبة من رفع أسعار السلع والموارد الأساسة وإعادة ضخها في الاقتصاد عندما تنخفض الأسعار؛ سيؤدي هذا الأمر إلى نمو الاقتصاد وتطوير الصناعات الأخرى، ويعتمد تمويل هذا الصندوق من خلال السلعة الأكثر استهلاكًا على المستوى الوطني للدولة (.)[88]

يمكن أن تمنح صناديق الاستقرار الدول البترولية ميزة عندما يتعلق الأمر بحروب الأسعار والتفاوض على الصفقات؛ ظهرَ ذلك مؤخرًا مع المنافسة الشديدة في إنتاج النفط بين كل المملكة العربية السعودية وروسيا في بداية عام 2020، مما تسبب في خفض أسعار النفط العالمية بشكل كبير، غير أن روسيا والسعودية لم يتضرروا بفعل الفائض الكبير في الاحتياطيات المالية على شكل صناديق استقرار، بينما كانت دول مثل العراق تعاني بسبب الاعتماد المفرط على النفط وضعف رأس المال، مما دفع العراق إلى عقد اتفاقية أوبك التي تركت العراق غير قادر على

[85](3) Tuama.S, (2020), the Expected Role of Sovereign Wealth Fund in Achieving Sustainbal Development in Iraq, International Journal of Innovation Creativity and Change, Issue 5, p.903.

[86](4) Tuama.S, Op.Cit, p.908.

[87](5) Ali.W, (2012), Sovereign Funds and their Role in Macroeconomic Selected Countries, Thesis submitted to the College of Management and Economics, University of Karbala of the Requirements for the Degree of Master in Economic Science, p.178.

[88](1) Behrendt.S, (2008), when Money Takes Arab Sovereign Wealth Fund in the Global Poblic Policy Discourse, Carnegie Middle East Center, p.18.

التفاوض ولم تمنحه فرصة لتقديم شروط من الممكن استغلالها لصالحه، وأن من المحتمل وجود صندوق استقرار سيسمح للعراق والدول الأخرى المطالبة بتقسيم أكثر عدلًا للأعباء بدلًا من الموافقة على توزيع متساوٍ لتخفيض الانتاج بنسبة ٢٣٪ .([89])

٤ – صناديق التنمية

لم تكتسب صناديق التنمية أهمية إلا مؤخرًا بعد الأزمة الاقتصادية العالمية لعام 2008؛ هذه الصناديق بحاجة إلى الاستثمار في الأسواق المحلية بدلًا من البحث عن الأصول الأجنبية وتنويع مصادر الموارد، أي أنّ الهدف الرئيس لصناديق التنمية هو تخصيص الموارد للمشاريع الاجتماعية والاقتصادية التي ستوفر البيئة المناسبة لتطوير الاقتصاد كمشاريع البنية التحتية، مثل شركة مبادلة للاستثمار في الأمارات العربية المتحدة إذ تسعى نحو تحقيق أهداف الاقتصاد الكلي للدولة عن طريق دعم مشاريع التنمية، فضلًا عن مشاركتها في بيع الأصول الحكومية للقطاع الخاص لغرض زيادة رأس ماله .([90])

لا شك أن العراق في حاجة ماسة إلى صندوق إنمائي للتعامل مع آثار سنوات من المشاريع الاستثمارية الفاشلة، وبشكل أكثر إلحاحًا فيما يتعلق بتلبية احتياجات إعادة اعمار المناطق المحررة، وإذا أخذنا في الاعتبار أن العراق يعاني من لعنة الموارد؛ فإن الفائدة الواضحة للصناديق السيادية هي المساهمة في تنويع الاقتصاد، غير أن هناك عواقب لها تأثير كبير على الاستقرار السياسي للاقتصاد الانتقالي، على سبيل المثال إذا ما تعلقَ الأمر بلعنة الموارد؛ فإن الزيادة في قطاع النفط وتراجع القطاعات الصناعية الأخرى في العراق ولدَ إيرادات كبيرة ألا أنها فشلت في توليد فرص عمل كبيرة .([91])

لا يمكن معرفة جدوى وفاعلية صناديق الثروة السيادية مالم يتم تحديد ما يتطلع إليه العراق من هذه المبادرة؛ وبما أن الاحتياجات الرئيسة للعراق هي إعادة الأعمار وترميم البنية التحتية وتنويع الاقتصاد، فلابد أن يكون الصندوق هو صندوق استقرار وتنمية، فيصبح الصندوق هو وسيلة لمساعدة الصناعة المحلية على النمو عن طريق الاستثمار، فضلًا عن توجيه العائدات نحو مشاريع إعادة التطوير والأعمار، ومع توافر الخبرة والايدي العأملة يمكن لهذه الاستثمارات أن تتجه نحو تطوير الصناعات بما يتفق مع تطلعات الحكومة العراقية .([92])

يمكن أن تتيح هذه الصناديق الفرصة لحصول العراق على الريادة في التقنيات الناشئة كتقنية تحلية المياه، والتي يمكن الاستفادة منها في فترة التصحر التي يعاني منها العراق حاليًا فضلًا عن أزمة المياه مع دول الجوار، عند النظر إلى صناديق الادخار وصناديق احتياطي التقاعد نجدها موجهة نحو خلق قيمة طويلة الأمد، لكن بإمكان استخدام صناديق الادخار للاستثمار في القطاعات التي تدر عوائد، وفي ذات الوقت يمكن أن توجه هذه الإيرادات

---

[89](2) černohorsky.J, (2021), the Importabce and Perspective of Sovereign Wealth Funds in the Globalised Economy, Institute of Economic Science, University of Pardubice, p.7.

[90](3) Li.Y, (2018), the Rise of Middle East Sovereign Wealth Funds: Causes, Consequences and Policies, Journal of Meddle Eastern and Islamic Studies in Asia, p.26.

[91](1) Li.Y, Op.Cit, p.30.

[92](2) *نجله صالح، صناديق الثروة السيادية دراسة قانونية مقارنة، مركز الرافدين للحوار، ط١، بيروت، ٢٠٢١، ص١٣٢.*

لتنمية الصناعات المحلية، وتهدف ايضًا هذه الأموال إلى بناء محفظة توجه بشكل خاص إلى دعم السكان المسنين ([93]).

على الرغم من ان الصناديق السيادية يمكن أن تساعد في تمكين الإصلاح الاقتصادي ألا أن التحديات السياسية والاقتصادية بل وحتى الاجتماعية تحد من ذلك، فعندَ النظر إلى طبيعة بناء هذه الصناديق نجد أن أحدى أهم مبادئ سانتياغو التي يجب الأخذ بها عن الشروع بتأسيس الصناديق السيادية هو الشفافية والنزاهة، وبالعودة إلى طبيعة الدولة العراقية نجدها تفتقر لمثل هذه المعايير، إذ يُعد الفساد مشكلة مفصلية يعاني منها العراق فقد أحتل المرتبة ١٥٧ من بين ١٧٨ دولة بالاستناد إلى تقرير منظمة الشفافية الدولية لعام ٢٠٢١، فضلًا عن هشاشة مؤسسات الدولة العراقية في أدارة البلاد وفرض هيبتها والفشل الكبير في تقديم الخدمات، إذ حصل العراق على ٢.٩٦ من مجموع ١٧٨ دولة لعام ٢٠٢١ ضمن مؤشر الدول الهشة ([94])، يُنظر الشكل (١) صفحة 35.

ليتمكن العراق من تحقيق تقدم ملحوظ في انشاء صناديق الثروة السيادية الخاصة به نوصي أن يتطلع إلى النجاح المحقق من قبل الدول الأخرى في أدارة صناديقها كالنرويج؛ إذ أن ما يميز صندوق النفط النرويجي هو اليقين التام من أن استثماراته لا تخلف انشطة مضرة بالبيئة، أو تنتهك حقوق الإنسان، بل وحتى لا تتعدى على مبادئ المسؤولية الجماعية للشركات، فضلًا عن قيام الصندوق يعتمد على ضرورة وجود مجلس أخلاقيات لضمان مطابقته للشروط المطلوبة، في حين أن مثل هذه القضايا لا تتمتع بصدى واسع في المشهد العراقي ([95]).

لكي يضمن العراق نجاح تجربة الصناديق السيادية لابد له من تبني هيئة تتولى مهام مجلس الاخلاقيات الذي اقيمَ في النرويج؛ كوسيلة حماية تجنب العراق من مخاطر تسيس صناديق الثروة السيادية، وضمان عدم أنفاق الأموال من دون الحاجة إليها، وحتى يتمكن العراق من تجنب توجيه اتهامات له كتلك المشابهة لقطر فيما يتعلق بطريقة استخدام أموالها كوسيلة لدعم الإرهابيين، أي أن المساءلة والمحاسبة هما شرطان أساسان لنجاح الصناديق السيادية؛ فإذا ما تحقق الأمر على هذا النحو من الممكن أن تكون الصناديق وسيلة لمكافحة الفساد المستشري في البلاد فضلًا عن توفير الأموال والإصلاح الاقتصادي ([96]).

من ثم هناك العديد من الوسائل الاقتصادية التي يمكن أن يمارسها العراق لزيادة حضور وفاعلية قوته الناعمة كالدعم الدبلوماسي، والاسهام في تعزيز السلام، والمساعدات الانسانية والاقتصادية التي قدمها لعدد من الدول مثل لبنان وفلسطين والسودان وغيرها، فالمساعدات يمكن أن تُبرز القوة الناعمة بجعل اقتصاد الدول جذابًا

[93](3) KhalIL.S, (2019), Sovereign Funds to Manage the Wealth of Countries who Manages the Wealth of Iraq? Rawabet Center for Research and Strategic Studies, Available on the Website https://rawabetcenter.com/en/?p=7400, Date of Visit 28 July 2022.

[94](4) Rietveld.M, (2015), Sovereign Investor Models: Institutions and Policies for Managing Sovereign Wealth, the Center for International Departments, Harvard University School, p.88.

[95](1) Fadel.J, (2021), the Economic Reality in Iraq and Its Suitability for Establishing Sovereign Funds, Turkish Journal of Computer Mathmatics Education, No.10, p.1350.

[96](2) Hussein.N, Op.Cit, p.19.

بخلق انطباع جيد يسهم في جذب المستثمرين، هذا ولم تُعدُّ تقتصر القوة الناعمة على جانب محدد بل تداخلت في جميع مفاصل الحياة وبلغَ الأمر إلى زيادة حضورها في الجانب العسكري.

المخطط (1-1) معايير الدول الهشة

المصدر: سلطان جاسم، مسارات العراق في مؤشر الدول الهشة، مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية، 2021، متاح على الموقع الإلكتروني http://fcdrs.com/economical/1569 ، تاريخ الزيارة ٢٨ يوليو ٢٠٢٢.

الخاتمة:

نخلص لما تقدم طرحه في الطرح الابق أن إستناد السياسية الخارجية العراقية على احدى الوسائل دون غيرها في المستقبل القريب هو أمر لن يجدي نفعًا؛ ولربما في مقدمة الأسباب هو افتقار العراق للأمكانيات العسكرية بكافة أصنافها، فضلًا عن التدخلات الأمنية واختراق السيادة وهو ما يثبت حاجة العراق لتطوير قدراته العسكرية، لتظهر الدبلوماسية كأداة للمساعدة في تنشيط فاعلية السياسية الخارجية العراقية في البيئة الإقليمية بخلق جاذبية للمجتمع الدولي نحو العراق من خلال تسويق البيئة الداخلية على أنها واجهة ثقافية ذات حضارة عريقة،

شاملة مختلف الطوائف والقوميات وهي بيئة أمنة متعاونة نابذه للإرهاب، فإذا ما تحقق هذا الأمر لن يصبح العراق وجهة ثقافية سياحية بل سيكون له تأثير يوازي به تأثير دول الجوار، أن فاعلية أداء السياسية الخارجية العراقية في البيئتين الإقليمية والدولية هو مرتهن بالمبادرة على توظيف المقومات الداخلية قدر المستطاع لتحقيق الأهداف الخارجية؛ فتوافق الرغبات الداخلية مع الإداء الخارجي يعطي مرونة واسعة في بناء العراق وتشييده في إطار منسجم وسليم، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن فاعلية السياسية الخارجية لأية دولة لا تتم بمعزل عن التوافق الداخلي ومدى أتفاق الأطراف السياسية الداخلية على تحديد المصلحة العليا للدولة؛ أي أن السياسية الخارجية الناجحة هي امتداد لسياسة داخلية مستقرة وناضجة، ومع ما يعاني منه العراق من ضعف في أدائه الخارجي وتخبط في قراره السياسي غير أنه هناك إمكانية لإعادة ترسيمه من جديد.

الاستنتاجات:

1. ضعف الدبلوماسية العراقية على استثمار ما يتمتع به العراق من مقومات القوة وتوظيفها بنحو استراتيجي يضمن له دورًا مؤثرًا في الساحة الإقليمية.

2. غياب التخطيط الاستراتيجي أفرزَ تحديات داخلية عديدة تمثلت بتفشي الفساد، وغياب النمو الاقتصادي، واتساع نطاق البطالة، فضلًا عن التحديات البيئية التي تقوض من قدرة العراق على جذب الدول نحوه وتهديد أمنه الوطني.

3. دور المرجعية الدينية في خلق التوازن والمحافظة على استقلالية الدولة ووحدة كيانها والحث على محاربة الإرهاب، وتقديم المشورة والنصح للحكومة العراقية.

4. أسهمت القوة الناعمة الدينية في العراق المتمثلة بالعتبات المقدسة والأضرحة الدينية، بجذب أنظار العالم نحوها، لاسيما وأنّ العراق بلد متُعدُّد الأديان يأتي إليه الوافدين من مختلف الأديان والأعراق، فضلًا عن ما يقدّمه العراق من خدمات أثناء المناسبات الدينية، أدّت هذه الصورة الجذابة إلى تسليط الضوء على القيم والمعتقدات الدينية التي أسهمت في زيادة تأثير القوة الناعمة الدينية العراقية.

5. تشكل السياحة الدينية قطاعًا اقتصاديًا مهمًا من خلال توافر عناصر الجذب نحوها، إذ تسهم في دخول العملات الصعبة للبلاد وتوفر فرص عمل للمواطنين في المناسبات الدينية، ولها القدرة على جذب الاستثمارات بما يعود بالفائدة للمجتمع.

6. أمتلاك العراق لمواقع السياحة الدينية لمختلف مكوناته بما يؤدي إلى هيمنة السياحة الدينية على باقي أنماط السياحة في العراق بل وحتى جاهزية السياحة الدينية للتوظيف في القطاع الاقتصادي في المستقبل على المدى القريب والمتوسط.

7. تحتل الثقافة لدى دول العالم أهمية كبيرة فهي تعكس حضارة الدولة وعمقها التاريخي وتمثل عنصرًا جامعًا للشعب بما يمنحهم شعور الانتماء الوطني والاعتزاز بالهوية الثقافية، إلّا أنّ العراق لا يعطي أهمية كبيرة للثقافة ويسلط الضوء نحو الوضع الأمني والسياسي جاعلاً الثقافة عنصراً لا يُذكر.

8. تُعدُّ المعالم الأثرية والحضارية من أهم الوسائل لإقامة قاعدة اقتصاد متنوعة وقوية لاسيما في المجال السياحي، فتصبح حماية المعالم الأثرية ضرورة قصوى في بلد كالعراق الغني بمعالمه التاريخية وتراثه الثقافي.

التوصيات:

1. توصي الدراسة بضرورة قيام الحكومية العراقية بتبني استراتيجية مدروسة ومستقلة ومتزنة للسياسة الخارجية؛ قائمة على إدراك المقومات واستيعاب القدرات وتوظيف الأمكانيات المتاحة لتحقيق الأهداف المرجوة.

2. إعادة تشكيل الدبلوماسية العراقية باعتماد معايير المهنية والإدراك التام للمعوقات التي تعترض السياسية الخارجية العراقية والتصدي لها، كتحديات العولمة والإرهاب، وإعادة بناء دبلوماسية فعالة مدركة لطبيعة عملها.

3. استخدام الحكومة للقوة الناعمة من خلال إقامة الأنشطة الثقافية والرياضية التي تُسْهِم في استقطاب السياح من مختلف الدول للتعرف على حضارة العراق وآثاره والتخلص من تداعيات الحروب التي خاضها سابقًا وأثقلت كاهله، والاستفادة من زيارة البابا لتنشيط المعالم السياحية والاهتمام بتطوير البنى التحتية واستقطاب الحجاج المسيح فضلًا عن تفعيل الجانب الخدمي بإنشاء الفنادق وغيرها.

4. الارتقاء بالخدمات السياحية وتحسينها لاسيما وسائل الاتصال وطرق النقل، والاستفادة من تجارب الدول والتعاون مع سكان المناطق ذات المواقع الأثرية لحمايتها.

5. تشجيع الاستثمار السياحي لإنشاء مناطق سياحية متطورة تلبي متطلبات السياح على المستوى الإقليمي والدولي، وتوفير عوائد مالية للسياحة الثقافية في العراق مع ضرورة نشر الوعي وفرض الأمن.

6. إدارة السياحة الدينية في العراق لتحصيل عوائدها المالية لتقليل الاعتماد على الاقتصاد الريعي، فضلًا عن إنشاء البرامج التسويقية لتوظيف المناسبات الدينية لإحياء المهن التراثية التي تسهم في تدوير الإنتاج الوطني وجذب الاستثمار السياحي.

7. الاهتمام بالمؤسسة الاعلامية وإعادة تشكيل القنوات الفضائية مع تبني برامج محددة ناطقة بالهوية الوطنية وليس الانتماءات الفرعية، وتوعية منتسبيها بالمعايير الاخلاقية والمهنية في تغطية الإزمات.

8. إنشاء قنوات اعلامية مستقلة لا تخضع للتأثير الحزبي تهتم بنقل الصورة الإيجابية عن الخطاب السياسي العراقي، قادرة على إيجاد وسائل مشتركة للجميع بين قادة الرأي والشعب.

المصادر والمراجع العربية:

الكتب:

1- نجله صالح، صناديق الثروة السيادية دراسة قانونية مقارنة، مركز الرافدين للحوار، ط١، بيروت، ٢٠٢١.

2- محمد كريم، العراق ومباشرة الحزام والطريق: العوائد والتحديات، مركز رواق بغداد للسياسات العامة، ٢٠١٩.

3- هديل حربي، أثر مبادرة الحزام والطريق الصينية على العراق فرص وتحديات، مركز البيان للدراسات والتخطيط، ٢٠١٩.

المواقع الإلكترونية:

1- يوسف قحطان نعمة، السياسية الخارجية العراقية تجاه التعاون الاقتصادي مع الصين، المركز الديمقراطي العربي، ٢٠٢١، متاح على الموقع الإلكتروني https://democraticac.de/?p=75344 ، تاريخ الزيارة ١٥ يوليو ٢٠٢٢.

2- فارس ال سلمان، الصناديق السيادية ودورها في التنمية الوطنية، موقع الحوار المتمدن، 2017، متاح على الموقع الإلكتروني https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=582892 ، تاريخ الزيارة ٢٠ تموز ٢٠٢٢.

المراجع الأجنبية:

1- Leonard.M, (2002), Public Diplomacy, the Foreign Policy Center, London.

2- Wellman.E, (2013), Religious and Conflict Case Study Series Iraq Buttressing Peace with the Iraqi Inter-Religious Congress, Berkley Center for Religious, Peace and World Affairs.

3- Alexander.E, (2021), Pope Francis Historic Visit to Iraq: Its Significanct for the Christian Minority, Religious Diversity and Reconstruction, Policy Brief.

4- Francis in Iraq Speeches, Homilies and Prayers of Pope Francis in his Apostolic Journey to Iraq, Institute of International Peace, (2021).

5- Bauer.A, (2021), Archbishop Warda: the Pope's Visit should Open Minds to Fastor Reconciliation, Konrad Adnauer Stiftung, Spotlight Syria / Iraq Office.

6- Crix.J and Houlihan.B, (2014), Sports Mega- Events as Part of a Nation Soft Power: the Cases of Germany and UK (2012), the British Journal of Politics and International Relations.

7- Galion.P, (2011), the Olympic System: Toward a Geopolitical Approach, in Annales De Geograpjie, Translated from French by JPD System, Issue 4.

8- Shaltaev.O, (2019), Sport and Soft Power: the Case of Sport as a Tool of Immigrant Integration in Germany, Tampere University, Faculty of Management and Business.

9- Sport Diplomacy: a Literature Review of Scholary and Policy Sources, Co-Funded by the Erasmus Programme of the European Union, (2017).

10- Meissen.J, (2005), the New Public Diplomacy Soft Power in International Relations, Netherlands Institute of International Relations, Clingendael.

11- Lekakis.N, (2019), the Limits of Soft Power-Sports Diplomacy Templates in IR Research, E-international Relation.

12- Stanzel.V, (2018), New Realities in Foreign Affairs: Diplomacy in the 21st century, SWP German Institute for International and Security Affairs, Germany.

13- Robson.E, (2022), Cultural Heritage Prediction in Iraq the Sectarian Appropriation of the Iraq's Past, Chatham House, Middle East and North Africa Programme.

14- Abdulameer.H, (2022), Intangible Cultural Heritage in Iraq: between Ambition and Reality, a Step forward to the revision of National law Legal Aspects on the protection of Iraq cultural Heritage, Proceeding of the Symposium, Baghdad.

15- Gimbal.Z and Ibrahim.G, (2018), a Review of External Factors that Determine foreign Policy Formulation, Indo-Iranian Journal of Scientific Research (IIJSR), Issue 1.

16- Michael.C, (2018), Foreign Policy in a Changing Multi-Faceted Global Milieu: Revisiting the Political-Economic Interface, Greek Political Science Review, Ελληνική Επιθεώρηση Πολιτικής Επιστήμης, No.2.

17- Strange.S, (1977), International Economics and International Relations a Case of Mutual Neglect, Royal Institute of International Affairs, Oxford University Press, No.2.

18- Zidane.S, (2019), Iraq , China Launch Oil for Reconstruction Agreement, Al-Monitor, Available on the Website https://www.al-monitor.com/originals/2019/10/iraq-china-india-oil-construction.html, Date of Visit 15 July 2022.

19- Wang.C, (2022), China Belt and Road Initiative (BRI) Investment Report 2021, Green Finance & Development Center, FISF Fudan University Shanghai.

20- China's Belt and Road Initiative: an opportunity for Iraq, Al-Bayan Center for Planning and Studies Series of Publication, (2018).

21- Amjed.H, (2021), China and Iraq 1949 – 2016, Thesis President for the Degree of Doctor of Philosophy of Political Science, School of Social Science, University of Western Australia.

22- Iraq Socio-Economic Response Plan, United Nation, (2020).

23- Alan.K, (2006) what can Diplomacy Achieve?, Netherland Institute for International Relations.

24- Iraq Economic Monitor from War to Reconstruction and Economic Recovery with a Special Focus on Energy Subsidy Reform, World Bank Group, (2019).

25- Baker.R and Tobaqchail.A, (2022), Iraq Economic Review Iraq's Industrial Sector Green Building Ukraine War, Institute of Regional & International Studies, American University of Iraq, SulaimanNo.1.

26- De.M, (2011), Global Standards for Sovereign Wealth Funds: the Quest for Transparency, Asian Journal of International Law, No.1.

27- Hussein.M, (2020), the Prospect of Establishing a Sovereign Wealth Fund in Iraq, Friedrich-Ebert - Stiftung, Jordan.

28- Hussein.N, (2020), Iraq's Sovereign Wealth Fund is an Economic Neccessity for a Sustainbal Development, Multicultural Education, Issue 1.

29- Leith.H, (2018), Developing Iraq's Infrastructure through a Sovereign Wealth Fund, Iraq Energy Institute.

30- Hussein.N, (2022), Sovereign Funds and their Role in Financial Crises with a Possibility of Creating a Sovereign Wealth Fund in Iraq, Enterpreneurship Journal for Finance and Business, Issue 1.

31- Samir.F, (2019), Sovereign Wealth Fund and their Role in Financing the Economics of Oil States of Iraq and Kurdistan Region: a Proposed Mechanism for Financial Sustainability for 2030, Academic Journal for Nawroz University, No.1.

32- Capapè.J, (2022), Sovereign Wealth Fund Embrace the Sustainbal Development Goals: who, how and why?, Center for the Governance of Change, IE University.

33- Muniz.M, (2022), Toward a New Normal? Sovereign Wealth Fund Direct Investment 2020 – 2021, Center for the Governance of Change, IE University.

34- Omer.S, (2013), Sovereign Wealth Fund and the Possibilities of Establishing them in Iraq, Thesis submitted to the graduate Faculty, LL.M. program of University of Wisconsin Law School in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of (LL.M.) Master of laws.

35- Yenigün.C, (2015), (Foreign Policy of) Republic of Iraq, Cuneyt Yenigun/ Mesut Ozcan.

36- Tuama.S, (2020), the Expected Role of Sovereign Wealth Fund in Achieving Sustainbal Development in Iraq, International Journal of Innovation Creativity and Change, Issue 5.

37- Ali.W, (2012), Sovereign Funds and their Role in Macroeconomic Selected Countries, Thesis submitted to the College of Management and Economics, University of Karbala of the Requirements for the Degree of Master in Economic Science.

38- Behrendt.S, (2008), when Money Takes Arab Sovereign Wealth Fund in the Global Poblic Policy Discourse, Carnegie Middle East Center.

39- černohorsky.J, (2021), the Importabce and Perspective of Sovereign Wealth Funds in the Globalised Economy, Institute of Economic Science, University of Pardubice.

40- Li.Y, (2018), the Rise of Middle East Sovereign Wealth Funds: Causes, Consequences and Policies, Journal of Meddle Eastern and Islamic Studies in Asia.

41- KhalIL.S, (2019), Sovereign Funds to Manage the Wealth of Countries who Manages the Wealth of Iraq? Rawabet Center for Research and Strategic Studies, Available on the Website https://rawabetcenter.com/en/?p=7400, Date of Visit 28 July 2022.

42- Rietveld.M, (2015), Sovereign Investor Models: Institutions and Policies for Managing Sovereign Wealth, the Center for International Departments, Harvard University School.

43- Fadel.J, (2021), the Economic Reality in Iraq and Its Suitability for Establishing Sovereign Funds, Turkish Journal of Computer Mathmatics Education, No.10.

44- Robson.E, (2022), Cultural Heritage Prediction in Iraq the Sectarian Appropriation of the Iraq's Past, Chatham House, Middle East and North Africa Programme.

45- Stone.P, (2008), the Identification and Protection of Cultural Heritage During the Iraq Conflict: a Peculiarly English Tale, National Center for Cultural and Heritage Studies University of Newcastle, UK.

46- Andrew.N, (2021), Impacts of Politician and Conflict on Archaeological Resources: an Analysis of Trends in Iraq, a Thesis Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Science in Anthropology, University of Wisconsin-Milwaukee.

47- Iraq 2020 International Religious Freedom Report, International Religious Report for 2020 United States Department of State, Office International Religious Freedom, (2020).

48- Hasan.H, (2019), Religious Athority and the Politics of Islamic Endowments in Iraq, Carnegie Endowment for International Peace.

الديمقراطية في السودان وأسباب فشلها
العهد الديمقراطي الثاني نموذج1969 –1965
Democracy in Sudan and the reasons for its failure, the second democratic era, model 1965-1969

د. شيماء عبد السميع عبد الله
رئيس قسم العلوم السياسية
جامعة البحر الأحمر – السودان

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على فترة الحكم الديموقراطي الثاني في السودان (1965-1969)، والذى جاء فى أعقاب ثورة أكتوبر 1964، بالإضافة إلى المعوقات التى واجهت هذه الفترة مما أدى إلى إنهيارها فى مايو 1969. تمثلت مشكلة الدراسة في أسباب فشل الحكم الديموقراطي في السودان، وما هي الحلول التى من الممكن أن تعمل على إنجاح وإستمرار الحكم الديموقراطي في السودان؟، تم إستخدام المنهج التاريخي لسرد الأحداث والوقائع التى أدت إلى قيام ثورة أكتوبر 1964 ، بالإضافة إلى المنهج التحليلي لتحليل أسباب إخفاق وإنهيار الفترة الديموقراطية الثانية بالسودان. من نتائج هذه الدراسة أن هناك غياب لثقافة الديموقراطية، وضعف النهج الديموقراطي، والمعوقات التي تقف دون قيام الإنتخابات الشفافة، وعدم إحترام المجتمع لمكوناته المختلفة. وتمثلت توصيات الدراسة في إشاعة مفهوم الديمقراطية في المجتمع السوداني وذلك من خلال التوعية الإعلامية؛ وإصلاح المؤسسات المدنية، ونشر ثقافة الديموقراطية.

الكلمات المفتاحية: الحكم الديموقراطي - ثقافة الديموقراطية - المؤسسات المدنية

Abstract:

The study aimed to shed light on the period of the second democratic rule in Sudan (1965-1969), which came in the wake of the October Revolution 1964, in addition to the obstacles that faced this period, which led to its collapse in May 1969. The problem of the study was the reasons for the failure of democratic rule in Sudan, and what are the solutions that could work for the success and continuity of democratic rule in Sudan? The historical approach was used to narrate the events and incidents that led to the October 1964 revolution, in addition to the analytical approach to analyze the reasons for the failure and collapse of the second democratic period in Sudan. One of the results of this study is that there is an absence of the culture of democracy, the weakness of the democratic approach, the obstacles that stand in

the way of transparent elections, and the society's lack of respect for its various components. The recommendations of the study consisted in spreading the concept of democracy in Sudanese society through media awareness; And reforming civil institutions, and spreading the culture of democracy.

Keywords: democratic governance - culture of democracy - civil institutions

المحور الأول:

تعريف – مفهوم- خصائص- أنواع الديموقراطية

تعريف الديموقراطية **Democracy**

تعني كلمة ديموقراطية في أصلها الفردي حكم الشعب، وهي ترجع إلى أصل يوناني مكون من مقطعين احدهما (demos) وتعني الشعب والأخر (crates) وتعني حكم أو سلطة وجاءت في القرن الخامس قبل الميلاد للدلالة على النظم السياسية الموجودة آنذاك في ولايات المدن اليونانية، وخاصة أثينا. والمصطلح مناقض لكلمة (أرستقراطية) وتعنى " حكم نخبة ".[97]

مفهوم الديموقراطية

هو نظام اجتماعي يؤكد قيمة الفرد وكرامته الشخصية الإنسانية ويقوم على أساس مشاركة أعضاء الجماعة في تولي شؤونها، وتتخذ هذه المشاركة أوضاعاً مختلفة وقد تكون الديموقراطية سياسية Political Democracy ويكون الشعب فيها مصدر السلطة وتقرر الحقوق لجميع المواطنين على أساس من الحرية والمساواة من دون تمييز بين الأفراد بسبب الأصل، الجنس، الدين أو اللغة، ويستخدم إصطلاح الادارة الديموقراطية للدلالة على القيادة الجماعية التي تتسم بالمشورة والمشاركة مع المرؤوسين في عملية إتخاذ القرارات.[98]

يعرفها ابراهام ليكونن فيقول عنها "هي حكم الشعب بواسطة الشعب ولأجل الشعب".[99]

خصائص الديموقراطية:[100]

1- المساواة (المساواة بين كل أطياف وفئات المجتمع، في الفرص المتاحة والقانون.
2- المشاركة (وهى مشاركة جميع الشعب في النظام).
3- سلطة الأغلبية وحقوق الأقلية (بعد الإنتخابات فإن حكم البلاد يكون وفق رأى وقرارات الأغلبية من الشعب، مع الحفاظ على حقوق الأقليات).
4- سلطة القانون وعدالة القضاء(تطبيق القانون على الجميع بعيداً عن الظلم أو التعسف).

---

[97] . *علي سداد جعفر جواد، مفهوم الديموقراطية،* http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture، 11/3/2019.

[98] . http://www.siironline.org/alabwab/akhbar_aldimocrati.

[99] . ***أمل أحمد، بحث حول الديموقراطية تعريفها نشأتها وخصائصها-الديموقراطية أو حين يحكم الشعب،*** http://bo7ooth.info، ***25 يناير 2019.***

[100] . *أمل أحمد، نفس المصدر.*

5- حقوق الإنسان (تقوم الديموقراطية على إحترام حقوق الإنسان وصيانة حريته في الفكر والتعبير والدين).

6- التعددية الحزبية (إتاحة الفرصة لجميع الأحزاب بالمشاركة في الحياة السياسية العامة).

7- الإنتخابات الحرة العادلة (الإنتخابات التي تقوم على الشفافية والحرية والمساواة، ومشاركة الجميع).

8- فصل السلطات (أي تتوزع وتستقل سلطة الدولة بين ثلاث سلطات وهي (السلطة التشريعية، السلطة التنفيذية، والسلطة القضائية).

انواع من الديمقراطية:[101]

1- الديموقراطية المباشرة **Direct Democracy**

يكون الشعب مصدر السلطة ويمارس السلطة في آن واحد، ولا وجود للحكام في الديموقراطية المباشرة(اثينا، وفي بعض المقاطعات الصغيرة في سويسرا).

2- الديموقراطية غير المباشرة

ولها تسميات اخرى "الديمقراطية النيابية أو التمثيلية" Parliamentary Democrocy فيها يختار الشعب من ينوب عنه لكي يمارس السلطة، فالشعب يبقى مصدراً للسلطة غير أنه لا يمارس السلطة بنفسه بل يفوض السلطة الى حاكم يختارونه من بينهم.

3- الديموقراطية شبه المباشرة **Semi Direct Democracy**

في الديمقراطية شبه المباشرة العلاقة تبقى قائمة بين جمهور الناخبين وبين الشخص الذي انتخبوه، ويستطيع الناخبون إزالة النائب واجراء انتخاب آخر للنيابة عنهم، وهذا النوع مطبق في سويسرا وبعض الولايات الأميركية، وتوجد وسيلة أخرى في الديموقراطية غير المباشرة وهو الإنتخاب، وهو الوسيلة العظمى في انتخاب الأفراد، ممكن أن يطرح على جمهور الناخبين مباشرة مشروع قانون وابداء الرأي بكلمة "نعم أو لا" ، فاذا قالوا نعم يكون القانون بدون أن يمر على المجلس التشريعي، ويعتبر من وسائل تولي السلطة والقبض عليها من الوسائل الأربع وهي:

1-الوراثة 2 -الإختيار الذاتي 3 -الإستيلاء 4 -الانتخاب، حيث يعتبر الانتخاب من أهم الوسائل على تولي السلطة في الوقت الحاضر، وارتبط الانتخاب ارتباطاً عضوياً بالديموقراطية وظهر الانتخاب عندما ظهرت الديمقراطية لأن الشعب يختار شخصاً لكي يمارس السلطة نيابة عن المجتمع.

4- الديموقراطية الشعبية **Popular Democracy**

تطلق هذه التسمية على نظام الحكم في الدول الخاضعة للنفوذ الشيوعي كالنظام القائم في الاتحاد السوفيتي سابقاً ودول المعسكر الاشتراكي السابقة، وتعد الديموقراطيات الغربية هذا النظام غير ديموقراطي لأن أساليبه لا تتفق والمقاييس الأساسية التي تقرها الديموقراطيات، فالتعبير عن ارادة الشعب يجري على أساس نظام معقد مفروض من داخل أعلى قيادة حزبية أو جهة حكومية واحدة بحيث تقيد حرية الاختيار لدى المواطن وحرية تأييده أو رفضه لحزب دون آخر.

[101] . http://www.siironline.org/alabwab/akhbar_aldimocrati.

5- الديموقراطية الوسيطة **Mediatory Democracy**

هو النظام الذي من شأن تعدد الاحزاب السياسية فيه منع المواطنين من اختيار رئيس الحكومة عن طريق الانتخابات البرلمانية، بل يعتمد هذا الاختيار على الاتصالات التي تتم بين كبار رجال السياسة.

المحور الثانى:

عهد الديموقراطية الثانية (1965 – 1969)

الأوضاع ماقبل الديموقراطية الثانية

تاريخ الحكم في السودان عبارة عن حلقات متصلة متشابهة، وكل فترة حكم جديدة هى نتاج للفترة التي سبقتها، سواء قيام حكومة ديموقراطية أو تسليم السلطة للمؤسسة العسكرية، أو إنقلاب عسكرى. ولدراسة أي فترة حكم في السودان لا بد من إستصحاب فترات الحكم التي سبقتها وأدت إلي قيام الحكومة الجديدة؛ حتى يتم فهم تسلسل الأحداث وأسباب قيام هذه الحكومات.

تستعرض الكاتبة هنا الفترات التي سبقت الديموقراطية الثانية (1965-1969م) ،

فترة ما بعد الإستقلال 1956 وحتى سقوط حكومة الفريق عبود أكتوبر 1964.

بعد سحب الثقة من الحكومة القومية الأولى برئاسة إسماعيل الأزهرى- أول رئيس لجمهورية السودان بعد الإستقلال 1956- والتى لم يمضي على بقائها أكثر من ستة أشهر؛ أُنتخب نائب أم كدادة عبد الله خليل- أمين عام حزب الأمة وهو رجل عسكرى ووطني- لتولى رئاسة الوزراء ووزارة الدفاع بالبلاد. وأُطلق على حكومته "حكومة السيدين" نسبة للسيد علي الميرغنى راعي الختمية، والسيد علي عبد الرحمن راعي الأنصار، فقد جاءت الحكومة نتاجاً لجهدهما ومباركتهما المشتركة لقيامها. وقد حشدا معاً النواب لإسقاط حكومة الأزهرى.

حدثت خلافات في حكومة عبد الله خليل أدت إلى إنقسامات بين الوزراء _وزراء حزب الأمة ووزراء الشعب الديموقراطي- وقد عبر نواب حزب الأمة عن رأيهم فى رئيس الوزراء عبد الله خليل بإعتبار أن سنه المتأخرة لا تسمح له بتسيير الأمور كما يجب.[102]

قام عبد الله خليل بالإتصال بكبار القيادات العسكرية في القوات المسلحة في القيادة العامة ونقل لهم مخاوفه تجاه الأوضاع الداخلية وخشيته من المؤامرات الخارجية المهددة للوطن، وأقنعهم بوجوب تدخل الجيش والإستيلاء على السلط، وكان حديثه مباشرة مع الفريق ابراهيم عبود ونائبه اللواء أحمد عبد الوهاب.

تم تسليم السلطة للفريق ابراهيم عبود القائد العام للقوات المسلحة في 17 نوفمبر 1958، ويعتبر هذا تسلم سلطة وليس إنقلاباً عسكرياً كما يتم تداوله.[103]

كان إنقلاب السابع عشر من نوفمبر العسكري أشبه بعملية تسليم المدنيين السلطة بمبادرة من رئيس الوزراء حينذاك عبد الله خليل منه بالإستيلاء على السلطة عسكرياً.

---

[102] . *محمد سعيد محمد الحسن، صناعة الحكومات فى السودان(1954-1996)، الخرطوم، ابريل 1997، ص 27.*

[103] . *المرجع السابق، ص 28.*

ويتضح الدور الذي لعبه عبد الله خليل في الشهادات التي أدلى بها الفريق إبراهيم عبود وآخرون أمام اللجنة التي شُكلت عام 1965م للتحقيق في أحداث نوفمبر 1958م، حيث قال الفريق عبود: (قبل عشرة أيام من إفتتاح البرلمان زارني عبد الله خليل وعبّر لي عن رأيه بأن الأوضاع السياسية في البلاد تتدهور بسرعة، وقال أنه لا منفذ في حالة الفوضى التي نعيشها إلاّ الجيش، وبعد أيام قليلة بعث إليّ برسالة مماثلة بواسطة زين العابدين صالح، وبعد ثلاثة أيام جاءني عبد الله خليل مرة أخرى وفي هذه المرة قلت له أن ساعة الصفر ستكون قبل إفتتاح البرلمان فقل لي: أعانكم الله).[104]

كان أول منشور أصدره وزير الخارجية في الحكومة الجديدة -أحمد خير المحامى- يشتمل على أهمية فتح آفاق التعاون الاقتصادى والتجارى والصناعى والفني مع جميع الدول.[105]

حدثت نهضة تنموية بالبلاد وإقامة مشاريع تنموية مختلفة، وتم تسليح الجيش وتحديث معداته، وأصبح الجيش السوداني من أفضل الجيوش العربية والأفريقية تدريباً وتجهيزاً وتسليحاً وإنضباطاً.[106]

تراجع حكم الفريق عبود بعد إصدار لائحة (قانون دفاع السودان 1958)، وأعقبه قانون النقابات الفئوية والعمالية لعام 1958، وكان مقيداً للحريات إذ تم فيه حظر النشاطات العمالية والفئوية من إعتصامات أو إضرابات.

ثم أعقب ذلك إصدار قانون حل النقابات والذى كان بداية للإضطرابات والمقاومة الشعبية للحكم العسكرى.[107]

تمثل إخفاق نظام عبود في إلغائه للحياة الحزبية والبرلمانية وتكوينه المجلس المركزى من عناصر كانت موزعة على القوى السياسية المختلفة وقد عجز عن تكوين تجمع شعبى ليسد الفراغ الذى أحدثه حل الأحزاب السياسية .

رغم هذه المآخذ إلاّ أن نظام الرئيس عبود وقف بقوة أمام التدخل من قِبل الجمعيات التبشيرية المسيحية المدعومة من حكوماتها، ومحاولاتها زرع الفتنة فى جنوب البلاد.[108]

فقد قامت بمناهضة الإستعماريين والإرساليات بإعتبارها المصادر التي تنبعث منها تلك التحركات في الجنوب. قامت حكومة عبود في آخر الأمر إلى اللجوء إلي الحل السلمي بإعتبار أن شن حرب على الجنوب يتطلب أموالاً طائلة قد تتسبب في إنهيار الإقتصاد المتردي بطبيعته، فتم تشكيل لجنة تقصي الحقائق عن مشكلة الجنوب في سبتمبر 1964م، تم تكوينها من 19 جنوبياً و 13 شمالياً، وطلب من اللجنة دراسة وبحث العوامل التي تعرقل الوحدة بين

---

[104] . *تيم نبلوك، صراع السلطة والثروة في السودان، ترجمة الفاتح التيجاني و محمد علي جادين، الخرطوم، دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، يناير 1994، ص 197.*

[105] . *محمد سعيد محمد الحسن، الدبلوماسية السودانية (مواقع ووقائع)، الخرطوم، 1996، ص 12-13.*

[106] . *تيم نبلوك، مرجع سابق، ص 203-204.*

[107] . *إقبال الياس محمد الزبير، الشرعية السياسية لنظم الحكم في السودان(1958، 1969، 1989)، الخرطوم، بحث قُدم لنيل درجة البكالريوس العام في الدراسات الاقتصادية والاجتماعية-قسم العلوم السياسية، جامعة الخرطوم، أكتوبر 1994، ص 19.*

[108] .*عبد الحميد مرحوم علي كرم الله، التدخل الأجنبي في السودان منذ الإستقلال 1956-2006م مع إستشراق المستقبل، ط1، الخرطوم، شركة مطابع السودان المحدودة، 2013، ص 176 و ص 178 .*

الشمال والجنوب، والتقدم بتوصيات وإقتراحات تساعد على إعادة الثقة بينهما وتحقيق الإستقرار الداخلي دون أن يؤدي ذلك إلي تعريض النظام الدستوري أو مبدأ الحكومة الواحدة للقطر للإنهيار.[109]

سقوط نظام عبود والفترة الإنتقالية الأولي 30 أكتوبر 1964 – مارس 1965

بعد ست سنوات من إستلام الفريق عبود السلطة؛ قامت ثورة أكتوبر 1964 ضده، فأعلن الفريق عبود حل المجلس الأعلى للقوات المسلحة ومجلس الوزراء، قامت مشاورات بين العسكريين والمدنيين في مقر القيادة العامة بعد تواصل المظاهرات والمسيرات الشعبية التي خرجت ضد نظام الفريق ابراهيم عبود، رغم أنه قد حل المجلس الأعلى للقوات المسلحة ومجلس الوزراء.

وتم الإتفاق على الميثاق الوطني، وعلى فترة إنتقالية من 30 أكتوبر 1964 حتى مارس 1965 ، وعلى تكوين حكومة مدنية، وتم ترشيح سر الختم الخليفة – عميد المعهد الفني- كرئيس لأول حكومة مدنية.

شمل الميثاق الوطني:

1- إلغاء القوانيين المقيدة للحريات.
2- إستقلال القضاء .
3- إستقلال الجامعة.
4- إطلاق سراح السياسيين.

تم تعيين كلمنت أمبورو وزيراً للداخلية والشفيع أحمد الشيخ وزيراً لمجلس الوزراء، ورحمة الله عبد الله وزيراً للتربية والتعليم، وأحمد سليمان للزراعة والغابات، وبعد الرحمن العاقب للأشغال والموارد المعدنية، وعبد الكريم ميرغنى للتجارة والتموين، و دكتور أحمد السيد حمد للرى، والأمين محمد الأمين للصحة، ومحمد صالح عمر للثروة الحيوانية، وخلف الله بابكر للإستعلامات والشؤون الاجتماعية، وعابدين اسماعيل للخدمات المحلية.

ضمت هذه الحكومة سفيراً في القاهرة وباريس وأيضاً ممثلاً للمزارعين وممثلاً واحداً لكل حزب وثلاثة ممثلين للجنوب.[110]

بذلك تكون الحكومة قد ضمت ممثلاً لكل من حزب الأمة والحزب الوطني الاتحادي وحزب الشعب الديمقراطي وجبهة الميثاق الإسلامي والحزب الشيوعي، كما ضمت سبعة وزراء لتمثيل النقابات والمنظمات المهنية ووزيرين للجنوب، وكان من بين السبعة وزراء، السكرتير العام للإتحاد العام لنقابات عمال السودان ورئيس اتحاد المزارعين. ويعني ذلك أن جبهة الهيئات قد سيطرت على التشكيل الوزاري الأمر الذي أثار حفيظة حزب الأمة والحزب الوطني الاتحادي وجبهة الميثاق الإسلامي حديثة التكوين ودفعهم للسعي لتغيير هذه الحكومة التي عرفت بحكومة أكتوبر الأولى، بالرغم من تمثيلهم في جبهة الهيئات.[111]

---

[109] . *محمد محمد أحمد كرار، أحداث وأسرار الحياة السياسية 1930-1990م، الجزء الثاني، ط1، الخرطوم، دار البلد للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، ص 22.*

[110] . *محمد سعيد محمد الحسن، صناعة الحكومات فى السودان(1954-1996)، مرجع سابق، ص 37-38.*

[111] . *فدوى عبد الرحمن علي طه، حكومات 21 أكتوبر 1964 الإتقالية وما تلاها من تطورات، ا أكتوبر 2017،* http://sudanile.com.

أصبح محمد أحمد المحجوب وزيراً للخارجية، ومبارك زروق وزيراً للمالية والإقتصاد. وجرى بينهما تنسيق سريع هدفه جهد مشترك لإستعادة دور السودان الإيجابى على المستوى الإقليمى والدولي، ودعم علاقاته مع الدول العربية وإلى أقصى مدى وبشكل خاص مع مصر والمملكة العربية السعودية، وقد أصدر وزير الخارجية المحجوب توجيهات لكل السفارات وركزت هذه التوجيهات على:[112]

1- التعريف بأهداف ثورة أكتوبر.

2- التمسك بالتعاون العربي وجعل القضية الفلسطينية قضية السودان الأولى.

3- دعم الجامعة العربية وتحريك التعاون الاقتصادي والتجاري والفني والثقافي مع جميع الدول.

إضافة إلى ذلك فقد تميزت حكومة ما بعد ثورة أكتوبر بالديموقراطية، فقد قامت بـ:[113]

1. إطلاق الحريات.
2. مناقشة قضية الجنوب.
3. إجراء الإنتخابات.

تميزت حكومة ما بعد ثورة اكتوبر بالديموقراطية وتركزت مهمتها في إطلاق الحريات ومناقشة قضية الجنوب وإجراء الانتخابات. سعت الأحزاب السياسية التقليدية لإجراء الإنتخابات في موعدها المقرر رغم أن تلك المواعيد لم تكن مناسبة بسبب موسم جنى القطن، والتفكك والفوضى اللذان كانا يعمان الجنوب. فدعا إتحاد العمال والمزارعين إلى تأجيلها لكن لم يتم ذلك. كما طالبا بأن يكون لهما نصف مقاعد البرلمان. إنزعجت الأحزاب التقليدية من هذه التحركات فأسرعوا إلى تكوين جبهة قومية متحدة من حزب الأمة، الحزب الوطنى الإتحادى، وجبهة الميثاق الإسلامى، للضغط على حكومة سر الختم الخليفة لإجراء الانتخابات.[114]

تم حشد الأنصار-مواليين حزب الأمة- إلى الخرطوم من النيل الأبيض وكردفان والنيل الأزرق، وفي اليوم الرابع من فبراير 1965 إمتلأت العاصمة بالألاف من الأنصار الذين وفدوا من الأقاليم وهددوا الحكومة وطالبوا بإستقالتها، وأصدر أحمد المهدي في يوم 16/2/ 1965م بياناً قال فيه بأن لحزب الأمة " القدرة على تغيير الحكومة، إلاّ أنهم يفضلون حلاً مدنياً لحل الأزمة السياسية بالبلاد. وإن لم ينجح ذلك الحل السياسي فسيجد حزب الأمه نفسه مجبرا على استخدام القوة".[115]

ولم يتردد حزب الأمة في التلويح بالعنف وممارسة الإبتزاز في العمل السياسي، فحشد أنصاره في ضواحي العاصمة لتسيير المواكب، وجاء بهم من الأقاليم البعيدة، فالحزب لا يملك قواعد في المدن والمراكز الحضرية. نجحت (الجبهة القومية المتحدة) في إجبار سر الختم الخليفة على تقديم استقالته في 18 فبراير 1965م.[116]

---

[112] . *محمد سعيد محمد الحسن، الدبلوماسية السودانية (مواقع ووقائع)، مرجع سابق، ص 14.*

[113] . *عبد الحميد مرحوم علي الله، مرجع سابق، ص 179.*

[114] . *عبد الحميد مرحوم علي الله، مرجع سابق، ص 179-180.*

[115] . *فدوى عبد الرحمن علي طه، مصدر سابق.*

[116] . *رشا عوض، دور الأحزاب السودانية في إنهيار الحكم الديمقراطي بعد ثورة أكتوبر1964،*
https://www.altaghyeer.info/ar/2016/10/21

وزارة سر الختم الخليفة الثانية 1965/2/24 - 1965/3/31م

في يوم 1965/2/24م أُعلنت الوزارة الثانية خالية من العمال والمزارعين وحزب الشعب والحزب الشيوعي وجبهة الهيئات. وشكلت برئاسة سر الختم مرة أخرى من أحزاب الوطني الاتحادي و الأمة و جبهة الميثاق. وبعد أن أدى الوزراء القسم تركت أربعة وزارات شاغرة خصصت منها ثلاث لحزب الشعب وواحدة للحزب الشيوعي تملأ فيما بعد في حالة رضاهم بدخول الوزارة.

في يوم1965/3/31م قرر رؤساء الهيئات والأحزاب المنضوية تحت لواء التجمع الاشتراكي الديمقراطي والذي يضم حزب الشعب والحزب الشيوعي وجبهة الهيئات واتحادات العمال والمزارعين شغل الوزارات الأربع المعروضة عليهم وقد برروا ذلك بأن الضرورة الوطنية العليا قد فرضت عليهم ذلك كما أنهم يرون ضمان تنفيذ ميثاق أكتوبر في العمل من داخل مجلس الوزراء لمنع قيام الانتخابات.[117]

يذكر محمد أحمد محجوب بأنهم (الجبهة القومية) ذهبوا إلى رئيس الوزراء وطالبوا بتقديم استقالته فوافق، ويقول " لقد أُرغم سر الختم الخليفة، غير السياسي على الإستقالة فإنهارت جبهة المهنيين ضحية للإنتهازية الشيوعية".. بينما يذكر علي عبد الرحمن الأمين- رئيس حزب الشعب الديمقراطي- بأن الوزارة التي تكونت بعد ثورة أكتوبر تكونت على عجل وكانت تفتقد القيادة السياسية الرشيدة، حيث أنها خليط من وزراء ثوريين ووزراء موظفين عاديين بمن فيهم رئيس الحكومة سر الختم الخليفة.

من أبرز ما تم تحقيقه بعد ثورة أكتوبر محاولة لحل مشكلة الجنوب والتى تفاقمت، وقد إقتنعت الحكومات أن الحل يكون عن طريق المفاوضات، فإنعقد مؤتمر المائدة المستديرة في الفترة 16-29 مارس 1965م، حيث أكد المؤتمر ضمن قراراته على ضرورة رفع المظالم التي حاقت بالجنوبيين والعمل على إنهاء الصراع وتهدئتهم.[118]

حكومة المحجوب الأولى مايو 1965- 25 يوليو 1966

قامت هذه الحكومة بعد الإنتخابات الثانية في 1965 ، بالائتلاف بين حزب الأمة والوطني الاتحادي وبعض الجنوبيين، وقامت الجمعية التأسيسة في أول مايو 1965، وكان برنامج هذه الحكومة هي:[119]

1. المحافظة على الإستقلال التام والنظام الديموقراطي القائم آنذاك.
2. كتابة الدستور الدائم.
3. قيام نظام اقتصادي حر.
4. إنشاء مشروعات للتنمية وتطوير المشروعات القائمة لرفع مستوى حياة المواطن السوداني وتحسين الخدمات بكل أنحاء البلاد.
5. توطين العرب الرحل. 6. كفالة الحريات.
7. البحث عن الثروة المعدنية والبترولية في أماكن احتمال توافرها في باطن الأرض.

---

[117] . *فدوى عبد الرحمن علي طه، مصدر سابق.*

[118] . *عبد الحميد مرحوم علي الله، مرجع سابق، ص 180.*

[119] . *الصادق المهدي، المرحلة الثالثة- الديمقراطية الثانية،* https://www.alsadigalmahdi.com.، 16/12/2017

كانت الحكومة تستمتع بأغلبية كبيرة أمام معارضة كانت تمثل الأقلية ومن أهم عناصرها الشعب الديموقراطي والإخوان المسلمون والشيوعيون وبعض أحزاب الجنوب.

قامت هذه الحكومة بعدد من الأعمال منها تحسين أحوال بعض الفئات والموظفين، وتطوير في الخدمات الصحية والتعليمية، وتهدئة الأحوال المضطربة في المديريات الجنوبية. ولكن كان رأي الحزب أن هنالك قصور في جوانب أخرى فكون لجنة لدراسة أداء الحكومة، وكانت أهم مآخذ اللجنة على الأداء الحكومي هي:[120]

1. عدم حل مشكلة الجنوب.
2. عدم إنجاز قانون الحكومة المحلية.
3. الموقف المالي والاقتصادي المتردي.
4. مسألة المياه الريفية واستيراد آلات حفر دون عطاء.
5. عجز الحكومة عن توحيد منصب الوكيلين الدائمين للمالية.
6. عدم تنفيذ بنود كثيرة مما جاء في خطاب الدورة.

ورأى التقرير أن الحكومة إتخذت سياسة الإرتجال وإتصفت بالوعود الكاذبة، وإعتبر أن تلك المآخذ جميعها في غاية الخطورة.

بعد عام من الإنتخابات العامة تصدى النواب لمساءلة رئيس الوزراء الحاكم بإسم حزب الأمة السيد محمد أحمد المحجوب، فكونت الهيئة البرلمانية لجنة عليا برئاسة السيد أمين التوم من السادة: ميرغني حسين زاكي الدين، وإبراهيم هباني، وأمبدى حامد وعبد الرحمن أحمد عديل وعبد العزيز حسن في يناير 1966 للتحري عن شكاوي النواب. عبر هذه اللجنة عبرت أغلبية النواب عن عدم ثقتها في الحكومة وأدانت أداءها. حول هذا النزاع تلاحقت التداعيات التي أدت لانقسام حزب الأمة على جناحين للفترة (1966- 1969). إنقسم حزب الأمة برلمانياً إلى ثلث وثلثين. واصل الثلثان موقفهما بتكوين حزب أصدر برنامجاً جديداً بعنوان إصلاح وتجديد.

ثم قام الائتلاف الثاني بين الأمة والوطني الاتحادي، وقاد السيد محمد أحمد المحجوب ثلث نواب الحزب للمعارضة. في ذلك الوقت سعى البعض لتوحيد الحزب وتم اتفاق سبتمبر 1966م ، ولكن هذا الاتفاق لم يستمر لعدة أسباب منها عدم رضا البعض عن التشكيل الجديد، وبروز تحالف بينهم وبين تيار آخر داخل الحزب الوطني الاتحادي، ثم أقيم تحالف بين التيار الذي قاده السيد محمد أحمد محجوب من حزب الأمة، وتيار داخل الوطني الاتحادي وحزب الشعب الديمقراطي فقام ائتلاف ثلاثي كان همه هدم الخط الإصلاحي داخل حزب الأمة جناح المؤسسات، ودعوة التجديد التي رفعها ولاقت شعبية عظيمة.[121]

ظهرت الخلافات السياسية والحزبية بين الحزبين المكونين للوزارة الائتلافية، إضافة للخلافات داخل الأحزاب نفسها. إنشق حزب الأمة إلى قسمين أولهما بقيادة الصادق المهدي، والثاني بقيادة الهادي المهدي وذلك نتيجة لـ:

1. سوء الإدارة الحكومية.

---

[120] . الصادق المهدي، مصدر سابق.

[121] . الصادق المهدي، مصدر سابق.

2. الصراعات الحزبية.
3. الجري وراء المصالح الخاصة.
4. تقسيم المناصب بين الزعماء.

كانت المحصلة أن فشلت الحكومة في إنجاز المهام الوطنية، لذلك تم تقديم إقتراح سحب الثقة من الحكومة ثلاث مرات، لقى الإقتراح الثالث موافقة أغلبية الأصوات وسقطت وزارة محمد أحمد المحجوب الأولى في 25 يوليو 1966م.[122]

حكومة الصادق 27 يوليو 1966- 15 مايو 1967م

فاز الصادق المهدي برئاسة الوزارة في يوليو 1966م، وتكونت وزارته من جناحه المنشق من حزب الأمة والحزب الوطني الإتحادي، لكن إصطدمت الحكومة بالخلافات الحزبية والطائفية والسياسية وتم سحب الثقة من الوزارة خلال أقل من عام واحد.

الفترة الإنتقالية الثانية (وزارة محمد أحمد المحجوب الثانية مايو 1967)

تكونت حكومة إنتقالية ثانية برئاسة محمد أحمد المحجوب؛ من حزب الأمة جناح الصادق المهدي، والحزب الوطني الإتحادي، حزب الشعب الديموقراطي وحزب سانو الجنوبي. بعد 8 أشهر فقط وبالتحديد في فبراير 1968 تزايدت المعارضة للحكومة، فلجأ مجلس السيادة إلى حل البرلمان وإجراء إنتخابات جديدة.[123]

انتخابات عام 1968م

بدأ التسجيل لهذه الانتخابات في فبراير 1968م وبدأ الترشيح في 6 مارس والتصويت في 18 أبريل وأعلنت النتيجة في آخر أبريل 1968. جرت هذه الانتخابات وحزب الأمة منقسم على نفسه، كانت جملة أصوات الجناحين تمثل الرقم العددي الأكبر كما أن السند الشعبي العددي الذي أيد أغلبيته الهيئة البرلمانية كان 60% بالمقارنة مع سند الجناح الآخر 40% أي أن الانقسام الشعبي كان مشابها للانقسام البرلماني لحد كبير. كانت نتيجة الانتخابات كالتالي:

الاتحادي الديموقراطي 101، أمة- الصادق 45، أمة- الإمام 30، سانو 15، جبهة الجنوب 10، مستقلون 7، مؤتمر البجا 3، جبهة الميثاق الإسلامي 3، اتحاد جبال النوبة 2، قوى العاملون 1، حزب النيل 1.

هذه النتيجة أظهرت كيف أثّر الانقسام على حزب الأمة الذي نال أكبر المقاعد في الانتخابات السابقة، كما ساعدت إعادة توحيد حزبي الوطني الاتحادي وحزب الشعب الديمقراطي في حزب (الاتحادي الديموقراطي) على التقدم حيث نال أكبر عدد المقاعد[124].

قاطع حزب (الشعب الديموقراطي) هذه الانتخابات وحاول تعطيلها في بعض الدوائر بشرق السودان. فقد رفضت الحكومة الإستجابة لطلبه بتأجيل الانتخابات حتى تشمل المديريات الجنوبية.[125]

---

[122] . عبد الحميد مرحوم علي الله، مرجع سابق، ص 181.

[123] . المرجع السابق، ص 182.

[124] . الصادق المهدى، مصدر سابق.

فاز الحزب الشيوعي بأغلبية مقاعد الخريجين بـ 11 مقعداً من 15 مقعد للخريجين، أدى ذلك إلى إثارة حفيظة الإسلاميين، خاصة وأن الأخوان المسلمين قد فازوا بـ 3 مقاعد فقط لجبهة الميثاق الإسلامي.[126]

حكومة المحجوب الثالثة 7 أبريل 1968- مايو 1969م

بعد نتائج الإنتخابات ترأس محمد أحمد المحجوب الحكومة. وكان حزب الأمة بجناحيه قد حاز على أكثرية الأصوات في انتخابات 1968م العامة، ولكن الانقسام وتفريق الأصوات بين القسمين بالإضافة لأسباب أخرى جعل حصيلة الحزب ضئيلة في عدد المقاعد البرلمانية. وجرى الائتلاف الذي دخل فيه جناح الإمام الحكم مؤتلفا مع الحزب الاتحادي الديموقراطي (الذي وحّد كلا من الوطني الاتحادي بقيادة الأزهري وحزب الشعب الديمقراطي التابع للسيد علي الميرغني) وحاز حزب الأمة-الإمام من جديد على منصب رئيس الوزراء الذي تقلده أيضا المحجوب.[127]

بدأ الحزب الشيوعي مشاركاً بفاعلية في التجربة البرلمانية ومسيطراً على جزء مهم من الشارع السياسي ومهيمناً على إتحاد نقابات السودان. واصل الأخوان المسلمون(جبهة الميثاق الإسلامي) ضغطهم بإسم الدين، وإستغلوا خطأ عضو شيوعي*، وتمكنوا من طرد نواب الحزب الشيوعي من البرلمان في 22 أكتوبر 1965م. رفع الحزب الشيوعي قضية طرده للمحكمة العليا بإعتبار أن ذلك الطرد مخالفاً للدستور، وحكمت المحكمة العليا لصالح عودة نواب الحزب الشيوعي للبرلمان. أعلن مجلس السيادة من جانبه أنه سيحاول حل الأزمة، فأصدر بياناً في 19 أبريل 1967م وصف فيه حكم المحكمة العليا بالخطأ من الناحية القانونية لمجافاته لقواعد القانون الدستوري. كان موقف مجلس الوزراء والنواب تجاه قضية طرد نواب برلمانيين يعتبر تعدياً على الدستور وأصول الممارسة الديموقراطية. كما أن رفضهما لرأى المحكمة التي أصدرت حكمها بعودة نواب البرلمان يعتبر مخالفة دستورية، وأدى هذا الصراع في نهاية المطاف إلي وأد التجربة الديموقراطية الثانية.[128]

في ظل عدم الإستقرار السياسي هذا كان الضباط الأحرار يفكرون في الإستيلاء على السلطة، وهو ما تم فعلاً في 25 مايو 1969 بقيادة العقيد جعفر نميري. فتسلم الجيش زمام السلطة في السودان، وكان يحمل هذا الإنقلاب بصمات قوى اليسار من شيوعيين وقوميين عرب.[129]

---

[125]. رشا عوض، مصدر سابق.

[126]. عبد الحميد مرحوم علي الله، مرجع سابق، ص 182.

[127]. الصادق المهدي، مصدر سابق.

[128]. عبد الحميد مرحوم علي الله، مرجع سابق، ص 183.

* في ظل حكومة محجوب الأولى حدثت قضية (حظر النشاط الهدام وحل الحزب الشيوعي) واستمرت تداعياتها حتى حكومة الصادق، ففي نوفمبر 1965م وأثناء ندوة أدبية بأم درمان تعرض أحد طلبة معهد المعلمين إلى حديث الإفك وأساء للرسول صل الله عليه وسلم و لآل بيته، وقيل إن الطالب ينتمي للحزب الشيوعي، وقد قادت جبهة الميثاق الإسلامي حينها الرأي العام السوداني ضد الشيوعيين، وقاد السيد إسماعيل الأزهري الحملة أيضا منطلقا من موقف منافسة الحزب الشيوعي له ولجماهيره في المدن وتفاعل مع هذه الحملة الأغلبية الساحقة من النواب من جميع الأحزاب بما فيها حزب الأمة، وتناغم معها الشعب السوداني. شكلت هذه الحادثة امتحانا عسيرا للنظام الديموقراطي من ناحية الموازنة بين كفالة حرية التعبير والتنظيم من جهة، ومراعاة معتقدات ومقدسات الشعب من جهة أخرى هذا من الناحية النظرية، ومن الناحية العملية فقد شكلت سابقة في تأجيج الجماهير على نحو مخل بقواعد العمل الديموقراطي لافتقاره للموضوعية. (الصادق المهدي، المرحلة الثالثة-الديمقراطية الثانية، https://www.alsadigalmahdi.com.،2017(/16/12

[129]. إقبال الياس محمد الزبير، مرجع سابق، ص 24.

أسباب تعثر فترة الديموقراطية الثانية:

1- المؤامرات والصراعات بين الأحزاب السياسية، وممارسة الإقصاء من الأحزاب القوية، وإثارة الفتن، لإبعاد الأحزاب الأخرى من المشاركة السياسية.

2- المحاولات الدائمة لسحب الثقة من الوزارات القائمة، وكسب النواب حتى يتسنى للآخر السيطرة على الحكم.

3- إقصاء الحزب الشيوعي ونوابه من الساحة السياسية، ومن مشاركته في البرلمان. والسعي الدائم لإضعافه وإبعاده عن الحكم.

4- الإنقسامات والإنشقاقات والصراعات داخل الأحزاب نفسها، وإختلاف الرؤى والمسارات، رغم التواجد داخل حزب واحد، صراع الصادق المهدي و محمد أحمد المحجوب، الذي إنتهى بإنقسام حزب الأمة إلى جناحين، أحدهما بقيادة الصادق المهدي المتطلع والمتعجل للإستحواذ على السلطة جيل ثورة أكتوبر وثورة الشباب، والتيار التقليدي المحافظ الذي يتزعمه الإمام الهادي، ويمثله في البرلمان محمد أحمد المحجوب.

5- من تجاوزات تلك الفترة في المسلك الديموقراطي هو إنتخاب الصادق المهدي للجمعية التأسيسية ولم يكن قد بلغ السن القانونية التي تسمح له بالترشح، وبمجرد بلوغه هذه السن تم إخلاء أحد مقاعد الجمعية التأسيسية له بإستقالة أحد نواب حزب الأمة ليترشح بدلاً عنه، ثم شرع فور دخوله البرلمان في عملية الإطاحة بالمحجوب من رئاسة الوزراء عبر حجب الثقة عن حكومته في البرلمان.[130]

6- بوقوع حرب يونيو 1967 أصبح السودان إحدى الدول العربية التى تضررت وبشكل مباشر من وقوع العدوان الإسرائيلي على مصر وإغلاق قناة السويس، بإعتبارها المنفذ الأقرب للإستيراد والتصدير، وطلب أكثر من بلد عربي بوجوب دعم السودان اقتصادياً كمصر وسوريا والأردن، ولكن الحكومة السودانية إعتذرت نخوة، وخاصة أنها كانت الدولة المضيفة للمؤتمر(مؤتمر اللاءات الثلاث). وفى عام 1968 بدأت تظهر الآثار الفعلية لحرب يونيو (1967) وتؤثر على الأوضاع الاقتصادية فى السودان ورأت الدولة ترشيد الإنفاق على كافة المستويات.[131]

7- لم تتمكن الوزارات المتعاقبة فى فترة الديموقراطية الثانية من حل المشاكل الإقتصادية والسياسية ومشكلة جنوب السودان، وظهرت الإنقسامات، وفشلت في واجباتها وكان شغلها الشاغل إحاكة المؤامرات والصراع على السلطة أكثر من العمل على حل المشاكل. كما لم تؤد السياسات التي إنتهجتها حكومة المحجوب الثالثة إلى حل الأزمات التي تعرضت لها البلاد، ولم تقدر على حسم الصراع بين الأحزاب السياسية لصالح الشعب، ولم تكن الوزارة قادرة حتى على تنفيذ سياساتها.[132]

---

[130] . رشا عوض، مصدر سابق.

[131] . محمد سعيد محمد الحسن، الدبلوماسية السودانية (مواقع ووقائع) مرجع السابق، ص 34.

[132] . عبد الحميد مرحوم علي الله، مرجع سابق، ص 182-183.

الخاتمة:

لقد كانت فترة الديموقراطية الثانية من أعقد فترات التاريخ السياسي التي مرت على السودان، وذلك بسبب تعدد الحكومات فيها، من حكومة إنتقالية مروراً بحكومات منتخبة وتكون حكومات إئتلافية، ثم سحب الثقة عن بعضها، وإحاكة المؤامرات والفتن لإبعاد بعض الأحزاب وعدم مشاركتها في العملية السياسية أو في البرلمان.

بالإضافة إلى أن تلك الفترة شهدت إنقسامات وإنشقاقات دخل الأحزاب نفسها (حزب الأمة ظهور تيار الصادق المهدي وتيار محمد أحمد المحجوب).

وكانت فترات بعض الحكومات لا تتجاوز الستة أشهر، فلم تتمكن معظمها من إحداث تغيير لاوضاع البلاد المنهكة، أو إحداث تنمية حقيقية .

وكانت مشكلة جنوب السودان من أكبر التحديات، ورغم المحاولات الدائمة لإشراك الأحزاب الجنوبية في العملية لاسياسية، وعقد إجتماعات لإنهاء حرب الجنوب وصراعاته، إلاّ أنها لم تتمكن من حل المشكلة.

وتعتبر فترة الديموقراطية الثانية بعد ثورة أكتوبر 1964- 1969؛ من أعقد وأصعب الفترات التي مر بها السودان، ولكنها تركت إرث سياسي وتاريخي كبير يعكس الحالة السياسية السودانية المتعطشة دائما للسلطة والحكم، مع ممارسة الصراعات والإنشقاقات التي تكون من أجل المصلحة للوصول إلى كراسي السلطة. هذه التجربة تُمكّن السياسيين وصناع القرار القائمين على أمر البلاد الآن من الإستفادة من إخفاقات تلك الحقبة، والنأي عن تجاوزاتها التي أضرت بالعملية الديموقراطية، وأضرت بوضع البلاد.

النتائج:

1. يعاني المجتمع السوداني بمكوناته المختلفة كثيراً من إقصاء الأحزاب أو الكيانات أو التجمعات أو الأفراد وتهميشهم، وإبعادهم عن ساحة المشاركة في الحكم، أو التعيين في المؤسسات، أو المنافسة في أي عمل أو نشاط نتيجة إختلاف في الآيدلوجية أو الإنتماء الحزبي، أو العرقي، أو القبلي، مما يولد إحساس بالظلم والغبن لدى الطرف الآخر، فتتولد الكراهية، مما أدخل المجتمع السوداني والدولة في دوامة صراعات ونزاعات مستمرة، أضرت بنهضة البلاد وأقعدت المجتمعات على مر تاريخ السودان.
2. تحكمت الأحزاب السياسية الكبرى في السودان في السابق وحتى الآن، على مجريات الأوضاع السياسية، والسيطرة على الحكومات والتأثير على صناع القرار، وهما حزبيّ الأمة والإتحادي الديموقراطي.
3. تتعرض الأحزاب السياسية بالسودان لإنشقاقات مستمرة وفق المصالح الخاصة للأطراف المكونة للحزب، وما زالت هذه الظاهرة مستمرة، وقد تتحالف الأحزاب المعارضة المنشقة مع الحكومة القائمة في البلاد حتى تظفر بمقاعد في الحكم (النأي عن مبادئها وأهدافها في ظل الفوز بمقاعد في الحكم).
4. تتاثر الأوضاع السياسية بالسودان بما يحيط بها في محيطها الإقليمي من أوضاع سياسية وإقتصادية (حرب 1967)، ثورات الربيع العربي، وغيرها من الأحداث السياسية.
5. عدم إستمرارية الحكومات الديموقراطية في السودان هو نتاج لعوامل متعددة تشمل:

1. غياب وعي المواطن بماهية الديموقراطية (حقه في المشاركة بالإنتخابات، حقه في إبداء رأيه والدفاع عن حقوقه..)، وتنعدم ثقافة الإنتخابات بشكل عام، وإحترام نتائجها.
2. ضعف الحكومات في توفير بيئة مواءمة لإجراء الإنتخابات النزيهة، وذلك نسبة لسيطرة الحكومة القائمة على مجريات الأمور بالبلاد مما يجعلها تهيمن على وسائل الإعلام للترويج عن حملاتها، والتأثير على المواطنين بحكم سيطرتهم على مفاصل الدولة وتهديدهم أو تقديم الرشاوى لهم.

ج. عدم إحترام فئات أو جماعات أو أفراد لسيادة الدولة، والإستخفاف برموز الحكم، وما زالت هذه الظاهرة مستمرة، مما يعمل على بث الإحباط بين المواطنين، وتثبيط الهمم، وقد يتطور بالخروج على الحكومة وإشعال الفوضى.

د. تظهر الأحزاب السياسية ببرامج ومباديء تعمل على المصلحة الوطنية لجذب أنصار لهم(تحسين سبل العيش للشعب، وتوفير الخدمات..)، ولكن بمجرد تسلمهم للحكم تتغير هذه المباديء ويعمل كل حزب أو قائد حزبي على تحقيق مصالحه الشخصية.

و. يعاني السودان من ضعف في مؤسسات الخدمة المدنية، وإنتشار الفساد الإداري والمالي، والمحسوبية، وضعف الرقابة والتطوير، مما عمل على إنهيار الأوضاع الاقتصادية بالبلاد في فترات كثيرة من تاريخ السودان، وتكون النتيجة هي غلاء في المعيشة، مما يدفع بالشعب للخروج في تظاهرات، فتتدخل المؤسسة العسكرية للسيطرة على الأوضاع.

التوصيات:

1.يجب على المؤسسات المعنية بتنمية الموارد البشرية، ووزارة الإرشاد الديني ووزارة الإعلام من خلال وسائله المتعددة؛ أن يعملوا على ترقية السلوك الإنساني بالبلاد لإحترام وتقبُل الآخر، وإحترام وتقديس العمل، إحترام الوقت، إعلاء روح الولاء والإنتماء الوطني، والمصلحة الوطنية، فنهضة السودان لا تتم بتغيير حكومات واشخاص، بل تحتاج إلي تغيير في ثقافة وسلوك الإنسان(سواء كان قيادي، موظف، عامل، مواطن) ليرتقي أولاً بتعامله مع الآخر، وليرتقي في الإخلاص بعمله، مما ينعكس على تنمية وتطوير البلاد.

2.يجب أن تُعمم ثقافة الديموقراطية بين المواطنين، من خلال وسائل الإعلام المختلفة وبتعاون منظمات المجتمع المدني، حتى يتم تهيئة المواطن السوداني للإنتخابات المقبلة، للمشاركة فيها، وأن الإنتخاب حق وواجب ووطني.

3.يجب نشر الوعي بين المواطنين من خلال وسائل الإعلام وبتضافر منظمات المجتمع المدني، على ضرورة إحترام وتقبُل الآخر، وإحترام الإختلافات والثقافات التي يذخر بها السودان، وعدم التقليل من شأن الآخرين(تغيير سلوك عام).

4.يجب أن يغتنم السودان الفرصة الآن بعد قيام ثورة ديسمبر 2018، لتغيير الأوضاع بشكل عامن بدءً من إصلاح مؤسسات الخدمة المدنية، وإشاعة المساواة والعدل في التعيين، وفرض رقابة إدارية ومالية صارمة على هذه المؤسسات.

المراجع والمصادر

أولاً: الكتب

1. تيم نبلوك، صراع السلطة والثروة في السودان، ترجمة الفاتح التيجاني و محمد علي جادين، الخرطوم، دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، يناير 1994.
2. عبد الحميد مرحوم علي الله، التدخل الأجنبي في السودان منذ الإستقلال 1956-2006م مع إستشراق المستقبل، ط1، الخرطوم، شركة مطابع السودان المحدودة، 2013.
3. محمد سعيد محمد الحسن، الدبلوماسية السودانية (مواقع ووقائع)، الخرطوم، 1996.
4. محمد سعيد محمد الحسن، صناعة الحكومات فى السودان(1954-1996)، الخرطوم، ابريل 1997.
5. محمد محمد أحمد كرار، أحداث وأسرار الحياة السياسية 1930-1990م، الجزء الثاني، ط1، الخرطوم، دار البلد للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.

ثانياً: البحوث

1. إقبال الياس محمد الزبير ،الشرعية السياسية لنظم الحكم في السودان(1958، 1969، 1989)، الخرطوم، بحث مقدم لنيل درجة البكالريوس العام في الدراسات الاقتصادية والاجتماعية-قسم العلوم السياسية، جامعة الخرطوم، أكتوبر 1994.

ثالثاً: الإنترنت

1. أمل أحمد، بحث حول الديمقراطية تعريفها نشأتها وخصائصها-الديموقراطية أو حين يحكم الشعب، http://bo7ooth.info، 25 يناير 2019.
2. رشا عوض، دور الأحزاب السودانية في إنهيار الحكم الديموقراطي بعد ثورة أكتوبر1964، https://www.altaghyeer.info/ar/2016/10/21
3. الصادق المهدى، المرحلة الثالثة- الديمقراطية الثانية، https://www.alsadigalmahdi.com،.16/12/2017
4. علي سداد جعفر جواد، مفهوم الديمقراطية، http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture، 11/3/2019.
5. فدوى عبد الرحمن علي طه، حكومات 21 أكتوبر 1964 الإنتقالية وما تلاها من تطورات، 1أكتوبر 2017، http://sudanile.com.

6 . http://www.siironline.org/alabwab/akhbar_aldimocrati.

الشرق الاوسط – الإسلامي واستراتيجية صدام الحضارات

The Middle East - Islamic and the strategy of the clash of civilizations

أ. د. أحمد جاسم إبراهيم

جامعة بابل-مركز بابل للدراسات الحضارية و التاريخي

الملخص:

ترتب على انهيار الاتحاد السوفييتي، وانتهاء مرحلة الحرب الباردة، تغيرات بنيوية في هيكلية النظام الدولي وآلياته، التي انعكست على الادب النظري والواقعي للجغرافيا السياسية، لاسيما بعد تلاشي صورة الصراع الجيوبولتيكي السابق (الشرق-الغرب) بالمعنى الايديولوجي للصراع بين الكتلة الاشتراكية بزعامة (الاتحاد السوفييتي) السابق والكتلة الرأسمالية بزعامة (الولايات المتحدة الأمريكية). وامام الرؤيا النظرية التي يجري في سياقها تحليل علاقات القوى على الخارطة السياسية للعالم، كانت ثمة طروحات تحاول ملء هذا الفراغ، إذ سبق فرنسيس فوكوياما " Francis Fukuyama" الاخرين، إلى طرح نموذج (نهاية التاريخ والرجل الاخير)، الذي يقدم تصوراً بان الصراع الايديولوجي بتفكك الاتحاد السوفييتي ونهاية الحرب الباردة، آل إلى تحقيق حتمية الرأسمالية وانتصارها، وان أي نموذج اخر غير قادر على الاستمرار والتواصل سوى النموذج الرأسمالي المعتمد على اقتصاديات السوق، وان جميع النظم الاخرى قد تلاشت.

الكلمات المفتاحية: الاتحاد السوفييتي - الحرب الباردة - النظام الدولي - الكتلة الاشتراكية - الكتلة الرأسمالية - نهاية التاريخ

Abstract.

The collapse of the Soviet Union, and the end of the Cold War phase, resulted in structural changes in the structure of the international system and its mechanisms, which were reflected in the theoretical and realistic literature of geopolitics, especially after the disappearance of the image of the previous geopolitical conflict (East-West) in the ideological sense of the struggle between the socialist bloc led by (the Soviet Union).) the former and the capitalist bloc led by (USA). In front of the theoretical vision in the context of which the analysis of power relations on the political map of the world takes place, there were propositions trying to fill this void, as Francis Fukuyama preceded the others, to put forward the model (the end of history and the last man), which presents a perception that the ideological conflict is disintegrating

The Soviet Union and the end of the Cold War led to the inevitability of capitalism and its victory, and that any other model is unable to continue and communicate except the capitalist model based on market economies, and that all other systems have vanished.

Keywords: the Soviet Union - the Cold War - the international system - the socialist bloc - the capitalist bloc - the end of history

مقدمة:

ان الابتعاد الفرضي والواقعي لفوكوياما، لاسيما ان التاريخ والنماذج التاريخية للامبراطوريات مع اختلاف نظرتها هي في صعود وهبوط بحسب عوامل بنائية متفق عليها. فان فرضية جديدة استطاعت ان تأخذ مسوغات عدة للصراع بين ما هو (خيالي) وبين ما هو(واقعي)، وان تزيح (نهاية التاريخ) لفوكوياما وتصبح هي الفرضية السياسية الاكثر شيوعاً في الساحة الدولية، والمتمثلة (بصدام الحضارات) لهانتنغتون، الذي نشر آراءه في مقالة تم نشرها عام 1993 في مجلة الشؤون الخارجية (foreign.affairs) بعنوان صدام الحضارات (Clash of Civilization) ثم توسع في عرض آرائه تلك تفصيلياً بعنوان (صدام الحضارات واعادة صنع النظام العالمي) "Clash of Civilization and Remaking of World Order" إذ يشير هانتنغتون إلى ان الجغرافيا المستقبلية للصراع البشري ستكون بين سبع أو ثمان حضارات رئيسة جاعلاً من التباينات الثقافية العامل الحاسم والاكثر تأثيراً في تأجيج الصراعات الدولية، وان العوامل الجغرافية الاخرى (السكانية والقوة العسكرية... الخ...) ادوات وآليات مكملة للعامل الثقافي في نشوب صدام الحضارات.

وقد توافقت البيئة الدولية إلى حد كبير مع فرضية (هانتنغتون)، إذ كان لتفكك الاتحاد السوفييتي واستقلال جمهورياته على أسس اثنية وتغير الانظمة في الدول الاشتراكية إلى انظمة رأسمالية وتفكك الاتحاد اليوغسلافي كذلك، فضلاً عن حركات الاستقلال والانفصال المستمر في اسيا وافريقيا واوربا (جيكوسلوفاكيا) واجزاء اخرى من الخارطة السياسية للعالم، مما اعطى اهتماماً متزايداً بأثر الثقافة وعناصرها في السياسة العالمية، وصاحب ذلك الاهتمام ما طرحته العلوم الاجتماعية لاسيما الانثروبولوجيا السياسية والحضارية من كون المجتمع المعاصر تأخذ فيه الثقافة نصيباً كبيراً في تكوين العلاقات الاجتماعية والهويات ما بين الجماعات البشرية.

وعلى الرغم من التغيرات البنيوية، التي تشهدها المفاهيم الجيوبوليتيكية (السياسية والاقتصادية والامنية) على الساحة الدولية، والثنائيات المصاحبة لنظام عالمي قديم منهار ولادة نظام جديد ما زال متناقضاً، يعيش في حالة الفوضى الظاهرية واللامبالاة الواسعة الانتشار، يصحبها الانتقال المثير من حضارة الموجة الثانية ومعايير المجتمع الصناعي، إلى حضارة الموجة الثالثة، التي تستند إلى التكنولوجيا والمعلوماتية، حيث ستؤسس طلباً جديداً من المعايير والمفاهيم، فان اعادة انتاج الهويات الجيوتاريخية-الثقافية، سيضع تباينات ثقافية على الخارطة السياسية للعالم المعاصر.

جاءت هذه الدراسة لتناقش نظرية (صدام الحضارات) لهننغتون لاسيما مايتعلق منها بالشرق الاوسط الذي يمثل جزئه الاكبر العالم الاسلامي، حيث ارتبطت بتزايد عودة الجغرافيا السياسية إلى حقل الثقافات، التي كانت

منغمسة سابقاً في إطار الفضاء وصراعها الايديولوجي (الشرق-الغرب)، والسياسات الاقليمية، فضلاً عن احتواء العناصر الثقافية (الدينية-القومية)، في اطارها الاول الذي أصبح بعضها مجزءاً، أو فقدت سيادتها وأصبح الكل امام فضاءات مفتوحة في عصر العولمة وآلياتها.

على نحوٍ يبرز مشكلة الدراسة في التساؤل عن دوافع الصراعات المعاصرة، نتيجة للتباينات الثقافية كما يدعي (هاننغتون)، ام بسبب سياسات الالغاء والاقصاء، فضلاً عن سياسات الدول الكبرى، التي تدفع إلى اثارة جغرافيات الجذور (الهوية-التاريخ) بشكل يتوافق ومصالحها. ان الرؤيا الافتراضية للدراسة، المرتكزة على دليل نظري، ترى ان الالغاء الثقافي، هو الذي يدفع للمطالبة بحقوق الهوية أياً كان انتماؤها.

وأمام التداخل النسقي لموضوع الدراسة ومشكلتها، إذ تمتد إلى فضاءات متعددة ما بين الثقافات والمدنيات والتاريخ والعلاقات الدولية، لكن ضمن النطاق الجغرافي (المكان) فان اطارها المكاني يأخذ صفة الشمولية (الكونية) احياناً، مع خصوصية لجدلية العلاقة بين الحضارة الغربية والاسلامية على نحو خاص كما حددها (هاننغتون)، جاعلاً من الرؤيا الصراعية (الهانتغنتونية) المعاصرة اطارها الزمني.

المبحث الاول

أهمية العالم الإسلامي في صدام الحضارات.

تعتمد المقاربة الرئيسة لمنظومة صدام الحضارات عند هانتغتون، على البعد التاريخي –الديني، لتتوافق ومتطلبات المنظومة الصراعية، في البحث عن المكان (المعطى)[133]* الذي تتجسد فيه العناصر الدينية والتاريخية المتباينة مع الغرب.

التي تمثلت في الخصائص الجغرافية لاقليم الحضارة الاسلامية، من خلال بعدين رئيسيين:-

اولاً: البعد الجيوثقافي .

ثانياً : البعد الجيوسياسي. (الذي يتضمن مقومات الموقع والموضع)

اولاً: البعد الجيوثقافي للإقليم الحضاري الإسلامي: -

شكل الاقليم الجغرافي الإسلامي منذ ظهوره تاثيراً رئيساً في تاريخ الحضارة الانسانية على نحو عام، وعلى تاريخ الأديان على نحو خاص، وتتجلى تلك الفاعلية في الخصائص التي يتصف بها بالشمولية المركبة للجوانب الروحية والمادية وحالة التوازن بينهما، لذلك كان ولايزال ينظر اليه من الانظمة الدينية والثقافية والحضارية المغايرة على انه الدين الاكثر فاعلية في الانتشار والامتداد([134]). وتؤكد ذلك المعطيات التاريخية لقيام الحضارة الإسلامية، فخلال القرن السابع والثامن الميلاديين استطاعت الجيوش الإسلامية ان تصل الى قلب اوربا المسيحية، ولم تكن تلك الفتوحات العسكرية خالصة، انما تبعها على مر السنين اعتناق الدين الإسلامي طوعا على نطاق واسع(. ([135]

---

[133] المكان المعطى: يقصد به المكان الذي يحمل الخصائص العقائدية-التاريخية والتي لا تتغير اهميتها بتغير الزمان.*

[134]() طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث المركز الثقافي العربي، بيروت 1996 ، ص264.

[135]() كلود كاهن، الشرق والغرب ،ترجمة احمد الشيخ ،دار سينا للنشر ،القاهرة ،1995 ،ص79.

لينعكس ذلك على السيادة الغربية(المسيحية)، وعلى نحو خاص على أمرائها الذين دفعتهم مصالحهم وتوجهاتهم التوسعية، وحالة التعبير عن السلطة الإقطاعية في اوربا للسيطرة على موارد الثروة، الى احاطة تلك التوسعات بالمفاهيم المقدسة المتمثلة بالحروب الصليبية. التي استمرت منذ القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الميلادي ([136]). مما خلقت حالة من التداخل، بين الإسلام والغرب المسيحي،فكانت صورة لحالة صراع متناوب، على نحو خلقت مفهوم(الاخرية) بين إقليمين بفعل المكان الذي جعل شواطئ المتوسط الشمالية الجنوبية منها منطقة اتصال واحتكاك دائم سلمياً وصراعياً.([137])

ونتيجة للتمزق الداخلي في اوربا تحت نظام الاقطاع وتكويناتها المجتمعية والسياسية المتباينة، التي جعلت أوربا في مرحلة تخلف، الى جانب الرغبة في انتزاع تجارة الشرق من المسلمين والوصول الى جزر التوابل بالدوران حول اليابس الافريقي، والبحث عن مجالات جغرافية جديدة، تكون عاملاً على انهاء التناقضات الجيوسياسية فيها، وتوفر لها ثروات جديدة([138])، ولدت رغبة لدى الغرب في تحجيم وتحطيم التكتل الجيوبوليتكي الإسلامي، وتحويله الى مكان مستغل، ان لم يكن محتلاً. فالاستعمار البرتغالي منذ بدايته حمل نزعة كاثوليكية ومسحة صليبية لاشك فيها،وهذا يؤكد مباركة البابوية اكثر من مرة امتلاك الاسبان والبرتغال لكل ما يكتشفونه (خارج العالم المسيحي).([139])

على نحو تنامت فيه رغبة العداء للإسلام، وايجاد المسوغات لاحتلال أرضه، اذ اخذ اهتمام أوربا بالعالم الإسلامي، ينتقل مع القرن السابع عشر من الاهتمام الفردي والمؤسساتي المحدود، الى اهتمامات ذات غايات ابعد لم تقتصر على الابداع الأدبي فحسب ،بل على صعيد المشاريع المعرفية المتخصصة المستجيبة لظهور الدولة المركزية القوية في اوربا ولحاجات نموها الاقتصادي.([140])

ان الإجراءات الاقتصادية والسياسية الإسلامية، مثل فرض نظام ذي تقنية إسلامية في بنيته الحكمية، وتأسيس إدارة اقتصادية تتبع تعاليم إسلامية في تطبيقاتها، مثل الامور المتعلقة بالموالي والذميين وحمياتهم مقابل أنماط معينة من الضريبة جعلت الإسلام يرتكز في غالبية الأقاليم التي وصلت إليها ،مثل شمال افريقيا وشرق اسيا([141]). لان الدافع الرئيس وراء عمليات الفتح هو نشر الإسلام والاحتفاظ بهذه المناطق (المفتوحة) بوصفها أقاليم اسلامية، على أساس انها اقاليم جديدة تم كسبها الى الدين الإسلامي، الى جانب العلاقات التجارية المتينة والمتواصلة، التي امتدت لسنوات عديدة حيث اصبح التجار المسلمون مصدراً لنشر الدين الإسلامي، من خلال نقلهم

---

[136]() *جورج قرم، اوربا والمشرق العربي،تاريخ حداثة غير منجز ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت،ط1،1990،ص33.*

[137]() *سمير امين وفيصل ياشير،البحر المتوسط في العالم المعاصر دراسة في التطور المقارن ،ترجمة ظريف عبد الله ،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، 1988،ص26.*

[138]() *جمال حمدان،استراتيجية الاستعمار والتحرير،دار الشروق ،بيروت ،1983،ص31.*

[139]() *جمال حمدان،المصدر نفسة،ص47.*

[140]() *رسول محمد رسول،الغرب والإسلام ،ط1،دار اسامة للنشر والتوزيع ،عمان ،1999،ص8.*

[141]() *البرت حوراني، الإسلام في الفكر الاوربي ،ط1،الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت،1994، ص61.*

لتقاليدهم الثقافية والحضارية المتمثلة بالمعايير والأسس الإسلامية في التعامل الديني والدنيوي ومنها التجارة([142]). على نحو دخلت افواج كبيرة من شعوب واوطان كثيرة، اصبحت ادارة لنشر الإسلام مثل الأتراك والكرد والتتار، حيث شملت توسعاتهم كلاً من آسيا الصغرى وافريقيا السوداء([143]). مما ادخل العالم الإسلامي في نطاق الستراتيجية الطويلة الامد او الستراتيجية المركزية في العلاقة بين الشرق والغرب التي ارتكزت على فكر استشراقي تأطر بجغرافية خيالية، ذات ثنائية خطيرة، تقسم العالم الى شطرين غير متساويين ،اكبرهما الشطر المختلف يدعى (الشرق) والاخر (الغرب)([144]). وهو يرسم نمطية لعلاقة مشوهة في ذهنية الغرب، تصور المسلمين غوغاء عطش للدماء ، إلى جانب ان الحيز المتاح للتعاطف مع الإسلام ضيق جدا سواء فيما تتيحه الحضارة الغربية بشكل عام ام في نطاق البحث.([145])

لذا فان الخبراء الأكاديميين المتخصصين تناولوا الإسلام، ضمن إطار أيدلوجي اصطنعوه ، أو هو إطار محدد ثقافيا مملوء بالانفعالات والتميز([146]). وتعود حالة الخوف من الحضارة الإسلامية رغم تأخرها وتخلفها عن دخول أوربا مرحلة النهضة، الى كون عالم الإسلام اقرب الى أوربا من كل ماعداه من الأديان غير المسيحية ، والذي يؤكد قرب الجوار، قوة الإسلام الكامنة ،ذات الخصوصية الثقافية الدينية المرتبط بالبعد الزمني، الذي اثر في سلسلة من التغيرات العميقة في المجتمعات الإسلامية عبر خمسة عشر قرناً ،المتمثلة في بناء وعي فردي جماعي بالانتماء الى الهوية الإسلامية مما كون قوة نظرية وتطبيقية كبيرة، يمكن ان تؤثر بشكل فعال، وهي تتجسد في القوى المعنوية لدى الشعوب الإسلامية للحفاظ على هويتها والدفاع عنها في حالات المواجهة،مما صنع تكتلا جيوبوليتكيا تاريخياً صلباً، لايمكن مساومة اغلبيه شعوبية ، لاسيما عندما يرتبط الأمر بالهوية الدينية فضلا عن تفرده بكونه لم يخضع أبدا للغرب خضوعا كلياً.([147])

ان ضرورات المرحلة الجيوبوليتكية المعاصرة ،تتطلب من الغرب ،استدعاء مكان تاريخي يحتوي على معطيات مكانية ثقافية متباينة معه تعزز تماسكه ،الى جانب صنع صورة للآخر المختلف ،المتخلف، مما يبرر ، على غرار (هيرودوتس) واوربا الاستشراقية، لامريكا تحديد هوية الآخر، من خلال العالم الإسلامي ،اذ تتجسد السياسة الدينية- التاريخية للولايات المتحدة ومُنَظِّري صدام الحضارات في البحث عن المكان المعطى في أحقية واحتكار المشروعية الدينية للغرب المسيحي وتحقق اهدافها الجيوبوليتكية (فلسفة الامبراطورية) تحت اسم الحروب المقدسة.

([142]) *بيار جورج ،الإسلام قروسطي،ترجمة عاطف علبي ،ط1،مركز الدراسات والبحوث،بيروت،1998،ص24.*

([143]) *موريس لومبارد ،الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي،ترجمة عبد الرحمن حميدة،ط1،دار الفكر،1979،ص17.*

([144]) *ادورد سعيد،الاستشراق ،مصدر سابق ،ص73.*

([145]) *ادورد سعيد،تغطية الإسلام،ترجمة سميرة خوري،ط1،موسسة الابحاث العربية،لبنان ،1983،ص55.*

([146]) *عمر كوش،اقلمة المفاهيم،المركز الثقافي العربي،بيروت،2001،ص89.*

([147]) *اسماعيل سرور شلش،جغرافية الإسلام التاريخية في عصر النبوة،دراسة جيوبوليتكية قضايا عربية،العدد (2) ، بيروت،1983،ص57.*

ثانياً: البعد الجيوستراتيجي:-

تشمل الجيوستراتيجية نطاقا مفاهيميا اوسع من دلالات الجيوبوليتك ،اذ تشكل الاخيرة نطاقا محدوداً تستثمر فيه العناصر الجغرافية الثابتة(الطبيعية) والمتحركة (البشرية) وتفاعلاتها في رسم سياسيات آنية ومستقبلية ضمن الإطار الاقليمي والدولي لاي كيان سياسي ،في حين تضم الجيوستراتيجية مجموعة من النطاقات والتكتلات الجيوبوليتكية ،لتصبح نقطة محورية رئيسة في الستراتيجات العالمية واهدافها ،لاسيما عندما توضع تصورات القوى الكبرى في اطار التوسع والامتداد(. ([148]

يمثل العالم الإسلامي بعداً جيوستراتيجيا مهما في النظريات الجيوبوليتكية التي تنافست في سياقاتها القوى العظمى عبر التاريخ السياسي للعالم، الى المستوى الذي انعكس على تحديده جغرافياً، اذ شهد المدار الإسلامي توسعا وانكماشاً، بحسب ما انتاب هذا المدار من قوة وضعف. وعلى الرغم من ذلك فان تأثيره ظل مرتبطا بالشعوب التي اعتنقت عقيدته ليمثل ذلك الامتداد الحضاري الإسلامي، في حين شكلت كلٌّ من امتدادات الجغرافيا والحضارة بعداً جيوبوليتكياً فاعلاً كلما تهيأ لهذا الكيان صانع قرار سياسي رشيد. ان اختيار أي مدار من المدارات اعلاه لتحديد مفهوم العالم الإسلامي يبقي التساؤل عن المدار الآخر، لاسيما ان انتشار الإسلام اخذ محاور متعددة سواء في العالم القديم او العالم الجديد بعد اعماره([149]). لذا فان المعيار التنظيمي الذي يمثل بالانتماء إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، هو المعيار الأكثر ملاءمة لهذه الدراسة، لاسيما بعد انضمام الجمهوريات الإسلامية التي كانت قابعة تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي السابق،او المسلمين في البلقان ،فضلا عن غالبية البلدان الاسيوية والافريقية التي يمثل الإسلام دين الدولة فيها،على نحو اصبحت المنظمة تضم(58) دولة بعدما كانت(20) دولة في الموتمر التأسيسي. جدول رقم(4).

جدول رقم (4)

دول منظمة المؤتمر الإسلامي

م	الدولة	سنة الانضمام للمنظمة
.1	دولة افغانستان الإسلامية	1969
.2	جمهورية إندونيسيا	1969
.3	جمهورية اوزباكستان	1992
.4	الجمهورية الإسلامية الايرانية	1969
.5	المملكة الاردنية الهاشمية	1969
.6	المملكة العربية السعودية	1969
.7	دولة الكويت	1969

([148] *يبار سلبيزية،الجيوبوليتكيا والجيوستراتيجية ،ترجمة عاطف علبي،ط1،موسسة الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ،بيروت ،1993،ص12.*

([149] *منذر عبد المجيد البدري، المحور الإسلامي في خريطة العالم الثالث، مجلة مركز البحوث والمعلومات، السنة الرابعة ،العدد 8،بغداد ،1985،ص11.*

.8	الجمهورية اليمنية	1969
.9	جمهورية باكستان الإسلامية	1969
.10	الجمهورية التركية	1969
.11	دولة فلسطين	1969
.12	الجمهورية اللبنانية	1969
.13	ماليزيا	1969
.14	الجمهورية الجزائرية الديمقراطية	1969
.15	جمهورية السنغال	1969
.16	جمهورية السودان	1969
.17	جمهورية الصومال	1969
.18	جمهورية الكاميرون	1969
.19	المملكة المغربية	1969
.20	جمهورية النيجر	1969
.21	الجمهورية اللبنانية	1969
.22	جمهورية تشاد	1969
.23	الجمهورية التونسية	1969
.24	جمهورية غينيا	1969
.25	الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية	1969
.26	جمهورية مالي	1969
.27	جمهورية مصر العربية	1969
.28	دولة الامارت العربية المتحدة	1972
.29	دولة البحرين	1972
.30	الجمهورية العربية السعورية	1972
.31	دولة قطر	1972
.32	سلطنه عمان	1972
.33	جمهورية سيراليون	1972
.34	جمهورية نيجيريا الاتحادية	1972
.35	جمهورية البانيا	1972
.36	جمهورية الجابون	1974
.37	جمهورية غامبيا	1974
.38	جمهورية بنغلادش الشعبية	1974
.39	جمهورية اوغندا	1974
.40	جمهورية غينيا بيساو	1974
.41	جمهورية موزمبيق	1974

.42	جمهورية العراق	1975
.43	جمهورية المالديف	1975
.44	جمهورية يوركبنا فاسو	1975
.45	جمهورية القمر الاتحادية الإسلامية	1976
.46	جمهورية جيبوتي	1978
.47	جمهورية بلين الشعبية	1983
.48	سلطنه بروناي(دار السلام)	1984
.49	ساحل العاج	1990
.50	الجمهورية الإسلامية الموريتانية	1991
.51	البوسنة والهرسك	1992
.52	تركمانستان	1992
.53	جمهورية اذربيجان	1992
.54	جمهورية طاجكستان	1992
.55	جمهورية قيرغيزيا	1992
.56	جمهورية كازاخستان	1992
.57	جمهورية سورينام	1996
.58	جمهورية توغو	1997
.59	جمهورية غويانيا التعاونية	1998

م/العالم الإسلامي والتنمية المستدامة (الخصوصيات والتحديات والالتزامات)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيكو) /مطبعة إليت، المملكة المغربية ،2002،ص141.

يمكن تمييز أهم العناصر الجيوستراتيجية الفاعلة في العالم الإسلامي بعاملين هما الموقع الجغرافي والإمكانات الاقتصادية :-

1- أهمية الموقع الجغرافي.

يتسم الموقع الجغرافي بالثبات، الا ان قيمته الستراتيجية (السوقية) السياسية في تغير مع الزمن، وذلك لتحول اهداف وستراتيجيات الدول الكبرى فضلا عن اكتشاف طرق جديدة تودي الى اضمحلال الاولى، الى جانب ما أضافته التطورات التقنية والتكنلوجية من تحولات في وظيفة الموقع الجغرافي([150]).وعلى الرغم من تغير الستراتيجات الدولية

([150]) *عبد المعطي احمد عمران،الاهمية السياسية للموقع الجغرافي ،مجلة الدبلوماسي، الرياض، العدد(5)،1988،ص100.*

،تبقى بعض المواقع مستمرة في الاهمية عبر المراحل التاريخية المختلفة،وذلك بفعل مركزيتها وما يقترن به المكان من معطيات اقتصادية وفيرة وهو مايدعى بالموضع(. ([151]

تنعكس هذه الخصائص على اهمية الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي الذي ياتي من خلال ما يمتلكه موقعه من مزايا جيوبوليتيكية كانت من عطاء المكان فامتداده الواسع من خط طول (18) غربا عند سواحل المحيط الاطلسي و(142) عند اطراف اندونسيا شرقاً،وبين دائرتي عرض(55)o شمالاً عند الحدود الشمالية لجمهورية كازاخستان الاسيوية و(17)o جنوبا عند الاطراف الجنوبية لجمهورية جزر القمر وموزمبيق جنوب افريقيا ، جعلته يستحوذ على (72) دائرة عرضية من الشمال الى الجنوب و(160)o من خطوط الطول من الغرب الى الشرق .ينظر خارطة رقم(11). ويستحوذ على نسبة (23%) من اجمالي مساحة العالم (.([152]

مما صاغت له شخصية منفردة بين النظريات الجيوبوليتكية يمكن ايجاز أهم ملامحها على النحو الاتي:-

أ. يمكن إدراك أهمية العالم الإسلامي من خلال موقعه في النظريات الستراتيجية العالمية، اذ يقع معظمه ضمن المنطقة الثانية من نظرية(القلب الارضي) لـ(هالفورد ماكندر) التي سماها بـ(الهلال الداخلي) والتي سماها مع منطقة قلب اليابس باسم (الجزيرة العالمية) اذ راى بانه بالسيطرة على قلب اليابس يتم فرض السيطرة على مناطق الهلال الخارجي ومن ثم السيطرة على جزيرة العالم، وتحكمه بالعالم واقامة (الامبراطورية العالمية)(.([153]

اما سبيكمان الذي عدل من رؤية (ماكندر)، فرأى ان المنطقة الثانية بحسب توزيع ماكندر وهي منطقة (الهلال الداخلي) التي تضم العالم الإسلامي تتحكم في معظم المضائق البحرية العالمية وهي مفتاح القوة والسيطرة العالمية واطلق عليها سبيكمان اسم (الاطار او الحافة) .

واكد ان هذا الاطار هو الذي يتحكم في جميع منافذ الحركة الارضية والبحرية العالمية على عكس مما اشار اليه (ماكندر)([154]) ليؤسس الفرضية الجيوبوليتكية: (من يحكم الاطار يتحكم في الجزيرة العالمية ومن يتحكم في الجزيرة يتحكم في مصير العالم)([155]) ، ينظر خارطة رقم(13) .

ب. تتضح اهمية العالم الإسلامي في مدركات السياسة الامريكية من خلال اتساع رقعته الجغرافية ،التي لم تقتصر على الشرق الاوسط بل اصبحت الاخيرة جزءاً من منطقة أوسع ترتبط بامتداد جيوستراتيجي متصل من

---

[151]() *عبد الرزاق عباس حسين ،الجغرافيا السياسية مع التركيز على المفاهيم الجيوبوليتكية ،مطبعة اسعد،بغداد،1976،ص81.*

[152]() *فهد عبد الرحمن الثاني، جيوبوليتكية العالم الإسلامي، الراي العدد(1157) ،1997، ص4.*

[153]() *محمد رياض ،الاصول العامة في الجغرافيا السياسية ،ط2،دار النهضة، بيروت،1979، ص85.*

[154]() *احمد خالد حسن، المنظور الجيوستراتيجي للمضائق العالمية ،مجلة الدبلوماسي،ا لرياض، 1988 ، ص21.*

[155]() *صبري فارس الهيتي،الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبوليتكية ،ط1،دار وائل ،عمان ،2000،ص42.*

الناحية الجغرافية،ومن ثم يرتبط بوحدة دينية ثقافية تؤسس لارضيته التاريخية- الحضارية([156]). وتمثل تأثيراتها المتجلية في الأحداث السياسية حتى اللحظة الراهنة.

ج.يمثل البحر المتوسط الذي يقع حوضه الجنوبي في الشمال الغربي ضمن العالم الإسلامي اعظم ممر بحري في العالم، اذ لا يقل عدد السفن فيه في أي وقت من الاوقات عن (2600) سفينة (.([157]

فضلا عن الاتصال باربعة بحار اخرى هي (الاحمر والعربي والاسود وقزوين)، الى جانب الخليج العربي ومجموعة البحار الداخلية والاحواض والقنوات المائية المهمة مثل قناة السويس، الامر الذي جعل منه الجسر الأرضي الذي يربط بين العالم القديم(اسيا واوربا وافريقيا)، كما سهل عمليات النقل البحري طوال العام ،بسبب الظروف المناخية الدافئة السائدة علية لوقوعه ضمن المنطقة المعتدلة والمدارية .

كما انها بمثابة جسر يربط الشرق والغرب،اذ يقع على شبكة النقل التي تربط يبن الطرفين الاكثر ثراءً وتطوراً علمياً وتكنولوجياً في شرق اوراسيا وغربها.

ومن هنا يمكن تصور مركز الثقل الجيوبوليتكي للعالم الإسلامي من كونه المكان الذي تتوازن فيه القوى الستراتيجية، والتي تدفع التكتلات الكبرى للسيطرة عليه والانفراد به.

د.اما خلال مرحلة ما بعد الحرب الباردة،فان هذا الموقع على وفق الرؤية الماكندرية الجديدة([158]) ، للتقسيمات الجيوبوليتكية المعاصرة يعطي امكانية التدخل السريع لمواجهة أي موقف يتعارض مع المصالح الستراتيجية للولايات المتحدة الامريكية، لاسيما ان واقع المتطلبات الاقتصادية تتفاعل مع توزيعاتها الارضية في هذا النطاق الجغرافي،الذي يبدو ظاهرياً انعكاساً لنظرية الاطراف(Rimland) لسبيايكمان ،والتي تستند اليها الولايات المتحدة في احاطتها للمناطق الجغرافية الساحلية(جنوب آسيا والخليج العربي وغرب آسيا) والمتفاعلة مع اقليم وسط اسيا (الكتلة اليابسة) التي تشكل منطقة اقتصادية حيوية ،فضلا عن مميزاتها اللوجستية. وبذلك تتفاعل كلتا النظريتين في الرؤية الجيوبوليتكية المعاصرة لـ(بريجنسكي) في (رقعة الشطرنج الكبرى)(.([159]

هـ. يقع العالم الاسلامي ضمن الصياغة الماكندرية الجديدة، على خط مستقيم يفصل بين نطاقين جغرافيين يكون امتداده من المغرب حتى اندونيسيا .

وتتجلى بواعث (الماكندرية الجديدة) في انها تصب في مصالح قوة عظمى واحدة وهي الولايات المتحدة الامريكية بعدما كانت (الماكندرية القديمة) تتوخى علاقات القوى الاوربية من منظور توازن القوى(.([160]

---

[156]() *السيد محمد عمر، الاهمية الجيوستراتيجية للعالم الإسلامي ،مقاربة مفاهيمية، مجلة النهضة ،العدد(8) ، تموز، القاهرة ،2001،ص93.*

[157]() *صبري فارس الهيتي،المصدر نفسه، ص203.*

[158]() *كاظم هاشم نعمة ،الماكندرية الجديدة والوطن العربي ،مجلة الدراسات السياسية،طرابلس ،1999،ص11.*

[159]() *هاني الياس الحديثي، جيوستراتيجية اوراسيا بين الحقائق الموضوعية وستراتيجية الهيمنة ، نشر افاق ستراتيجية ،بغداد، بيت الحكمة ،العدد(1)،،1998 ،ص5.*

[160]() *كاظم هاشم نعمة، الماكندرية الجديدة والوطن العربي، المصدر نفسه، ص13.*

و.ان السيطرة على العالم الإسلامي تسهل للولايات المتحدة تطويق أي تكتل جيوستراتيجي يُشكل في اسيا ولاسيما مع وجود مناطق تماس واحتكاك جغرافي للعالم الإسلامي مع الكيانات السياسة المؤهلة للصعود في آسيا لتشكيل ذلك التكتل الجيوستراتيجي مثل الصين والأسيان .

ز. يقوي السيطرة على جمهوريات اسيا الوسطى الإسلامية والسيطرة أيضاً على الحدود الروسية شمالاً الى ما يربو على الالف ميل في بعض الاماكن ،فضلا عن الامكانات الهيدروكاربونية التي تحتوي عليها تلك الدول ،الى جانب تحجيم ان لم يكن الغاء الدور الصيني الرامي للدخول في المنطقة بغرض تأمين احتياجات الصناعة الصينية لمصادر الطاقة والذي سيعمل على تأخير الظهور الصيني بوصفها قوة جيوبوليتكية على الخارطة السياسية للعالم.

2- الأهمية الاقتصادية (امكانات الموضع) : -

شكَّل العالم الإسلامي مركزاً جغرافياً رئيساً للموارد ،ثم الآلية الإنتاجية للسوق العالمية وتنافس القوى الكبرى خلال المراحل التاريخية المتعاقبة ،ويعود ذلك الى ما يتمتع به هذا الإقليم من إمكانات يمكن إبرازها على النحو الآتي:-

أ. يتركز معظم احتياطي الهيدروكاربون في العالم الإسلامي، اذ يشكل نسبة (75%) من الاحتياطي العالمي من النفط جدول رقم(5) و(35%) من الغاز الطبيعي، وتتوزع اهم مناطق الانتاج في الخليج العربي ودول جنوب شرق اسيا (ماليزيا وإندونيسيا وبروناي) ووسطها الإسلامي وجمهوريات اسيا الوسطى واذربيجان) فضلاً عن ليبيا والجزائر ونايجيريا والكامرون في افريقيا.

جدول رقم (5)

الاحتياطي النفطي في اهم دول منظمة المؤتمر الإسلامي

الدولة	الاحتياطي (بليون برميل)
دولة الامارات العربية	98 105 000
البحرين	0 126 000
ايران	92 850 000
العراق	100 000 000
الكويت	96 920 000
سلطنه عمان	4 071 000
قطر	3 150 000
اللملكة العربية السعودية	169 970 000
سوريا	1 730 000
اليمن	1 000 000
تركيا	0 381 000
بروني	1 400 000
اندونيسيا	8 250 000
ماليزيا	2 922 000

باكستان	438 170
الجزائر	000 400 8
مصر	000 300 24
الجابون	000 720
ليبيا	000 000 22
المغرب	600 2
تونس	000 790 1
جمهوريات اسيا الوسطى واذربيجان	000 000 57
نيجيريا	000 048 22
السودان	000 029 0

ب.اما من حيث المعادن اللافلزية، فتحتل الفوسفات المرتبة الأولى، اذ تشكل (5%) من الإنتاج العالمي ،وتعد المغرب اهم دول العالم الإسلامي من حيث الاحتياطي ،اذ يوجد فيها (60) مليار طن. فضلا عن ذلك فانه توجد كميات من المعادن النفيسة. مثل الذهب الذي يبلغ إنتاجه في العالم الإسلامي (143،5) الف كغم والماس (530) قيراطا والفضة (271) طن .

ج- يمثل المطاط والجوت اهم المحاصيل النقدية التي تتوافر في العالم الإسلامي بكميات كبيرة اذ يشكل نسبة(92%) و(75%) من الانتاج العالمي لكلا المحصولين بالترتيب(. ([161]

علاوة على ما تقدم ،فان العالم الإسلامي يمتلك إمكانات كبيرة في الانتاج الزراعي نتيجة لامتداده المكاني الواسع الذي انعكس على التنوع المناخي فيه. اذ يضم ستة أنواع رئيسة من المناخات ينظر خارطة رقم (14)، مما ميز العالم الإسلامي عن البنيات والأقاليم الطبيعية الاخرى من العالم،اذ ساعد ذلك على خلق تكامل زراعي.

د. يعد العالم الإسلامي اكبر سوق استهلاكية وذلك لحجمه السكاني،الذي يبلغ مليار وربع المليار نسمة بحسب بيانات عام(2000) ،وهذا العدد في زيادة مستمرة نتيجة لارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية ،جدول رقم(6).

تتطلب تلك الزيادات توفير كميات كبيرة من المواد الغذائية التي توضح مؤشرات الأمن الغذائي الإسلامي ان هناك العديد من الدول الإسلامية لاتستطيع توفير الحدود الدنيا منها([162]) ، مما يؤشر حالة نقص في الموارد الزراعية (الغذائية) على الرغم من كميات الانتاج الكبيرة لبعض المحاصيل الاساسية .

جدول رقم (6)

اعداد السكان لمجموعة من دول منظمة الموتمر الإسلامي ومعدلات نموهم السنوي(1975-2015)

---

[161]() محمود ابو العلا ، مصدر سابق ،ص81.

[162]() طه عبد العليم رضوان،في جغرافية العالم السلامي ،ط6،ج2،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،1998،ص307.

ت	اسم الدولة	عدد السكان			المعدل السنوي لنمو السكان
		1975	2000	2015	
1	الاردن	2،6	6،3	9،9	2،3-7،9
2	سوريا	7،4	15،3	22،6	2،3-3،2
3	لبنان	2،8	3،2	3،9	1،0-3،6
4	العراق	11،0	21،8	34،1	2،3-7،0
5	الكويت	1،0	1،8	2،6	2،2-2،6
6	البحرين	0،3	0،6	0،8	1،3-5،5
7	قطر	0،2	0،6	7،0	1،5-4،4
8	الامارت	0،5	2،4	3،0	1،6-5،9
9	عمان	0،9	2،4	4،1	3،4-2،4
10	سعودية	7،3	20،2	32،6	2،4-9،6
11	السودان	16،0	28،3	39،8	2،2-0،5
12	اليمن	7،0	16،9	29،6	2،4
13	مصر	38،8	66،0	85،0	1،2-5،3
14	جيبوتي	0،2	0،6	0،9	2،4-0،9
15	ارتيريا	2،1	3،6	5،5	2،2-6،4
16	النيجير	4،8	10،1	16،7	3،3-0،3
17	سيراليون	2،9	4،6	6،7	2،1-3،9
18	غامبيا	0،5	1،2	1،8	2،3-3،6
19	غينيا-بيساو	0،6	1،2	1،6	2،2-0،7
20	نيجيريا	57،0	106،4	153،3	2،2-2،8
21	الكاميرون	7،5	14،3	21،5	2،2-4،8
22	مالي	6،2	10،7	16،7	2،2-6،4
23	بوركينا فاسو	6،1	11،3	18،1	2،2-8،7
24	اوغنده	11،2	20،6	34،5	3،2-1،7
25	تشاد	4،0	7،3	11،2	2،2-6،6

م/الامم المتحدة / تقرير التنمية البشرية لعام 2000 ، عمان،2000 ، ص141-147.

حيث تصل نسبة كميات الإنتاج في العالم الإسلامي من القمح والشعير من اجمالي الانتاج العالمي(13% و14%) بالترتيب ،محتلاً المرتبة الثانية من الإنتاج العالمي، الا انه يبقى مستورداً لغذائه(. ([163]

[163]() السيد محمد عمر،مصدر سابق،ص101.

ان حاله العجز الغذائي في إقليم متضخم سكانيا تتيح تصريف الإنتاج الزراعي الفائض من الدول الغربية ولاسيما ان استخدام الهندسة الوراثية والجينية في العملية الزراعية ادت الى مضاعفة الانتاج مرات عدة ،مما يخلق حالة الاستمرارية لذلك الانتاج و يدعم الاقتصاد الغربي الذي يعاني من حالة انخفاض في مؤشرات نموه.

المبحث الثاني

مؤشرات الاحتكاك والصدام مع اقليم الحضارة الإسلامية

تمثل هذه العناصر ستراتيجيات ومشاريع كبرى، لها اثرها الكبير في زيادة الهوة بين العالم الإسلامي والغرب ،فهي قراءة لعوامل جيوبوليتكية متباينة، لكنها ستراتيجيات مترابطة للتأثير في الجسد الجغرافي لإقليم الحضارة الإسلامية.

وتتمثل هذه العناصر في :-

اولاً: التوظيف الديني في السياسة الامريكية .

ثانياً: مناطق الاحتكاك الحضاري.

ثالثاً: المشروع الشرق اوسطي.

اولاً:-التوظيف الديني في السياسة الامريكية-

يمثل مركبا آخر في تأجيج التباين بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي. اذ يؤثر العامل الديني في عواطف ومشاعر افراد الدولة اذ يصبح احد العناصر الداعمة للتماسك بين افراد الشعب عند تعرضه لخطر خارجي اومن خلال تحشيده من القوى السياسية الداخلية في اتجاهات سياسية غائية، أي اهداف سياسية قصدية محددة( ). وتنسحب هذه الاخيرة على السياسة الامريكية التي شكل العامل الديني،احد مقوماتها منذ بروزها على انها قطب دولي،بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وذلك يعود الى غياب البنية العقائدية الموحدة للمجتمع الامريكي ،المكون من خليط( ).

يسود المذهب البروتستاني على خارطة التوزيع الديني في الولايات المتحدة الامريكية. اذ يشكل النسبة الاكبر البالغة (54%) من مجموع المجتمع الامريكي ( ) .

وبذلك يشكل القوة المهيمنة على قطاعات السياسة والاقتصاد وتعود البروتستانية الامريكية الى افكار (جون كالفن) الفرنسي الذي طور ماجاء عن (مارتن لوثر) .

اذ قدم رؤيته المتكاملة للعقلية الغربية،التي تقوم على الاحتجاج على سلطة البابا وتعترض عليه ولاتؤمن بان البشر يتوسطون بين الله وبين الناس،لذا دعوا كل مسيحي الى قراءة الكتاب المقدس مباشرة وان يؤمن بما فيه مباشرة( ).

وقد تبنى (كالفن) فكرة شعب الله المختار استنادا الى التفسير الحرفي للتوراة، وجعلها خاصة بالعرق الأبيض وعلى نحو خاص المذهب البروتستاني.

وفي ضوء ذلك، اصبحت مكونات الشخصية الامريكية تستند في جانبها العقيدي الى الرؤية البروتستانية ،التي تؤدلج العامل الديني في الصراع الدولي، عبر فكرة (العودة الالفية) .اذ يؤمن (النصارى)، ان المسيح (ع) سيرجع بعد الف سنة ،ثم يحكم الف سنة، لذا ينتظرون عودته مع كل الفية، وانه سيسود في مملكة اسرائيل ،لذلك يرى النصارى ان تجمع اليهود في ارض فلسطين هو مقدمة لقدوم المسيح ولعودة المسيح الالفية،وان تلك العودة ترتبط بمعركة

(هرمجدون)( ). وهي ساحة المعركة القادمة اذ تمثل سهل(مجيدو) في الشمال الى (ايدوم) في الجنوب مسافة (15) ميل وتصل الى البحر المتوسط في الغرب والى تلال(موهاب) في الشرق بمسافة (15) ميل ( ).

لقد اصبحت هذه الرؤية ،احد مدركات العقل الستراتيجي الامريكي ، في توجه سياستها وتحقيق اهدافها في العالم الإسلامي.

فالرئيس الاسبق(رونالدريغان) ،يذكر (هرمجدون) اكثر من احدى عشرة مرة، ويعلن ايمانه به، اذ قال ان(هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيرى هرمجدون واعتقد بان السوفيت سوف يتورطون في مسألة هرمجدون ،وان الحرب النووية لابد منها ،وان نهاية العالم باتت وشيكة( ).

اما الرئيس جورج بوش الاب ، فيوضح في كتابه (التطلع الى الامام) ان جده كان قساً، وانه متدين وانه هو واسرته يقرؤون الكتاب المقدس كل يوم ،وانه ابن الكنيسة،الذي عليه عودة المكان المقدس( ).على نحو اصبحت هذه الرؤيا الاسطورية ، احد عوامل الحشد الاعلامي والسياسي لصانع القرار في أمريكا والذي اتضح بجلاء في حرب الخليج الأولى عام 1991 ضد العراق ،إذ تشير بعض المصادر الى ان الحرب قد سميت في المذكرات السرية الامريكية باسم (حرب العذراء)( ),مما يعطيها بعدا دينياً.

ويتضح العامل العقيدي بجلاء عند اكبر روؤساء أمريكيا تنظيرا وفكراً، وهو الرئيس(نيكسون) في كتابه (1999، نصر بلا حرب)، اذ قال، عام 1999 ،نكون قد حققنا السيادة الكاملة على العالم من غير حرب ، بعد ذلك يبقى ما بقي على المسيح( ). وبعد أحداث الحادي عشر من ايلول2001، صرح الرئيس الامريكي(انها حرب صليبية).

ان الرؤى الفكرية وحرية المعتقد هو مباح للجميع غير ان التنظير الذي يجري في اطار تأسيس الدين وتبني رموز دينية اسطورية من اجل تحقيق مصالح ستراتيجية،تدفع الى ردود افعال تتحول تدريجيا الى مواقف ثابتة،مما يخلق بيئة لتفعيل العداء والصدام،لاسيما مع مجتمعات الشرق الأوسط التي تتكون من تراكيب اثنية متنوعة،يمثل فيها الدين المرجعية النهائية حول العديد من القضايا( ). على نحو لا تستطيع الأحزاب العلمانية في المنطقة التهمش او الحد من تلك البنية، مما يجعلها فاعلا رئيسا في صناعة قراراتها السياسية لذا فإن التعامل مع مجتمعات بهذه التركيبة من قبل القوة العظمى، التي تحيط خطاباتها الستراتيجية بنى عقائدية دينية، يستحضر الاختلاف حول تقسيمات العالم المعاصر،على نحو لا يجعل تأثيرات تلك الخطابات محددة في دائرة جغرافية،بل يأخذ صفة التفاعل والانتشار لاسيما مع العالم الإسلامي مما يخلق بيئة مضطربة قابلة للصدام.

ثانياً:-مناطق الاحتكاك الحضاري:-

وهي مناطق التماس المباشر بين الحضارة الإسلامية والغرب مكانيا، والتي تتجسد في اقليمين يقع الاول في جنوب شرق اوربا، والمتمثل بمسلمي منطقة البلقان ،في حين يمثل مسلمي شرق اوربا واسيا الوسطى الاقليم الثاني .ويمثل الصراع الاول النموذج الدراسي لمناطق الاحتكاك الحضاري.

1. مشكلة البوسنة والهرسك

2-قضية كوسوفو:-

ان النزعة السياسية العسكرية التي استخدمت في القضية اليوغسلافية، حققت رؤية غربية متجسدة في انهاء وجود أي كيان اسلامي داخل اوربا، الى جانب تحقيق اهداف جيوبولتيكية عدة، متمثلة في التواجد العسكري المباشر للولايات المتحدة في منطقة البلقان واطلاق ذراعها في البحر الادرياتيكي نقطة الاتصال المهمة عبر البحر المتوسط، وانهاء أية رؤية مستقبلية للاتحاد الروسي في الامتداد في وسط اوربا ، وقد كانت جميعها على حساب المسلمين في يوغسلافيا ،على نحو انعكست وتنعكس اثاره على مشاعر وعواطف المسلمين الذين لم يملكوا ولم يتمكنوا من تقديم المساعدة. الا انها تبقى في المتخيل الإسلامي الصورة السلبية والقاسية في التعامل مع المسلمين واستغلالهم لحالة ضعفهم ،اذ اتضحت النتائج النهائية لترتيبات الخارطة السياسية ليوغسلافيا السابقة الاهداف الرئيسة لتحريك تلك التباينات الاثنية، ودعم القوى الكبرى الاتجاهات المتعددة التي احتوتها السياسة الامريكية جميعها، بوصفها راعيةً للمسيحية البروتستانتية والتي تتماثل معها صورة المسلمين في جمهورية الشيشان والذي يتعرض لهجوم ابادة من الاتحاد الروسي ،ذلك انها تطالب بحق تقرير المصير اسوة باستونيا ولاتفيا وليتوانيا ،التي تتشابه مبررات الانفصال الشيشاني معها، اذ تتمثل في وجود اثنية وتطلعات شخصية ،الى جانب ان عملية ضم لتوانيا والشيشان الى روسيا تمت بالقوة. فعلى الرغم من ذلك، فان الغرب وقف الى جانب ليتوانيا، اذ مارس ضغوطا على موسكو من اجل الاعتراف بها دولة مستقلة ،ولم يقدم الغرب ذلك الدعم الى مسلمي الشيشان ،على نحو يقدم تفسيرا ظاهريا ان الدعم كان على اساس الرابطة الدينية، من خلال تبني الجمهوريات الثلاثة الكنيسة الكاثوليكية.

ان تباين سياسات الغرب، التي تعمل على وضع الشعوب الإسلامية رهينة مصالحها الاستراتيجية، وبتلك الفضائع المدمرة، ستكون عاملا رئيسا في اقناع وتأجيج مشاعر المزيد من ابناء الشعوب الإسلامية ،بان هويتهم الدينية هي المستهدفة، مما يدفع الى التحاق المزيد منهم لتبني مشروع صدام الثقافات ولاسيما ان الرؤية العقائدية لصانعي القرار الامريكي ،تتحكم بقواعد لغة (التفوق في تشكيل العالم،عبر آليات قوة جديدة ،تتمثل في (الحرب اللامتساوقة)*. بوصفها شكلاً من اشكال الحرب الجديدة ، التي تستجذب حتما هجمات لا متساوقة جديدة ضد قواتها وسكانها،بل تجتذب (القوة فوق العظمى) حقد كل الحضارات الاخرى، التي يرشحها ويفتعل لها(هانتنغتون) الاسباب من اجل الصدام بها،لتضم نفور حلفائها الغربيين التابعين على اساس تبعية امنية طبقا لرؤية بريجنسكي الميكافيلية( ).

ثالثاً:-مشروع الشرق اوسطي:-

يجسد النظام الشرق أوسطي الجديد، التطبيق الفعلي للسياسة الامريكية في العالم الإسلامي،التي قد تشكل أحد الفواعل الرئيسة لتأجيج الصدامات في هذا الاقليم . اذ تقوم على تبني القوة العظمى المنفردة على الخارطة السياسية للعالم(الولايات المتحدة الامريكية)،باعتماد فكرة السوق الاقتصادي للشرق الاوسط، تدعمها قوى عالمية اخرى مثل دول الاتحاد الاوربي واليابان فضلا عن اسرائيل( ).

ان الشرق الاوسط مفهوم جغرافي-سياسي، غير محدد تموضعها الجغرافي على الخرائط ،نتيجة للصراعات التي رافقت العمليات العسكرية في الحروب. ان اول اشارة الى مفهوم الشرق الاوسط، وردت عند الكولونيل هنل (HENNEIL)، القنصل البريطاني في مسقط عند منتصف القرن التاسع عشر ( ) .

اما سياسيا، فان مصطلح الشرق الاوسط هو من صياغة اميرال (ماهان) عام 1902 ، بدافع من العسكريين البريطانيين الذين كانوا يطالبون حكومتهم بوضع استراتيجية مضادة للنشاط الروسي في ايران، والمشاريع الالمانية تجاه العراق( ) . وعلى الرغم من التغيرات التي طرأت على الابعاد الجغرافية لهذا الاقليم، الا انها لم تثبت على الخرائط فضلا عن عدم شيوعها في التداول الدولي، الاخلال المدة مابين الحربين العالميتين ، وعلى وجه التحديد عام 1932،عندما تم دمج قيادتي سلاح الجو الملكي البريطاني تحت اسم (قوات الشرق الاوسط) الذي ادى الى انحسار مصطلح (الشرق الادنى) كذلك( ) .

صار(الشرق الاوسط) مصطلحا جيوستراتيجيا منذ سعي ايطاليا لتوسيع نفوذها باتجاه مصر ،التي كانت تحت السيطرة البريطانية ،مما دفعها الى انشاء هيئة اركان عسكرية عرفت ب(هيئة الاركان العليا لشرق الاوسط)( ) .واناطت بها المسؤولية العسكرية عن المنطقة الممتدة دائريا حول مصر من ليبيا في الغرب ال الصومال في الجنوب والخليج العربي في الشرق، وفي مواجهة مباشرة مع افريقيا الشمالية، التي كانت قاعدة انطلاق للقوات الالمانية والايطالية ومحاولتها الوصول الى مصر والهلال الخصيب( ).

وبذلك اكتسب مصطلح (الشرق الاوسط) شيوعا اكبر وصار يعنون في المخططات الرسمية والمنشورات، واصبحت المنطقة مسرحا للعمليات العسكرية، في النطاق الممتد من شمال افريقيا الى الخليج العربي مروراً باثيوبيا والصومال والجزيرة العربية ومركزها القاهرة( ) .

وخلال الحرب الباردة بين القوتين العظميين الاتحاد السوفيتي (السابق) والولايات المتحدة، اخذ مصطلح (الشرق الاوسط) يتسع ليمتد من المغرب الغربي غربا حتى باكستان شرقا ومن تركيا شمالا حتى اثيوبيا والقرن الافريقي جنوبا( ) .

الا أن التحديد الاكثر دقة للمناطق المتنافس عليها برز في كتابات (بريجنسكي) مستشار الامن القومي الامريكي في عهد الرئيس (جيمس كارتر) ،الذي اطلق علية (قوس الازمات) ، مشيرا على النطاقات المتصارع عليها بين القوتين العظميين، واللتين يشقهما خط تماس يفصل بينهما ،يمتد من منطقة البلقان مرورا بالعالم العربي حتى باكستان ( ) . وبذلك يمثل هذا القوس مفهوما متداخلا مع مصطلح الشرق الاوسط. ان انتهاء الحرب الباردة، قد انتهت معها سياسة توازن القوى،وظهور نظام القطب الواحد بزعامة الولايات المتحدة الامريكية ،ولطبيعة المصالح الامريكية في المنطقة فقد تحددت فكرة المشروع التي تقوم على عدة ركائز اساسية:-( )

أ.ان تكون الولايات المتحدة الامريكية على قمة هرم المشروع .

ب.تحديد التخطيط الامني للمنطقة بالولايات المتحدة الامريكية ،لضمان مصالحها الخاصة بها ولاسيما أمن الخليج العربي.

ج.تكثيف الوجود العسكري الامريكي في المنطقة وعلى نحو خاص البحري لكونه الاساس الفعلي للترتيبات الامنية.

د.تطوير اشكال للتعاون العسكري الثنائي بين الولايات المتحدة الامريكية من طرف ، واصدقائها من الدول العربية واسرائيل من طرف آخر، متمثلا ذلك باجراء مناورات عسكرية مشتركة مع اجراء تدريبات .

هـ.انشاء نظام للتعاون الاقتصادي بين دول المنطقة.

ان المنظور الجيوبوليتكي للولايات المتحدة الامريكية للنظام الشرق اوسطي يمثل ضرورة جيوستراتيجية ،للمسوغات الآتية:-

1.فرض السيطرة على العالم ،وذلك من خلال تبني فكرة الجيوبوليتكية القائمة على مبدأ تقسيم العالم الى تكتلات سكانية اقتصادية دولية، يتبع كل تكتل مركزا اقليميا واحدا وهذا المركز ينتهي الى مركز اعلى فئة ،على نحو يشكل هيدالكية للنظام العالمي وتحديد طبقاته ، وتقف عند قمته اليوم الولايات المتحدة الامريكية، حيث انضوت تحت سيطرتها منظمة الدول الامريكية ،فضلا عن تأثيرها في الاتحاد الاوربي، ويمثل العالم الإسلامي الذي طرح بصيغة (الشرق اوسطية الجديدة) ،التكتل الحيوي المهم للولايات المتحدة.

2.يعطي تكتل الشرق أوسطية (العالم الإسلامي) امكانية تحكم الولايات المتحدة بما يقارب (75%) من الاحتياطي العالمي، اذ ستتحكم بحقول النفط وموانئه ،التي ستصبح ضمن الترتيبات الامنية لبناء هذا النظام باشراف الولايات المتحدة .

وبعد احداث 11 ايلول، التي أحدثت تغيرا بنيوياً في نظرية الامن القومي الامريكي، تم طرح فكرة(الشرق الاوسط الكبير) من قبل الرئيس الامريكي(جورج بوش) بصيغة شراكة مابين الولايات المتحدة الامريكية والدول الصناعية الثمانية، من اجل اجراء اصلاحات في منطقة الشرق الاوسط، التي تضم بحسب الرؤية الامريكية الجديدة جميع البلدان العربية فضلا عن اسرائيل وتركيا وايران وافغانستان وباكستان( ) . ينظر خارطة رقم(19) . والتي تعني القسم الاكبر من العالم الإسلامي، مما يعطي تصورا واضحا ،بان المشروع رسم لاقليم حضاري مغاير عن الغرب ،على اساس بنيته الثقافية.

استند المشروع على تقرير التنمية الانسانية العربية لعامي 2002و2003 الذي انتقى منه ثلاثة تحديات رئيسة لتفسير التخلف في المجتمعات العربية وهي(الحرية والمعرفة وتمكين النساء) الى جانب اعتماده على مجموعة احصاءات لتوصيف حاله المنطقة أبرزها( ) :-

1.مجموع اجمالي الدخل القومي المحلي لبلدان الجامعة العربية هو( ) وهو اقل من نظيرة في اسبانيا.

2.ما يقارب (40%) من العرب البالغين 65 مليون شخص اميون وتشكل النساء ثلثي العدد.

3.سيدخل اكثر من (50) مليون شاب سوق العمل بحلول عام 2010 وسيدخلها (100) مليون بحلول 2020 وهناك حاجة لخلق مالايقل عن(6) ملايين فرصة عمل.

4.يعيش ثلث المنطقة على دخل فردي بمعدل اقل من دولارين في اليوم.

وقد اشار المشروع الى ان هذه الارقام ،تمثل تهديدا مباشرا لاستقرار المنطقة والمصالح المشتركة لاعضاء مجموعة الثماني ،وان معالجة النقوصات المؤشرة في تقريري التنمية العربية تكوّن الاتجاهات الآتية:-( )

أ. اقامة نظم حكم ديمقراطي في المنطقة .

ب.بناء مجتمع معرفي باصلاح نظام التعليم .

ج.توسيع الفرص الاقتصادية لامتصاص البطالة .

في حين وضعت كل من المانيا وفرنسا افكارا تختلف عن المشروع الامريكي بعنوان(شراكة ستراتيجية لمستقبل مشترك مع الشرق الاوسط) وتؤكد الورقة الفرنسية-المانية على نحو عام، على ان أية مبادرة في الشرق الاوسط ينبغي ان تستجيب لاحتياجات المنطقة وتطلعاتها والعمل على تغيراوضاع شعوبها من خلال رؤية تعاونية صادقة تعمل على ارساء الحكومات الديمقراطية والمجتمع المدني.()

ان فكرة (الشرق الاوسط الكبير) هي ستراتنيجية لتلبية الاحتياجات الجيوبوليتكية للولايات المتحدة الامريكية في اعقاب احداث 11 ايلول ،والتي ادت الى تفكك النظرية القومية الامريكية، المتشبثة بالجغرافيا في توفير الامن ،من خلال ما إتاحه المحيطين الاطلسي والهادي لها في ان تكون في منأى عن الاحتكاك المباشر مع العدو،فضلا عن بروز ظاهرة التنظيمات العابرة للقوميات التي يمكنها ان تنفذ العمليات العسكرية دون ان تكون لها دولة محددة او مكان انما لها عقيدة محددة .

لذلك كانت الرؤى الجيوبوليتكية للولايات المتحدة هي في اعادة، صياغة البنية الجيوبوليتكية لمنطقة الشرق الاوسط الكبير (العالم الإسلامي) على اعتبار انه المصدر الرئيس الذي اصبح يهدد المصالح الامريكية عن طريق استخدام القوة كما حدث في افغانستان والعراق ،ثم اكماله باستخدام آليات تغير ،تعمل على استدامة المصالح الامريكية ،ومن هنا كان التركيز على تغير البنية الثقافية لهذا المجتمع، عبر آليات متداخلة مرسومة من خارج المكان نفسه، في مايتعلق بمنظور الديمقراطية والحرية، او المجتمع المثقف الذي تمثل في التشديد على اجراء تغيير في مناهج الدراسة وعلى نحو خاص الدينية بيت القصيد .

ان المساس بالاطر العقائدية-الدينية ، يعد امرا خطيرا ،سيعمل على اثارة مشاعر عدائية مضافة ،لرصيد العداء الحالي بين امريكا والمسلمين فضلا عن تهيئته الأرضية الصراعية، لتجنيد المزيد من المناهضين لسياستها .

ان تاطير حدود الشرق الاوسط الكبير المستند على بنية ثقافية(دينية) ،يحاول اعادة هيكلية تلك البنى ،ليس من خلال البنية الفوقية المتمثلة بالمقومات المادية للكيان الحضاري الإسلامي ، بل يذهب الى رسم استشراق جديد، ليس وظيفته قراءة الخطاب الديني وتشويهه ، وانما تفكيك ذلك الخطاب وتهميش لاجزاء منه، لا تتوافق وحضارة الغرب على نحو يعمل المشروع فيه على إعادة الهيكلية الثقافية للمنطقة ،وتطبيق الفكر الحداثوي بكل جزئياته على المجتمعات الإسلامية وهو لا يؤدي الا الى زيادة التوتر والتصعيد لهيمنة الخطابات الثيوقراطية (الدينية) واختلافاتها ،التي تؤكد (استحالة علمنة العالم الإسلامي ويفرض على تحديث هذا الاخير ممرا الزاميا في قناة الدين الإسلامي)().

الخاتمة الاستنتاجات

ثمة أدب سياسي جديد يطرح في أعقاب الحرب الباردة، من خلال مجموعة من المقولات والفرضيات والنظريات. وقد تناولت هذه الدراسةاحداها، وهي نظرية (صدام الحضارات) لهاننغتون، وتوصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات:-

1- يمثل المحور الرئيس للصراع عند (هاننغتون) في تباين العامل الثقافي، على نحو يعيد ترتيب اولويات الصراع في العالم، إذ تمثل الحروب الاثنية المقام الاول الذي تدور فيه معظم الصراعات عند مناطق الاحتكاك بين الحضارات. والتي يحددها (هانتنغتون) على نحو خاص بالحضارة الغربية والاسلامية.

2- يشكل مفهوم الحضارة الوعاء الذي تنضوي تحت ظلاله مفاهيم (الثقافة) و (المدنية) إذ هي الحصيلة التراكمية لأي شعب أو أمة، وهي تشمل الجوانب الروحية والجذورية في الاطار الاول، في حين تضم الثانية المقومات المادية التي استغلها الانسان أو نسجها خدمة له.

3- تتصف كل حضارة بصفات خاصة بها من حيث اللغة والدين والعادات، إلى جانب القدرة على الابتكار والابداع، وهي لا تبقى أسيرة الاطار المكاني بل تمتد خارج اطارها، لطبيعة الحضارات الانسانية التي تتسم بالتفاعل والتناغم والتأثير. إذ ترتبط المفاهيم الثلاثة بالقدرات التي تمتلكها كل حضارة.

4- ترتبط المجموعات البشرية بالمكان ارتباطاً وثيقاً، على نحو ينعكس على شكل حياتهم ووظائفهم، مما صنع التباينات في الحيز المساحي بين الاقاليم، على نحو تشكلت فيه أنماط حضارية متعددة، مرتبطة في اطارها الزمني بالتطور البشري واستقراره، إذ كان الشرق المهد الاول للحضارات في وادي الرافدين والنيل وفارس والصين والهند. ومع ذلك شهدت الخارطة الحضارية انتقالات مكانية، بفعل التطور والقوة كما في الحضارة الغربية.

5- ان تنظير صدام الحضارات نزعة لمرحلة ما بعد الرأسمالية، اذ تحاول القوة العظمى اثارة وتحفيز العامل الديني بوصفه أداةٌ رئيسة في صناعة القرار السياسي مما يعمل على احلال رؤية التخوم والحواجز والارتطام بين الشعوب والامم عبر الكيان الجغرافي الصغير الدولة.

6- يرتبط مشروع صدام الحضارات بخلق حالة الهيمنة وفق رؤية جديدة واهداف جديدة لمصلحة انموذج ثقافي محدد، وتعمل على استكمال تنميط العالم في إطار منظومة القيم الثقافية-الحضارية الغربية، وتشكيل بنية ثقافية جديدة هي (ثقافة العولمة) ووظيفتها (عولمة الثقافة). أي هي نفي للخصوصيات الدينية والقومية في الثقافة لمصلحة ثقافة الدول الرأسمالية المهيمنة من اجل تكريس الامبريالية الجديدة.

7- تولد الهيمنة الثقافية، حالة الاغتراب وازمة الهوية التي تؤدي إلى التهميش والاقصاء واجراء تحويل جذري في الوظيفة التاريخية للهوية الثقافية للأمم والشعوب من وظيفة الاصل والابداع إلى وظيفة التغيب والاستلاب.

8- لا تتوافق نظرية (صدام الحضارات) مع كل نماذج الجيوالتاريخية، حول فكرة قيادة دولة واحدة للعالم. إذ كانت على الدوام تنافساً بين الامبراطوريات والقوى الدولية المتعددة.

9- على الرغم من بعض التداخلات المكانية والسياسية، فان نظرية (صدام الحضارات) لهانتنغتون هي تجسيد لتقسيم العالم إلى شمال-جنوب، على نحو يضاعف من فقر الجنوب ويسعى لزيادة المحاصصة لعالم الشمال الذي يستأثر بـ (75%) من ثروات ودخل العالم تاركاً الربع الباقي (25%) لـ ثلاثة ارباع سكان العالم (75%) عالم الجنوب.

10- تؤكد الدراسة ان الحضارات بمفهومها الشمولي التركيبي لا تتصادم، بل تتفاعل وتتسابق. إذ ان المعنى الجمالي لها هو السمو والرقي، لكن إذا ما تم تهميش أي مجموعة سكانية صغيرة ام كبيرة فعندئذ تصبح الهوية الثقافية مصدراً للاحتجاج والصراع من اجل الاعتراف بحقوقهم الثقافية، لذا فان قاعدة (صراع الهويات والثقافات) هي التي تتطابق مع الواقع "الجيوبوليتيكي". إذ من غير الممكن ان نتصور الثقافة على انها كينونة محايدة، بمعنى انها لا تعقل فعلها ولا تنتصر لذاتها.

11- تمثل الحضارة الاسلامية عالماً قائماً بذاته، ضمن الخصوصية الثقافية، المتجسدة في الرابطة العقائدية الدينية، وهو أحد العوالم الحضارية الرئيسة من بين العوالم الحضارية الاخرى، اذ يمتلك قدرات كبيرة تؤهله ان يكون قوة ستراتيجية مستقبلية. فجغرافياً يمتد على ثلاث قارات ويبلغ رصيده السكاني أكثر من مليار ونصف، بحيث يتصف بتواجد اقلياته داخل اوربا والأمريكيتين فضلاً عن عطاء الموضع الذي يأتي النفط في مقدمته، إذ يستحوذ على أكثر من (70%) من احتياطي العالم، مما جعله اقليماً يتأثر بأهمية خاصة في الستراتيجيات العالمية. ومن هنا تأخذ عملية تصاعد الضغط للسيطرة عليه من خلال تنظيرات مختلفة، شكل صدام الحضارات وآلياتها أبرزها على نحو أقحم وبشكل اوضح عما سبق المفهوم الثقافي-الديني في الصراع والسيطرة عليه.

12- ويبقى مع كل ما تقدم مستقبل حوار الحضارات مرتبطاً بتشكيلية النظام العالمي خلال المراحل القادمة التي سيكون لها تأثيرٌ بالغٌ في تحديد مسار الحوار من خلال منظومة العولمة وآلياتها. لذلك فان البشرية ستواجه خيارات مختلفة: إما اعادة انتاج نظام الهيمنة تحت شعار النظام العالمي الجديد، أو خلق نظام ما بعد الهيمنة وهو نظام يستمد مشروعيته من البحث عن ارضية مشتركة لتفاعل المدنيات واندماجها والمحافظة على الخصوصيات الثقافية.

التوصيات:

1- على الفكر الغربي بمختلف اتجاهاته الفكرية، التخلص من النزعة الانفرادية، بخصوص العالمية وتشكيل هيكلية النظام العالمي بتلك المقاييس، إذ ان هناك رؤى متعددة وثقافات متنوعة، لكل واحدة منها خصوصيتها، مما يستدعي الاعتراف بها والمحافظة على هويتها.

2- ان الحوار المفروض بتفوق القوة، لا يفضي إلا إلى الاشكالية الثقافية، وتحرك جذري في الوظيفة التاريخية لثقافة واديان وقوميات الأمم والشعوب، مما ينعكس على الاستقرار في الخارطة السياسية للعالم، وهذا يتطلب اعادة تفكير القوة المهيمنة، في اصول ومجالات الحوار ودعمها التكافؤ.

3- توجيه الحوار نحو الجوانب المدنية-الانسانية، التي لا ترتبط بمعتقدات أي من الأمم والشعوب، لإعادة رسم الخارطة الانسانية للعالم، من خلال تقليل اللاتكافؤ بين المركز والاطراف.

4- ان المجال الفكري-الحواري هو القاعدة الرئيسة لخلق فرص الاستثمار، لاسيما في المجالات التنموية، التي تعاني من ضمور في عالم الجنوب، وعلى نحو خاص العالم الاسلامي، اذ سيحقق التنمية اقليماً حضارياً أكثر استقراراً، لاسيما ان القوى الغربية الكبرى لا تستطيع الانسحاب المطلق منه أو تغييره مطلقاً.

5- توحيد الجهود بين انحاء العالم الاسلامي، من اجل تحقيق مشروع (الحوار الحضاري)، إذ يؤدي تنسيق الجهود، إلى توحيد الخطاب الاسلامي. مما يتيح له الامكانات والوسائل والبدائل، بدلاً من تبني جهة أو دولة واحدة لتلك المشاريع.

6- يتطلب من دول العالم الاسلامي ومنظماتها، الاقرار بالهويات الثقافية وخصوصيات الشعوب والاقليات التي تعيش في العالم الاسلامي، واعطاءها الحق في تقرير المصير. ما دام العمل الآني والمستقبلي للعالم الاسلامي، سوف يكون وفق الكيانات السياسية، إذ ان هذا الاقرار سيحقق الاستقرار السياسي إلى حد كبير. فضلاً عن تهيئة الارضية

الواقعية لدعوة العالم الاسلامي، الى تعايش الشعوب والأمم والتعاون المدني، وهو ما أقرته الشريعة الاسلامية لكل الطوائف والاقليات التي أسلمت أو لم تسلم في مرحلة تكوين الدولة الاسلامية آبان الخلافة الراشدة وما بعدها.

* * المكان المعطى: يقصد به المكان الذي يحمل الخصائص العقائدية-التاريخية والتي لا تتغير اهميتها بتغير الزمان.

1- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث المركز الثقافي العربي، بيروت 1996، ص264.

2- كلود كاهن، الشرق والغرب ،ترجمة احمد الشيخ ،دار سينا للنشر ،القاهرة ،1995،ص79.

3- جورج قرم، اوربا والمشرق العربي،تاريخ حداثة غير منجز ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت،ط1،1990،ص33.

4- سمير امين وفيصل ياشير،البحر المتوسط في العالم المعاصر دراسة في التطور المقارن ،ترجمة ظريف عبد الله ،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، 1988،ص26.

5- جمال حمدان،استراتيجية الاستعمار والتحرير،دار الشروق ،بيروت ،1983،ص31.

6- جمال حمدان،المصدر نفسة،ص47.

7- رسول محمد رسول،الغرب والإسلام ،ط1،دار اسامة للنشر والتوزيع ،عمان ،1999،ص8.

8- البرت حوراني، الإسلام في الفكر الاوربي ،ط1،الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت،1994، ص61.

9- بيار جورج ،الإسلام قروسطي،ترجمة عاطف علبي ،ط1،مركز الدراسات والبحوث،بيروت،1998،ص24.

10- موريس لومبارد ،الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي،ترجمة عبد الرحمن حميدة،ط1،دار الفكر،1979،ص17.

11- ادورد سعيد،الاستشراق ،مصدر سابق ،ص73.

12- ادورد سعيد،تغطية الإسلام،ترجمة سميرة خوري،ط1،موسسة الابحاث العربية،لبنان ،1983،ص55.

13- عمر كوش،اقلمة المفاهيم،المركز الثقافي العربي،بيروت،2001،ص89.

14- اسماعيل سرور شلش،جغرافية الإسلام التاريخية في عصر النبوة،دراسة جيوبوليتكية قضايا عربية،العدد (2) ، بيروت،1983،ص57.

15- يبار سلبيزية،الجيوبوليتكيا والجيوستراتيجية ،ترجمة عاطف علبي،ط1،موسسة الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ،بيروت ،1993،ص12.

16- منذر عبد المجيد البدري، المحور الإسلامي في خريطة العالم الثالث، مجلة مركز البحوث والمعلومات، السنة الرابعة ،العدد 8،بغداد ،1985،ص11.

17- عبد المعطي احمد عمران،الاهمية السياسية للموقع الجغرافي ،مجلة الدبلوماسي، الرياض، العدد(5)،1988،ص100.

18- عبد الرزاق عباس حسين ،الجغرافيا السياسية مع التركيز على المفاهيم الجيوبوليتكية ،مطبعة اسعد،بغداد،1976،ص81.

19- فهد عبد الرحمن الثاني، جيوبوليتكية العالم الإسلامي، الراي العدد(1157) ،1997، ص4.

20- محمد رياض ،الاصول العامة في الجغرافيا السياسية ،ط2،دار النهضة، بيروت،1979، ص85.

21-احمد خالد حسن، المنظور الجيوستراتيجي للمضائق العالمية ،مجلة الدبلوماسي،ا لرياض، 1988 ، ص21.

22- صبري فارس الهيتي،الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبوليتكية ،ط1،دار وائل ،عمان ،2000،ص42.

23- السيد محمد عمر، الاهمية الجيوستراتيجية للعالم الإسلامي ،مقاربة مفاهيمية، مجلة النهضة ،العدد(8) ، تموز، القاهرة ،2001،ص93.

24-صبري فارس الهيتي،المصدر نفسه، ص203.

25-كاظم هاشم نعمة ،الماكندرية الجديدة والوطن العربي ،مجلة الدراسات السياسية،طرابلس ،1999،ص11.
26- هاني الياس الحديثي، جيوستراتيجية اوراسيا بين الحقائق الموضوعية وستراتيجية الهيمنة ، نشر افاق ستراتيجية ،بغداد، بيت الحكمة ،العدد(1)،،1998 ،ص5.
27-كاظم هاشم نعمة، الماكندرية الجديدة والوطن العربي، المصدر نفسه، ص13.
28- محمود ابو العلا ، مصدر سابق ،ص81.
29- طه عبد العليم رضوان،في جغرافية العالم السلامي ،ط6،ج2،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،1998،ص307.
30- السيد محمد عمر،مصدر سابق،ص101.
31-د.عبد المنعم عبد الوهاب، جغرافية العلاقات السياسية،ط1،موسسة الوحدة للنشر والتوزيع ،الكويت ،1977،ص119.
32- ايمانول تودد ، مصدر سابق ،ص69.
33- علي وهب،المجتمعات البشرية والانماط المعاشية والسلوكية، منهجية الجغرافيا الاجتماعية ،ط1،دار الفكر اللبناني،بيروت،1996،ص214.
34-زياد منى،بنوا اسرائيل ،جغرافية الجذور،ط1،الاهالي للطباعة والنشر،دمشق،1995،ص133.
35- اسامة نعيم مصطفى، اشراط الساعة في ظهور المهدي المنتظر، ط1،الاعالم الثقافة،2003،ص27-29.
36-هالسل ، النبؤة والسياسة، مصدر سابق،ص43.
37- حسن يوسف، البعد الديني في السياسة الامريكية،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1990،ص12.
38- محمد السماك، الصهيونية المسيحية، دار النفائس، بيروت،1990، ص57.
39- عمر كوش، حوار الحضارات بين منطق التركيز وحشادات الصراع، مجلة الاجتهاد، العدد(13)،2002،ص52,
40-محمد عمارة ، صورة الاخر في مواجهة بين الشرق والغرب، المنهل، المجلد (60) العدد(549) ،1998 ،ص49.
41- اوليفية روا، عولمة الاسلام، ترجمة لارا معلوف، ط1،دار الساقي، بيروت،2003،ص108.
* ان القوة العسكرية الامريكية لن تواجه في الغالب في المستقبل المنظور صراعات عسكرية يحكمها التوازن لصالحها اوضدها، انما تواجه مخاطر يوجهها ويقوم بها خصوم لا يملكون فرصة للتوازن ضد القوة الامريكية ويكون عماد تحديهم استعمال اشكال من الحرب لا تتوقعها امريكا.
للتفصيل ينظر محمد حسين هيكل، كلام من السياسة من نيورك الى كابل ،ط2،الشركة المصرية لنشر ،القاهرة ،2002،ص118.
42- ينظر بريجنسكي ، رقعة الشطرنج الكبرى،ص64.
43- فهد بن عبد الرحمن ال ثاني ، دراسات في الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكيا،ط1،الدوحة،2000،ص125.
44-منذر عبد المجيد البدري، الشرق الاوسط، الابعاد والاهداف قضايا اجتماعية ،العدد الاول ،السنة الاولى، مركز دراسات الشرق الاوسط الجامعة المستنصرية ،1994،ص1.
45-Drysdale A. and Blake. G. the Middle East And North Africa political Geography.Oxford University Press .London.1985 .p.23.
46- جورج لنشوفسكي ،الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ،ج1،ترجمة جعفر الخياط، دارالمتنبي ،بغداد،1964،ص286.
47-نبيل حشاد، الشرق الاوسطية،ط1،الدوحة،1994،ص54.

48-احمد يوسف احمد، العرب وتحديات النظام الشرق اوسطي،ندوة مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،1994، ص17.

49- ل.كارل براون، السياسة الدولية والشرق الاوسط ، ترجمة عبد الهادي حسين جياد ،ط1،دار الشوون الثقافية، بغداد،1987 ،ص202.

50- معين حداد، الشرق الاوسط، دراسة جيوبولتيكية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،1996،ص58.

51- حسين فوزي، امريكا والعالم ، دراسة في السياسة الدولية ،ط1،مكتبة،مدبولي ،القاهرة ،2002،ص307.

52- سيار جميل ،العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الاوسط ،ط1،مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ،بيروت ،لبنان 1997،ص100.

53- نص مشروع الشرق الاوسط الكبير،موقع الحياة على الانترنيت.
www.alhayat.com

54- للتفصيل ينظر برنامج الامم المتحدة الانمائي المكتب الاقليمي للدول العربية ، تقرير التنمية الانسانية العربية لعام 2002 ،عمان-الاردن ،2003 ،ص46.

55- نقلا عن جريدة الحياة ، المصدر السابق .

56- نقلا عن :ابراهيم الصياد، المهاجر، البيان الامارتية ،الموقع على الانترنيت www.albayan.com .

57- جلبر الاشقر ،الارهاب ،الارهاب المقابل والفوضى العالمية،ترجمة كميل داغر ،ط1،دار الطليعة ،بيروت ،2002،ص76.

الصمود في مواجهة "اتفاقية إبراهيم"

Resilience in the face of the "Abraham Accords"

باحث دكتوراه/أمجد بشكار

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أبرز المحددات والآثار التي تركتها اتفاقية أبراهام على القضية الفلسطينية وتسليط الضوء على البيئة الداخلية والخارجية التي تشكلت في ضوئها هذه الاتفاقية. لذا وضعت الدراسة سؤال المشكلة الرئيس والذي تمثل في: لماذا تم الشروع في التطبيع مع هذه الدول وبالوقت ذاته لماذا تطغى اتفاقية أبراهام على باقي الاتفاقيات والآثار التي تركتها على القضية الفلسطينية.

وقد خرجت الدراسة بمجموعة من الاستنتاجات ومن أبرزها

- تعتبر اتفاقية أبراهام أحد الأعمدة الإستراتيجية الإسرائيلية القائمة على بناء علاقات سلام مع العرب دون حل القضية الفلسطينية.

- الزخم الإعلامي الذي امتلكته اتفاقية أبراهام يعود لأن طرفي الاتفاقية أرادوا التغطية على الأسباب الحقيقية الكامنة خلف الاتفاقية والمتمثلة في بعدها الأمني.

- إن منح اتفاقية التطبيع اسم "اتفاقية أبراهام" كان السبب وراءه إعطاء الاتفاقية صفة وبعد استراتيجي، للتغطية على عدم قدرة الأطراف توضيح سبب الاتفاقية، ويفترض في اتفاقيات التطبيع وجود مكاسب مشتركة وفي حالة اتفاقية أبراهام تنتفي هذه المبررات.

الكلمات المفتاحية: اتفاقية أبراهام – التطبيع - القضية الفلسطينية - الإستراتيجية الإسرائيلية

Abstract:

The study aims at highlighting the parameters and consequences of the “Abrahamic” agreements, on the Palestinian cause, and to shade light on the internal and external contexts within which these agreements were reached. As such, the study seeks to answer the following question: why these normalization agreements took place simultaneously, and why they overshadowed the effects of other agreements on the Palestinian cause?

Following detailed examination and analyses, the study concludes:

- The “Abrahamic” agreements are considered as a main pillar of Israel’s strategy to achieve direct agreements with Arab states and marginalize the Palestinians;

- The massive media coverage of the agreements can be seen as a means to conceal the real drive of the agreement which is related to security;

- The fact that the agreements were dubbed "The Abrahamic Agreements" reflect their strategic nature, as much as it reflects the lack of clear justifications that have as any other similar agreement- should have certain gains to the parties affiliated.

Keywords: the Abraham Accords - normalization - the Palestinian issue - the Israeli strategy

مقدمة الدراسة:

عصفت بالمنطقة العربية منذ العام 2010م، العديد من التغيرات والمتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أسهمت، وبشكلٍ مباشرٍ وغيرِ مباشر، في إضعاف النُظُمِ العربيةِ عامةً، وإشغالها في البحث عن مقومات البقاء والشرعية، وتَتَمَثل أولى هذه المتغيرات في اندلاع الثورات العربية في عَدَدٍ من الأقطار العربية، وعودة الاستبداد بأقسى مما كان عليه سابقاً في عددٍ من البلدان العربية، وتعميق الانقسامات بين المحاور العربية المتصارعة، مما فتح البابَ واسعاً أمام التدخلات الأجنبية في البلدان العربية من مختلف الجهات الدولية والإقليمية.

ترافق ثاني هذه المتغيرات مع تفاقم إشكالية الشرعية في بعض البلدان العربية قُبَيل وصول الرئيس الأمريكي السابق (دونالد ترامب) إلى رئاسة الولايات المتحدة الأميركية في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 2016م، ليعلن (ترامب)، وفور تسلّمه زمام الحكم في بلاده؛ بأن لديه خطة لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي، أطلق عليها اسم صفقة القرن. (قارداش، وجان، 2020)

تبين لاحقاً بأن هذه الخطة التي أدارها الرئيس الأمريكي السابق (دونالد ترامب) أقرب لعقدٍ سياسيّ أيديولوجيّ يتبنى الرؤية الإسرائيلية عند إبرام أي اتفاق سلام مع الأطراف العربية، وبشكلٍ مخالف عن تلك الاتفاقات التي عقدتها إسرائيل مع بعض الأطراف العربية في الربع الأخير من القرن الماضي, كمصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، وأن الدول العربية التي تسير في رحاب السياسة الأمريكية في المنطقة ملزمةٌ بهذا العقد مقابل ما تقدمه الإدارة الأمريكية لها من مساعداتٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ وعلى رأسها تثبيت وشرعنة نُظمِها السياسية في المحافل الدولية. (نافعة، 2020)

شكلت مرحلة الربيع العربي وما تلاها من أحداث أَطلَقَ عليها البعض المرحلة الارتدادية جملة من المتغيرات في العالم العربي، ليس اقلها فيما يتعلق بمضمون الورقة التي بين أيدينا وذلك نتاج قضية الصراع على الشرعية في بلدان عربية عدة، ونشهد في هذه الفترة تعاظم أهمية الشرعية، سيما في المحافل الدولية وعلى صعيد السياسات الخارجية، ودورها في ثبات الأنظمة الحاكمة وتعزيز قدرتها على الاستمرار في الحكم.

إن إدارة الرئيس الأمريكي السابق (دونالد ترامب) والسياسة التي اتبعها قد مهدت الطريق أمام إسرائيل ومنحتها دوراً مركزياً, عزَزَ علاقاتها مع الأنظمة العربية بالاعتماد على سياسات الإدارة الأمريكية هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ ثانية عملت الإدارة الأمريكية على محاولة إعادة رسم أولويات تلك الأنظمة عبر إعادة تعريف عدوها المركزي في المنطقة,

وقد كان لإلغاء الاتفاق النووي الإيراني دوراً مهماً في إظهار أن الجانب الإيراني يمثل عدواً مركزياً للعرب في المنطقة إلى جانب قوى التغيير وعلى رأسها الحركات والأحزاب التي تحمل فكر جماعة الإخوان المسلمين, نتيجة دورها البارز في العديد من الساحات التي نشط فيها حراك الربيع العربي، وتراجع تصنيف الخطر الذي تمثله إسرائيل في المنطقة.

هذه المتغيرات أطلقت العنان لإسرائيل لبدء موجةٍ من (التطبيع)، وأتاحت لها فرصة كبيرة لتدخل إلى عديد من الساحات العربية وتوقع اتفاقات تطبيع وسلام, وكانت وجهتها الأهم صوب دولِ الخليجِ العربي، وفي مقدمتها الإمارات العربية المتحدة. غَلَّفَت إسرائيل هذه الموجة بطابعٍ دينيّ ويمينيّ يحمل رؤيتها التوسعية، بحيث استهدفت هذه الموجة دولاً خارج دول الطوق العربي، وتزامنت هذه الموجة مع انسداد تامٍ لعملية السلام الفلسطيني الإسرائيلي، وهروب إسرائيل من استحقاقات عملية السلام التي أبرمتها مع منظمة التحرير، وبذلك تكون قد انتهجت استراتيجية تسوية العلاقات العربية الإسرائيلية دون حل القضية الفلسطينية قبيل نهاية العقد الثاني من القرن الحالي.

تلقفت الإمارات العربية المتحدة هذه الموجة من التطبيع، وأبرمت اتفاقاً تطبيعياً مع إسرائيل, عُرِفَ باسم "اتفاق أبراهام"، ونتيجة لعدم قدرة أطراف الاتفاق على توضيح الأهداف الاستراتيجية المنوي تحقيقها تم تغليفه بغايات استراتيجية تتوافق مع طبيعة الرؤية الذاتية التي تطرحها دولة الإمارات العربية المتحدة, لكي تبدو وكأن اتفاق التطبيع مع دول الخليج قد تعدى جدار المصلحة السياسية إلى حيّز تغيير الثقافة السياسية للمنطقة، بما في ذلك الدين والاقتصاد والتحالفات، ولذا تم تسميته "اتفاق أبراهام"، حيث يحمل في جنباته مواقف وتوجهات دينية تجاه الآخر المُختَلِف.

رغمَ أن إسرائيل لم تعقد هذا الاتفاق مع دولة عربية رئيسية ومركزية في المنطقة؛ إلا أن مثل هذه الاتفاقات قد شكلت تحدياً كبيراً للقضية الفلسطينية، بل وفتحت الباب أمام العديد من الدول العربية للدخول في ظل هذا الاتفاق كالبحرين والمغرب والسودان نتيجة الضغط الأمريكي أو لغرض المقايضة، وتخلل هذه الموجة محاولة طَرْقِ باب النظام السياسي السعودي الذي شهد تحولات وتغيرات عدة بعد حراك الربيع العربي، وبدا النظام السعودي خلال هذه الموجة كداعمٍ لهذا الاتفاق, وَتَبِعَهُ دَعمٌ مصري علني وصريح ومساند، خلافاً لمبادرة السلام العربية التي تشترط تحقيق التطبيع الكامل بين إسرائيل والدول العربية بعد تنفيذ إسرائيل تسوية عادلة وشاملة مع الفلسطينيين.

فرضية الدراسة:

تقوم الدراسة على فرضية رئيسية مفادها بأن اتفاق (أبراهام) أتى استجابة للنظرة الإستراتيجية التي تبنتها إسرائيل والقائمة على تجاوز الحل العادل للقضية الفلسطينية أولاً, والإجماع العربي ثانياً، عبر تأسيس علاقاتٍ مع الأنظمةِ العربيةِ دون حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية.

مشكلة الدراسة

تم الترويج على أن التطبيع كان نتيجة لتغيير أولويات الشعوب وانشغالها في القضايا الداخلية, وتارةً أخرى تم الترويج لها على أنها تجاوز لبعض الإشكاليات التي خَلَفَتها صفقة القرن بما يخص القضية الفلسطينية, وتارة أخرى أنها نتيجة التَغَيُّرات الدولية والإقليمية التي عصفت وتعصف بالقضية الفلسطينية, إلا أننا نجد أنّ جُلَّ هذه التغيّرات رغم حضور بعضها ليست هي المُشكِل الأساسي الذي دفع باتجاه التطبيع عملياً, لأننا نجد أن دول التطبيع إما شعوبها رافضة لفكرة إقامة العلاقات مع إسرائيل وهذا بحد ذاته ينقض فكرة التغيير أولويات الشعوب, أو أنها دولاً لا يوجد بها وزن شعبي كما هي الإمارات المتحدة, وأن الدول العربية الكبرى والتي تمتلك وزناً شعبياً ويمكن أن تلعب دوراً لم تأخذ نصيبها من سياسة الترويج العامة لهذا الاتفاق.

هنا تصبح إذاً مبررات التطبيع ليست المبررات الذي تم الحديث عنها, ومن هنا يبرز سؤال المشكلة المركزي والذي يتمثل في: لماذا تم الشروع في التطبيع مع هذه الدول وبالوقت ذاته لماذا تطغى اتفاقية أبراهام على باقي الاتفاقيات وما هي الآثار التي تتركها على القضية الفلسطينية؟ كما ويتفرع عنه الأسئلة التالية:_

1. ما هو دور الولايات المتحدة الأمريكية في الدفع نحو توقيع بعض الدول العربية على هذا الاتفاق؟
2. هل أحدث هذا الاتفاق تغيير على خريطة التحالفات العربية والإقليمية؟
3. كيف تعاملت الأطراف الفلسطينية مع مشهد اتفاق التطبيع الإسرائيلي مع بعض الدول العربية؟
4. ما هو تأثير هذا الاتفاق على مستقبل القضية الفلسطينية؟

منهجية الدراسة :

اعتمدت الدراسة على منهج دراسة الحالة أثناء جمع البيانات وصياغة وتدوين نصوصها، حيث اعتَبَرَت اتفاقية أبراهام حالة دراسية يمكن تعميمُ فَهمِها على باقي اتفاقيات التطبيع مع إسرائيل، رغم اختلاف أسباب ومحددات كل اتفاقية، ولكنها جميعاً تتوحد في إطار الإستراتيجية الإسرائيلية المتبعة، وكذلك في ذات الآثار السلبية التي تتركها مثل هذه الاتفاقيات على القضية الفلسطينية، لذا سيتم تحليل الآثار التي تركه هذا الاتفاق على القضية الفلسطينية من خلال تحليل واقع محدداتها، وأسبابها، وتداعياتها، وتتبع فواعلها على الأرض.

أهداف الدراسة :

تسهم أهداف الدراسة في صياغة عناوين فصولِ ومباحثِ هذه الدراسة، وتسهم في تعزيز قدرات الباحث أثناء صياغة نتائج وتوصيات بحثه، فهي جُملَة من الإجابات التي قد تُفصِحُ عن مضامينها أسئلة الدراسة، وتتفرع إلى ما يأتي:_

أولاً... تسليط الضوء على البيئة الداخلية والخارجية التي تشكَّلَ في ضوئها اتفاق أبراهام.

ثانياً... التعرف على أبرز المحددات والآثار التي تركها الاتفاق على صعيد القضية الفلسطينية.

ثالثاً... تبيان الأبعاد الاستراتيجية لهذا الاتفاق على أوزان الفاعلين السياسيين في الشرق الأوسط.

رابعاً... معرفة حدود ومنطلقات الدور الذي يمكن أن تلعَبَهُ القيادة الفلسطينية في سبيل التغلب على التحديات التي أوجدتها هذه الاتفاقية.

أهمية الدراسة ومبرراتها:

تبرز أهمية الدراسة كونها تعالج قضيةٍ تبدو أنها تعبير عن متغير هام في السلوك السياسي لدى بعض الدول العربية، وأنه سلوك قائم ومختلف عن كل السياقات التاريخية التي مورست سابقاً في حقل العلاقات الإقليمية التي كانت تعايِشُها دول المنطقة، وقد يقود إلى حدوث خَلَلٍ في السلوك السياسي لدى بعض الدول المجاورة هذا من ناحية, ومن ناحية ثانية فتح الباب واسعاً تجاه النظرة إلى القضايا المركزية وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

وتسلط هذه الدراسة الضوء على جملة من المتغيرات التي طرأت على واقع بعض النُظم السياسية العربية، وتبين انعكاساتها على القضية الفلسطينية. وتقدم وصفاً تحليلياً حول طبيعة التعامل الفلسطيني الرسمي والشعبي مع موجة معاهدات السلام التي أبرمتها بعض البلدان العربية مع إسرائيل.

حدود الدراسة:

تتوزع حدود الدراسة بين عدة موضوعات أو حدود، وأهمها الحد المكاني، والحد الزماني، وحدود الموضوعات، وهي على النحو الآتي:

- الحد المكاني: ويشمل البلدان العربية التي وقَعَت على اتفاق أبراهام، سيما دولة الإمارات ومملكة البحرين والمملكة المغربية والجمهورية السودانية، وتتضمن الدراسة أيضاً في حدها المكاني إسرائيل والفلسطينيين.

- الحد الزماني: لا يقتصر على الفترة التي وقعَ فيها منذ 13 أغسطس 2020م وإلى اليوم، بل يتجاوز ذلك ليشمل الفترة التي سبقَت الاتفاق ومهدت له، سيما منذ بدء شرارة حراك الربيع العربي منذ نهاية عام 2010م، وخلال تحولاته العنيفة منذ صيف عام 2015م.

- حدود الموضوعات: تتضمن هذه الدراسة عدة موضوعات، ومن ضمنها التركيز على حقل العلاقات الإقليمية والتحولات التي قد تحدث للنُظُم السياسية ومدى حاجتها لإبرام بعض المواثيق والاتفاقيات، وتحليل السياسات العامة التي تبنتها السلطة الوطنية الفلسطينية قُبيل الإعلان عن اتفاق أبراهام وبعد ذلك، ووصف تأثير مثل هذه الاتفاقيات على مستقبل القضية الفلسطينية.

الدراسات السابقة:

دراسة (بشارات، 2022) تستعرض هذه الدراسة في محاورها سعي إسرائيل منذ نشأتها لتكوين جذور لها في المنطقة العربية للحفاظ على أمنها وضمان استمراريتها وإقامة علاقات مع انظمة عربية مركزية تعتقد أن مصلحتها القومية والاستراتيجية بإقامة علاقات تطبيعية مع إسرائيل، ذلك على حساب الحقوق الفلسطينية، متجاوزةً هذه الأنظمة العربية المطبّعة الاجماع العربي الذي نص على إقامة علاقات بين الدول العربية وإسرائيل شريطة التوصل لحل القضية الفلسطينية المتمثل بالانسحاب الإسرائيلي من أراضي 1967م كما نصت عليه مبادرة السلام العربية في بيروت عام 2002، مستغلةً إسرائيل هذا الاختراق لتفوقها العسكري والأمني والتكنولوجي والاقتصادي وحاجة دول التطبيع لها، وتحقيق الاختراق الجيوبلوتيكي لإسرائيل في منطقة الخليج العربي من بوابة مجابهة واستحضار الخطر الإيراني الدائم لدول الخليج. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن هذا الاتفاق عمل على تهميش القضية الفلسطينية ضمن الأولوية العربية بات الطرح يركز على الوجود السياسي لإسرائيل في المنطقة العربية من بوابة الخليج العربي.

دراسة (الشيشي، 2021) تناولت هذه الدراسة نشأة النظام الإقليمي العربي، عامةً، ومدى تأثره بالتسويات السياسية مع إسرائيل، والتأثير في هيكل وبنية النظام الإقليمي العربي ككل، والتي أسهمت في بروز اتفاقات التطبيع مع إسرائيل، كاتفاق أبراهام. وتوصّلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن التغيرات الجيوسياسية على مدى العقد الماضي قد تم اختزالها في شكل أزمات جديدة مثل ثورات الربيع العربي، وظهور الحركات الأيديولوجية في الساحة العربية، وقوى الهيمنة غير العربية الجديدة مثل إيران وتركيا على مدى العقد الماضي, وتؤكد الدراسة أن هذه التطورات قد غيرت موقف الملكيات العربية تجاه فكرة الأمن القومي العربي؛ وأصبحت ترى أن القضية الفلسطينية مجرد إلهاء أبعدها عن التهديدات الحقيقية المباشرة, وأنه سيكون لاتفاق أبراهام تداعيات مريرة على النظام الإقليمي العربي.

دراسة ((**Aaron, 2020**) تطرقت هذه الدراسة إلى عرض تداعيات التطبيع العربي مع اسرائيل على حساب القضية الفلسطينية، كما أشارت الدراسة الى تعزيز التعاون الإسرائيلي العربي وتشكيل جبهة مشتركة ضد ايران عبر تهويل وتضخيم خطرها على انها العدو الأول للدول العربية، وتجاهل لحقوق الفلسطينيين السياسية، حيث الرؤية الاستراتيجية للدول العربية المطبّعة أولت المصلحة الذاتية لأمنها القومي لمواجهة ايران على حساب القضية الفلسطينية.

لتتوصل الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها: أن غياب الموقف الرسمي العربي تجاه عملية التطبيع زاد الموقف السياسي الفلسطيني ضعفاً وتيهاً تجاه القضية الفلسطينية، عدا عن انهاء فكرة تطبيق حل الدولتين وإقامة دولة فلسطينية في حال انضمام أنظمة عربية أخرى، وأكدت الدراسة أن الدول العربية المطبعة وخاصة الخليجية منها تدرك أن الطريق الى واشنطن يمر عبر إسرائيل.

تعقيب على الدراسات السابقة

توافقت هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في أن الاصطفاف الجديد بين إسرائيل وبعض الدول العربية تم تحت عنوان مجابهة ايران كقوة إقليمية بما تشكله من خطر على الامن القومي للدول العربية وخاصة الخليجية منها، لكن إسرائيل تنظر الى مجموعة من المحددات الداخلية والخارجية لهذه العلاقة، فهي تهدف لإنشاء نظام شراكة وتشكيل اتحاد خاص مع دول عربية ناشئة لمواجهة ايران من ناحية وإبقاء نفسها بعيدة عن اية ضغوط دولية تحدُ من أهدافها الاستراتيجية بما يتعلق بالقضية الفلسطينية ومن ناحية أخرى انهاء الاجماع العربي الموحد تجاه اسرائيل، نتيجة لذلك عملت إسرائيل على نسج خيوط علاقاتها بما يتناسب مع بقائها الوسيط الأقوى بين الدول العربية والولايات المتحدة الامريكية في لعب دور إعادة تشكيل المنطقة.

أقسام الدراسة:

تَم تقسيم الدراسة إلى جزأين رئيسين: _

الجزء الأول: اتفاق أبراهام: البيئة والمتغيرات: بحيث يتناول هذا الجزء البيئة الحاضنة لهذه الاتفاقية، والمتغيرات السياسية والاقتصادية والفكرية والأيديولوجية التي ساهمت في بلورتها وانعكاس ذلك على الواقع الإقليمي والقضية الفلسطينية.

الجزء الثاني: القيادة الفلسطينية واتفاق أبراهام: إستراتيجية مواجهة التحديات: بحيث يتناول هذا الجزء آلية تعامل القيادة الفلسطينية مع هذا الاتفاق، محددات الدور والفرص والتحديات.

الجزء الأول - اتفاق أبراهام: البيئة والمتغيرات:

جاء اتفاق أبراهام بين إسرائيل وبعض الأنظمة العربية عامةً، والإمارات العربية المتحدة على وجه الخصوص؛ كنتاجٍ للترهلِ السياسي العربي، ووسيلة للبحث عن مقومات البقاء والشرعية، وَنِتاجِ التَشَرذُمِ الإقليمي العربي الناجم عن جملةٍ من الأسباب والمسببات. وفي الجانب الآخر، جاء هذا الاتفاق مُعَبِراً عن حالةِ التفوقِ الإسرائيلي على مختلف الصُعُدِ، السياسية والاقتصادية والتكنولوجية والتقنية، والعمل الدبلوماسي الناعم الذي أتقنه الإسرائيلي في المحافل الدولية، والارتباطات الجذرية والمنهجية مع القوى الدولية والعالمية، والتي مكنت إسرائيل من فرض وجودها في المنطقةِ العربيةِ وأهلها لِلَعِبِ دوراً مركزياً أسهم في تعزيز العلاقات السياسية مؤخراً بين بعض الأنظمة العربية والولايات المتحدة الأمريكية.

اتفاق أبراهام: التسمية والدلالة:

يُشيرُ اسم (أبراهام) إلى نبي الله (إبراهيم) عليه السلام. لذلك، كان لهذه التسمية دلالة دينية هدَفَت إليها إسرائيل. ولاحقاً، بات هذا الاسم يُطلق على مجموعة من اتفاقات السلام التي عُقِدَت بين إسرائيل ودولٍ عربيةٍ برعاية الولاياتِ المتحدةِ الأمريكية. (الشيشي، 2021)

تَمَ تداوُلِ هذا الاسم_ولأولِ مرةٍ_ في بيانٍ مشتركٍ لإسرائيل والإمارات العربية المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ 2020/8/13م، ثم استخدِمَ لاحقاً للإشارةِ، وبشكلٍ جماعيٍّ، إلى اتفاقات السلام الموقعة بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة من جهة، وبين إسرائيل والبحرين من جهةٍ أخرى (ناصر، 2020). مع إبقاء الباب مفتوحاً لدخول المزيد من الأنظمة العربية ضمن هذا الاتفاق، كما جرى مع المغرب والسودان فيما بعد, إضافةً لِتَحَسُسِ مدى استجابة بعض أنظمة الخليج العربي من هذا الاتفاق، وعلى رأسها المملكةِ العربيةِ السعودية، والتي أبدت قبولاً لهذهِ الاتفاقية انسجاماً مع التغيراتِ السياسيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والدينيةِ التي جرت وتجري فيها.

اتفاقية أبراهام - النصوص والبنود:

ارتكزت هذه الاتفاقية، والموقعة بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة، على إقامة علاقات دبلوماسية كاملة، والتعاون المشترك في عدة مجالات، كالسياحة والطيران والأمن والبيئة والمناخ، وغيرها من الجوانب التطويرية والتكنولوجية والأمنية والعسكرية. كما وأشارت هذه الاتفاقية وفي مقدمتها، إلى معاهدتي السلام بين إسرائيل ومصر والأردن. إضافةً إلى "الالتزام المشترك" لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، بحيث "يستجيب للاحتياجات الشرعية وتطلعات الشعبين"، أي الفلسطيني والإسرائيلي. (بشارات، 2022).

حملت هذه الاتفاقية العديد من البنود، والتي يمكن إجمالها بما يأتي: (قناة الجزيرة، 2022)

- تكوين علاقات دبلوماسية، وتطبيع كامل بين البلدين.

- اعتراف كل طرفٍ بسيادة الطرف الآخر واحترامه، ويتم معالجة الصراعات بين البلدين بطرقٍ سلمية.

- إقامة سفارات وتبادل سفراء بين البلدين بأسرع وقتٍ ممكنٍ.

- التزام الدولتين باتخاذ كل الطرق لمنع الأعمال المعادية ضد الطرف الآخر.

- توقيع اتفاقات للتعاون بين البلدين في مجالاتٍ عدة منها: التجارة والاستثمار والتعليم والصحة والسياحة والطيران.

بالمحصلة، اثبت إسرائيل أنها قادرة على التحرك نحو التطبيع التدريجي مع الدول العربية وإقامة العلاقات دون دفع أية أثمان للفلسطينيين. لذلك لم تتطرق هذه الاتفاقية إلى أي إشارةٍ لإقامة دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران لعام 1967م، أو إحياءً لعملية السلام للتوصل إلى حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية من قبيل "حل الدولتين"، أو إلغاء خطط الضم الإسرائيلية لأجزاءٍ واسعةٍ من الضفة الغربية المحتلة. (شطريت، وجرايعة، 2022) ولم تحمل هذه الاتفاقية تصوراً عن مستقبل الدولة الفلسطينية، ولم تبين موقفها من القضية الفلسطينية ككل, بل جاءت وفي جُلها، متوافقةً مع الرواية الإسرائيلية، ومتناغمةً مع موقف الإدارة الأمريكية من الصراع العربي الإسرائيلي عامةً، والصراع الفلسطيني الإسرائيلي على وجه الخصوص.

اتفاق أبراهام: البيئة والمسببات

الإمارات والدور الإقليمي...

تَمتَلِك الإمارات العربية المتحدة العديد من المشاريع والطموحات السياسية والتوسعية الإقليمية التي تفوق قدرتها ونفوذها، وهي بحاجة لقوة إسرائيل ودعم الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الصدد لِتُبرِزُها كَقُوةٍ إقليميةٍ مُأَثِرة في المنطقة العربية.

يختلف هذا الاتفاق في مضامينه عن مسارات التسوية التي جرت بين إسرائيل من جهةٍ، ومصر والأردن من جهةٍ أخرى، لأن مصر والأردن كان لهما مصالح أمنية وإقليمية وفورية على المحك. فهو يستهدف دولاً من خارج الطوق العربي، أي غير مجاورة لها، ولا تربطها حدودٍ جغرافيةٍ أو أمنيةٍ. لكن ثمة بيئة مشجعة وحاضنة لهذا الاتفاق قد مهدت له، وأخرَجَتهُ للعلن بعدما كانت العلاقات بين أطراف الاتفاق سرية، ومقتصرة على بعض التبادلات التجارية والاستخباراتية. (Nashed, 2022)

لم تقتصر الظروف التي أدت إلى توقيع هذا الاتفاق على تهيئة البيئة الحاضنة لاتفاقية أبراهام فحسب، بل إن الإمارات العربية المتحدة كانت قد أقدمت منذ العام 2014 بمقاطعتها للقيادة الفلسطينية، الرسمية والفصائلية، دون أي سبب أو توجّه يذكر. (الغبرا، 2020). فقد رأت الإمارات أن طموحَها بالوصول كقوة إقليمية في المنطقة العربية يستدعي تحالفاً مع إسرائيل، أو تطبيعاً يمنحها النفوذ، وأن البيئة باتت مهيأةً لذلك في ظل وجود اليمين الإسرائيلي في سدة حكم إسرائيل، وترامب في سدة حكم أمريكا، وفوضى تعمُّ المنطقة العربية، وحاجةٍ إماراتية للتكنولوجيا والتقنية الإسرائيلية، يقابِلُها حاجة إسرائيلية للوصول إلى ما هو أبعد من دول الطوق العربي.

في ذات السياق، وضمن حاجة الإمارات للقوة الإسرائيلية، فقد وجدت الإمارات نفسها متورطة مع السعودية، في حربهما ضد اليمن، وفي مواجهة ليبيا، كما وحاولت التأثير على الانتخابات البرلمانية والرئاسية التونسية، والعبث مع النظامين الإيراني والتركي، وفتحت حرباً ضد الإخوان المسلمين في الإقليم العربي، وشاركت السعودية في حصار قطر عام 2017م، وهي مواجهات تفوق قدرتها السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية، وهو ما أحسنت إسرائيل استغلاله في تهيئة المناخ المناسب للإعلان عن هذا الاتفاق، وترجمة الحاجة الإماراتية لها باختراقٍ سياسيٍّ ودبلوماسيّ يصبُّ في مصلحتها.

وسعت دولة الإمارات إلى إصلاح سمعتها التي تضررت جراء مشاركتها في الحرب على اليمن لدى الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى سعيها الحثيث في سبيل الحصول على الأمن السيبراني الإسرائيلي والأمن الغذائي وأنظمة المراقبة والتقنيات العسكرية الإسرائيلية، إضافة إلى ذلك فان الإمارات تريد الحصول على أسلحة تصنف ضمن قائمة الرفض بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية.

انتقلت دولة الإمارات وفق معطيات هذا الاتفاق إلى تدشين مرحلة جديدة من تطبيع العلاقات مع إسرائيل متجاوزةً مبادرة السلام العربية عام 2002، حيث يتضمن ما نشر من الاتفاق، استهداف إيران ونفوذها في المنطقة وفي الواقع إن الاستهداف الحقيقي والمباشر كانت آثاره الواسعة والعميقة على القضية الفلسطينية.

إسرائيل والدور الجديد

لطالما كانت إسرائيل جسماً غريباً قد تم زرعه في وسط الأمة العربية، لكنّ المناعة العربية والإسلامية ظلت ترفضه وتلفظه باستمرار، ولكي تحافظ إسرائيل على البقاء والتمدد. كان لا بد من تحطيم وتفتيت القرار العربي الموحد الرافض لها بكافة الوسائل، ولذلك وضعت إسرائيل عدة تصورات ورؤى إستراتيجية تساعدها أثناء تعاملها مع بلدان المنطقة العربية. (المحارمة، 2010)

استغلت إسرائيل الأحداث الكبيرة في الوطن العربي ودَرَست جيداً العامل الإقليمي ومؤثراته التي لعبت دوراً ضاغطاً على الدول العربية حسب ما تراه إسرائيل. "خاصةً وأنَّها استطاعت أن تجعل من التدخل الإيراني في المنطقة، بوابةً للدخول في علاقاتٍ تطبيعيه مع الدولِ العربية، (وحدة الدراسات السياسية2020). وإن لم تكن تلك العلاقات بالمكشوفة سابقاً، ولطالما ألمحت إسرائيل إلى وجود اتصالاتٍ مع الدول العربية وخاصة الخليجية لاحتواء الخطر الإيراني في المنطقة، ولتكوين محور عربيٍ سنيٍ بالتعاون مع إسرائيل للتصدي لكبح جماحِ المحور الآخر الشيعي الذي تتزعمه إيران. أما الهدف الرئيسي للتفكير الاستراتيجي الإسرائيلي فتمثل في إنهاء مطالبة الدول العربية لحل القضية الفلسطينية والتوصلِ لحلِ الدولتين كأساسٍ لقبولِ تطبيع العلاقات مع إسرائيل. (Zilber, 2020)

ترى إسرائيل أن عملية التطبيع بعيداً عن القضية الفلسطينية تعتبر اختراقاً كبيراً وتغييراً في معادلة "الأرض مقابل السلام" أو "السلام مقابل السلام" للمنظومة العربية القائمة على حل الصراع وإقامة الدولة الفلسطينية (خلف الله، 2021). وأن تكون هذه القضية من ضمنِ ملفات التأجيل وغير حاضرة على الطاولة، بهذا الأمر نجحت إسرائيل في تغيير المعادلة عبرَ إعادة تموضعها ضمن مفاعيل السياسة الإقليمية الضاغطة على تحالفات المنطقة العربية.

لعبت إسرائيل دور الوسيط بين بعض الأنظمة العربية وأمريكا, وهنا برزَ دَورَها، سيما بعد حاجة الإمارات للحصول على أسلحة متطورة, كان ذلك نتيجة التطبيع وإقامة العلاقات مع إسرائيل التي تراها خطوة عظيمة لأنها قوّضت الإجماع العربي الموحد، متجاوزةً الالتزام بمبادرة السلام العربية في بيروت والتي نصت على خطوة اتفاق سلام على أساس حل الدولتين والحل الشامل والعادل للقضية الفلسطينية، ومهدت لإسرائيل بأن تتقدم على غالبية الأنظمة العربية بالاستقرار والقوة والمتانة, وهو شأن أفضى بإسرائيل بأن تلتقي مع الإمارات العربية المتحدة، وغيرها من الأنظمة العربية المطبّعة، وبالعديد من العوامل التي شَكَلَت حاضنةً لهذا الاتفاق.

يَعتَمِد الحل الإقليمي الذي أعدت له القيادة الإسرائيلية على التقاء المصالح والتطبيع السياسي والأمني والتجاري بين إسرائيل وبعض الدول العربية بهدف تمهيد الطريق أمام الرؤية التي تعمل على تأسيس شرق أوسط جديد آمن، يدور في فلك السياسة الأمريكية، شرط خلوه من الصراع العربي الإسرائيلي، وهذا بدوره سيخفف الضغط الأوروبي على إسرائيل، ويزيدُ من قبولها في المجتمعات الأوروبية، وستتمكن من تخفيف الضغط على الإدارات الأمريكية ضرورة البحث عن حل مع الفلسطينيين. (أبو زنيط، 2016). وتهدف إسرائيلُ من وراء هذا التطبيع إلى إخراج نفسها من الدولة المنبوذة في المنطقة، وترويج نفسها على أنَّها تحظى بالقبول، وَتُدرِك بالمقابل أن بعض الدول العربية تسعى للتطبيع ليكون مدخلاً لها لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وتحقيق مكاسب أخرى".**(Aaron, 2020)**

البيئة الدولية الحاضنة .....الولايات المتحدة الأمريكية

تتخلص أبرز معالم البيئة الحاضنة لهذا الاتفاق؛ في احتضانه من قبل أكثر الإدارات الأمريكية توافقاً وتناغماً مع إسرائيل. فقد جرى هذا الاتفاق في ظل إدارة الرئيس الأمريكي السابق (ترامب)، والتي قامت بالكثير من الإجراءات الممهدة لهذا الاتفاق، كنقل السفارة الأميركية للقدس، ودعم الاستيطان في الضفة الغربية، وإلغاء التمايز الرفيع بين الموقفين الأميركي والإسرائيلي اليميني تجاه القضية الفلسطينية.

حيث تبنت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة محاصرة الفلسطينيين اقتصادياً وسياسياً لتهيئة الظروف المناخية المناسبة لإبرام اتفاقية التطبيع التي تُعد جزءاً من صفقة القرن، فبدأت أمريكا بوقف المساعدات المالية للسلطة الفلسطينية، وهي بحدود (840) مليون دولار سنويّاً، ووقف دعم وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين الأونروا بحدود (350) مليون دولار سنويّاً، إضافة إلى إغلاق السفارة الفلسطينية في واشنطن، (الغبرا، 2020) وإلغاء التمثيل الفلسطيني فيها، وغيرها من الإجراءات السياسية والاقتصادية والقانونية، والتي خلقت المناخ المناسب لإبرام هذه الاتفاقية، والبوح بها للعلن، وتشجيع الكثير من الأنظمة العربية للحاق بها.

وقد شكلت هذه العوامل والمسببات، وغيرها، البيئة المواتية لاتفاق أبراهام، والتي أدت إلى شرعنة الوجود الإسرائيلي في فلسطين، وشيطنة الوجود الفلسطيني، ومحاولة تصفية القضية الفلسطينية لصالح إسرائيل، ومنحها مساحةً وبغطاءٍ عربيٍّ وإقليميّ، للمضيّ في مشروعها الاستيطاني والتوسعي في الأراضي الفلسطينية، ومنحها غطاء يتيح لها تنفيذ سياساتها الداخلية وعلى رأسها جملة الإجراءات والقوانين التي من شأنها أن تعزز قوميتها اليهودية.

الضغط الأمريكي لإنجاز الاتفاقية

تسعى الولايات المتحدة الامريكية الى انشاء معادلة إقليمية جديدة تكون هي الممسكة بأوراقها خاصة بعد الانسحاب التدريجي من منطقة الشرق الأوسط وتبني استراتيجية عنوانها إقامة علاقات علنية بين إسرائيل ووكلائها في المنطقة، أهدافها عدم عزل إسرائيل إزاء القضية الفلسطينية بعدم التوصل لاتفاقية سلام، وبالدرجة الثانية التصدي للأنشطة الإيرانية وأذرعها في المنطقة.

لذلك لعبت الولايات المتحدة الامريكية دوراً ضاغطاً على الدول العربية لتوقيع اتفاقية ابراهام بعد قرار تحوّل في الرؤية الامريكية بانحسار دورها في منطقة الشرق الأوسط وتحوّل الرؤية السياسية المركزية نحو ترميم العلاقة مع الدول الأوروبية وتحجيم الدور الصيني واستعادة مكانتها الدولية.

من هذا المنطلق سعت الولايات المتحدة الامريكية زيادة شعور الخطر الإيراني لدى دول الخليج واستحضار خطرها الدائم، والضغط باتجاه انشاء نظام شراكة بتشكيل اتحاد خاص يضم دولاً عربية وإسرائيل، فالأخيرة استغلت ضغط الولايات المتحدة الامريكية لتعيد نسج خيوط علاقاتها مع الدول العربية بعيداً عن أي اشتراطات تتعلق بالقضية الفلسطينية، وإبقاء نفسها بعيدة عن ضغوط دولية بما يتعلق بحقوق الفلسطينيين السياسية، والولايات

المتحدة اثبتت نجاعة الضغط والتخوف المستمر من الخطر الإيراني بصناعة وترويج ايران كعدو أول لمصالح الخليج العربي بمنطقة الشرق الأوسط، وهذا ما دفع الدول العربية بتسريع العلاقات مع إسرائيل، فنسجت خيوط علاقات إسرائيل بما يتناسب مع إبقائها الوسيط الأقوى بين دول عربية والولايات المتحدة في مجالات عدة.

فيما يرى الباحث بخصوص ما سيق من تبريراتٍ حول غاية الاتفاقية بوقف الخطر الإيراني الداهم في منطقة الشرق الأوسط، وحماية أمن الأنظمة العربية المطبعة من المشروع الإيراني وصيانة مصالحها في المنطقة ما هو الا ذر الرماد في العيون، فعملية التطبيع تستهدف بالمقام الأول الفلسطينيين وقضيتهم ومقاومتهم.

بالرغم من الحجج الواهية الداعية للتطبيع العلني بوجود مخاوف مشتركة بين الأنظمة العربية وإسرائيل غالبا ما يستخدم خطر المشروع الإيراني كمستند، فتدخل ايران في العديد من الساحات العربية كاليمن وسوريا والعراق وغيرها مع التسليم بأن التدخل سافر وغير مشروع فان هذا التدخل لا يعني بالضرورة بإقامة علاقات صريحة وعلنية مع احتلال لا زال يُمعن بكافة أشكال القتل والاعتقال ومصادرة الأراضي وشن الحروب على الفلسطينيين، وتاريخه شاهد بشن أكثر من ثماني حروبٍ واعتداءات على دولٍ عربية، وفي حال التوجه بالسؤال للمواطن العربي فتجد الغالبية العظمى من الشعوب ترى إسرائيل هي العدو المركزي والرئيسي، بهذا يكون انهيار صناعة العدو البديل كما تروجها الأنظمة المطبعة وبهذا التطبيع يفقد المطبعين ما بقي لهم من رصيد شعبي عربي.

اتفاق أبراهام: المتغيرات والنتائج

توطدت العلاقات ما بين الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل قبل وبعد اتفاق أبراهام بصورةٍ كبيرةٍ وقائمةً على ثلاث متغيرات رئيسة: معاداة إيران، ومحاربة الإخوان المسلمين وقوى المقاومة المناهضة لإسرائيل، والقناعة المشتركة بأنّ السلام مع الفلسطينيين احتمالٌ بعيد المنال، أي السلام السياسي وقضايا الحل النهائي، وأن التعامل مع الفلسطينيين يجب أن يبقى ضمن الحلول الاقتصادية وتحسين أوضاعهم المعيشية.**(Aaron, 2020)** وفي مقابل ذلك، أرادت إسرائيل من هذا الاتفاق بأن لا يكون مقدمة لتسوية سلمية فقط، بل مقدمةٍ لمزيدٍ من التوسع الإسرائيلي، عبر إعادة بناء وتنظيم الواقع الجيوسياسي للإقليم العربي، وإنهاء أي شكلٍ من إشكال التضامن العربي، الشعبي والجماهيري، مع القضية الفلسطينية.

رغم أن هذه الاتفاقية وكما تدعي دول التطبيع بأنها خادمةً للقضية الفلسطينية، باعتبار فلسطين طرفاً في الصراع الممتد في الشرق الأوسط. كما وتبدو داعمة لمساعي السلام الإقليمي في المنطقة العربية؛ إلَّا أنَّ هذه الاتفاقية وفي باطنها تعميق للصراع الذي سينفجر تهديداً لأمن المنطقة برمتها. (المسعدي، 2020) ولا يقتصر هذا الانفجار على الدول العربية، بل يشمل في جوانبه الإقليم ككل، بمكوناته العربية والتركية والإيرانية، وبما يشتمل عليه من توجهاتٍ سياسيةٍ وإيديولوجيةٍ ودينيةٍ وعقائديةٍ أيضاً.

وبشكلٍ عامٍ، تحاول هذه الاتفاقية فرض متغيرات تمس الإقليم العربي ككل، بحيث تتمثل أبرز معالم هذه المتغيرات عبر ثلاث أصعدة أو جبهات.

النتائج على صعيد الإقليم:

_ محاصرة المجال الحيوي الإيراني: فالعداء الإسرائيلي الإماراتي لإيران ليس سِراً أو موضوعاً جديداً، ذلك لأنَّ كلا البلدين عملا معاً ومنذ مدة طويلة، وفي الخفاء لمحاربة الوجود الإيراني في الإقليم. فالموقع الجغرافي للإمارات العربية المتحدة القريب من إيران هو ما تحتاجه إسرائيل. والقوة العسكرية والتقنية والتكنولوجية والأمنية الإسرائيلية هو ما تحتاجه الإمارات. لذا، تكون إيران بذلك عنواناً للتلاقي الإماراتي الإسرائيلي عبر هذا الاتفاق لمنع الهيمنة الإيرانية على الخليج والشرق الأوسط عموماً. (المسعدي، 2020).

_ الوقوف أمام التمدد والتواجد التركي: تتصارع الإمارات وتركيا، وبشكلٍ ضمنيّ، عبر الساحة والبوابة الليبية حيث تميل كفة هذا الصراع إلى تركيا، خاصةً على ارض الميدان في ليبيا. لذلك، تحاول الإمارات الاستفادة من إسرائيل في هذا الجانب، بحيث يستهدف طرفا الاتفاق وقف التَمَدُد التركي في الإقليم، سيما وأن هناك توجهاتٍ تركيةٍ تهدف إلى تَزَعُم المحور السني في العالم الإسلامي، وهو ما ترفضه دولة الإمارات، والتي تحاول طرح نفسها كقوةٍ إقليميةٍ في الساحة العربية. (المسعدي، 2020).

تخشى إسرائيل، وضمن الحديث عن متغيرات ونتائج هذا الاتفاق، التمدد الإيراني والتركي في بعض الدول العربية. (Zilber, 2020) حيث تتواجد إيران في سوريا ولبنان، ولها اتصالاتها المباشرة وغير المباشرة مع قوى المقاومة الفلسطينية. كما وتتواجد تركيا في قطر والصومال وبعض الأقطار العربية الأخرى، ولكلٍ منها مشروع إقليمي توسعي، وهو ما تخشاه إسرائيل في ظل غياب المشروع العربي، والذي منحها التوسع والنفوذ والقوة. لذلك، ترى إسرائيل في الحقبة الخليجية الحالية الملجأ لسد هذا الفراغ، وتهديم أركان أي محاولةٍ للنهوض العربي، والتصدي للتوسع التركي أو الإيراني. لذا، فإنه من الوارد جداً أن تكون إحدى أهم نتاجات هذا الاتفاق؛ ولادة مشروع عربي إقليمي متوافق مع الرواية الإسرائيلية بشكلٍ لصيق.(الرنتاوي، 2020).

النتائج على صعيد المنظومة العربية:

حاولت الإمارات العربية على مدار السنوات العشر السابقة لعب دور يحتوي على كثيرٍ من الإرباك على صعيد علاقاتها مع الأنظمة والتحول الديمقراطي العربي، بدءاً من السياسة الإماراتية في سوريا، ومن ثم موقف الإمارات المعلن بخصوص عداءها لحركات الإسلام السياسي، ودخولها اليمن ودورها الخاص في موانئ اليمن، وليس اقل إرباكاً من ذلك صراعها في ليبيا مع تركيا ولاحقاً تقاربها مع تركيا.

كذلك وُجِهَت للإمارات العديد من الاتهامات حولِ تدخلها في الشؤون الداخلية للدول العربية التي لم تكن محور صراع والمثال على ذلك تونس التي شكَّلت ساحةً مفتوحةً للصراع الإماراتي مع الديمقراطية والإسلاميين المعتدلين، كما وشكلت تونس عنواناً للتضامن مع القضية الفلسطينية. لذا، تحاول الإمارات ومن خلفها إسرائيل، العبث بالمشهد الديمقراطي التونسي، من خلال اصطناع الأزمات فيها، لإيصال بعض القوى التونسية التي قد تقبل بالتطبيع مع إسرائيل.

وفي الشأن نفسه، تحاول إسرائيل استغلال العلاقات القوية بين الإمارات والجزائر سيما على المستوى الاقتصادي، وذلك عبر التسلل للبيت الجزائري، ومحاولة اختراقه عبر زرع بذور التطبيع فيه، أو فتح قنوات الاتصال مع قواه المدنية والسياسية للتواصل مع الإسرائيليين.

تتطلع إسرائيل، وعبر هذا الاتفاق وغيره، للمضي قدماً في مسارها الاختراقي للشارع العربي من بوابة بعض الأنظمة العربية. وقد باتت الاتفاقيات التي وقعتها إسرائيل مع مصر والأردن والسلطة الفلسطينية؛ مُستَهلَكة، ولا تفي بالأهداف الإسرائيلية التوسعية، فإسرائيل بحاجةٍ لملء الفراغ السياسي الحادث في الإقليم العربي، عبر إيجاد نظام سياسي عربي متماشي معها. إضافةً لسد الفراغ التدريجي في الجانب الأمني الناجم عن الانسحاب العسكري الأمريكي من المنطقة العربية، في ظل تصاعد وتيرة النفوذ الإيراني والتركي في الإقليم العربي (ماكوفسكي، 2020).

النتائج على صعيد القضية الفلسطينية

مخاطر التطبيع بين عددٍ من الدول العربية مع إسرائيل لم تكن يوماً مقصورة على العلاقات الثنائية بين عدد من الدولة العربية وإسرائيل بل تجاوزت تلك العلاقات تغييرات في البيئة الداخلية للقضية الفلسطينية، فلا زالت القدس والضفة الغربية مطمعاً للاستيطان الإسرائيلي ليتم تغييراً استراتيجياً هاماً لجغرافية الضفة الغربية والقدس، يُعتبر تطبيع إسرائيل المتسارع مع الدول العربية قوة انجاز لها، بالمقابل أضعف موقف القضية الفلسطينية وسط تخلي أكثر الدول العربية تأثيراً في المنطقة عن دعمها للقضية الفلسطينية.

بعد اعلان التطبيع العلني زاد التوسع الاستيطاني بشكل غير مسبوق سواء في أراضي الضفة الغربية او القدس، وضمن أخطر الإجراءات الإسرائيلية على الأرض. ولأول مرة يُمنح للمستوطنين في الضفة الغربية شهادات تسوية (طابو) للأراضي التي تم الاستيطان عليها (الطناني 2021)، لذلك فان التطبيع شكّلَ رافعة للاستيطان والضم وليس كما ادعى حكام الدول العربية التي طبعت وبالأخص حكام الامارات أنها أوقفت الاستيطان جراء علاقتها العلنية مع إسرائيل

عدا عن تصاعد عمليات الهدم المستمرة بعد اعلان التطبيع للمنشئات القائمة في القدس والضفة الغربية ومصادرة أراضٍ تُعدُ مخزون للفلسطينيين بما يحتويها من مياه وصخور بالتحديد, وقد أقدمت إسرائيل على تدمير خطوط للمياه تغذي وتخدم قرى مدينة الخليل في أقصى جنوب الضفة واريحا عدا عن المصادقة على بناء اكثر من خمسة الاف وحدة استيطانية جديدة قبل أيام فلا يكاد يمر يوم الا وتهدم منازل فلسطينية ودفيئات وخطوط مياه وتدمير بركسات للمواشي في الاغوار الفلسطينية والقدس ومسافر يطا وقد كان هذا التصاعد من الإجراءات الإسرائيلية بازدياد منذ توقيع اتفاقية التطبيع. الشاهد أن معهد (عكينوت الإسرائيلي) المختص لدراسة الصراع الإسرائيلي العربي اعلن ضمن وثيقة رسمية أن هذا الهدم والضم وتسارعه وسرقة المياه كان ضمن مخطط أرئيل شارون قبل اكثر من عقدين عندما كان على رأس الحكومة الإسرائيلية للسيطرة على كافة موارد الضفة الغربية (الطناني، 2021)، وقد تم تنفيذ العديد من هذا بعد اتفاقية التطبيع, فالحديث لا يدور عن تطبيع فقط بقدر ما هو اضعاف القضية الفلسطينية وتقليص الأراضي الفلسطينية سواء في القدس او الضفة وانهاء حلم إقامة دولة فلسطينية.

عدا عن تحجيم دور القيادة الفلسطينية في الساحة الدولية إذ أن إسرائيل تتذرع بغياب الإجماع العربي حول الموقف الفلسطيني، فغالباً ما تُهَدِد القيادة الفلسطينية باللجوء إلى المحاكم واللجان الدولية لمقاضاة إسرائيل متسلحةً بدعم الدول العربية لها، لكن في ظل ما شهده هذا الاتفاق، فقد بات من الصعب الإجماع العربي على ادانة إسرائيل دولياً، حيث أن إسرائيل تربطها اليوم علاقات مع الدول العربية المطبعة على عدة أصعدة فلا يمكن أن يتم التصويت ضدها في المؤسسات الدولية مع من تربطهم علاقة معها، بذلك تكون دول التطبيع قد اضعفت خاصرة الفلسطينيين دولياً التي طالما استندت عليهم في تقديم مثل هذه المشاريع.

الجزء الثاني - القيادة الفلسطينية واتفاق أبراهام: إستراتيجية مواجهة التحديات:

واقع القيادة الفلسطينية

وجدت القيادة الفلسطينية نفسها أمام تحدٍ جديدٍ متمثلٍ في اتفاق أبراهام بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة، وبرعايةٍ أمريكية، وقبولٍ أوروبيٍّ، وصمتٍ عربيٍّ يرافقه موافقةٌ ضمنية، خاصةً من كبريات الأنظمة العربية، كالسعودية ومصر. فلطالما تمسكت القيادة الفلسطينية باتفاق أوسلو، وقرارات الشرعية الدولية، والمرجعية الرباعية الدولية، والمبادرة العربية للتسوية مع إسرائيل، وذلك للوصول مع إسرائيل، إلى قضايا الحل النهائي. إلا أن إسرائيل لم تلتزم بأي اتفاقٍ مع الأنظمة العربية، لِتُكمِل مسارها الاستيطاني والتوسعي في الأراضي الفلسطينية، وتخاطب الأنظمة العربية عبر بوابة اتفاقات التطبيع، دون الاكتراث للقضية الفلسطينية، والحق الفلسطيني في تقرير المصير، والتحرر من الاحتلال.

يأتي هذا الاتفاق استكمالاً للنهج الإسرائيلي وبتساوقٍ مع بعض دول الخليجي العربي، سيما قادة دولة الإمارات العربية المتحدة. لذلك، رفضت القيادة الفلسطينية اتفاق أبراهام، ورأت فيه تصفية للقضية الفلسطينية، وخروجاً عن قرارات الشرعية الدولية. فهي تهدف إلى إجهاض مبادرة السلام العربية التي تبنت الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي المحتلة، عام 1967م، حسب القرار (242) لمجلس الأمن الدولي، والتسوية العادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين؛ شرطًا للتطبيع مع إسرائيل. لكن في الوقت عينه، فإن هذا الاتفاق يهدف إلى تحييد الدول العربية الواحدة تلو الأخرى عن القضية الفلسطينية، وإرباك المشهد العربي من خلال إضعاف الجبهة العربية المقاطعة لإسرائيل (المسعدي، 2021).

وأصبحت القيادة الفلسطينية تعي بأن القضية الفلسطينية لم تعد بالنسبة للكثير من الأنظمة العربية قضية مركزية تهم العرب جميعاً. وهو شأنٌ ترجمه اتفاق أبراهام، والذي تجاهل الوجود الفلسطيني، سواء الرسمي أو الشعبي أو الفصائلي. فمثل هذه الاتفاقية تعني تقويض مكانة المقاطعة العربية تجاه دولة الاحتلال الإسرائيلي، وإخراج العلاقات السرية بين إسرائيل وبعض الأنظمة العربية للعلن، حتى وإن كانت هذه الدولة هامشية، أو ذات تأثيرٍ محدودٍ على المستوى العربي، كالإمارات والبحرين، لكنها تؤدي إلى السير في سياسة تكريس الإقصاء تجاه القضية الفلسطينية، ونقلها من المركز إلى الهامش (شقور، 2021).

وفي مقابل ذلك، وفي ظل الوضع السائد والمتأزم في المنطقة العربية، وما تعيشه الدول العربية من تأزمٍ اقتصاديٍّ واجتماعيٍّ وسياسيٍّ؛ فإن إسرائيل تعي بأن مثل هذه الاتفاقات ستأخذ، _ومع مرور الوقت_ طابعاً محورياً في مستقبل المنطقة برمتها، وأن قواعد اللعبة في الشرق الأوسط ستتغير وتهتز تحت موجة الاتفاقات الفردية مع إسرائيل، وذلك بسبب توغل دولة الاحتلال في عمق العالم العربي بشكلٍ علنيٍّ وواضح (شقور، 2021)، وهو ما يشكل تحدياً كبيراً للقيادة الفلسطينية، والتي عولت كثيراً على الأنظمة العربية في التصدي للسياسات الإسرائيلية، والضغط على الإدارات الأمريكية المتعاقبة لإجبار إسرائيل على المضي في مفاوضات الحل النهائي مع السلطة الفلسطينية.

وَتُدرِك القيادة الفلسطينية وفي هذا الصدد, بأن مثل هذه الاتفاقات تمنح إسرائيل شرعية دولية، وبكل ما يختلج هذه الشرعية من قراراتٍ وسياساتٍ إسرائيليةٍ تُجاه الفلسطينيين. إضافةً إلى أن هذه الاتفاقات تأتي انسجاماً مع السياسة الإسرائيلية في التعاطي مع الصراع العربي الإسرائيلي عامةً، والإسرائيلي الفلسطيني خاصة، أي بإدارة الصراع وليس حله، ومن ثم تجزئة التسوية إلى مساراتٍ منفصلة، ومن ثم تجزئة هذه المسارات المنفصلة إلى مراحل ومحطات، بعيداً عن كشف رؤية إسرائيل النهائية في حل الصراع مع العرب والفلسطينيين (بن شطريت، جرابعة، 2022) .

القيادة الفلسطينية واتفاق أبراهام: التحديات الذاتية والموضوعية

تتمحور التحديات والصعوبات التي تواجه القيادة الفلسطينية من جراء هذا الاتفاق؛ بالنتائج التي قد تفرزها, بحيث يؤدي هذا الاتفاق إلى شرعنة الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. فقد منحَ اتفاق أبراهام شرعيةً لإسرائيل _خاصةً على المستوى العربي_ في ممارساتها بحق الفلسطينيين، بحيث تسعى إسرائيل لتجاوز أزمة الاحتلال من خلال تعميق شبكة مصالحها وارتباطاتها الإقليمية من جهة، والتمركز كلاعبٍ أساسيٍّ في معادلة الأمن الإقليمي من جهةٍ أخرى. فضلاً عن شيطنة الفلسطينيين في وسائل الإعلام المختلفة والمحسوبة على المحور الإماراتي، وإبراز عدم قدرة الفلسطينيين، قيادةً وشعباً، على مجاراة قضيتهم الفلسطينية. (يوسف، 2020)

تُشكل شرعنة الاحتلال الإسرائيلي الناجمة عن هذه الاتفاقية تحدياً كبيراً للقيادة الفلسطينية، حيث تسعى إسرائيل، ومن وراء هذه الاتفاقية، إلى إعادة إنتاج صورتها الذهنية في العقل العربي من خلال أدواتها الدبلوماسية المباشرة والناعمة، وفي هذا المقام تُريد إسرائيل إعادة بناء صورتها في الوجدان العربي، عبر التقرب من الأنظمة العربية باتفاقات سلام منفردة، واستهداف الأجيال العربية بقالبٍ من الأفكار المخالفة لفكرة أنها دولة احتلال. وقد نجحت إسرائيل _إلى حدٍ ما في هذا الجانب_ في تمرير مجموعة أفكار من خلال القنوات العربية المحسوبة على محور التطبيع، وتُخرج للجمهور العربي بعضاً من المثقفين والسياسيين المنادين بضرورة السلام مع إسرائيل، والنظر إليها كحليفٍ استراتيجيٍّ.

يُجمِع الكثير من الساسة الإسرائيليين إلى أن ما حققته إسرائيل من هذا الاتفاق يعدُ انجازاً سياسياً فاق قدرة السياسة الفلسطينية وعلى مر العقود، في شرعنة الحق الفلسطيني، وتسليط الضوء على السياسات الإسرائيلية، وهو ما يعد وبحد ذاته، تحدياً للقيادة الفلسطينية. (وتد، 2021)

وفي الموضوع عينه، يُبرِز هذا الاتفاق تحدياً هاماً للقيادة الفلسطينية يتمثل في عزلها وتحييدها، وإبعادها عن الداعمين والمناصرين والمؤيدين للقضية الفلسطينية. وهو شأن أثر على السلطة الفلسطينية كثيراً في الآونة الأخيرة، سيما على الصعيدين السياسي والمالي. فقد وجدت القيادة الفلسطينية نَفسَها وحيدةً أمام اتفاق أبراهام، إضافةً لتوقف الدعم المالي عنها من الدول المانحة لها، سواء كانت عربية أو غربية، مما شكل لها تحدياتٍ اقتصاديةٍ واجتماعيةٍ كثيرة. (يوسف، 2020)

مما يدل على حالة التحييد والعزلة التي تعيشها القيادة الفلسطينية منذ توقيع اتفاق أبراهام بين الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل؛ الفشل الذي انتاب الجامعة العربية بالتأكيد على المبادرة العربية أو دعم الموقف الفلسطيني الرافض للتطبيع المنفرد، علاوةً على التلاقي السياسي والإعلامي مع الجهد الإسرائيلي الهادف إلى مواجهة أدوات المقاومة الشعبية الفلسطينية، كتجريم حركة المقاطعة ضد إسرائيل، وقوننة تكميم معاداة السامية في عددٍ من الدول الأوروبية. (يوسف، 2020)

تُوقن القيادة الفلسطينية أن ما سبق ذكره من تحدياتٍ ناجمةٍ عن اتفاق أبراهام تصبُ في تحدٍ أكبر لطالما خشيته القيادة الفلسطينية، وهو توجه بعض الدول العربية، بل والإسلامية أيضاً، إلى التطبيع مع إسرائيل دون الاكتراث للقضية الفلسطينية برمتها. حيثُ تتجه الأنظمة العربية للتطبيع لأسبابٍ داخليةٍ وخارجيةٍ، وهذا يعني وفي بعض مضامينه وتجلياته، خلق مقاربة نظرية جديدة مفادها أن التطبيع والمصالحة عناوين المرحلة وليس حلاً جذريّاً للصراع في ضوء عدم التوصل إلى حل شامل عبر جولات تفاوض امتدت على مدار سنوات طويلة.

أعاد هذا الاتفاق إنتاج نفس التحديات التي واجهتها القيادة الفلسطينية جراء السياسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، لكن بشكلٍ أكثر قوةً، وبغطاءٍ عربيٍّ وإقليميّ ودوليٍّ. كتصفية القضية الفلسطينية، وفرض الاستسلام على الشعب الفلسطيني، وحسم موضوع القدس بعد اعتراف الإدارة الأميركية بها عاصمةً لإسرائيل ونقل سفارتها إليها، وتعزيز الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية المحتلة، وَتَمَسُك إسرائيل بمشروعها المتمثل بضم مناطق واسعة من الأراضي الفلسطينية المحتلة إليها، واستمرار إسرائيل في سياساتها الهادفة إلى اقتسام المسجد الأقصى زمانياً ومكانياً.

قد تكون بعض التحديات الناجمة عن اتفاق أبراهام متوافرةً في البيئة الفلسطينية، خاصة أن القيادة الفلسطينية قد أبدت تراخياً _ومنذ زمنٍ_ في التعامل مع إسرائيل، في ظل تعويلها على القيادات والأنظمة العربية، والمجتمع الدولي، والقرارات الدولية, لكن ومع هذا الاختراق الإسرائيلي للإقليم العربي، فإن الخطوات الإسرائيلية باتت تحظى بقبولٍ عربيٍّ، أو على الأقل؛ بصمتٍ عربيٍّ يستدعي من القيادة الفلسطينية التصدي له، ومواجهة هذه الاتفاقات لما لها من مخاطر على القضية الفلسطينية.

القيادة الفلسطينية واتفاق أبراهام: الفرص المتاحة وسبل التصدي

اتسم طابع القيادة الفلسطينية _ ومنذ توقيعها لاتفاق أوسلو عام 1991م مع إسرائيل_ بمحاولتها استرضاء المجتمع الدولي الراعي لعملية السلام مع الجانب الإسرائيلي. وعوّلت القيادة الفلسطينية كثيراً على الأنظمة العربية في مسارها التفاوضي مع إسرائيل بحثاً عن استجلاب بعض الحقوق الفلسطينية. لكن كان لإسرائيل موقف آخر من هذا المسار، لتُحسن توظيف الوقت في خدمة أهدافها الاستيطانية، وتحويل القضية الفلسطينية لمسألة اقتصادية بحتة، لتصل إسرائيل _عقب ذلك_ إلى العديد من الأنظمة العربية، بالتطبيع تارة، أو بالتعاون الاقتصادي والتجاري والاستخباراتي الخفي تارةً أخرى.

يستدعي اتفاق أبراهام موقفاً جدياً من القيادة الفلسطينية لمواجهة مخرجات ونتاجات هذه الاتفاقية، وإفرازاتها على مستوى الإقليم ككل، ودورها في تغيير قواعد العمل السياسي في الشرق الأوسط أيضاً. لذلك، تحتاج القيادة الفلسطينية إلى تبني إستراتيجية جديدة لإدارة العلاقة مع الدول العربية تأخذ بعين الاعتبار التغيرات التي طرأت على الموقفين الرسمي والشعبي. (فرحات، 2020) إذ أن الجمود الفلسطيني والتعامل مع القيادات العربية شأن له أهميته القصوى بالنسبة للقيادة الفلسطينية في ظل نجاح الاختراقات الإسرائيلية للشارع العربي، وخلاف ذلك ستجد القيادة الفلسطينية نفسها خارج المعادلة، ووحيدة في مواجهة التوغل الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية.

تنطلق معالم هذه الإستراتيجية _وبشكلٍ أوليٍّ وأساسيٍّ_ من ترتيب البيت الداخلي الفلسطيني، وتعزيز مكانة منظمة التحرير الفلسطينية، وتفعيل وسائل وأدوات المقاومة ضد الاستيطان الإسرائيلي، والتوغل اليهودي في الأراضي الفلسطينية.

تحتاج القيادة إلى تجنب الصدام مع الأنظمة المطبعة مهما تمادت في هجومها على الجانب الفلسطيني. وذلك لأن معركة الفلسطينيين الأساسية مع الاحتلال الإسرائيلي، وليست مع العرب، سيما وأن الموقف الشعبي للكثير من الشعوب العربية مغاير لأنظمتها السياسية، وأن أي إساءةٍ تصدر صوب أي طرفٍ عربيٍّ من الممكن أن تستغلها إسرائيل في تكريس اختراقها الدبلوماسي والتطبيعي للأنظمة العربية يلي ذلك، (يوسف، 2020) ضرورة ابتعاد الفلسطينيين عن وضع العرب في مفاضلة بين قضاياهم الوطنية والقضية الفلسطينية. فمن المهم أن يدرك الفلسطينيون بأن هناك معادلات داخلية خاصة بكل دولةٍ عربية، وأن هنالك قضايا لها أبعادها السياسية والاقتصادية والأيديولوجية، وأن شكل وطبيعة وعقيدة النظام السياسي العربي الحاكم هي من تقرر سياسات الدولة الداخلية والخارجية (فرحات، 2020) .

وفي الشأن عينه، فإن القيادة الفلسطينية مطالبةٌ بالبحث عن مناصرين خارج الإقليم العربي، خاصة من الدول الإسلامية، ودول أمريكا اللاتينية، وبعض المجتمعات الأوروبية، وإفريقيا ودول شرق آسيا، والتي تنظر للقضية الفلسطينية بعينٍ مختلفة عن العين العربية، دون ارتباطها بقضايا قومية أو إقليمية تخص الإقليم العربي، وما يختلجه من معادلاتٍ سياسيةٍ جاذبة وطاردة.

ولكي تنجح هذه الإستراتيجية يجب على القوى الفلسطينية التمسك بخيار الوحدة الوطنية، والتمترس وراء مواقف وإستراتيجيات موَحِدة تمنح الكل الفلسطيني الاحترام والوزن والدافع لتجاوز المحن والصعاب من اجل التأثير على موجات التطبيع والحد من نتائجها ومخرجاتها وإفرازاتها المختلفة، وخطورتها على الإقليم العربي ككل (شعبان، 2020).

وعلى القيادة الفلسطينية أن تدرك _وفي قرارة نفسها_ بأنه ليس بمقدورها وبشكل منفرد، الوقوف أمام موجات التطبيع الإسرائيلية المتتالية صوب العرب, لأنها تعي جيداً كيف تدير إسرائيل مسارات السلام والتفاوض, وتعي القيادة الفلسطينية بأن مخزونها من الأدوات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأيديولوجية قد باتت مستهلكة، سواء تلك الموجهة للشارع الفلسطيني، أو الإقليم العربي، وحتى صوب إسرائيل نفسها. لذا، فهي بحاجةٍ للتجديد والتغيير، وقد يكون اتفاق أبراهام فرصةً لها للخروج عن المألوف، والتصدي للغطرسة الإسرائيلية، وإعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية، لكن بأدوات سياسية ودبلوماسية جديدة، وفي ساحات إقليمية ودولية مختلفةً أيضاً.

النتائج:

1. يعتبر اتفاق أبراهام أحد الأعمدة الإستراتيجية الإسرائيلية القائمة على بناء علاقات سلام مع العرب دون حل القضية الفلسطينية.
2. يَعود الزخم الإعلامي الذي امتلكه اتفاق أبراهام إلى أن طرفي الاتفاق أرادوا التغطية على الأسباب الحقيقة الكامنة خلف الاتفاق والمتمثلة في بعدها الأمني.
3. إن منح اتفاق التطبيع اسم اتفاق أبراهام كان السبب وراءه إعطاء الاتفاق صفة وبُعدٌ استراتيجيّ، للتغطية على عدم قدرة الأطراف توضيح سبب الاتفاق، حيث انه يفترض في اتفاقات التطبيع وجود مكاسب مشتركة وفي حالة اتفاق أبراهام تنتفي هذه المبررات .
4. على الرغم من حجم التحديات الذي فرضه اتفاق أبراهام على القيادة الفلسطينية، إلا انه لا يمكن إنكار أن منظومة إجماع العمل العربي ما زالت قائمة على رفض التطبيع دون تحقيق حل عادل للقضية الفلسطينية, وهذه فرصة مميزة للقيادة الفلسطينية.
5. ما زالت الأحزاب والقوى السياسية في الدول العربية التي وقعت اتفاقات تطبيع مع إسرائيل ترفض ذلك، ويُعَد ذلك فرصة أخرى أمام القيادة الفلسطينية.
6. بقاء دولة بحجم السعودية خارج إطار التطبيع يعتبر فرصة في غاية الأهمية بالنسبة للقيادة الفلسطينية، ولا يتوقع الباحث أن تُقدم السعودية على تطبيع علاقاتها مع إسرائيل دون حل القضية الفلسطينية.

التوصيات:

على الرغم من صعوبة الموقف الذي تعايشه القيادة الفلسطينية, والمتمثل في ضرورة الحفاظ على استمرارية العلاقات مع العالم العربي لأسباب كثيرة لا يتسع المجال لذكرها في هذا البحث، إلا أن القيادة في الوقت نفسه مجبرة على الاستمرار في رفضها لاتفاق أبراهام، وهنا مطلوب من القيادة الفلسطينية بشقيها الرسمي وغير الرسمي تبنّي ما يلي:

أولاً: ضعف التطبيع وأي اتفاق مستقبلي مع دول عربية أخرى من خلال التوجه الى الشارع العربي باستغلال الفجوة الكبيرة بين مواقف القيادات ومواقف الشعوب العربية من التطبيع لأنهم الحاضنة العربية للقضية الفلسطينية.

ثانياً: تعبئة الشعوب العربية وتوعيتها بمخاطر وعدائية المشروع الصهيوني على الدول والشعوب وبالذات الشعوب التي تقيم علاقات مع إسرائيل والتأكيد على فهم حقيقة فكرة المشروع الصهيوني الذي لا يكتفي باحتلال فلسطين وانما السيطرة على الدول العربية والشرق الأوسط من خلال توسيع العلاقات مع مؤسسات المجتمع المدني والأحزاب والنقابات والقوى السياسية في العالم العربي من خلال تبني استراتيجيات وطنية لبناء قوية شاملة.

ثالثاً: ضرورة ترتيب البيت الفلسطيني وحل مشكلة الانقسام فيه ليسد الباب امام تبرير تطبيع العلاقات مع إسرائيل بحجة انقسامه وتغييب الصوت الفلسطيني وذلك من خلال إعادة بناء النظام السياسي الفلسطيني على أسس ديمقراطية وحضارية وتشاركية والتسريع في تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية، وتوحيد مختلف الجهود والتناسق ما بين الشعبي والرسمي والحزبي وتوحيد الخطاب السياسي الفلسطيني، داخلياً وخارجياً.

رابعاً: الدعوة الى تأطير ومأسسة الجهود العربية المبعثرة ودعم القضية الفلسطينية لمواجهة التطبيع والتركيز على أهمية الإجماع العربي المتمثل في قمة فاس وبيروت.

خامساً: التركيز على عدالة القضية الفلسطينية، ودورها في تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة من خلال مطالب الفلسطينيين التأكيد المستمر على قرارات المجتمع الدولي الذي ما زال متمسك بعدم شرعية الاستيطان والتأكيد على انه متعارض مع القوانين الدولية.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

فرحات، إبراهيم. (2020). "هل ما زالت فلسطين قضية العرب المركزية"، مجلة شؤون فلسطينية: مركز الأبحاث_ منظمة التحرير الفلسطينية، القدس، العدد 281.

أبو زنيط، اياد. (2016). "دولة إسرائيل" القابلية الجيوسياسية للحياة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة المنار، تونس.

يوسف، أيمن. (2020). "تداعيات التطبيع العربي الإسرائيلي المحتملة على القضية الفلسطينية"، مجلة شؤون فلسطينية: مركز الأبحاث_منظمة التحرير الفلسطينية، القدس، العدد 281.

خلف الله، بهاء الدين. (2021). "تداعيات التطبيع العربي الإسرائيلي على القضية الفلسطينية في ظل الانقسام السياسي الفلسطيني"، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث: مجلد1، عدد 1.

البراري، حسن. (2020). "اتفاق أبراهام: علاقة إسرائيل والإمارات الوطيدة وأثرها على الأردن"، مؤسسة فريدريش ايربت: عمان.

نافعة، حسن. (2020). "مستقبل النظام العربي في ظل تعاقب موجات التطبيع مع إسرائيل" مجلة شؤون فلسطينية: مركز الأبحاث_منظمة التحرير الفلسطينية، القدس، العدد 281.

الغبرا، شفيق. (2020). "أبعاد الاختراق الصهيوني: جدران جديدة ومظالم وآفاق"، مجلة شؤون فلسطينية: مركز الأبحاث-منظمة التحرير الفلسطينية، القدس، العدد: 281.

المحارمة، عباس. (2010). " أثر التحديات الداخلية على النظام الإقليمي العربي"، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، الأردن.

الرنتاوي، عريب. (2020). "مسارات الهرولة نحو التطبيع: «شرعنة» إسرائيل و «شيطنة» الفلسطينيين"، مجلة شؤون فلسطينية: مركز الأبحاث_منظمة التحرير الفلسطينية، القدس، العدد، 281.

شعبان، عمر. (2020). " تطبيع لن يسقط عن كاهل إسرائيل حقوق الفلسطينيين"، مجلة شؤون فلسطينية: مركز الأبحاث_منظمة التحرير الفلسطينية، القدس، العدد، 281.

المسعدي، مكرم. (2020). "المعلن والمخفي في اتفاق "أبراهام"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة.

وحدة الدراسات السياسية. (2020). "اتفاق «أبراهام»: تطبيع علاقات أم إعلان عن تحالف قائم بين الإمارات وإسرائيل؟. المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات_ سلسلة تقدير موقف، الدوحة.

ناصر، بسام. (2020) "الترويج للديانة الإبراهيمية في زمن التطبيع.. ما وراءه؟". https://arabi21.com/story/1301432

قارداش. وجان. (2020) " من يدعم صفقة القرن ولماذا؟". https://www.aa.com.tr/ar/1739463

ماكوفسكي، ديفيد. (2020) "كيف تتطلع "اتفاقات أبراهام" إلى السير إلى الأمام وليس إلى الوراء. https://cutt.us/1QJza .

الشيشي، رامز. (2021) "أثر اتفاقات أبراهام على النظام الإقليمي العربي". . https://democraticac.de/?p=76104

شقور، رفقة. (2021). "من مركزية القضية الفلسطينية إلى اتفاقيات أبراهام". . https://cutt.us/E0Nxg

بشارات، سليمان. (2022). اتفاقيات "أبراهام وتشكل الجغرافيا السياسية لإسرائيل بمنطقة الخليج العربي". https://democraticac.de/?p=80246.

بن شطريت، وجرابعة. (2022). "مسار الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في ظل غياب حل الدولتين". https://studies.aljazeera.net/ar/article/5244

وتد، محمد. (2021). "عام على اتفاقيات أبراهام. هل حقق التطبيع أهدافه؟". . https://cutt.us/3YCQ0

موقع قناة الجزيرة. (2020). "أبرز بنود اتفاق التطبيع الإماراتي البحريني مع إسرائيل". https://cutt.us/hM10y.

وصال، الطناني.(2018). "التطبيع العربي الإسرائيلي واثاره على مستقبل القضية الفلسطينية.
https://www.orsam.org.tr/ar/arap-israil-normallesmesi-ve-bunun-filistin-davasinin-gelecegi-uzerindeki-etkileri/

المراجع الأجنبية

Miller, Aaron. (2020). "How Israel and arab world are making peace without apeace deal". https://carnegieendowment.org/2020/05/27/how-israel-and-arab-world-are-making-peace-without-peace-deal-pub-81918

Nashed, mat. (2022). "The uae and Israel have high hopes for their historic trade deal. Experts are sheptical". https://time.com/6183180/israel-uae-trade-deal/

Zilber, neri. (2020). "Normalization deal between Israel and the uae signals a shift in the region". https://foreignpolicy.com/2020/08/13/israel-uae-normalization-west-bank

العرائض آلية للتأثير في القرار الترابي بالمغرب

Petitions are a mechanism to influence the national decision in Morocco

د.عادل عيدون

كلية العلوم القانونية والاقتصادية - فاس – المغرب

ملخص:

تعتبر العرائض من أولى الآليات التي نقلت العديد من الأنظمة من إطارها الاستبدادي، إلى أنظمة منفتحة تسمح بتلقي ملاحظات وشكايات، دون أن يتعرض مقدموها للمتابعة والتضييق، وتعتبر بريطانيا وفرنسا مهد هذه الآلية التشاركية.

وتكريسا للتوجه الذي يعتبر حق تقديم العرائض ذا أهمية بالغة في إشراك المواطنين والجمعيات في تدبير الشأن العام أو في الحياة السياسية، جعل المشرع المغربي هذا الحق مكسبا دستوريا، باعتباره مظهرا من مظاهر حرية الرأي والتعبير، وارتقى به إلى آلية اقتراحية تسمح للمواطنين والجمعيات، بالانخراط باقتراحاتهم وملاحظاتهم في جميع القضايا التي تدخل ضمن اختصاصات الوحدات الترابية، التي تنتمي لها هاته الجمعيات.

الكلمات المفتاحية: العرائض – تدبير الشأن العام – الديمقراطية التشاركية – الجمعيات

Abstract:

Petitions are fundamental tools that transformed some political authoritarian regimes into open political regimes that accept notes and complaints without subjecting their holders to any prosecution and harassment. In this regard, France and Britain are considered to be the birthplace of this participatory mechanism.

In keeping with this new orientation, the right to present peititons is very important in engaging citizens and associations in the management of public affairs or political life. The Moroccan legislator has made this right an insitituanal gain, as it is one of the aspects of freedom of speech, and has elevated it to a proposition mechanism that permits citizens and associations to participate by their propositions and remarks in all issues that are related to the Territorial Integrity or units of these associations.

Key Words: Petitions - management of public affairs - participatory democracy –asscocations.

مقدمة:

تعتبر آلية العريضة من الآليات التي انتقلت بالنظم السياسية من الحكم المطلق إلى نظام ديموقراطي، تقوم على الإشراك الفعلي للمواطنين في تدبير شؤونهم العامة، حيث يعتبر حق تقديم العرائض من بين أهم الوسائل القانونية التي تحقق هذا المبتغى، فهو يتيح للمواطنين والجمعيات التواصل المباشر مع السلطات العمومية. فالعرائض نقلت العديد من الأنظمة من إطارها الاستبدادي إلى أنظمة منفتحة تسمح بتلقي ملاحظات وشكايات دون أن يتعرض مقدموها للمتابعة والتضييق، وتعتبر بريطانيا وفرنسا مهد هذه الآلية التشاركية.

ارتبط تطور مفهوم العريضة بتطور الحقوق والحريات على مستوى كل دولة على حدة، وقد انعكس هذا التطور في الممارسة السياسية على مفهوم العريضة، التي أعطيت لها عدة تعريفات، فهي طلب موجه إلى السلطات العمومية قصد تدخلها في ظروف معينة بشأن موضوع معين يعرض عليها[164]، حيث يجعل هذا الحق من المواطن والمجتمع المدني مشاركا في تحمل المسؤولية، وهي ثقافة يجب أن تسود ويعمل على تنويع مجالها، ليشمل مجموعة من المواضيع (الإصلاح الجبائي – حقوق اللاجئين والأجانب - إصلاح نظام الصحة والتعليم....)، والتوسع في مجال حريتها دون أي تضييق في استعمال السلطة، لذلك لا يعتقل مقدمو العرائض ورافعو التظلمات.[165]

الحق في تقديم العرائض هو ظاهرة محددة لحرية الرأي والتعبير[166] في أي بلد، فهو يتجسد كلما تم اللجوء إلى سلطة مشكلة من أجل تقديم شكاية أمامها لتصحيح الوضع أو لتقديم أية مطالب أخرى لمصلحة فردية، أو عندما يتم اللجوء إلى إحدى السلطات من أجل اتخاذ إجراء يخدم المصلحة العامة، أو من أجل تنبيهها وتوفير المعلومات التي يمكن أن تيسر المهمة الموكولة إلى هذه السلطة.[167]

تكمن أهمية هذا التعريف في كونه جمع بين الدور التظلمي للعرائض ومساهمتها في تحقيق المصلحة العامة، بدل التعريفات التي تقتصر على جعل العرائض أداة للتظلم ورفع الشكاوى للسلطات العمومية، وبالتالي تجعل الغاية منها تحقيق مصلحة فردية. فالعرائض تشكل نقطة التواصل بين السلطات العمومية والقطاع الخاص والمجتمع المدني تكريسا للديمقراطية التشاركية، وبالتالي يتم الاندماج بين كل أطراف الدولة والمجتمع[168]. حيث يسمح لأفراد المجتمع انطلاقا من هذا الحق المساهمة إلى جانب صناع القرار الرسميين في التقدم بمقترحات ترمي في جوهرها إلى تحقيق

---

[164]- Jacques Leclerc, « Le droit de Pétition: étude de droit comparé », Thèse, Université de droit de Paris, Chatillon-sur-Seine, Imprimerie Ernest Leclerc, 1993, p. 1.

[165]- نور الدين قربال، "المبادرة التشريعية والرقابية للمجتمع المدني: دراسة مقارنة على ضوء دستور 2011"، الطبعة الأولى، مطبعة لينا، 2014، ص: 73.

[166]- Denis Alland et Stéphane Rials, « Dictionnaire de la culture juridique », Paris, Quadrige, éditions Presses universitaires de France (PUF), 2007, p.1157.

[167]- محمد الطوزي، "من أجل تفعيل الحق في تقديم العرائض الشعبية والحق في المبادرة التشريعية، دراسة مقارنة"، منتدى بدائل المغرب، 2012، ص:14.

[168]- نور الدين قربال، مرجع سابق، ص:74.

المصلحة العامة، وتنبيه السلطات إلى وجود قضية معينة تحتاج إلى حل أو الضغط عليها قصد التراجع عن قرار معين، بهذا المعنى تشكل العرائض تجسيدا لمفهوم السيادة الشعبية التي تسعى إلى تكريس مبدأ مساهمة الشعب في تدبير شؤونها العامة، كنوع من أنواع الديمقراطية المباشرة، باعتبارها نقيضا لمبدأ السيادة للأمة الذي يقوم على تفويض أفراد الشعب السلطة لممثلين ينوبون عنهم في تدبير شؤون الدولة عن طريق صناديق الاقتراع.

لقد استقرت الغاية من الحق في تقديم العرائض في خدمة الصالح العام، من خلال جعلها آلية من آليات المساهمة في صيرورة القرار العمومي من طرف فعاليات المجتمع المدني تكريسا لمبادئ المقاربة التشاركية، وجعل السياسة العامة أكثر حكامة من خلال فتح المجال للمعنيين بها لإبداء وجهة نظرهم وتقديم مقترحاتهم بخصوص أي قرار يتعلق بالشأن العام.[169]

تتخذ العريضة في كثير من الأحيان شكل مجموعة من التوقيعات تذيل النص، وعادة ما يتم جمع هاته التوقيعات في الشوارع من قبل متطوعين، وقد راعى الجيل الجديد من الدساتير تأثير التكنولوجيا الحديثة على مشاركة المواطنين في الحياة السياسية من خلال جعل العرائض أداة من الأدوات المهمة في الديمقراطية التشاركية .[170]

وتم تعريف هذا الحق على أنه تمكين المواطن من التقدم بمطالب ومقترحات وشكاوى وتظلمات بشكل خطي إلى السلطات العامة في الأمور التي تتعلق به بشكل فردي، أو تلك التي لها علاقة بالشؤون العامة. ومع تطور مفهوم العرائض بخاصة في الدول الأوربية، بدأت العرائض تتخذ حيزا خاصا بها يرتبط بعلاقة المواطن مع السلطة، والدفاع عن الحقوق والحريات الأساسية، من خلال استخدام العرائض كآلية للضغط على صناع القرار، لتبني مواقف أو سياسات أو تشريعات معينة .[171]

ويجب التمييز بين العريضة وبعض المفاهيم المشابهة كالشكايات بالأساس، فالمفهوم الأساسي لآليات الشكاوى بموجب معاهدات حقوق الإنسان؛ هو أنه يجوز لأي شخص تقديم شكوى ضد دولة طرف في المعاهدة، يدعي فيها حدوث انتهاك للحقوق المكفولة في المعاهدة، إلى هيئة الخبراء التي ترصد وتتبع تنفيذ المعاهدة .[172]

---

[169]- *يجب الإشارة إلى وجود بعض الاستثناءات التي تتعلق بالمجالات السيادية التي لا يمكن التقدم فيها بعرائض، لأنها تكون في الأصل بعيدة عن اهتمامات المواطن ولا تمس بمصالحه العامة، كإدارة الدفاع مثلا، والتي تبقى حكرا على الدولة. كما تجدر الإشارة إلى أن أي دولة تكون لها بعض المرتكزات التي لا يمكن أن تكون مجالا للتقدم بالعرائض، كشكل الدولة ونظامه.....*

[170]- *محمد الطوزي، مرجع سابق، ص:14.*

[171]- *محمد رضا مقتدر، "الحق في تقديم العرائض، بين التجربة المغربية والتجارب الدولية"، مطبعة شمس برينت، 2018، ص: 14.*

[172]- *موقع المفوضية السامية لحقوق الإنسان.*

http://www.ohch.org/AR/HRBodies/TBPetitions/Pages/IndividualCommunications.aspx

يجوز حاليا لسبعة من الهيئات المنشأة بموجب معاهدات حقوق الإنسان ان تتلقى شكاوى فردية أو بلاغات مقدمة من طرف أفراد ضد الدول المصادقة على هاته المعاهدة، وهي: - اللجنة المعنية بحقوق الإنسان.

وتكريسا للتوجه الذي يعتبر حق تقديم العرائض ذا أهمية بالغة في إشراك المواطنين والجمعيات في تدبير الشأن العام أو في الحياة السياسية، جعل المشرع المغربي هذا الحق مكسبا دستوريا، باعتباره مظهرا من مظاهر حرية الرأي والتعبير، وارتقى به إلى آلية اقتراحية تسمح للمواطنين والجمعيات، بالانخراط باقتراحاتهم وملاحظاتهم في جميع القضايا التي تدخل ضمن اختصاصات الوحدات الترابية، التي تنتمي لها هاته الجمعيات.

من كل هذا يمكن طرح الإشكالية التالية، إلى أي مدى استطاع المغرب تكريس المشاركة المواطنة من خلال إعمال آلية العرائض، سيرا على نهج التجارب الرائدة في هذا المجال.

ولدراسة هاته الإشكالية تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي، مع تبني تقسيم ثنائي للورقة البحثية، خصص الفرع الأول للتأريخ لإقرار والاعتراف بحق تقديم العرائض دوليا، والثاني قراءة في الإطار القانوني المؤطر لحق تقديم العرائض بالمغرب.

المحور الأول: الحق في تقديم العرائض: من التأسيس إلى التدويل

إن أهم الأنظمة المعمول بها في مجال العرائض، هي نظم تبلورت وتمأسست عبر مراحل، ومحطات ترسخ فيها لدى المواطنين والسلطات العمومية على السواء إيمان قوي بالحق في تقديم العرائض، كحق بديهي وكأحد الآليات التي يعبر من خلالها المواطنون على آرائهم وتفضيلاتهم وأولوياتهم في علاقتهم مع مؤسسات الدولة، هذا الحق عرف التأسيس له من خلال التجربتين المؤسستين البريطانية والفرنسية (الفرع الأول)، ليتم تبنيه كحق من حقوق الانسان الكونية تضمنته مختلف دساتير الدول الديمقراطية والمنظمات الإقليمية (الفرع الثاني).

الفرع الأول: التأريخ لمفهوم العريضة

مرت العرائض بمجموعة من المحطات التاريخية، انطلقت من بريطانيا وفرنسا كأول الأنظمة السياسية التي سمحت للمواطنين بتقديم العرائض للسلطات، رغم اتسام هاته الأنظمة في تلك الفترة التاريخية بالتسلط والانغلاق، مما يمكن اعتبارها في تلك الفترة ثورة في مجال "الديمقراطية التشاركية"، فهاتان التجربتان التأسيسيتان سمحتا بتطور هاته الآلية واعتمادها لتحقيق مشاركة فعلية في تدبير الشأن العام.

فحق تقديم العرائض عرف كممارسة في النظام البريطاني القائم على الأعراف الدستورية الذي تكرس وبات ثابتا اليوم، مع إعلان الميثاق الأعظم سنة 1215، والذي أقر حق تقديم العرائض للملك، إذ تم تعيين مجموعتين من الأشخاص من قبل الملك مهمتهما تلقي العرائض:

- مجموعة مكلفة بتلقي العرائض؛

- اللجنة العلمية المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة.

- لجنة مناهضة التعذيب.

- لجنة القضاء على التمييز العنصري.

- اللجنة المعنية بحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة.

- اللجنة المعنية بحالات الاختفاء القسري.

- لجنة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

- مجموع دراسة العريضة، وإحالتها على السلطة المختصة.

تم سن تشريع ينص على عدم السماح بتوقيف أي شخص بسبب عرائض، أو ملاحظات أبداها في مجلس الملك في عهد الملك ادوارد الثالث؛ بحيث يتولى الملك الاستماع للعرائض المقدمة من طرف الأشخاص الذين يتظلمون عنده، ويحيلها إلى السلطات المختصة، وبات الأفراد الذين يعترضهم مشكل لم يتطرق له المشرع يتولون تقديم عرائض بشأنها للبرلمان من أجل ملء الفراغ التشريعي.

لعب مجلس العموم في القرن الرابع دورا هاما في تكريس حق تقديم العرائض في مجلس العموم، حيث يتولى المجلس مهمة دراستها وإحالتها على مجلس اللوردات من أجل التقرير في موضوع العريضة مرفقة برأيه بالسلب أو الإيجاب، على أن يعود القرار النهائي للملك في موضوع العرائض. وفي سنة 1669 أكد مجلس العموم البريطاني أن حق تقديم العرائض متاح لكل شخص في المملكة البريطانية، فبات بإمكان أي فرد إعداد العرائض، وتقديمها لمجلس العموم بشأن تظلم وقع عليه على أن يتولى المجلس تلقي العرائض، ودراستها من خلال تحديد موضوعها وطبيعتها لإصدار حكم فيها بالقبول أو الرفض.

تم التأكيد على هذه الممارسة في عهد الملك جاك الثاني، إذ أصدر سنة 1687 إعلانا يسمح بحرية إقامة الشعائر الدينية، هذا الإعلان رفض البرلمان المصادقة عليه فأمر الملك رئيس الأساقفة بتفعيل الإعلان وقراءته جهرا على المنابر، غير أن رئيس الأساقفة رفض هو وستة من مساعديه القيام بذلك من خلال عريضة تقدموا بها للملك تتضمن الرفض، فعمل الملك على إحالتهم إلى هيئة محلفين، غير أن الهيئة برأتهم بدعوى أنهم استعملوا حقهم الطبيعي، وخلد هذا الحدث بلوحة لازالت في البرلمان في "ويستمبر"، وهذا الحدث أسس بشكل فعلي لوجود حق تقديم العرائض.

إن الثورة البريطانية لسنة 1688، والتي جاءت بالملك وليام وزوجته للعرش البريطاني، واللذان وقعا قانون الحقوق سنة 1689، بموجب هذا القانون تم تقييد السلطات الملكية في بريطانيا بوضع الأسس الدستورية للسلطة التنفيذية، والاعتراف بحق تقديم العرائض بشكل خاص، لكن ذلك عرف تحولا سنة 1787 بالتأسيس لحق تقديم العرائض ذات طابع عام أي المواضيع التي تهم المصلحة العامة كإلغاء العبودية. عرفت هذه الفترة كثرة العرائض، الأمر الذي حتم وضع نظام قانوني يحدد مسطرة تقديمها. ولقد تكرس نظام تقديم العرائض في بريطانيا، بحيث لازال إلى حدود اليوم نظام تقديم العرائض لمجلسي العموم واللوردات، وفق إجراءات مسطرية تحدد طريقة التقدم بعرائض وإحالتها على الوزارة المختصة.

كما أن نظام تقديم العرائض كان حاضرا في فرنسا قبل الثورة الفرنسية كحق معترف به، ولكن في شكل عريضة تظلم أو شكوى شخصية لا تتطرق إلى مصلحة عامة، أو سياسية إلى الملك أو السلطات المختصة. إلا أن تكريسها كحق مضمون تم إرساؤه على يد رجال الثورة، من خلال إقرار حق تقديم العرائض بموجب المادة 62 من المرسوم الصادر في 14 دجنبر 1789 والمتعلق بتشكيل البلديات، بمقتضاه سمح للمواطنين الفرنسيين بالحق في التجمع بدون سلاح، من اجل كتابة العرائض، شريطة أن يبلغ بذلك مأمور البلديات، وأن لا ينتدب المواطنون أكثر من عشرة أشخاص لتقديم العرائض. ثم صدر مرسوم آخر في 18- 22 مايو 1791 ينص على أن حق تقديم العرائض

لا يمكن تفويضه أو استعماله بشكل جماعي، حيث نص دستور 1793 في الباب الأول على أن: "للمواطنين الحرية بأن يراسلوا السلطات المؤسسة عرائض موقعة بشكل فردي"، كما نصت المادة 32 من حقوق الإنسان والمواطنة سنة 1793 على حق تقديم العرائض بشكل مطلق وغير محدد بتنصيصها على الآتي: "إن حق تقديم العرائض إلى القائمين على السلطات العامة لا يمكن منعه أو تعليقه أو تحديده بأي شكل"، غير أن الملاحظ هو أن دستور الجمهورية الخامسة لم يمنح حق تقديم العرائض نفس الأهمية، فاكتفى بالتنصيص على ذلك الحق في النظم الداخلية لكل من مجلس الشيوخ والجمعية العامة.

وفي هذا السياق نجد كثيرا من الدول اعترفت بالحق في تقديم العرائض وإن اختلفت في كيفية تنظيمها، إلا أنها لا تخرج عن كونها آلية للمساهمة في السيرورة القرارية، وتنبيه المؤسسات إلى كيفية تدبيرها للشأن العام.

الفرع الثاني: العريضة من خلال التجارب المقارنة

في ظل النقاش الجاري حول تقديم العرائض للجماعات، لا بأس من الاستئناس بالتجارب المقارنة، منها التجربة الفرنسية، التي تعتبر رائدة في هذا المجال. إضافة إلى تجربة مجموعة من الدول، والتي تختلف تجربة كل منها، باختلاف السياق الداخلي الذي سمح بالتأطير القانوني لهاته الآلية التشاركية.

أولا: حق تقديم العرائض بفرنسا:

تعتبر فرنسا دولة رائدة في مجال الديمقراطية التشاركية، وإعمال آلياتها محليا من خلال التأطير القانوني لآليات العرائض. فبالرجوع إلى المدونة العامة للجماعات الترابية بفرنسا، فإننا نجد أنه بالرغم من اعتراف المشرع الدستوري الفرنسي بالعرائض بموجب التعديل الدستوري لسنة 2008[173]، إلا أنه يلاحظ أن العرائض في البنية التشريعية ما دون الدستور، إلى حدود الآن، غير منظمة بموجب النصوص التنظيمية للمدونة، كما لا نجد أثرا بأي من ملحقات هذه المدونة، كما أن كلا من القسم التشريعي والقسم التنظيمي الخاص بمدونة الجماعات "الكالدونية الجديدة" لا يتضمنان بدورهما أية إشارة إلى العرائض.

فالعرائض منظمة فقط بالمدونة العامة للجماعات الترابية الفرنسية بموجب المواد رقم: (1-6231LQ) و 6441(LQ-1) و (1-6331LQ)، وهي المواد المنظمة لثلاث جماعات فرنسية ما وراء البحار ذات وضع خاص، المتمثلة في "سانت-بارتيليمي"، وفي "سانت . بييروميكلون"، ثم في "سانت-مارتان"، وتحتفظ جميعها بنفس الصيغة والأحكام، مع تغيير فقط في أسماء هذه الجماعات، وبالرجوع إلى المضمون الموحد بهذه المواد، نستخرج الأحكام التالية:

1. يمكن للمجلس الترابي مسك، عن طريق عريضة، كل مسألة ناتجة عن اختصاصات الجماعة؛
2. يمكن للعريضة أن تقدم بصفة فردية أو جماعية؛
3. يجب أن تكون خطية، وتحت أي شكل كان، ومحررة بنفس الألفاظ؛
4. يجب أن تكون موقعة من طرف 5% على الأقل من الناخبين المسجلين باللوائح الانتخابية؛
5. يجب أن تكون مؤرخة وتحتوي على الاسم، النسب، عنوان كل ملتمس (موقع) ورقم تسجيله باللائحة الانتخابية؛

[173]- محمد الطوزي، مرجع سابق، ص: 15.

6. توجيه العريضة إلى رئيس المجلس الترابي؛
7. يتداول المجلس التنفيذي في شأن قبول العريضة بقرار معلل، الذي يمكنه أن يكون محل طعن أمام المحكمة الإدارية؛
8. حينما تقبل العريضة، يقدم رئيس المجلس الترابي تقريرا بشأنها في الدورة المقبلة.

إلى جانب التجربة الفرنسية، فقد اعتبرت العديد من الدول العرائض من الآليات الأساسية لإعمال الديمقراطية التشاركية، مستلهمة ذلك من مضامين العديد من المواثيق والعهود الدولية والجهوية.

ثانيا: حق تقديم العرائض: تجارب مختلفة:

بتتبع الدساتير الأوربية، نجد أن حق تقديم العرائض في ألمانيا يعتبر حقا من الحقوق الأساسية، فمن خلال المادة 17 من القانون الأساسي الألماني[174]، يمكن لكل مواطن تقديم طلبات خطية أو شكاوى أو مطالب إلى لجنة العرائض في البرلمان الألماني الاتحادي. وعلاوة على ذلك، أصبح من الممكن منذ الفاتح من شتنبر 2005 تقديم العرائض عن طريق استمارة متوفرة على شبكة الانترنيت إلى لجنة العرائض في البرلمان الألماني الاتحادي، وإذا حصلت العريضة على تزكية 5000 شخص أو أكثر داخل أجل لا يتعدى ثلاثة أسابيع من استلامها، فإن لجنة العرائض عادة ما تناقشها في جلسة عامة، وتستدعي هاته اللجنة الطرف الذي تقدم بالعريضة، تمنح له الكلمة لشرح مبررات طلبه أو شكايته أو تظلمه.[175]

وأكد الدستور البلجيكي كذلك على هذا الحق في مادته 28، حيث منح الحق للبلجيكيين بشكل فردي في توجيه العرائض الموقعة إلى السلطة العامة، وجعل حق توجيه العرائض بشكل جماعي مقتصرا على الهيئات الدستورية. كما أن المادة 50 من الدستور الإيطالي تؤكد على أن جميع المواطنين الإيطاليين يمكنهم رفع العرائض إلى البرلمان لطلب اتخاذ إجراءات تشريعية أو لعرض احتياجات عامة. نفس الحق أكدته المادة 5 من الدستور الهولندي من خلال التنصيص على حق كل فرد في تقديم التماسات أو احتجاجات أو مطالب أو شكاوى للدفاع عن حقوقه، أو عن الدستور والقوانين أو الصالح العام للهيئات التي تمارس سلطة سيادية، أو مؤسسات الإدارة الذاتية والسلطات الأخرى بمنطقتي الحكم الذاتي، وكذلك الحق في أن يخطر بنتائج النظر فيما تقدم به خلال فترة معقولة من الوقت، وأحالت على القانون مسألة تنظيم هذا الحق.

أما الدستور الإسباني فقد كان أكثر توسعا في هذا المجال، حيث أكدت المادة 29 على أنه لجميع الاسبان أن يتقدموا بعريضة كتابية فردية أو جماعية، على أن يطابق شكل العريضة والآثار الناجمة عنها أحكام القانون،

---

[174]- *تنص المادة 17 من القانون الأساسي لجمهورية ألمانيا الاتحادية، كما وقع تعديله في 23 ديسمبر 2014، على أن "كل فرد سواء كان بمفرده أو بالاشتراك مع مجموعة من الأفراد، له الحق في التقدم كتابيا بالتماسات أو بشكاية إلى الجهات المختصة، وإلى المجالس النيابية".*

[175]- *محمد الطوزي، مرجع سابق، ص:14.*

والنقطة المهمة في هذه المادة؛ هي منح هذا الحق لأعضاء القوات الملكية المسلحة أو المؤسسات العسكرية أو الهيئات التي تخضع لنظام عسكري، لكن بشكل فردي فقط وطبقا لما تنص عليه تشريعاتهم الخاصة.[176]

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، شكل حق تقديم العرائض جزءا من التعديل الدستوري الذي يكرس الحقوق الأساسية الخمس التالية: حرية التعبير، والدين، والتجمع، والصحافة، وتقديم العرائض. ويكفل البند المتعلق بالعرائض "الحق للجميع للجوء إلى الحكومة لفائدة السياسات التي تعنيهم أو ضدها، وتشمل هذه الحرية الحق في جمع التوقيعات من أجل قضية معينة والضغط على الهيئات التشريعية لدعم بعض التشريعات أو التصدي لها".[177]

أما الاتحاد الأوربي فقد جعل من حق تقديم العرائض أداة استراتيجية لمشاركة المواطنين الأوربيين[178]، حيث يمكن لكل مواطن في الاتحاد الأوربي أو أي شخص مقيم في إحدى الدول الأعضاء أن يقدم إلى البرلمان الأوربي، سواء بصورة جماعية أو فردية، عريضة بخصوص مسألة تدخل في اختصاص الاتحاد الأوربي وتعنيه بشكل مباشر، كما يمكن للمقاولات ممارسة هذا الحق الذي تكفله المعاهدة؛ إذا كان مقرها بإحدى بلدان الاتحاد.[179]

فالنظام الداخلي للبرلمان الأوربي أشار بشكل تفصيلي لشرط ممارسة حق تقديم العرائض؛ حيث مكن جميع مواطني السوق الأوربية المشتركة من ممارسة هذا الحق، ونصت المادة 56 من النظام الداخلي للجمعية الاستشارية لمجلس أوربا بتنصيصها في معاهدة الوحدة الأوربية بماسترخت سنة 1992 وجاءت كالتالي: "كل مواطن في الاتحاد وكل شخص طبيعي أو معنوي مقيم وله مركز قانوني في دولة عضو، له الحق بشكل فردي أو جماعي بتقديم عريضة للبرلمان الأوربي حول موضوع يدخل في مجال نشاط المجموعة الأوربية، ويتعلق بها بشكل مباشر."

---

[176]- *أنظر: - الدستور البلجيكي لعام 1831 كما وقع تعديله سنة 2012.*

- الدستور الإيطالي لعام 1947 كما وقع تعديله سنة 2012.

- الدستور الهولندي كما وقع تعديله سنة 2008.

- الدستور البرتغالي لسنة 1976 كما وقع تعديله سنة 2005.

- الدستور الاسباني لسنة 1978 الشامل لتعديل سنة 2011.

[177]- *محمد الطوزي، مرجع سابق، ص:15.*

[178]- *اعتمد البرلمان الأوربي سلسلة من القرارات الهادفة إلى تعزيز الحق في تقديم العرائض داخل بلدان الاتحاد الأوربي وتسهيل تنفيذه (على سبيل المثال القرار 2026/200 INV بتاريخ 15 مايو 2011، الجريدة الرسمية للاتحاد الأوربي 34 بتاريخ 7 فبراير 2002، قرارا 2137/2001INI المؤرخ في 12 دجنبر 2001، للاتحاد الأوربي 72 بتاريخ 21 مارس 2002)، كما يعكس قبول البرلمان الأوربي تلقي العرائض إلكترونيا إرادة البرلمان في تسهيل استفادة المواطنين قدر الإمكان من الإجراء.*

[179]- *محمد الطوزي، مرجع سابق، ص:15.*

أما الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، فتشير في المادة 44 إلى أنه "يحق لأي شخص أو جماعة أو أية هيئة غير حكومية معترف بها قانونا في دولة أو أكثر من الدول الأعضاء في المنظمة، أن ترفع إلى اللجنة عرائض تتضمن شجبا، أو شكاوى ضد أي خرق لهاته الاتفاقية من قبل دولة طرف".[180]

من خلال تطور ممارسة حق العرائض نلاحظ أن هذا الحق انتقل من المجال الشخصي الضيق إلى الفضاء العام الواسع، حيث جاء أول ظهور لهذا الحق من أجل الانتصاف من المظالم الشخصية. رغم أن بعض الدساتير لازالت تجمع بين الشكوى والعريضة، وتسندهم لنظر الهيئة التشريعية، فإن مؤسسات أخرى أحدثت مؤسسات خاصة لنظر في التظلمات والشكاوى المتعلقة بانتهاك حقوقهم في علاقتهم بمؤسسات الدولة، وفي المقابل على الصعيد الدولي لم يتم تدويل الحق في تقديم العرائض بقدر ما تم خلق آليات إقليمية، ودولية لتمكين الأفراد من تقديم شكاوى أمام هيئات معنية بمراقبة مدى التزام الدول بالحقوق المكفولة في المعاهدات، والاتفاقيات التي صادق عليها.

إن أنظمة تقديم العرائض في مختلف التجارب الدولية المقارنة تسطر حزمة خاصة لتأطير آليات وكيفيات تقديم العرائض، ويبقى القاسم المشترك بين هذه الأنظمة –وإن كانت تختلف في بعض الجزئيات، أن القرار النهائي بخصوص مآل العريضة يبقى بين يدي الهيئات العمومية والمؤسسات المنتخبة. وتحديد مدى نجاح أي نظام للعرائض في خلق دينامية يضمن مشاركة المواطنين الفعلية في التواصل المستمر لفئات المجتمع مع السلطات العمومية والهيئات المنتخبة، يتأسس على مجموعة من المحددات والمؤشرات الأخرى: كالحق في الحصول على الجواب وفي آجال معقولة، والتقديم المباشر للعريضة دون وساطة، إمكانية تنظيم جلسات للاستماع إلى أصحاب العريضة، إيداع العرائض بطريقة إلكترونية، نشر العرائض ومراحل معالجتها على البوابة الإلكترونية الخاصة بالعرائض، والمغرب لم يشد عن هاته القاعدة فقد أسس لنظام قانون سعى لتنظيم الحق في تقديم العرائض للسلطات العمومية.

المحور الثاني: التأطير القانوني لحق تقديم العرائض بالمغرب

أسس الدستور المغربي لسنة 2011 لمنظور جديد للارتقاء بالمشاركة المواطنة عبر إقرار آليات جديدة لتعزيز مساهمة المواطنين في تدبير الشأن العام الوطني والترابي على السواء. فالمشرع المغربي راهن على العرائض لتجويد التدبير العمومي، ولتجسير الفجوة بين المواطن ومدبري الشأن العام؛ من خلال دسترة هذا الحق، وتظمينه في القوانين التنظيمية للجماعات الترابية بمستوياتها الثلاث (الفرع الأول)، هاته النصوص القانونية عرفت انتقادات عدة من قبل الفاعلين الترابيين الذين اعتبروها أولى عثرات الديمقراطية التشاركية الترابية بالمغرب (الفرع الثاني).

الفرع الأول: المداخل القانونية لإعمال حق تقديم العرائض بالمغرب

تمت دسترة الحق في تقديم العرائض على المستوى الترابي بالمغرب على غرار التجارب الدولية الرائدة في هذال مجال، حيث أشار الدستور المغربي لسنة 2011 في الفصل 139 إلى أنه: "يمكن للمواطنين والمواطنات والجمعيات تقديم عرائض، الهدف منها مطالبة المجلس بإدراج نقطة تدخل في اختصاصه ضمن جدول أعماله"[181]، ويتأسس

[180] - *الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، اعتمدت هاته الاتفاقية في 22 نونبر 1969، ودخلت حيز التنفيذ في 18 يوليوز 1978.*

[181] - *الفصل:139، من الدستور المغربي لسنة 2011، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.1191 بتاريخ 29 يوليوز*

هذا المقتضى التشاركي المتعلق بالعرائض الخاص بالمجال الترابي، على المقتضى العام للعرائض المنظم بموجب الفصل 15، الذي أكد أنه: "للمواطنين والمواطنات الحق في تقديم عرائض إلى السلطات العمومية....."[182]، وقد أشار الفصل 146 بدوره إلى شمولية القانون التنظيمي لهذه العرائض الخاصة بالجهات والجماعات الترابية الأخرى[183]، المشار إليها في الفصل 139، وحول هذا التدامج للمقتضيات الدستورية المنظمة للعرائض، يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

- إذا كان الفصل 139 خاصا بالمستوى الجهوي والترابي، فإن الفصل 15 يعتبر عاما ويشمل جميع المستويات المركزية واللامركزية؛
- أن الفصل 139 منح الحق لكل من المواطنين والجمعيات تقديم العرائض، وبذلك يكون أشمل من حيث الجهة التي يحق لها تقديم العرائض، من الفصل 15 الذي يمنح الحق للمواطنين فقط؛
- أن الفصل 139 خص هذا الحق بمجال واحد، وهو إدراج نقطة تدخل في اختصاص المجالس الجهوية أو الترابية، ضمن جدول أعمالها، على عكس الفصل 15 الذي فتح هذا الحق على جميع المجالات والقضايا.

كما نسجل أن الفصل 146 قد خص هذا المقتضى المتعلق بالعرائض لوحده، بخضوعه للقانون التنظيمي، دون باقي المقتضيات المتعلقة بالمشاركة التي أحال عليها، المشار إليها في كل من الفصل 136: "ويؤمن مشاركة السكان المعنيين في تدبير شؤونهم، والرفع من مساهمتهم في التنمية البشرية المندمجة والمستدامة"، والفصل 139 من" آليات تشاركية للحوار والتشاور، لتيسير مساهمة المواطنين والجمعيات في إعداد برامج التنمية وتتبعها"، واكتفت فقط ضمن هذا الفصل الأخير، بتنظيم آلية العرائض المحلية بموجب قانون تنظيمي، وبهذا يكون المشرع الدستوري قد أضفى على العرائض درجة من الصلابة الدستورية، بينما ترك جل مقتضيات المشاركة الأخرى للقوانين العادية، حيث تتوفر المرونة الكافية من إمكانية إضافة أخرى.

لكن، رغم ما يشكله حق تقديم العرائض من جرأة دستورية، وتطور على مستوى الحقوق والحريات الفردية والجماعية فإن الصيغة التي وردت بها مقتضيات الفقرة الثانية من الفصل 139، جعلت بعض متتبعي الشأن العام الترابي يقللون من شأن هذا المقتضى الدستوري، لأنه جعل موضوع العريضة يقتصر فقط على مطالبة المجلس، بإدراج نقطة تدخل ضمن اختصاصاته في جدول الأعمال.

هذا فيما يخص القراءة الدستورية للحق في تقديم العرائض، أما فيما يخص التنظيم القانوني لهذا الحق على مستوى الجماعات الترابية بمستوياتها الثلاث، فقد ميز المشرع بين الشروط المتعلقة بإيداع عريضة من قبل المواطنات والمواطنات، وتلك المقدمة من طرف الجمعيات.

2011، المنشور بالجريدة الرسمية عدد 5964، بتاريخ 30 يوليوز 2011.

[182] - *الفصل: 15، دستور 2011.*

[183] - *الفصل: 146، دستور 2011.*

وبالرجوع للقانون التنظيمي للجماعات، فبعد التنصيص على الحق في تقديم العرائض في المادة 121، التي اشارت إلى: "طبقا لأحكام الفقرة الثانية من الفصل 139 من الدستور، يمكن للمواطنات والمواطنين والجمعيات أن يقدموا وفق الشروط المحددة بعده، عرائض يكون الهدف منها مطالبة المجلس بإدراج نقطة تدخل في صلاحياته ضمن جدول أعماله.

لا يمكن أن يمس موضوع العريضة الثوابت المنصوص عليها في الفصل الأول من الدستور ."

فقد نص على شروط لتقديم العرائض من قبل المواطنات والمواطنين في المادة 123[184]، أما الشروط المتعلقة بالجمعيات، فقد تم التنصيص عليها في المادة 124:

" يجب على الجمعيات تقديم العريضة استيفاء الشروط التالية:

1- أن تكون الجمعية معترفا بها ومؤسسة بالمغرب طبقا للتشريع الجاري به العمل لمدة تزيد على ثلاث سنوات وتعمل طبقا للمبادئ الديمقراطية والأنظمة الأساسية.

2- أن تكون في وضعية سليمة إزاء القوانين والأنظمة الجاري بها العمل.

3- أن يكون مقرها أو أحد فروعها واقعا بتراب الجماعة المعنية بالعريضة.

4- أن يكون نشاطها مرتبطا بموضوع العريضة".

أما على مستوى العمالات والأقاليم والجهات، فنجد نفس الشروط المطلوبة لإيداع العريضة لدى الجماعات، باستثناء وجود شرط إضافي بالنسبة للجمعيات التي تقدم العريضة إلى مجلس العمالة أو الإقليم، وهو أن يكون عدد منخرطيها يفوق المائة (100).[185]

---

[184] - *تشير المادة 123 من القانون التنظيمي رقم 113.14 المتعلق بالجماعات، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.85 بتاريخ 7 يوليوز 2015، المنشور بالجريدة الرسمية عدد 6380، بتاريخ 23 يوليوز 2015، إلى: "يجب أن يستوفي مقدمو العريضة من المواطنات والمواطنين الشروط التالية:*

- أن يكونوا من ساكنة الجماعة المعنية أو يمارسوا بها نشاطا اقتصاديا أو تجاريا أو مهنيا؛

- أن تتوفر فيهم شروط التسجيل في اللوائح الانتخابية؛

- أن تكون لهم مصلحة مباشرة مشتركة في تقدم العريضة؛

- أن لا يقل عدد الموقعين منهم عن أو مواطنة فيما يخص مائة (100) مواطن الجماعات التي يقل عدد سكانها عن 35000 نسمة و200 مواطن أو مواطنة أنه بالنسبة لغيرها من الجماعات. غير يجب أن لا يقل عدد الموقعين عن 400 مواطن أو مواطنة بالنسبة للجماعات ذات نظام المقاطعات".

[185]- *المادة 115 من القانون التنظيمي 112.14 المتعلق بالعمالات والأقاليم، الصادر بتنفيذه ظهير شريف رقم 1.15.84 صادر في 20 من رمضان 1436 (7 يوليو 2015)، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 6380 بتاريخ 6 شوال 1436 (23 يوليو 2015).*

هذا على المستوى الشكلي لإمكانية تقديم العرائض للجماعات الترابي، أما على مستوى البث فيها، فقد فصل القانون التنظيمي للجماعات فيها بشكل دقيق، من خلال المادة 125:[186]

"تودع العريضة لدى رئيس مجلس الجماعة مرفقة بالوثائق المثبتة للشروط المنصوص عليها أعلاه مقابل وصل يسلم فورا.

تحال العريضة من قبل رئيس المجلس إلى مكتب المجلس الذي يتحقق من استيفاءها للشروط الواردة في المادتين 123 أو 124 أعلاه، حسب الحالة.

في حالة قبول العريضة، تسجل في جدول أعمال المجلس في الدورة العادية الموالية، وتحتال إلى اللجنة أو اللجان الدائمة المختصة لدراستها قبل عرضها على المجلس للتداول في شأنها.

يخبر رئيس المجلس الوكيل أو الممثل القانوني للجمعية، حسب الحالة، بقبول العريضة.

في حالة عدم قبول العريضة من قبل مكتب المجلس، يتعن على الرئيس تبليغ الوكيل أو الممثل القانوني للجمعية، حسب الحالة، بقرار الرفض معلا داخل أجل ثالثة (3) أشهر ابتداء من تاريخ توصله بالعريضة".

وهي نفس المسطرة المتضمنة في القوانين التنظيمية للمستويات الترابية الأخرى، سواء العمالات والأقاليم، أو الجهات على حد سواء.[187]

بعد استيفاء العريضة لشروطها القانونية، تودع لدى رئيس مجلس الجماعة الترابية المعنية، مرفقة بالوثائق المثبتة للشروط المنصوص عليها في القوانين التنظيمية الثلاث، مقابل وصل يسلم فورا، ليتولى الرئيس المعني إحالتها إلى مكتب المجلس الذي يتحقق من استيفائها للشروط القانونية حسب الحالة، وهنا نسجل أن دراسة العرائض عكس ما هو معمول به بالنسبة للعرائض الموجهة إلى السلطات العمومية، التي تحال على لجنة العرائض سواء على مستوى رئاسة الحكومة أو أحد مجلسي البرلمان يتولى مكتب المجلس المعني هذه المهمة دون إحداث لجنة خاصة لهذا الغرض.

الفرع الثاني: قراءة في الإطار القانوني المنظم للحق في تقديم العرائض من قبل الجمعيات بالمغرب

إن الشروط المطلوبة توفرها في الجمعيات لتقديم العرائض للجماعات الترابية، تطرح العديد من الإشكالات على مستوى الممارسة، من قبيل الشرط المتعلق بضرورة توفر الجمعية على أقدمية لمدة تزيد عن ثلاث سنوات، يمكن أن يحرم العديد من الجمعيات الحديثة التأسيس من ممارسة حقها في تقديم العرائض، حتى لو أسست بناء على تظافر جهود مجموعة من الكفاءات الحاملة لمشاريع من شأنها تعزيز الخدمات العمومية التي تقدمها الجماعات الترابية.[188]

---

[186] - *المادة 125 من القانون التنظيمي 14-113 المتعلق بالجماعات.*

[187] - *انظر المادة: - 122 من القانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات.*

- 125 من القانون التنظيمي رقم 113.14 المتعلق بالجماعات.

- 116 من القانون التنظيمي رقم 112.14 المتعلق بالعملات والأقاليم.

[188] - *محمد رضا مقتدر، مرجع سابق، ص: 133.*

كما أن العديد من الفاعلين الجمعويين يعتبرون أن التمكين الدستوري للجمعيات لتقديم العرائض، قد تم إفراغه من محتواه، بفرض الشرط المتعلق بتوفر الجمعية الراغبة في تقديم عريضة لجماعة ما، على فروع بهاته الجماعة، فهو يقصي الجمعيات التي تشتغل على المستوى الوطني، وتتوفر على خبرات وكفاءات في مستوى عال، تستطيع من خلالها التدخل في كل جماعة ترابية، ترى أنها قادرة بقوتها الاقتراحية أن تعطي إضافة قوية في شتى المجالات، التي قد تكون إحدى الجماعات في أمس الحاجة إليها، كما أن هناك جمعيات ذات طابع استراتيجي ووطني اختارت عدم تأسيس فروع لها، ومن حقها تقديم عرائض إلى أي جماعة من الجماعات.

كما أن اشتراط ارتباط موضوع العريضة بنشاط الجمعية، حمل الكثير من التخوفات لدى الفاعل الجمعوي، إذ يمكن اعتبار العرائض التي تقدمها الجمعيات غير مندرجة ضمن اختصاصها بناء على الاختصاصات الواردة في أنظمتها الأساسية التي قد تكون تحمل دلالات متعددة، ويتم استغلالها من أجل رفض العريضة. كما هو الشأن بالنسبة لعبارة المصلحة المباشرة المشتركة، التي تعتبر عبارة عامة وفضفاضة، يمكنها أن تعتبر مدخلا لرفض العرائض المقدمة من طرف المواطنات والمواطنين.

في حين أن شرط أن تعمل الجمعية طبقا للمبادئ الديمقراطية ولأنظمتها الأساسية، فهذا تجسيد حقيقي للفقرة الأخيرة من الفصل 12 من دستور 2011، الذي ينص على أنه يجب أن يكون تنظيم الجمعيات والمنظمات غير الحكومية وتسييرها طبقا للمبادئ الديمقراطية.

وما يؤاخذ على المشرع في مجال البث في العرائض، أنه لم يفتح المجال أمام المواطنين والجمعيات من أجل إيداع العرائض عبر الوسائل الإلكترونية، كما هو الشأن بالنسبة للتجارب المقارنة أو كما هو معمول به على المستوى الوطني، بحيث أن الجماعات يمكن أن تقوم بإعداد بوابة إلكترونية لتلقي العرائض الإلكترونية، مما يسهل التعبئة والتعريف بالعريضة وموضوعها لدى باقي سكان الجماعة أو العمالة أو الإقليم أو الجهة، بخاصة في الجهات ذات المساحة الكبيرة، والتي لا يمكن معها التعبئة لموضوع العريضة الموجهة لمجلس الجهة، والتواصل بشكل مباشر مع المواطنين، في الوقت الذي سيكون من السهل تقديم عرائض من خلال بوابة إلكترونية تابعة لجماعة ترابية معينة، وتمكين المواطنين من الاطلاع على العرائض التي في طور جمع التوقيعات، وأيضا مشاركتها عبر وسائل التواصل الاجتماعي.[189]

وبعد دراسة المكتب للعريضة، تدرج في حالة قبولها في جدول أعمال المجلس للدورة العادية الموالية، وتحال إلى اللجنة أو اللجان الدائمة المختصة لدراستها قبل عرضها على المجلس للتداول في شأنها، مع ضرورة إخبار رئيس المجلس للوكيل أو الممثل القانوني للجمعية بقبول العريضة.

كما يلاحظ بخصوص القوانين التنظيمية الثلاثة، عدم تحديدها لأي آجال قانونية للبت في العريضة والرد عليها في حالة قبولها، لكن التنصيص على تسجيل العريضة المقبولة في جدول أعمال الدورة العادية الموالية يمكن أن يعوض تحديد آجال الرد على أصحاب العريضة المقبولة، لأن رئيس المجلس ملزم بالرد عليهم قبل انعقاد الدورة العادية الموالية، غير أن هذا الالتزام يبقى التزاما أخلاقيا فقط في ظل غياب أي إشارة قانونية لذلك، فالأجل الوحيد الوارد

[189]- *محمد رضا مقتدر، مرجع سابق، ص:135.*

في القوانين التنظيمية، هو في حالة رفض العريضة من قبل مكتب المجلس، آنذاك يتوجب على الرئيس تبليغ الوكيل أو الممثل القانوني للجمعية حسب الحالة بقرار الرفض معللا داخل أجل شهرين ابتداء من تاريخ توصله بالعريضة.

وهنا يطرح السؤال في حالة قدمت عريضة إلى المجلس المعني بالأمر قبل شهر واحد من انعقاد دورته العادية، واحتسابا لأجل الشهرين فإن أصحاب العريضة المرفوضة لن يعرفوا مآل عريضتهم إلا بعد انعقاد دورة المجلس العادية، وهو أمر غير منطقي، ما يعني أن أجل الشهرين مبالغ فيه إلى حد ما.

ويمكن الإشارة إلى نقطة تم إغفالها من طرف المشرع في هذا المجال، وهي مدى إمكانية إدراج العرائض ضمن نقط جدول أعمال الدورات الاستثنائية التي يمكن عقدها لتجاوز تأخر البت في العرائض، ولاسيما إذا كانت تتضمن مطالب ذات طبيعة استعجالية.

كما أن عدم فتح المجال للطعن في قرار الرفض يعتبر من النواقص المسجلة في هذا الإطار، إذ من المفروض إتاحة الفرصة للطعن في هذا القرار، إذا تبين لأصحاب العريضة أن عريضتهم تتوفر فيها جميع الشروط القانونية، وأن قرار الرفض غير مبني على أسس قانونية.

إضافة إلى أنه لم يتم التنصيص على إمكانية دعوة وكيل العريضة من أجل الاستماع إليه بشأن العريضة، أو تقديم إيضاحات يرى المكتب أو المجلس، حسب الحالة، أنها ضرورية أثناء التحقق من العريضة من خلال البت فيها.[190]

خاتمة:

تكريسا للتوجه الدولي الذي يعتبر حق تقديم العرائض ذا أهمية عظمى في إشراك المواطنين، والجمعيات في تدبير الشأن العام أو في الحياة الاجتماعية، جعل المشرع المغربي هذا الحق حقا دستوريا، باعتباره مظهرا من مظاهر حرية الرأي والتعبير، وهو عمل يتم على أساسه توجيه الالتماس إلى السلطة العمومية أملا في الحصول على الإجابة، أو يطلب الأفراد من السلطات العمومية إبداء رأي حول موضوع معين أو تقديم ملاحظات في الأمور التي تتعلق بها بشكل فردي، أو تلك التي لها علاقة بالشأن العام. كما يعتبر حق تقديم العرائض من بين أهم الوسائل القانونية التي تتيح للمواطنين والجمعيات التواصل المباشر مع السلطات العمومية، وذلك من أجل بسط تظلماتهم ومقترحاتهم لتجويد تدبير الشأن العام، وهو معطى يجعل من ممارسة هذا الحق من بين أهم مظاهر الديمقراطية التشاركية التي ترتكز على إشراك المواطنين الجمعيات في تدبير الشأن العام، وانخراطهم الفعلي في الحياة السياسية.[191]

وإذا كانت المؤشرات الأولية الميدانية والعملية، كما جاء في مخرجات الدراسة التي قمت بها المديرية العامة للجماعات المحلي حول إعمال آلية العرائض وتفعيلها ميدانيا[192] -على سبيل المثال-، توحي بمحدودية إعمال آلية تقديم العرائض على المستوى الترابي، فإن ذلك يعتبر منطقيا لأن التجربة المغربية لم تعرف بعد تراكما كبيرا في هذا المجال، بحيث أنه ولأول مرة تمت دسترة هذا المفهوم بشكل صريح مع دستور 2011، وتم تزيل مضامينه في القوانين

---

[190] - *المرجع نفسه، ص: 136.*

[191] - *عبد اللطيف بكور وحسنة كجي، مرجع سابق، ص:64.*

[192] - *المديرية العامة للجماعات المحلي، "الديمقراطية التشاركية المحلية، تقديم العرائض للجماعات الترابية كنموذج"، 2019.*

التنظيمية للجماعات الترابية سنة 2015، غير أنه يمكن القول أن المغرب أمام مرحلة تأسيسية واعدة لإقرار ثقافة المشاركة السياسية من مدخل العرائض.

المراجع:

1- Jacques Leclerc, « Le droit de Pétition: étude de droit comparé », Thèse, Université de droit de Paris, Chatillon-sur-Seine, Imprimerie Ernest Leclerc, 1993, p. 1.

2- نور الدين قربال، "المبادرة التشريعية والرقابية للمجتمع المدني: دراسة مقارنة على ضوء دستور 2011"، الطبعة الأولى، مطبعة لينا، 2014، ص: 73.

3- Denis Alland et Stéphane Rials, « Dictionnaire de la culture juridique », Paris, Quadrige, éditions Presses universitaires de France (PUF), 2007, p.1157.

-4 محمد الطوزي، "من أجل تفعيل الحق في تقديم العرائض الشعبية والحق في المبادرة التشريعية، دراسة مقارنة"، منتدى بدائل المغرب، 2012، ص:14.

-5 نور الدين قربال، مرجع سابق، ص:74.

-6يجب الإشارة إلى وجود بعض الاستثناءات التي تتعلق بالمجالات السيادية التي لا يمكن التقدم فيها بعرائض، لأنها تكون في الأصل بعيدة عن اهتمامات المواطن ولا تمس بمصالحه العامة، كإدارة الدفاع مثلا، والتي تبقى حكرا على الدولة. كما تجدر الإشارة إلى أن أي دولة تكون لها بعض المرتكزات التي لا يمكن أن تكون مجالا للتقدم بالعرائض، كشكل الدولة ونظامه.....

-7محمد الطوزي، مرجع سابق، ص:14.

8-محمد رضا مقتدر، "الحق في تقديم العرائض، بين التجربة المغربية والتجارب الدولية"، مطبعة شمس برينت، 2018، ص: 14.

9- موقع المفوضية السامية لحقوق الإنسان.

http://www.ohch.org/AR/HRBodies/TBPetitions/Pages/IndividualCommunications.aspx

يجوز حاليا لسبعة من الهيئات المنشأة بموجب معاهدات حقوق الإنسان ان تتلقى شكاوى فردية أو بلاغات مقدمة من طرف أفراد ضد الدول المصادقة على هاته المعاهدة، وهي: - اللجنة المعنية بحقوق الإنسان.

- اللجنة العلمية المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة.
- لجنة مناهضة التعذيب.
- لجنة القضاء على التمييز العنصري.
- اللجنة المعنية بحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة.
- اللجنة المعنية بحالات الاختفاء القسري.
- لجنة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

-10محمد الطوزي، مرجع سابق، ص: 15.

-11 تنص المادة 17 من القانون الأساسي لجمهورية ألمانيا الاتحادية، كما وقع تعديله في 23 ديسمبر 2014، على أن "كل فرد سواء كان بمفرده أو بالاشتراك مع مجموعة من الأفراد، له الحق في التقدم كتابيا بالتماسات أو بشكاية إلى الجهات المختصة، وإلى المجالس النيابية".

-12 محمد الطوزي، مرجع سابق، ص:14.

-13 أنظر: - الدستور البلجيكي لعام 1831 كما وقع تعديله سنة 2012.

- الدستور الإيطالي لعام 1947 كما وقع تعديله سنة 2012.

- الدستور الهولندي كما وقع تعديله سنة 2008.

- الدستور البرتغالي لسنة 1976 كما وقع تعديله سنة 2005.

- الدستور الاسباني لسنة 1978 الشامل لتعديل سنة 2011.

-14 محمد الطوزي، مرجع سابق، ص:15.

-15 اعتمد البرلمان الأوربي سلسلة من القرارات الهادفة إلى تعزيز الحق في تقديم العرائض داخل بلدان الاتحاد الأوربي وتسهيل تنفيذه (على سبيل المثال القرار 2026 /INV200 بتاريخ 15 مايو 2011، الجريدة الرسمية للاتحاد الأوربي 34 بتاريخ 7 فبراير 2002، قرارا 2137/2001INI المؤرخ في 12 دجنبر 2001، للاتحاد الأوربي 72 بتاريخ 21 مارس 2002)، كما يعكس قبول البرلمان الأوربي تلقي العرائض إلكترونيا إرادة البرلمان في تسهيل استفادة المواطنين قدر الإمكان من الإجراء.

-16 محمد الطوزي، مرجع سابق، ص:15.

-17 الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، اعتمدت هاته الاتفاقية في 22 نونبر 1969، ودخلت حيز التنفيذ في 18 يوليوز 1978.

-18 الفصل:139، من الدستور المغربي لسنة 2011، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.1191 بتاريخ 29 يوليوز 2011، المنشور بالجريدة الرسمية عدد 5964، بتاريخ 30 يوليوز 2011.

-19 الفصل: 15، دستور 2011.

-20 الفصل: 146، دستور 2011.

21- تشير المادة 123 من القانون التنظيمي رقم 113.14 المتعلق بالجماعات، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.85 بتاريخ 7 يوليوز 2015، المنشور بالجريدة الرسمية عدد 6380، بتاريخ 23 يوليوز 2015، إلى: "يجب أن يستوفي مقدمو العريضة من المواطنات والمواطنين الشروط التالية:

- أن يكونوا من ساكنة الجماعة المعنية أو يمارسوا بها نشاطا اقتصاديا أو تجاريا أو مهنيا؛

- أن تتوفر فيهم شروط التسجيل في اللوائح الانتخابية؛

- أن تكون لهم مصلحة مباشرة مشتركة في تقدم العريضة؛

- أن لا يقل عدد الموقعين منهم عن أو مواطنة فيما يخص مائة (100) مواطن الجماعات التي يقل عدد سكانها عن 35000 نسمة و200 مواطن أو مواطنة أنه بالنسبة لغريها من الجماعات. غير يجب أن لا يقل عدد الموقعين عن 400 مواطن أو مواطنة بالنسبة للجماعات ذات نظام المقاطعات".

-22المادة 115 من القانون التنظيمي 112.14 المتعلق بالعمالات والأقاليم، الصادر بتنفيذه ظهير شريف رقم 1.15.84 صادر في 20 من رمضان 1436 (7 يوليو 2015)، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 6380 بتاريخ 6 شوال 1436 (23 يوليو 2015).

23- المادة 125 من القانون التنظيمي 14-113 المتعلق بالجماعات.

24- انظر المادة: - 122 من القانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات.

- 125 من القانون التنظيمي رقم 113.14 المتعلق بالجماعات.

- 116 من القانون التنظيمي رقم 112.14 المتعلق بالعملات والأقاليم.

25-محمد رضا مقتدر، مرجع سابق، ص: 133.

26-محمد رضا مقتدر، مرجع سابق، ص:135.

27- المرجع نفسه، ص: 136.

28- عبد اللطيف بكور وحسنة كجي، مرجع سابق، ص:64.

29- المديرية العامة للجماعات المحلي، "الديمقراطية التشاركية المحلية، تقديم العرائض للجماعات الترابية كنموذج"، 2019.

الغزو الروسي لأوكرانيا عام 2022 وأثر تداعياته في رسم ملامح النظام الدولي

The Russian invasion of Ukraine in 2022 and the impact of its repercussions on shaping the features of the international system

أ.م.د. زياد يوسف حمد

كلية القانون والعلوم السياسية

الجامعة العراقية – العراق

الملخص :

ان التداعيات الدولية للغزو الروسي على أوكرانيا ألقت بظلالها على المجتمع الدولي بصورة عامة , اذا ماعلمنا حجم القوة الاقتصادية التي تتمتع بها اوكرانيا والتي تأثرت كثيرا بهذا العمل العسكري , وكذلك ماكان يطمح له حلف الناتو وهو التقرب أكثر من الحدود الروسية عن طريق وعوده بضم اوكرانيا ومنحها إمتيازات تساعدها على الوقوف بالضد من جارتها , وهو مالم يتحقق وفي مناسبات كثيرة , اذ كانت وعود الناتو شفوية لحكومة كييف , كان الغرض منها إثارة الروس وهو ماحدث فعلا وعلى أرض الواقع في شباط من عام 2022 , وماتلاها من أحداث عسكرية مستمرة لغاية كتابة هذا البحث , فضلا عن كون هذا العمل العسكري الروسي قد خلق أجواء دولية مشحونة مابين مؤيد ورافض ومابين متحفظ والسبب لأن الكثير من الدول تحاول بطريقة وأخرى عدم الدخول بمواجهة مباشرة مع روسيا .

الكلمات المفتاحية: الغزو الروسي – اوكرانيا - حلف الناتو

Abstract:

The international repercussions of the Russian invasion of Ukraine cast a shadow over the international community in general, if we know the size of the economic power enjoyed by Ukraine, which was greatly affected by this military action, as well as what NATO aspired to, which is to get closer to the Russian borders through its promises to annex Ukraine and grant it privileges Help her to stand against her neighbor, which was not achieved and on many occasions, as NATO's verbal promises to the Kyiv government, the purpose of which was to provoke the Russians, which actually happened on the ground in February of 2022, and the subsequent military events continue until writing this research, as well. About the fact that this Russian military action has created a charged international atmosphere between

supporters and opponents and between conservatives, and the reason is because many countries are trying, in one way or another, not to enter into a direct confrontation with Russia.

Keywords: Russian invasion - Ukraine – NATO

المقدمة / أن أوكرانيا تعد ثاني أقوى جمهورية سوفيتية بعد روسيا , وذات أهمية استراتيجية واقتصادية وثقافية , ومنذ انفصال أوكرانيا عن الاتحاد السوفيتي ، تنافست كل من روسيا والغرب من أجل نفوذ أكبر في البلاد للحفاظ على ميزان القوى في المنطقة لصالحهما , فعن طريق اوكرانيا تمر انابيب الغاز الى اوربا , كما تمثل مهد العرق الروسي وتضم نسبة عالية من السكان تعود أصولهم لهذا العرق , لذا حاول الروس بشتى الطرق من الوصول الى أوكرانيا ومنها غزو عام 2014 وضم شبه جزيرة القرم , وآخرها الحرب الروسية المعلنة على اوكرانيا والمستمرة لغاية لحظة كتابة هذا البحث , كل ذلك له تداعيات دولية كبيرة .

اشكالية البحث /تكمن إشكالية البحث في تساؤل رئيسي مفاده أن الغزو الروسي لأوكرانيا مثل أنتهاك للسيادة الدولية وهوماسيلقي بظلاله مستقبلا على الواقع الدولي , ومن أجل الإجابة على هذا التساؤل يتوجب علينا تحليل ذلك بمجموعة أسئلة فرعية ومن خلالها سيتم التوصل لإجابة تساؤلنا الرئيسي , وهذه الأسئلة الفرعية هي :.

1/ ماأهمية روسيا بالنسبة لأوكرانيا .

2/ ما هي الاستراتيجية الروسية تجاه حلف الناتو وموقفه من أوكرانيا .

3/ ماهي الرؤية المستقبلية لما بعد الغزو الروسي .

فرضية البحث / ينطلق البحث من فرضية مفادها هو ان هناك تداعيات دولية كبيرة حدثت بعد الغزو الروسي لأوكرانيا ,, وكان لها دور كبير في رسم وتوضيح معالم النظام الدولي للمرحلة المقبلة .

هيكلية البحث / تم تقسيم البحث الى ثلاثة مباحث , ففي المبحث الأول سيتم التركيز على أهمية اوكرانيا بالنسبة لروسيا ومن خلال مطلبين , سيكون المطلب الأول عن الأهمية الجغرافية والتاريخية , بينما ستكون الأهمية الأقتصادية محور المطلب الثاني , أما المبحث الثاني سيكون عن جوانب الغزو الروسي لأوكرانيا , ومن خلال مطلبين , الاول منه عن أحداث شيه جزيرة القرم عام 2014 , اما المطلب الثاني سيتم البحث فيه عن غزو عام 2022 ودور حلف الناتو منه . أما المبحث الثالث ستتم دراسته بثلاثة مطالب , الأول منه عن التداعيات الدولية للغزو , أما الثاني فسيكون عن الاستراتيجية الروسية من حلف الناتو والاصرار على ضم اوكرانيا , بينما سيكون محور المطلب الثالث عن الرؤية المستقبلية للنظام الدولي بعد الغزو .

المبحث الأول / أهمية أوكرانيا بالنسبة للجانب الروسي

تندرج أهمية أوكرانيا بالنسبة للجانب الروسي من منطلقات كثيرة لعل أبرزها وأهمها هي الجوانب الجغرافية والتاريخية والأقتصادية وكما يأتي :.

المطلب الأول / الأهمية الجغرافية والتاريخية :. إن جغرافية اوكرانيا مختلفة عن غيرها من الدول إذ تقع أغلبية البلاد داخل السهل الأوروبي الشرقي. وهي ثاني أكبر بلد من حيث المساحة في أوروبا بعد روسيا , كما أن مناطقها المختلفة ذات خصائص جغرافية متمايزة من المرتفعات إلى الأراضي المنخفضة مع تمتعها بتنوع مناخي كبير , وتضاريسها تكون على شكل سطح سهلي عام يدخل في السهل الاوربي الكبير المتسع شرقا , ومعظم اراضيها (مايقارب 70% من مساحتها) تكون مناطق سهلية قليلة الارتفاع ، وكما تؤلف الهضاب والتلال المنخفضة فيها نحو مايقارب (25% من مساحتها) , أما المتبقي من مساحتها فتكون مناطق مرتفعة وجبلية .[193]

وفيها أهم مجاري الانهار وهو نهر الدنيبر وكذلك نهر الدوننيتس الشمالي ونهر الدنيستر وسالفير وأنهار أخرى قصيرة [194], تلك الجغرافية التي تتمتع بها أوكرانيا كانت عاملا مهما ومؤثرا بالنسبة للجانب الروسي[195], كما انها تاريخيا كانت تعد اوكرانيا جزءا منها لاسيما بعد اندلاع العديد من الثورات فيها ومنها ثورة عام 2004 إذ عدت روسيا تلك المحاولات هو محاولة الدول الغربية لتغيير الانظمة الموالية لموسكو والصديقة لها في مناطق اوراسيا والبلقان ومع ذلك وفي تلك الثورة تحديدا استطاعت روسيا من ايصال احد الموالين لها لسدة الحكم وهو (فيكتور يانوكوفيتش) ,[196]

هذه الاحداث وغيرها تقودنا الى نتيجة مفادها مدى أهمية العوامل الجغرافية ومسندة بالجانب التاريخي بالنسبة لروسيا ونظرتها تجاه اوكرانيا إذ تعدها مجالها الحيوي وبوابتها المنيعة تجاه التوسع الذي يشهده حلف الناتو في الدول القريبة لها وهو ماكان احد الاسباب التي ستقودنا في بحثنا هذا الة التدخل العسكري الروسي في اوكرانيا .

المطلب الثاني / الأهمية الإقتصادية :. هي من الجمهوريات المتطورة اقتصاديا لتوافر الثروات الباطنية المهمة , واهمها خامات الفحج الحجري هو الحديد ومصادر الطاقة كذلك من النفط والغاز والكهرباء , اذ تتركز اهم مناجم الفحم في حوض الدونيتس في شرقي البلاد , واحواض (لفوف . فالينسك) في غربي البلاد اما اهم حقول انتاج الحديد فتوجد في

---

[193] () *احمد أمين وآخرون ,الازمة الاوكرانية وتداعياتها على مستقبل النسق الدولي , المركز الديمقراطي العربي , المانيا , برلين , 2022 , ص14*

[194] () *حسام الدين جاد الرب , الجغرافيا السياسية , الدار المصرية اللبنانية , القاهرة , 2008 , ص232*

[195]) (group of authors , the kremlin playbook, part 3 ,(keeping the faith) , a report of the CSIS Europe ,Russia , anr Eurasia program , center for strategic and international studies , February 2022 , p 25

[196] () *احمد ابو زيد ,الازمة الاوكرانية والحرب الباردة الجديدة في فهم الواقع الدولي , معهد العربية للدراسات , اذار 2014 , ص4*

(كريفوري روغ) , اما المنغنيز فيكون إستخراجه بالقرب من مدينة (نيكوبول) , وفيها معادن أخرى مثل املاح البوتاسيوم والملح الصخري والكبريت.[197]

في 24 اب 1991، إستقلت أوكرانيا عن الاتحاد السوفيتي السابق وعانى اقتصاد الدولة الجديدة من انخفاضات هائلة في الإنتاج وارتفاع معدل التضخم في السنوات التالية., كما شهدت تضخماً كبيرا في أوائل التسعينيات من القرن الماضي بسبب عدم الوصول إلى الأسواق المالية والتوسع النقدي الهائل لتمويل الإنفاق الحكومي ، في حين انخفض الإنتاج بشكل كبير , وكان هذا الانخفاض في الإنتاج والتضخم المرتفع شائعاً في ذلك الوقت لمعظم الجمهوريات السوفيتية السابقة ، لكن أوكرانيا كانت من بين الدول الأكثر تضرراً من هذه المشاكل.[198]

استقرت أوكرانيا في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. وشهد عام 2000 أول عام من النمو الاقتصادي منذ استقلالها واستمر الاقتصاد في النمو بفضل نمو الصادرات بنسبة 50٪ بين عامي 2000 و2008 إذ كانت تلك الصادرات بشكل رئيسي من الصناعات التقليدية للمعادن والكيمياويات والأغذية ,وبين عامي 2001 و2008 ، إنتعشت أسعارتلك المواد بسبب النمو الاقتصادي الدولي السريع ، بينما ظل سعر الغاز الطبيعي المستورد من روسيا منخفضاً.[199]

كما عانى الاقتصاد الاوكراني إسوة بباقي إقتصاديات الدول من الأزمة المالية عام 2008 الى انه عاد الى التعافي مرة أخرى بحلول عام 2010 بسبب تعافي الاقتصاد العالمي وكذلك ارتفاع أسعار المعادن, إذ بلغ نمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي لأوكرانيا في عام 2010 مايقارب 4.3 ٪ ووصل نصيب الفرد وفقاً لتعادل القوة الشرائية من الناتج المحلي الإجمالي مايقارب 6,700 دولار أمريكي ,كما قدر سياسيون أوكرانيون أن 40٪ من اقتصاد البلاد في تلك المدة

---

[197]) *ماهر لطيف ," مكانة اوكرانيا في العقيدة الجيوسياسية الجيوبوليتيكية الروسية . طريق نحو التوسع الامبراطوري" , مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية , ابحاث ودراسات , بغداد ,5 حزيران ,2022 , ص4.*

[198])("Verkhovna Rada of Ukraine Resolution on Declaration of Independence of Ukraine " . Verkhovna Rada of Ukraine 24 August 1991, Archived from the original on 30 September 2007, Retrieved 12 September 2007.

[199]() *أقتصاد اوكرانيا هو أقتصاد السوق الحر الناشىء , منشور عبر الرابط :.*

https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF_%D8%A3%D9%88%D9%83%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7/simplified

(*) اقتصاد الظل هو لأنشطة التي قد تعتبر منتجة بالمعنى الاقتصادي وقانونية أيضًا (بشرط توفر معايير الالتزام بنظم معينة) ولكنها مخفية عن عمد عن السلطات العامة (من أجل تفادي دفع الضرائب مثلا أو دفع اشتراكات الضمان الاجتماعي أو الالتفاف حول معايير أو متطلبات معينة,للمزيد ينظر:

Interfax Ukraine Azarov , "Shadow trade accounts for 40% of domestic market , Kiev ,December 2011

هو اقتصاد الظل*, وفي صيف 2013 تراجعت الصادرات الأوكرانية إلى روسيا بشكل كبير بسبب الضوابط الجمركية التي كانت صارمة من قبل روسيا.[200]

وبحلول منتصف شهر تشرين الأول من عام 2013 أصبح الاقتصاد الأوكراني في حالة كبيرة من الركود[201], وأستمر ذلك لاسيما بعد ض شبه جزيرة القرم من قبل الروس وأستمرت بالاقتصاد غير المتزن وحاولت بطرق كثيرة من أجل السيطرة على هذا الوضع الاقتصادي غير المستقر بطرق شتى منها تعويم العملة الوطنية وكذلك فرض سعر مستقر لعملتها في سوق فوركس*, وكما تنقسم اوكرانيا الى تسع مناطق اقتصادية هي : الكاربات , والشمال الغربي , وبوديليا , والعاصمة , ووسط اوكرانيا , والشمالية الشرقية , والبحر الأسود والساحل , ودنيبرو , ودونيتسك .[202]

المبحث الثاني / جوانب الغزو الروسي لأوكرانيا

لم يكن غزو عام 2022 هو الأول الذي شنته روسيا على أوكرانيا , بل سبقه التدخل الذي حصل عام 2014 (حرب شبه جزيرة القرم) , لذا وفي هذا المبحث سيتم إبراز تلك الجوانب لعامي 2014 و2022 وكما يأتي :.

المطلب الأول / أحداث شبه جزيرة القرم عام 2014 :.

الغزو الروسي لوكرانيا عام 2014 أو ماتسمى بأزمة " شبه جزيرة القرم " * , كانت بداياته الأولى في أوائل عام 2014 عندما أصبحت تلك الجزيرة محور أزمة بين الشرق والغرب منذ الحرب الباردة , لاسيما بعد الطاحة بالرئيس الوكراني (اموالي لروسيا) فيكتور يانكوفيتش بإحتجاجات رافقها الكثير من العنف في العاصمة كييف [203] , وبعد ذلك قامت

---

[200])(Leonard Peter , "Ukraine to deploy troops to Quash Pro –Russian insurgency in the east" , Yahoo news Canada on 14 April 2014 , Associated Press , Archived from the original Retrieved 26 October 2014

[201]) (Big debts and dwinding cash , Ukraine tests creditors nerves , Reuters 17 October 2013

(*)*كلمة «فوركس» تشير إلى سوق العملات الأجنبية أو البورصة العالمية للعملات الأجنبية، وهي اختصار للمصطلح الاقتصادي من اللغة الأجنبية "* Foreign Exchange Market" *أي «سوق تداول العملات الأجنبية»، وهو سوق يمتد في جميع أنحاء العالم حيث تصرف العملات من قبل عدة مشاركين، مثل البنوك العالمية والمؤسسات الدولية والأسواق المالية ,للمزيد ينظر:.*

Big debts and dwinding cash , Ukraine tests creditors nerves , Reuters 17 October 2013

[202]() Report "Westinghouse Wins Contract to Provide Fuel Supplies to Ukraine " , 19 june 2015 (press release) the original Westinghouse Electric , Archived from Retrieved 15 April 2014 .

()[203]*محمد صفوان جولاق، معارضة أوكرانيا والطريق لأوروبا عبر الحكم، الجزيرة نت , عبر الرابط :.*

http://www.aljazeera.net/news/pages/47ea560b-5c58-40d7-bfbf-3216d15e3796

قوات موالية لروسيا بالسيطرة على تلك الجزيرة , عقب تصويت سكانها (غالبيتهم من الأصول الروسية) في استفتاء عام 2013 برغبتهم في الانضمام الى روسيا الاتحادية ولكن اوكرانيا ومعها لدول الغربية أجزمت بأن هذا الاستفتاء غير قانوني وشرعي .[204]

جاء التدخل الروسي بحجة حماية أمن وحقوق الغالبية الروسية فيه من السلطات (الفاشية) في كييف مستغلاً انشغال الأخيرة بملء الفراغات السياسية والأمنية والعسكرية في الوزارات وغيرها من المؤسسات بعد هروب يانوكوفيتش وجميع رموز نظامه , إذ أن التدخل العسكري "الناعم"، وتغيير السلطات المحلية، ثم الإعلان عن ضم

(*)إن التنافس والصراع الإقليمي على القرم ليس جديدًا ، وإن خمد لعقود ؛ فالقرم كان جزءًا من الدولة العثمانية في أجزائها الشمالية ، بعد أن دخله الإسلام في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي ، وكان معظم سكانه من أصول تركية ، أُطلق عليهم لاحقًا اسم:"التتار". وتسمية "القرم" تترية تعني القلعة ، وكانت تضم مناطق ما يُسمى الآن "شبه جزيرة القرم" والأراضي المحيطة ببحر آزوف (في روسيا الآن) وشمال جزيرة القرم (في أوكرانيا اليوم) , قامت على أراضي القرم مملكة قرمية تترية من العام 1441-1783، وهي مملكة ضعفت بضعف الدولة العثمانية ، وتخلّت عنها هذه الأخيرة بتوقيع معاهدة "كوجك قينارجه"، التي نصت على منح القرم استقلالاً ذاتيًا عام 1774، ليبدأ الوجود الروسي لأول مرة في شبه الجزيرة ، ولكن الإمبراطورة الروسية يكاتيرينا الثانية أخلّت بالاتفاقية واحتلّت الجزيرة عام 1783، وأحرقت ودمرت عاصمتها (بغجة سراي آنذاك) والكثير من المعالم الحضارية التترية الإسلامية فيها , بعد ذلك تراجع الوجود التتري في القرم ، وخاصة بعد سيطرة السوفيت عليه ، ثم هجّر نظام الزعيم جوزيف ستالين التتار بالكامل عام 1944 قسرًا بدعوى الخيانة خلال الحرب، ووُزّعت بيوتهم وأراضيهم على "العمال الكادحين" من روسيا وغيرها ، ليعظم وجود الروس في الإقليم , ووفق إحصائية أُعدت عام 2001 يشكّل الروس والمنحدرون من أصول روسيا نسبة تقارب نحو 58% من إجمالي عدد السكان البالغ 2 مليون نسمة ، بينما يشكّل الأوكرانيون نسبة تقارب 24%، ويشكّل تتار القرم نسبة 12% , وكانت جمهورية القرم واحدة من دول الاتحاد السوفيتي إلى العام 1954 , حيث قرر الزعيم نيكيتا خروتشوف ضمها إلى أوكرانيا لتبقى كذلك بعد استقلال الأخيرة عام 1991 , للمزيد ينظر :. عبد العزيز سليمان نوار و عبد المجيد نعنعي , التاريخ المعاصر لوربا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية , دار النهضة العربية , بيروت , 2014 , ص ص 245 . 252 , وكذلك ينظر : جمال محمود حجد , القوى الكبرى ةالشرق الاوسط (في القرنين التاسع عشر والعشرين) , دار المعرفة الجامعية ,الاسكندرية , 1989 , صص 67 . 88 , وينظر ايضا : د. أمين القاسم، جغرافيا شبه جزيرة القرم وتاريخ التتار فيها، أوكرانيا برس عبر الرابط :.

http://ukrpress.net/node/2512

[204]( ) هوارد آموس ," اوكرانيا : سيفاستوبول تعين عمدة مواليا لروسيا مع نمو المخاوف الانفصالية , صحيفة الغارديان البريطانية في 25 شباط 2014 , وللمزيد ينظر: ابراهيم يوسف عبيد و نعمة سعيد سرور," السلوم الروسي تجاه ازمتي جورجيا . اوسيتيا الجنوبية 2008 , واوكرانيا القرم 2014 " , مجلة التاريخ العربي , العدد 8 , 2017 , ص143

القرم إلى روسيا ، قد منح موسكو سيطرة شبه كاملة على سواحل وأراضي الإقليم ، لا على جزء من شريطه الساحلي فقط , ما قد يمكّنها من نشر قواتها ودفاعاتها في جميع أرجاء القرم ، وبهذا تصبح هي القوة الأكبر في شمال البحر الأسود. وبهذه السيطرة وذلك الولاء أيضًا ، تستطيع روسيا أن تستخدم أراضي وسواحل القرم لتنفيذ مشروع خط "التيار الجنوبي" لنقل الغاز إلى أوروبا , ما يعني توفير نحو عشرين مليار دولار كانت ستنفقها لتجاوز المياه الإقليمية الأوكرانية , كما أن والنجاح الروسي في القرم قد يغري موسكو أو حلفاءها بتكرار هذا السيناريو في مناطق أخرى تضم رعايا روس في شرق وجنوب أوكرانيا، لتحويلها إلى مناطق موالية أو حتى تابعة، أو رمادية تفصلها عن الغرب على الأقل، فتحمي بذلك حدودها ونفوذها.[205]

قلبت روسيا المعادلة لصالحها فتحولت عمليًا من موضع الدفاع عن حدودها إلى زحف يقربها من "أوكرانيا الموالية للغرب" , ويقتطع أراضيها ، وكما يقربها من الغرب الداعم لكييف , وكذلك تدرك أوكرانيا أن جيشها بعدته وعتاده وتعداد جنوده لا يُقارَن بقدرات نظيره الروسي ، وأنه لم يخض أي حرب تمكّنه من كسب تلك الخبرات اللازمة لدفع أو هزيمة موسكو، ولهذا يؤكد على أن عدم استخدام القوة لتحرير القرم ومنع انفصاله , قد تسهم روسيا فعلاً بدعم الإقليم كجزء بات من أراضيها ، ولكن ذلك قد لا يطول كثيرا , ما يشكّل تهديدًا كبيرًا لاقتصاد القرم الذي سيعتمد لأول مرة على نفسه منذ عقود , أما إذا ما وقعت معارك عسكرية فإن القرم مرشح لتكرار سيناريو أبخازيا ، بفقر شديد وقلة من الدول تعترف به كدولة مستقلة , وهنا تجدر الإشارة إلى أن جميع المسؤولين في كييف يؤكدون على عدم اعترافهم بالقرم كجزء من روسيا ، وجميع ما تقوم به سلطاته من إجراءات..[206]

المطلب الثاني / غزو عام 2022 ودور حلف الناتو منه :.

أثار حشد القوات العسكرية الروسية على الحدود مع أوكرانيا قلق الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو، وشاركتهم كذلك الولايات المتحدة الأمريكية من أن روسيا قد تنوي غزو أوكرانيا قريبًا , كما أن حشد القوات الروسية جاء تبريره من

---

[205] ( ) *مايكل كوفمان وآخرون ,"عبر من عمليات روسيا في شبه جزيرة القرم وشرق اوكرانيا " , ابحاث ودراسات , مؤسسة راند للابحاث والدراسات , عبر الرابط :.* www.rand.org/t/RR1498

وللمزيد ينظر :. اف ستيفن لارابي وآخرون ," روسيا والغرب بعد الأزمة الأوكرانية . اوجه الضعف . الأوربية جراء الضغوط الروسية " , ابحاث ودراسات , مؤسسة راند للابحاث والدراسات , عبر الرابط :. www.rand.org/t/RR1498

[206] ( ) *اسماء حداد ,"روسيا والتداعيات الجيوسياسية لزمة القرم في ظل التنافس الدولي على اوراسيا " , مجلة المعيار , المركز الجامعي احمد بن يحي الونشريسي , الجزائر , المجلد التاسع , العدد 4 , ديسمبر 2018 , ص135 , وينظر لنفس الباحثة : الحروب الهجينة : الازمة الاوكرانية أنموذجا . مجلة مدارات سياسية , عدد ديسمبر 2017 , ص ص114*

قبل موسكو للرد على تزويد الولايات المتحدة الأمريكية القوات الأوكرانية بالتدريب والأسلحة المضادة للدبابات وغيرها من الأمور اللوجيستية والعسكرية ، لاستخدامها في القتال ضد الانفصاليين المدعومين من روسيا في شرق البلاد .[207]

وفي ايلول 2021 ، أجرت القوات الأوكرانية مع قوات من حلف شمال الأطلسي مناورات عسكرية مُشتركة , وهو الأمر الذي أزعج موسكو لاسيما مع اقتراب تلك المناورات التي استخدمت فيها قاذفات غربية ذات قدرات نووية من الحدود الروسية في منطقة البحر الأسود على مسافة 12 ميلاً من الحدود الروسية ، وهو الأمر الذي تراه موسكو تجاوزًا عليها , الأمر الآخر الذي أثار قلق موسكو يتعلق باحتمالية انضمام أوكرانيا لحلف الناتو.[208]

ففي عام 2008 أعلنت الدول الأعضاء في التحالف أن "أوكرانيا ستصبح عضوًا في الحلف"، وهو موقف أعادوا التأكيد عليه مطلع العام الحالي , ومنذ أن ضمت روسيا شبه جزيرة القرم ودعمها للانفصاليين في شرق البلاد في عام 2014 ، ازداد الدعم الشعبي في أوكرانيا لعضوية الناتو , ولم تُسفر تحركات القوات الروسية السابقة بالقرب من الحدود الأوكرانية عن وقوع صدامٍ أو صراع مُسلح بعد ، لكن يبدو أن المعلومات التي قامت بجمعها الاستخبارات الأمريكية هذه المرة تُوحي بأن روسيا تنوي لعمل عسكري , وبات حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في أوروبا على اقتناع هذه المرة بالمعلومات الأمريكية ، وربما يكون ذلك نابعًا من مصدر ثقتهم في الإدارة الأمريكية الحالية في البيت الابيض.[209]

تُبرر روسيا تصرفاتها الأخيرة بأنها تأتي ردًا على السلوك المهدد من قبل حلف شمال الأطلسي وأوكرانيا , ويخشى الكرملين أن تسعى أوكرانيا لاستعادة مناطق سيطرة الانفصاليين الموالين لروسيا بالقوة في منطقة دونباس في شرق البلاد , وتنفي موسكو أن تكون لها أي نوايا عدوانية في الأزمة الحالية ، لكنها توضح أن أي تحركات من قبل حلف شمال الأطلسي في الشرق ستُقابل برد فعل عنيف, لذا بدأت روسيا تدريبات عسكرية منتظمة في منطقتها العسكرية الجنوبية ،و التي تقع أجزاء منها على حدود أوكرانيا ، وانتقل 10 آلاف جندي إلى مناطق التدريب , وأعلنت حليفتها بيلاروسيا عن مناورات عسكرية مشتركة مع روسيا على الحدود الأوكرانية , وهناك اتهامات روسية لأوكرانيا بزيادة

---

[207]( ) *احمد السيد , " اوكرانيا بؤرة توتر تاريخية بين موسكو والغرب " , في (روسيا واوكرانيا من الازمة الى الحرب البدايات والمآلات) , المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية , القاهرة , 2022 , ص7*

[208](Taras Kuzio & pual D Anieri , the Sources of Russia's Great power politics , E – International relation publishing , Bristol , England , 2020 , p.86

[209]( ) *احمد السيد , " اوكرانيا بؤرة توتر تاريخية بين موسكو والغرب " , مصدر سبق ذكره , ص9*

(*)تم التوقيع عليه بعد محادثات مكثفة في مينسك بيلاروسيا، تحت رعاية منظمة الأمن والتعاون في أوروبا. نفذ الاتفاق الذي أعقب عدة محاولات سابقة لوقف القتال في دونباس وقفًا فوريًا لإطلاق النار. لكنه فشل في وقف القتال في دونباس، وبالتالي تبعتها حزمة جديدة من الإجراءات تسمى مينسك الثانية، والتي تم الاتفاق عليها في 12 فبراير 2015. , للمزيد ينظر: احمد السيد , " اوكرانيا بؤرة توتر تاريخية بين موسكو والغرب " , مصدر سبق ذكره .

عدد قواتها بالقرب من خط التماس في دونباس ، فضلا عن استخدام الجيش الأوكراني أسلحة ثقيلة وطائرات مسيرة محظورة بموجب اتفاقية "مينسك 2" * ,[210]

من جانبها فأن موسكو تحاول الحصول على "ضمانات قانونية" من الغرب والولايات المتحدة الأمريكية ، بعدم سعي أوكرانيا للانضمام إلى الحلف. إضافة لانتزاع ضمانات من شأنها استبعاد أي تحركات أخرى لحلف شمال الأطلسي في الشرق ونشر أنظمة أسلحة بالقرب من الأراضي الروسية، وهو الأمر الذي يعتبره "الناتو" غير مقبول. وردًا على ما تراه أوكرانيا مزاعم روسية بشأن سعي كييف لاستعادة سيطرتها على منطقة دونباس، نفت كييف أي خطة لأي هجوم عسكري في دونباس. موضحة أنها فقط دعاية روسية للتغطية على استعدادات موسكو لشن هجوم مُحتمل، وطالبت أوروبا بالوقوف معها في هذه اللحظة الحرجة.([211]

المبحث الثالث / تداعيات الغزو الروسي والرؤية المستقبلية له

ان لهذا العمل العسكري الذي أقدمت عليه روسيا تجاه أوكرانيا تداعيات دولية , كما ان هناك استراتيجية روسية قد تم رسمها من أجل عدم انضمام اوكرانيا الى حلف الناتو , وماهي الرؤية المستقبلية لذلك سيتم توضيحها وكما يأتي :-

المطلب الأول / التداعيات الدولية للغزو الروسي :-

اولا / الغاز الروسي وأثره على أقتصاديات الدول :-

يضفي الغاز الروسي جملة من التعقيدات على الصراع الحالي بين روسيا والغرب من خلال الآتي :-

1- اعتماد الدول الاوروبية على الغاز الروسي: - بصورة عام توفر روسيا مايقارب ثلث استهلاك الغاز الطبيعي في أوروبا المستخدم في المجالات المختلفة , كما يلجأ الاتحاد الأوروبي إلى روسيا لتوفير أكثر من ربع وارداته من النفط الخام ، وهو ما يجعل روسيا أكبر مصدر منفرد للطاقة في الاتحاد , وتحديدًا في الأرباع الثلاثة الأولى من عام 2021 ، كما استهلك الاتحاد الأوروبي مايقارب291 مليار متر مكعب من الغاز، بزيادة قدرها (6٪) مقارنة بعام 2020 , فيما بلغ الإنتاج الأوروبي من الغاز نحو 38 مليار متر مكعب والذي من شأنه تغطية 13 ٪ فقط من الاستهلاك , الأوروبي المحلي ، في حين تشكل الإمدادات الخارجية ، ومعظمها من دول روسيا والنرويج والجزائر مايقارب (80%) من الغاز الذي يستهلكه الاتحاد الأوروبي , ووفق إحصائيات عام 2020 الصادرة عن موقع (Statista) ، فأن روسيا تعد أكبر مورد للغاز إلى أوروبا ، وبلغت حصتها (43%) من إجمالي واردات الاتحاد الأوروبي بصورة عامة ، وفي النصف الأول من عام 2021 ، مثل نصيب الغاز الروسي من واردات الغاز الأوروبية مايقارب (44%) ، فيما ارتفعت

---

[210]) ممدوح عبد المنعم , روسيا تنادي بحق العودة الى القمة , د.ت. , ص77 (

[211] ()احمد السيد ," اوكرانيا بؤرة توتر تاريخية بين موسكو والغرب " , مصدر سبق ذكره , ص9

واردات الاتحاد الأوروبي من "الغاز الطبيعي المسال" بنسبة قليلة ، ولكنها بقيت دون(23%) , وتوزعت بين أمريكا وروسيا ودولٍ أخرى..[212]

في أوربا عموما يختلف الاعتماد على الغاز الروسي بشكل كبير من دولة إلى أخرى، إذ يشتري البعض بالكاد أي غاز روسي ، مثل المملكة المتحدة ، أو يستخدمون كميات منخفضة من الغاز الطبيعي ، مثل السويد. , وفي المقابل هناك دولٌ أخرى لاسيما في وسط وشرق أوروبا، تعتمد عليه بنسبة (100%) ٪ مثل مقدونيا الشمالية، فنلندا، صربيا , وغيرها , والاعتماد بنسب أقل كما في المانيا التي تحصل ألمانيا على أكثر من نصف غازها الطبيعي وأكثر من 30 % من إمداداتها من النفط الخام من روسيا ، فيما تحصل فرنسا على معظم احتياجاتها من الكهرباء من الطاقة النووية لكنها لا تزال تعتمد على الواردات الروسية لتلبية احتياجاتها من الوقود الأحفوري، بينما تعتمد إيطاليا على الغاز الروسي في إمدادها بما نسبته 46 % من احتياجاتها.[213]

وهناك عدد من العوامل التي أسهمت وساعدت في زيادة الاعتماد الأوروبي على الغاز الروسي ، منهاعلى سبيل المثال لا للحصر[214] :.

أ / ضعف الإنتاج المحلي نظرًا لعوامل بيئية تقيد عملية استخراج الغاز.

ب / تضاؤل احتياطيات بحر الشمال بشكل أدى إلى لجوء بريطانيا إلى النرويج في توفير نصف الطلب البريطاني على الغاز، فيما تعاني النرويج نفسها –التي تعد حاليًا أكبر منتج للغاز بالقارة- من ضغوط لوقف استخراج الغاز أو تخفيفه ، لما في ذلك من أضرار بيئية.

ج / صعوبة الاعتماد الأوروبي على الغاز المسال بشكل أكبر أو كبديل عن الغاز الطبيعي الروسي لأسباب متعلقة بارتفاع تكلفة الغاز المسال ، بشكل لا يتناسب مع الأسعار المحلية الأوروبية ، فضلا عن طرق نقله وضرورة وجود بنية تحتية مجهزة لاستقباله

2 / خطوط نقل الغاز الروسي إلى أوروبا :- ان معظم صادرات الغاز الروسي تتدفق إلى أوروبا بعد تفكّك الاتحاد السوفيتي من خلال البنية التحتية الموجودة في خطوط الأنابيب في أوكرانيا, وبعد تفكك الاتحاد السابق ، احتفظت روسيا بأكبر احتياطيات الغاز في العالم ، فيما ورثت أوكرانيا خطوط الأنابيب , ومنذ ذلك الوقت ، اختلف البلدان حول هذا الإرث , لذا عمدت روسيا إلى تنويع شبكة الغاز، وتقليل اعتمادها على أوكرانيا عبر عقد شراكات واتفاقات

---

[212]() رحاب الزيادي وآخرون ," التأثيرات الجيوسياسية . الغاز والشرق الاوسط في الازمة الاوكرانية " , في (روسيا واوكرانيا من الازمة الى الحرب البدايات والمآلات) , المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية , القاهرة , 2022 , ص63

[213]()Taras Kuzio & Crisis in Russian studies ? (nationalism, imperialism) , Racism and war , E – International relation publishing , Bristol , England , 2020 , p.p .30 - 32

[214]() رحاب الزيادي وآخرون , مصدر سبق ذكره , ص65

جديدة تستطيع عبرها مد خطوط أنابيب جديدة إلى الدول الأوروبية لا تمر بالضرورة عبر أوكرانيا [215] , ومن هذا المنطلق جرى العمل على خط أنابيب (يامال – أوروبا) عام 1997 ، والذي بمقتضاه يتم نقل الغاز الروسي إلى ألمانيا بالمرور ببيلاروسيا وبولندا , وفي عام 2003 بدأت روسيا في استخدام خط أنابيب (بلوستريم) الذي يمر تحت البحر الأسود , وفي ايلول 2005 ، تم التوقيع على اتفاقية بناء الخط الأول من(نورد ستريم) بحضور المستشار الألماني السابق (جيرهارد شرودر) والرئيس الروسي(فلاديمير بوتين) ، وتم بدء العمل به في عام 2012 , وفي عام 2020 تم تشغيل خط أنابيب)ترك ستريم(الواصل بين روسيا وتركيا ومن ثم دول الاتحاد الأوروبي ، فيما بدأ العمل في خط أنابيب)نورد ستريم2) الواصل بين روسيا وألمانيا عبر بحر البلطيق عام 2018 ، واكتمل بناؤه في عام 2021 ، ولكن نظرًا لموقعه في واجهة الصراع الروسي مع الغرب ، لم يتم تشغيله بعد ،إذ لا يزال ينتظر الترخيص النهائي من هيئة تنظيم الطاقة الألمانية.[216]

3 / استخدام روسيا للغاز في مواجهة الغرب :. أن روسيا تستخدم سلاح الطاقة لمنافع اقتصادية ، إلى جانب المحافظة على نفوذها السياسي في دول (الخارج القريب*) وإذا ما دعت الحاجة إلى ممارسة ضغط سياسي على المستهلكين النهائيين ، تستخدم موسكو الغاز بغرض تذكيرهم بمحورية اعتمادهم على الغاز الروسي. ولا تُقْدِمُ روسيا أبدًا على الاعتراف باستخدامها الطاقة عمومًا أو الغاز على وجه التحديد كوسيلة للضغط، إذ دائمًا ما تقدم شركاتها (غازبروم أو روسنفت) تبريرًا تجاريًا لقراراتها الضاغطة على المستهلكين ، عند النظر في عدد من حالات تعطل الإمدادات أو نزاعات التسعير, ففي أعقاب الثورة البرتقالية في أوكرانيا نهاية عام 2004 ، والتي أدت إلى الإطاحة بزعيم موالٍ للكرملين ، طالبت شركة غازبروم أوكرانيا عام 2005 بدفع أسعار السوق بالكامل مقابل الغاز المصدر إليها .[217]

ومن أمثلة استخدام الروس للغاز كسلاح ضد الغرب هو ماحدث في كانون الثاني من عام 2009 ، على إثر النزاع الدائر بين روسيا وأوكرانيا حول رسوم العبور، إذ تم في حينها حظر إمدادات الغاز إلى الاتحاد الأوروبي عبر أوكرانيا وأدى ذلك إلى ترك بعض دول أوروبا الشرقية ،(التي كانت روسيا المورد الوحيد لها) ، بدون إمدادات في منتصف الشتاء و لمدة أسبوعين , مما اضطرت دول كسلوفاكيا وبعض دول البلقان إلى تقنين الغاز وإغلاق المصانع و كذلك قطع إمدادات الكهرباء , وقبيل تصاعد الأزمة بين روسيا والغرب ، كان يتم الترويج لخط أنابيب)نورد ستريم2 (من قبل شركة غازبروم وشركات الطاقة الغربية كمشروع لتعويض الانخفاض في إنتاج الغاز الأوروبي المحلي .[218]

---

[215] *( ) عناد كاظم حسين النائلي , روسيا الاتحادية ومستقبل التوازن الاستراتيجي العالمي , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت , 2017 , ص 183*

[216] *( ) رحاب الزيادي وآخرون ," التأثيرات الجيوسياسية . الغاز والشرق الاوسط في الازمة الاوكرانية , مصدر سبق ذكره , ص63*

(*)يُقصد بها تلك الدول التي كانت منضوية تحت مظلة الاتحاد السوفيتي .

[217] *( )عناد كاظم حسين النائلي , روسيا الاتحادية ومستقبل التوازن الاستراتيجي العالمي , مصدر سبق ذكره , ص184*

[218] *رحاب الزيادي وآخرون ," التأثيرات الجيوسياسية . الغاز والشرق الاوسط في الازمة الاوكرانية , مصدر سبق ذكره , ص64*

ترى الحكومات في أوروبا الوسطى والشرقية ، في خط الأنابيب اعلاه محاولة لزيادة النفوذ السياسي لروسيا عليها ، وربما سيسهم هذا الخط في توسع الانقسامات السياسية الأوروبية حول كيفية الرد على العدوان الروسي., هذا من جانب , ومن جانب آخر تشعر دول أوروبا الشرقية ، مثل بولندا وأوكرانيا على سبيل المثال ، بالقلق من أن يحرمها الخط الجديد من مليارات الدولارات من رسوم العبور السنوية ، وكذلك إمدادات الغاز المباشرة ، مما سيضعها تحت رحمة روسيا ، وهذا ما إتضح فعلا عندما تم افتتاح خط)نورد ستريم1) الى خسارة سنوية لأوكرانيا قاربت (720) مليون دولار ، والتي كانت تجنيها عن طريق عبور الغاز الروسي من خلالها ، وفي حال تشغيل الخط الجديد)نورد ستريم2 (يمكن أن تخسر كييف مايقارب (1.8) مليار يورو[219] , ونتيجة للتأخر في منح خط)نورد ستريم2) الموافقة التنظيمية النهائية ، لجأت روسيا إلى استخدام سلاح الضغط مجددًا ، وكان ذلك في كانون الأول 2021 ، إذ خفضت روسيا صادراتها من الغاز إلى أوروبا مع اشتداد حدة الأزمة المتعلقة بأوكرانيا , فعلى الرغم من أن روسيا كانت لا تزال تفي بعقودها من الناحية الفنية ، إلا أنها توقفت عن بيع غاز إضافي فوري كما كانت تفعل في الماضي ، مما أدى في النهاية إلى ارتفاع أسعار الطاقة في أوروبا ثلاث أضعاف وسط تهديدات بحدوث نقص في إمدادات الطاقة في جميع أنحاء القارة , ويمكن القول إنه ومن خلال الأزمة الأخيرة ، نجحت روسيا الى حد كبير في استخدام سلاح الطاقة بشكل لا يمكن اتهامها بخرق أي من علاقاتها التجارية مع الدول الأخرى.[220]

ثانيا / الخسائر الروسية والأوكرانية :.

تعرضت روسيا لخسائر متنوعة من جرَّاء تدخلها العسكري في أوكرانيا، وتنوعت هذه الخسائر بين بشرية (كالعمليات القتالية مع طول المدة الزمنية للحرب) ، واقتصادية (بسبب العقوبات الغربية ، والتي طالت العديد من القطاعات الاقتصادية الروسية) ، وسياسية (عزلة روسيا عن المجتمع الدولي) , وأضحت روسيا أكثر عزلة مما كانت عليه حتى في مدة الحرب الباردة ، وقُطِع التبادل التجاري والثقافي والسياسي، وأُغلِق المجال الجوي أمام الطيران الروسي في العديد من الدول الأوروبية ، ومُنع الرياضيون والفنانون والسياسيون الروس من المشاركة في العديد من الفعاليات ، وكذلك حُظِرت حركة السفن الروسية من دخول موانئ العديد من دول العالم .[221]

من جانبها , ومع استمرار الحرب بين البلدين ، تضخمت خسائر الاقتصاد الأوكراني , إذ توقفت معظم الأنشطة الاقتصادية في البلاد ، كما لحقت الاضرار بالبنية التحتية الأساسية من الطرق والجسور فالحرب الروسية لم تستهدف تدمير المواقع العسكرية الأوكرانية فقط ، بل أيضًا الأهداف المدنية ، كما جرى استهداف البنية التحتية

---

[219] *المصدر نفسه*

[220] *() رحاب الزيادي وآخرون ," التأثيرات الجيوسياسية . الغاز والشرق الاوسط في الازمة الاوكرانية , مصدر سبق ذكره , ص64*

[221] *() إيمان أحمد عبد الحليم ، "هل تتحول الحرب الأوكرانية إلى كارثة استراتيجية لموسكو؟" ، 10 مارس/آذار 2022، غبر الرابط ،* https://bit.ly/3KIfDXP

للاتصالات في أوكرانيا , وأغلقت أغلب الموانئ والمطارات الأوكرانية نتيجة الأضرار التي لحقت بها , وتسبب إغلاق الموانئ الأوكرانية المُطلَّة على البحر الأسود الى عرقلة حركة النقل البحري ، وحاولت الحكومة الأوكرانية استبدال نقل البضائع الزراعية عبر السكك الحديدية إلى دول الجوار الأوروبي ، قبل أن تحظر تصدير العديد من السلع الزراعية , وعلى الرغم من صعوبة حصر الأضرار المادية في أوكرانيا بشكل نهائي إلا أن التقديرات تشير إلى أن ما لا يقل عن(100) مليار دولار من البنية جرى تدميرها.[222]

ثالثا / تداعيات الحرب على سياسات اوربا الدفاعية :

بعد الازمة ، أعاد الهولنديون النظر في خطة التخلص من الدبابات الثقيلة، وأعلن الألمان رفع ميزانيتهم العسكرية إلى 100 مليار يورو , وميدانيًّا ، تخلَّوا عن نهج "التريث في تعزيز القدرات العسكرية" وذلك ردًّا على الغزو الروسي لأوكرانيا ، وبالرغم من الحظر الذي تفرضه ألمانيا على تصدير الأسلحة الفتاكة إلى مناطق النزاع ، إلا أنها أعلنت الحكومة في 27 /شباط 2022، أنها بصدد تسليم أوكرانيا ألف صاروخ مضاد للدبابات و500 صاروخ "ستنجر" من مخزون الجيش الألماني , كما اتجهت لتعزيز قواتها المنتشرة شرقًا في إطار حلف شمال الأطلسي ، لاسيما في سلوفاكيا.[(223)]

وتكمن المعضلة الأمنية الأوروبية في كون الارتدادات العكسية الناتجة عن فرض العقوبات على روسيا كبيرة اذا ماتم مقارنتها مع ارتداداتها على واشنطن وذلك بحكم الارتباطات الجغرافية والديمغرافية والاقتصادية والأمنية , وعلى إفتراض ان إذا الأزمة الأوكرانية تحقق لواشنطن العديد من الأهداف الاستراتيجية ، مثل تأزيم العلاقات بين موسكو ودول الاتحاد الأوروبي وغيرها ، إلا ان هذه الأزمة يمكن أن تشكِّل منعطفًا فاصلًا للأمن الأوروبي ، وقد تؤدي إلى تغيير جذري في الاستراتيجيات الأمنية الأوروبية , وكلما وكلما طال أمد تلك الأزمة واستمر تدفق اللاجئين الأوكرانيين بصورة مستمرة إلى دول الاتحاد الأوروبي ، يستمر معها استنزاف موارد وقدرات الاتحاد الأوروبي.[(224)]

رابعا/ الخسائر الاقتصادية الأوروبية :.

واجهت الدول الأوروبية العديد من الأضرار والتحديات بسبب تداعيات الحرب نوجزها بالنقاط الآتية[(225)]:.

---

[222] *ماهيناز الباز، "آليات أوكرانيا لإدارة اقتصاد الحرب مع روسيا" ، مركز المستقبل، 23 مارس/آذار 2022، عبر الرابط* :. https://bit.ly/37oCwkT

[223] Sudha David-Wilp and Thomas Kleine-Brockhoff, "A New Germany: How Putin's Aggression Is Changing Berlin," Foreign Affairs, March 1, 2022, "accessed April 3, 2022". https://fam.ag/3u31hLS.

[224] *عصام عبد الشافي ," تداعيات الحرب الروسية الاوكرانية " , 3 ايار 2022 , عبر الرابط :.*
https://studies.aljazeera.net/ar/article/5361

[225] *عصام عبد الشافي ," تداعيات الحرب الروسية الاوكرانية , مصدر سبق ذكره .*

1- تباطؤ النمو الاقتصادي الأوربي .
2- ضعف حجم التبادل التجاري مع روسيا .
3- تهديد الاستثمارات والأصول الأوروبية في روسيا وتعرضها لخطر المصادرة أو التأميم بسبب الحرب والعقوبات الغربية .
4- تهديد أمن الطاقة الأوروبي .
5- تهديد الأمن الغذائي .
6- تضرر قطاع الطيران والسياحة مع حظر الرحلات الجوية بين روسيا والدول الأوروبية .
7- أزمة اللاجئين الأوكرانيين .

المطلب الثاني / الإستراتيجية الروسية من حلف الناتو والإصرار على عدم ضم أوكرانيا :.

ان العلاقات بصورة عامة بين روسيا وحلف شمال الأطلسي (الناتو) شهدت توترات متزايدة لاسيما في الآونة الأخيرة ، وعلى خلفية الحضور المتزايد الواضح والملفت للنظر من قبل حلف شمال الأطلسي في المناطق القريبة من الحدود الروسية ، ووعود من الحلف لأوكرانيا بشأن ضمها تحت جناح الحلف اذا ما إستقلت بنفسها وبقراراتها بمعزل عن الروس , مما ترتب على ذلك تصعيد عسكري روسي أدى إلى تأزم الأوضاع وتحديدا على الحدود الأوكرانية , ومن هذا المنطلق ، تم عقد (قمة افتراضية) * بالغة الحساسية بين رئيسي الاتحاد الروسي والولايات المتحدة بتاريخ 7 كانون الأول من عام 2021 وتمت القمة بشكل مغلق ، اقتصر على حضور الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" وحده من جهة، ومن جهة أخرى الرئيس الأمريكي "جو بايدن" وأعضاء من فريقه الرئاسي الذين شاركوا من خلال الحضور في الغرفة ذاتها مع الرئيس الأمريكي أثناء القمة(, ([226]

(*)لم تخرج القمّة الافتراضيّة بين الرئيسين الأميركيّ جو بايدن والروسيّ فلاديمير بوتين بحلّ للتوتّر الذي تشهده الحدود بين البلدين , اذ حشدت موسكو أكثر من 93 ألف جنديّ على الحدود المشتركة في خطوة هي الثانية لعان 2021. وقدّر وزير الدفاع الأوكرانيّ أوليكسي ريزنيكوف شنّ روسيا هجوماً عسكريّاً على بلاده أوائل 2022 وهو ماحدث فعلا ,للمزيد ينظر:

جورج عيسى ," قمة بايد ن . بوتين الافتراضية نجاح نسبي ؟" , عبر الرابط :.

https://www.annaharar.com/arabic/politics/international/usa/08122021093610613

[226] *داليا يسري , " اخر اوراق موسكو في نزاعها ضد اوكرانيا " , في (روسيا واوكرانيا من الازمة الى الحرب البدايات والمآلات) , المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية , القاهرة , 2022 , ص10*

(*) وتحدث أيضا خلال المؤتمر الصحفي عما وصفها بالعملية الخاصة التي تشنها قواته في أوكرانيا منذ 24 /شباط الماضي، قائلا إنها تحقق أهدافها, وتابع أن الهدف النهائي للعملية الخاصة هو حماية إقليم دونباس (شرقي أوكرانيا) ، وإرساء شروط تضمن أمن روسيا ، على وفق تعبيره , وتأتي تصريحات الرئيس الروسي في تركمانستان بينما أطلقت قمة حلف شمال الأطلسي في مدريد رسميا عملية انضمام فنلندا والسويد إلى الحلف,كما تأتي في ظل تصعيد كلامي

ان نظرة الرئيس الروسي لإنضمام أوكرانيا للحلف تختلف عن نظرته من انضمام باقي الدول كونها على تماس حدودي مباشر مع دولته وأن انضمامها للحلف يشكل خطرا كبيرا عليها , وهو ما أشار اليه الرئيس الروسي بالرد على الحلف إذا ما نشر قوات أو بنية تحتية عسكرية في فنلندا والسويد ، في حين وافق قادة الحلف خلال قمتهم المنعقدة في مدريد على التصور الإستراتيجي الجديد للناتو الذي يعد روسيا أكبر تهديد له , ففي المؤتمر الصحفي* الذي عقد في 2022/6/29 على هامش قمةِ دول بحر قزوين في تركمانستان ، إذ قال بوتين إن انضمام السويد وفنلندا للناتو أمر مختلف تماما عن موضوع أوكرانيا بالنسبة لبلاده , لكنه حذر من أنه في حالة نشر البلدين لوحدات عسكرية وبنى تحتية عسكرية ، فستضطر روسيا للرد بالمثل ، واصفا الناتو بأنه أداة حرب باردة ويعبر عن السياسة الخارجية الأميركية . [227]

بين روسيا والغرب على وقع التصعيد العسكري في أوكرانيا ، وتفاقم أزمة الغذاء في العالم جراء الحرب المستمرة في الجارة الغربية لروسيا , للمزيد ينظر: ." بوتين يلوح بالرد اذا مانشر الناتو قوات في فنلندا والسويد وقيادة الحلف الاطلسي يعتبرون ان روسيا هي التهديد الاكبر , مقالة افتتاحية في مركز الجزيرة للدراسات , نشرت بتاريخ 30 / 2022/6 , عبر الرابط :

https://www.aljazeera.net/news/politics/2022/6/30/%D8%A8%D9%88%D8%AA%D9%8A%D9%86-%D9%8A%D9%84%D9%88%D8%AD-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AF-%D8%A5%D8%B0%D8%A7-%D9%86%D8%B4%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%AA%D9%88-%D9%82%D9%88%D8%A7%D8%AA-%D9%81%D9%8A

[227] *( ) بوتين يلوح بالرد اذا مانشر الناتو قوات في فنلندا والسويد وقيادة الحلف الاطلسي يعتبرون ان روسيا هي التهديد الاكبر , مقالة افتتاحية في مركز الجزيرة للدراسات , نشرت بتاريخ 30 / 2022/6 , عبر الرابط :*

https://www.aljazeera.net/news/politics/2022/6/30/%D8%A8%D9%88%D8%AA%D9%8A%D9%86-%D9%8A%D9%84%D9%88%D8%AD-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AF-%D8%A5%D8%B0%D8%A7-%D9%86%D8%B4%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%AA%D9%88-%D9%82%D9%88%D8%A7%D8%AA-%D9%81%D9%8A

(*)*يشير مصطلح تحالف الراغبين إلى القوات متعددة الجنسيات بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، وإلى القيادة العسكرية خلال غزو العراق عام 2003، وما تلا ذلك من حرب العراق والأبفاء على هذا التحالف لوقت الزمات , للمزيد ينظر:.*

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D9%84%D9%81_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%BA%D8%A8%D9%8A%D9%86

المطلب الثالث / الرؤية المستقبلية للنظام الدولي في ظل الغزو :.

من أجل توضيح الرؤية المستقبلية للننظام الدولي في ظل الغزو , ينوجب علينا تجزاة ذلك النظام الى محموة مستويات يفوم عليها هذا النظام ومدى تأثير الأزمة عليه , وكالاتي :.

المستوى الأول / تداعيات الغزو الروسي ومستقبل المؤسسة الدولية:

ان الغزو الروسي كشف عن العديد من نقاط الضعف في النظام الدولي القائم ، ولاسيما في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة , ودوره في الإشراف على هذا النظام , اذ أظهرت الأزمة أن حق النقض للأعضاء الدائمين في مجلس الأمن يمثِّل عائقًا كبيرًا أمام عملية السلام ، ومنذ البداية كان عقبة رئيسية أمام استكمال الهيئة لمهمتها , لكون تلك الدول غالبًا ما تنقسم إلى كتل جيوسياسية متنافسة ، فيمارس عضو في كتلة واحدة حق النقض (الفيتو) على العديد من القرارات الحاسمة , ففي أزمة أوكرانيا حاليا ، يعني حق النقض الروسي في مجلس الأمن , أن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها لا يمكنهم فرض عقوبات إلا من خلال (تحالف الراغبين)* , ومن المعلوم أن كُبر عدد البلدان وانتشار نظام المدفوعات القائم على الدولار خارج الحدود الإقليمية للولايات المتحدة يمنح العقوبات التي تفرضها الولايات المتحدة نفوذًا هائلًا , ومع ذلك ، وفي هذه الحالة كما في حالات أخرى ، سيزيد نظام العقوبات العالمية الذي يفرضه مجلس الأمن من تقويض الاقتصاد الخاضع للعقوبات[228], هذا من جانب .

ومن جانب آخر، إذا كان مجلس الأمن يقع في قلب النظام متعدد الأطراف ، فحاليا يواجه تحديات حقيقية ، بالنظر للنطاق المتزايد للتهديدات التي يواجهها السلام والأمن. , ولا تقتصر تلك التهديدات على الأعمال العدوانية التقليدية من النوع الذي يشهده العالم في أوكرانيا فحسب ، بل تشمل أيضًا التهديدات الأمنية الأخرى التي تشكِّلها التقنيات الجديدة , لذلك يبرز ومن ضمن مقترحات تغيير طريقة عمل مجلس الأمن- اقتراح إمكانية ردّ حق النقض لعضو دائم عن طريق إضافة بند إلى المادة (27) من شأنه أن يسمح بأغلبية كبيرة ، تمثِّل ثلثي البلدان الأعضاء تتجاوز حق النقض .[229]

المستوى الثاني / النظرة المستقبلية للبنية الدولية وللبلدين المتحاربين :

على الرغم من الخسائر التي تلحق بروسيا بسبب قرار رئيسها بالتدخل في أوكرانيا ، إلا أن احتمال سقوط النظام الروسي ، قد يكون صعبًا في المدى القصير ، ولصعوبات إزاحة النخبة الحالية بالاحتجاجات الجماهيرية ، في ظل

[228])(Kemal Derviş and José Antonio Ocampo, "Will Ukraine's Tragedy Spur UN Security Council Reform?," Project-Syndicate.org, March 3, 2022. "accessed April 1, 2022". https://bit.ly/3wFZxtO.

[229] Ipid .

السياسات القمعية التي تبناها بوتين داخليًّا وخارجيًّا في دعم حلفائه في بيلاروسيا وكازاخستان وسوريا[230] , ومن جانب آخر , عن روسيا الدولة وليس النظام ، يرى جون ميرشايمر " أن روسيا قوة عظمى ، وبالرغم من أنها منحازة الآن إلى الصين ، فمن المحتمل أن تُحوِّل جانب الانحياز مع الوقت وتتحالف مع الولايات المتحدة ، لأن قوة الصين المتزايدة ، تعد أعظم تهديد لروسيا نظرًا لتقاربهما الجغرافي , وإذا ما ذهبت موسكو وواشنطن إلى صياغة علاقات متقاربة ، بسبب خوفهما المتبادل من الصين ، فسيتم إدماج روسيا على نحو سهل في النظام المحدود الذي تقوده الولايات المتحدة , أما إذا ما استمرت موسكو في الحفاظ على علاقات ودية مع الصين بسبب خوفها من الولايات المتحدة أكثر من خوفها من الصين ، فسوف يحدث إدماج روسيا على نحو سهل في النظام المحدود الذي تقوده الصين , ولكن يبقى احتمال آخر يتمثَّل في أن روسيا لن تصطف إلى أحد الطرفين وتبقى على الهامش ، وتعمل على الاستفادة من تنافسهما معًا في اكتساب نقاط تعزز من قدراتها التنافسية والتفاوضية معهما معًا ، سعيًا نحو استكمال بنيتها القطبية[231] , وبهذه الحالة سيكون الاتجاه والتفكير في سيناريو نظام عالمي تسيطر فيه روسيا بشكل فعال على جزء كبير من أوروبا الشرقية ، بينما تسيطر الصين على جزء كبير من شرق آسيا وغرب المحيط الهادئ , وهنا سيتعين على الولايات المتحدة وحلفائهم في أوروبا وآسيا أن يقرروا مرة أخرى ، فيما إذا كان هذا العالم مقبولًا ، لأن هذا يعني نهاية النظام العالمي الحالي و"بداية حقبة من الفوضى والصراع العالميين , إذ تتكيف كل منطقة في العالم بشكل غير مستقر مع التكوين الجديد للقوة". [232]

أما أوروبا ، فيرى ميرشايمر أنه من المرجَّح أن تندمج أغلب البلدان في أوروبا ، لاسيما القوى الأساسية ، ضمن النظام المحدود بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، على الرغم من عدم لعبها دورًا عسكريًّا جديًّا في احتواء الصين , كما أنها ليس لها القدرة على تصدير قوة عسكرية جوهرية تجاه دول شرق آسيا ، كما أن الصين لا تُمثِّل تهديدًا مباشرًا لأوروبا ، ولأن الأمر يبدو أكثر منطقية بالنسبة لأوروبا في ترحيل المسؤولية إلى الولايات المتحدة وحلفائها الآسيويين , إلا أن صنَّاع السياسة الأميركية سيدخلون الأوروبيين داخل نظامهم المحدود لأسباب اقتصادية وأمنية واستراتيجية , إذ تحرص الولايات المتحدة على منع البلدان الأوروبية من بيع التكنولوجيات ذات الاستخدام المزدوج للصين والمساعدة في فرض ضغوط اقتصادية عليها حينما يتطلب الأمر ذلك , في المقابل ، ستبقى القوات العسكرية الأميركية في أوروبا ، محافظة على الناتو حيًّا ومستمرة في العمل باعتبارها صانع للسلام في المنطقة. [233]

---

[230]() *عصام عبد الشافي ," تداعيات الحرب الروسية الاوكرانية , مصدر سبق ذكره .*

[231])) John J. Mearsheimer, "Bound To Fail: The Rise and Fall of the Liberal International Order," International Security, Vol. 43, no. 4 (Spring 2019): 48-49

[232])(Robert Kagan, "What we can expect after Putin's conquest of Ukraine," Washington Post, February 21, 2022. "accessed April 3, 2022". https://wapo.st/3DcwEqs.

[233]() *عصام عبد الشافي ," تداعيات الحرب الروسية الاوكرانية , مصدر سبق ذكره .*

وفيما يتعلق بمسارات مستقبل الدور الروسي، تبرز قضية موقع روسيا في مجلس الأمن، بعد أن هدَّد الغرب بتجريدها من عضويتها الدائمة في مجلس الأمن. وإذا كان طرد روسيا أو تجميد عضويتها في مجلس الأمن أو حقها في التصويت يواجه صعوبات حقيقية ، فإن هناك مسارات بديلة لا تعني بالضرورة تجميد عضويتها ، منها إمكانية الطلب من روسيا الامتناع عن التصويت على قرار مجلس الأمن، لأنه متعلق بعدوانها , وقد أشارت أوكرانيا إلى أن الجمهوريات المكوِّنة لاتحاد الجمهوريات السوفيتية أعلنت في عام 1991 أن الاتحاد السوفيتي لم يعد موجودًا ، وكان ينبغي أن يكون معها الحق القانوني لأي من هذه الكيانات ، بما في ذلك روسيا ، في الحصول على المقعد وليس فقط لصالح روسيا , ولم يُعرض على الجمعية العامة أي قرار بالسماح لروسيا بعضوية مجلس الأمن , ولم يجرِ تعديل لميثاق الأمم المتحدة بعد تفكُّك دول الاتحاد السابق , ولا تزال المذكِّرة تشير إلى الاتحاد السوفيتي ، وليس روسيا [234]، كأحد الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة , وبالنسبة لأوكرانيا ، بإعتبارها من أهم الوحدات الدولية المرتبطة بهذه الأزمة ، فإن أحد المسارات المستقبلية المطروحة لها هو التقسيم ، وفكرته تقوم على استمرار العملية العسكرية وتصعيد الهجمات ، والتفاوض حول تقسيم أوكرانيا أو تغيير نظام الحكم لـ"حكم فيدرالي" ، واقتطاع مدن إستراتيجية لضمها لدونباس ، مثل مدينتي (ماريوبول) في أقصى الجنوب على بحر أزوف ، ومدينة (أوديسا) على البحر الأسود ، لأنهما - وفق القناعة الروسية - جزء من التقسيم الإداري لإقليم دونباس . [235]

---

[234]() محمد بوبوش ، "الإشكاليات القانونية للحرب الروسية - الأوكرانية 2022" ، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية ، 29 مارس/آذار 2022) عبر الرابط :. ، . https://bit.ly/3Lyjzuq

[235]( )منى سليمان، "التداعيات والمسارات المحتملة للعملية العسكرية الروسية في أوكرانيا"، مجلة السياسة الدولية (القاهرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية)، 26 فبراير/شباط 2022، (تاريخ الدخول: 27 مارس/آذار 2022)، https://bit.ly/3tG3Lji

مبدأ المركزية واللامركزية الإدارية
في الدولة البسيطة والدولة المركبة

The principle of administrative centralization and decentralization
In the simple state and the compound state

لقمان محمد عيسى كريف
باحث دكتوراه في القانون العام
جامعة قم الحكومية | ايران

الملخص :

ركز الفقه الدستوري في معرض بيانه لأنواع الدول من الناحية الشكلية على تقسيمه إياها الى نوعين الاول دول بسيطة او موحدة ودول مركبة او اتحادية، وبالتالي يختلف النظام الداخلي للدولة البسيطة عن النظام المتبع في الدول المركبة، فالدول البسيطة بشكل عام تذهب الى بساطة التركيب وينفرد هذا النوع من الدول بإدارة شؤونه الداخلية والخارجية ويكون لهذه الدول دستور واحد وعلم واحد وسلطة تشريعية وتنفيذية وقضائية واحدة، اما فيما يتعلق بالدول المركبة او الدول الاتحادية فالأمر هنا مختلف، فهذه الدول تنفرد بشكلية خاصة تختلف عن الدول البسيطة، وهي عادة ما تكون مجموعة من الدول المتحدة فيما بينها و تتخذ شكل متفق عليه، فأما يكون بذلك اما تعاهدي او فيدرالي او كونفدرالي..

الكلمات المفتاحية:

المركزية الادارية – اللامركزية الادارية – الدولة البسيطة – الدولة المركبة– النظم السياسية.

Abstract:

Emphasis is placed on the statement of centralization and decentralization in the unified state and the federal state and a statement of its most important pillars and advantages, with an explanation of some examples of countries that take both principles, and despite the difference between them, both of them go to the statement of the political and economic organization of the countries that adopt them, and clean which is It is not new that the centralization system is older than the decentralization system, and also that the states are the system or form of the federal or composite state is more recent than the simple or unitary state.

Keywords:

Administrative Centralization - Administrative Decentralization - Simple State - Complex State - Political Systems.

أهمية الدراسة | **The Importance Of The Study**

تنصب اهمية على بيان المركزية واللامركزية الادارية في الدولة البسيطة والدولة المركبة وبيان اهم اركانها ومزاياها، مع بيان بعض الامثلة للدول التي تأخذ بكلا المبدأين، وبالرغم من الاختلاف بينهما الا ان كلاهما يذهبان الى بيان التنظيم السياسي والاقتصادي للدول التي تعتمدهما، ونظيف على ذلك وهو ليس بجديد ان نظام المركزية يعد اقدم نشوءً من نظام اللامركزية، وكذلك فأن الدول المركبة التي تأخذ نظام او شكل الدولة الاتحادية او المركبة يعد احدث نشوءً من الدولة البسيطة او الموحدة.

مشكلة الدراسة | **Study Problem**

في ظل تعدد النظم السياسية واختلافها وانتشار الديمقراطية و تطور الحياة عكس هذا الاتجاه ظله على نظام ادارة الدول، فتحولت الدولة من نظام المركزية الادارية الى اللامركزية الادارية، وتحولت بعض الدول من شكل الدولة البسيطة (الموحدة) الى الدولة المركبة (الفيدرالية)، وترتيباً على ذلك ذهبت دراستنا الى بيان الية الادارة لتلك الدولة بين الدولة البسيطة و الدولة الاتحادية. مع بيان وجهات النظر المختلفة لجانب من الفقه فيما يتعلق بالسلبيات والايجابيات لتلك الادارات.

هدف الدراسة | **Study Aim**

تهدف دراستنا الى بيان ماهية المركزية الادارية في الدول الموحدة (البسيطة)، وكذلك بيان ماهية اللامركزية الادارية عند الدول المركبة. وبيان مدى توافق كلاً منهما في ظل تطور النظم السياسية المختلفة.

منهج الدراسة | **Study Methodology**

تم استخدام المنهج التحليلي للمفاهيم الاساسية والنظريات المختلفة للمركزية واللامركزية في الدولة البسيطة والدولة المركبة، مع الاستئناس بالمنهج المقارن في بيان التأصيل لكلا المفهومين.

خطة الدراسة | **Study Plan**

ستتضمن خطة دراستنا ما يلي، الى بيان مفهوم الدول البسيطة في المطلب الاول مع تضمين هذا المطلب ثلاثة فروع، نتطرق في الاول الى بيان مفهوم الدولة البسيطة و في الثاني الى بيان المركزية الادارية في الدولة البسيطة، ونتطرق في الفرع الثاني الى بيان اللامركزية الادارية. بينما نتناول مفهوم الدول المركبة في المطلب الثاني مع تضمين هذا المطلب فرع واحد ونتطرق فيه الى اليه او كيفية توزيع الاختصاصات في الدول المركبة.

المطلب الاول

مدى تطبيق مبدأ المركزية واللامركزية الإدارية في الدولة الموحدة (البسيطة)

ان غالبية الدول البسيطة تأخذ بنظام المركزية الادارية، وهذا لا يعني عدم اتخاذ الدولة الموحدة لنظام اللامركزية الادارية، وانما السائد هو استخدام تلك الدول لنظام المركزية الادارية، لذا سنحاول بيان مفهوم المركزية الادارية في

الدولة البسيطة في الفرع الاول مع بيان مفهوم اللامركزية الادارية في الفرع الثاني، بينما تطرقنا في الفرع الثالث الى بيان مفهوم الدولة البسيط (المركبة).

الفرع الاول

مفهوم مبدأ المركزية الادارية في الدولة الموحدة (البسيطة)

يقصد بالمركزية الادارية في الدولة البسيطة هو حصر او تركيز ممارسة مظاهر الوظيفة الادارية في الدولة بيد الحكومة المركزية في العاصمة (مجلس الوزراء، الوزراء) او من يمثلها في الاقاليم دون مشاركة هيئات محلية منتخبة.

بينما ذهب جانب اخر من الفقه الى تعريفها "هي ان تكون الوظيفة الادارية مركزة بيد هيئة واحدة وهي السلطة المركزية في العاصمة، بحيث يكون لها وحدها حق اصدار القرارات اللازمة في كل الاقليم، والاشراف على كل المرافق العامة الوطنية و المحلية، كذلك تكون لها هيمنة على الممثلين اللذين يخضعون لسلطتها الرئاسية".

وكذلك عرفت ايضاً بأنها جميع الوظيفة الادارية وحصرها بيد شخص معنوي عام واحد هو الدولة حيث يتولى ويهيمن على النشاط الاداري، وان تعدد الهيئات و الافراد القائمين به، وفق نظام السلطة الرئاسية.

وترتيباً على ما تقدم يتبين لنا بان المركزية الادارية في الدولة الموحدة (البسيطة) هي حصر كافة الصلاحيات بيد المركز (العاصمة) ولها اصدار كافة القرارات واتخاذ الاجراءات على كافة الاقليم ولا يشاركها او يزاحمها اي هيئة او سلطة اخرى.

الفرع الثاني

مفهوم مبدأ اللامركزية الادارية في الدولة الموحدة (البسيطة)

يراد من اللامركزية الادارية في الدولة البسيطة هي منح السكان صلاحية تدبير امورهم وهي توزيع الوظائف الادارية بين الحكومة المركزية في العاصمة ، وبين هيئات الجماعات المحلية او المصلحية، وتخضع هذه الهيئات المحلية في ممارسة وظائفها لأشراف و رقابة الحكومة المركزية، وهي تؤدي الى تحقيق مزيد من الديمقراطية الشعبية، وتبعاً لذلك نكون بصدد تعدد الاشخاص المعنوية العامة منها المركزية و المحلية، وتؤدي بذل الى خلق جماعات محلية تتمتع باستقلال قانوني ذاتي مع خضوعها لوصاية ومراقبة الدولة.

بينما ذهب جانب اخر من الفقه الى بيان اللامركزية الادارية بأنها توزيع ممارسة الوظيفة الادارية في الدولة بين السلطة المركزية وبين هيئات محلية او مصلحية تتمتع بالشخصية المعنوية.

وعرفت ايضاً بأنها توزيع الوظيفة الادارية بين السلطة المركزية وهيئات محلية منتخبة ومتمتعة بالشخصية القانونية وتمارس اختصاصها بطريقة مستقلة عن السلطة المركزية الا من ناحية الخضوع لأشرافها او وصايتها.

يرى جانب من الفقه الدستوري ان مفهوم اللامركزية يجب ربطه بالديمقراطية، باعتبارها الية لتدعيم الديمقراطية، وهذه المركزية تمكن من اتخاذ قرارات مناسبة لمحيطها ودون أيدولوجيات او بدرجة اقل من الايدولوجية مقارنة بالسلطة في المركز.

ويتضح مما تقدم بان الاغلب اتفق على ان اللامركزية الادارية هي توزيع الاختصاصات بين الاتحاد المركزي وبين الولايات وعدم حصر الاختصاصات بيد المركز فقط، مع الاشارة الى نقطة مهمة جداً الا وهي ان الولايات في الدولة الاتحادية تمارس اختصاصاتها تحت مراقبة دولة الاتحاد واشرافه المباشر او غير المباشر.

الفرع الثالث

مفهوم الدولة الموحدة (البسيطة)

عرف بعض الفقه الدستوري الدولة البسيطة او الموحدة بأنها "دولة بسيطة في تركيبتها الدستورية: سلطة سياسية واحدة و وجماعة بشرية متجانسة ودستور واحد وقوانين موحدة في ظل اقليم واحد، ففي الدولة الموحدة تظهر الدولة كوحدة واحدة سواء على الصعيد الخارجي او على الصعيد الداخلي، بعبارة اخرى، الدولة الموحدة او البسيطة التي يسود فيها مبدأ وحدة الدولة بمظاهره الخارجية و الداخلية، مهما كانت اليات ممارسة هذا المبدأ، وما قد يعتريه من استثناءات.

بينما ذهب جانب اخر من الفقه الى تعريف الدولة الموحدة بأنها "وحدة واحدة في المجالين الخارجي والداخلي، حيث توجد هيئة اوحد تتولى تمثيلها في الخارج وادارة شؤونها الخارجية. اما في المجال الداخلي فتتميز بوحدة النظام السياسي، اذ يوجد دستور واحد يسري على كافة اقليم الدولة الموحد، ولا يوجد ازدواج في السلطات، حيث توجد سلطة واحد تشريعية وسلطة تنفيذية واحدة وسلطة قضائية واحدة.

وعرفت ايضاً بانها "تلك الدولة التي تكون السيادة فيها موحدة، تمارسها سلطة واحدة، فتطهر الدولة وحدة واحد على الصيدين الداخلي والخارجي.

وايضاً عرفت بأنها "هي تلك التي تباشر فيها سلطات الحكم هيئة موحدة او حكومة واحدة، كما هو الشأن في فرنسا وبلجيكا واليونان وايران ومصر.

وترتيباً على ما تقدم يتضح لنا بأن الدولة البسيطة هي دولة ذات سيادة موحدة تكون السلطات (التشريعية و التنفيذية و القضائية) واحدة، وتتسم بوحدة النظام السياسي الداخلي وجماعة بشرية متجانسة، وعلم واحد. مثل سوريا والاردن ومصر.

المطلب الثاني

مدى تطبيق مبدأ المركزية واللامركزية الإدارية في الدولة المركبة (الاتحادية)

كما تقدم سلفاً سنتطرق الى بيان مفهوم الدولة المركبة في الفرع الاول، وسنتناول بيان الية او كيفية توزيع الاختصاصات في الدولة المركبة في الفرع الثاني.

الفرع الاول

مفهوم الدولة المركبة

عرف جانب من الفقه الدولة المركبة او المتحدة بأنها "مجموعة دول اتحدت لتحقيق اهداف مشتركة. فالدولة المركبة تقوم على اساس اتحاد دولتين او اكثر مع خضوع الدولة الداخلة في لسلطة مشتركة، وتتوزع سلطات الحكم في الدولة المركبة على الدول المكونة لها. ويختلف توزيع السلطة تبعاً لاختلاف نوع الاتحاد الذي يربط بينهما.

كما عرفت ايضاً بانها "عبارة عن اتحاد دولتين او اكثر لتحقيق غرض مشترك، كما تتجزأ فيها السيادة بين دول الاتحاد طبقاً لنوع الاتحاد، بحيث تتعدد الدساتير، وتتعدد سلطات الحكم داخل الدولة الاتحادية.

وترتيباً على ما تقدم يتبين لنا بأن الدول المركبة هي مجموعة من الدولة اتفقت على الانضمام ضمن دولة واحد مع احتفاظ تلك الدولة بسيادتها.

ولعل الفقه الدستوري يميز بين اشكال متعددة من الدول المركبة او الاتحادية وتأخذ صوراً مختلفة، ويمكن ايجازها بما يلي:

- الاتحاد الشخصي: Union Personnelle
- الاتحاد التعاهدي او الاستقلالي (الكونفدرالي): Confederation d'Etats
- الاتحاد الفعلي او الحقيقي: L'union reelle
- الاتحاد الفيدرالي او المركزي: Etat Federal

الفرع الثاني

الية توزيع الاختصاصات في الدولة المركبة

اتفقه الفقه الدستوري على ان الدستوري الاتحادي هو الذي يتكفل بتوزيع الاختصاصات بين السلطة الاتحادية والدولة المنضوية. وهو بذلك يتأثر تبعاً لطريقة نشأة الاتحاد وبمدى رغبة الدول الاعضاء وكذلك واضعي الدستور الاتحادي في تقوية سلطاته او في تقوية سلطات الولايات.

وفي هذا الجانب تحديداً فأن دساتير الدولة المركبة او الاتحادية تتبع احد الطرق الثلاثة التالي:

- الطريقة او الاسلوب الاول:

يقوم الدستور الاتحادي بذكر اختصاصات كل دولة داخلة في الاتحاد ودولة الاتحاد، بحيث يحدد اختصاص كل دولة داخلة على سبيل الحصر . وهذا الاسلوب بالرغم من سهولته الا انه يلازمه عيب جسيم يتمثل في ان المشرع الدستوري لا يستطيع ان يتنبأ سلفاً بكل المسائل و الحالات التي تدخل في اختصاص كل من الولايات و الاتحاد.

- الطريقة او الاسلوب الثاني:

وفيها يلجأ واضعو الدستور الى تحديد اختصاصات الولايات على سبيل الحصر، ويترك ماعدا ذلك من اختصاصات الى دولة الاتحاد، ومن ثم فأن اختصاص دولة الاتحاد يكون اختصاصاً شاملاً عاماً يشمل كل من لم يرد به نص ، كما يشمل ايضاً كل ما لم يرد به نص، كما يشمل ايضاً كل ما ممكن ان يستجد في المستقبل من امور او مسائل لا تدخل في المسائل المذكورة سلفاً في اختصاص الولايات.

- الطريقة او الاسلوب الثالث:

وفيه يتم تحديد اختصاص دولة الاتحاد في الدستور الاتحادي على سبيل الحصر، ويترك ماعدا ذلك الى اختصاص الولايات. وهذا الاسلوب يجعل الولايات هي صاحبة الاختصاص العام في مزاولة الامور الداخلية، بينما يكون مزاولة دولة الاتحاد محدد في المسائل التي ورد ذكرها سلفاً في الدستور فقط.

الخاتمة | **Conclusion**

يبدوا لنا مما تقدم ان هذه الدراسة قد تضمنت بيان مفهوم الدولة البسيطة (الموحدة) وشملت كذلك بيان مفهوم المركزية و اللامركزية في الدولة البسيطة، وهذا ما تطرق له الباحث في المطلب الاول.

بينما تضمن المطلب الثاني بيان مفهوم مبدأ الدولة المركبة (الاتحادية) وكذلك تطرق الباحث الى بيان الاتجاه السائد في الية توزيع الاختصاصات في الدولة المركبة.

الاستنتاجات| **Results**

1. ان مبدأ اللامركزية الادارية هو احد صور الديمقراطية الحديثة.
2. نظام المركزية الادارية يعد اقدم نشوءً من نظام اللامركزية الادارية.
3. الدولة البسيطة هي الدولة التي يكون لها دستور واحد.
4. الدولة المركبة هي الدولة التي يتعدد بها الدستور، فتحد دستور لدولة معينة يختلف عن دستور دولة اخرى داخلة ضمن الاتحاد.
5. تتيح اللامركزية الادارية مجالاً اكبر مما تتيحه المركزية الادارية في سرعة اتخاذ القرار الاداري.
6. تخفف المسؤولية الادارية من ثقل اتخاذ القرارات الادارية والسياسية الموكلة على الحكومة المركز.

التوصيات | **Recommendations**

1. نوصي بضرورة اعتماد اللامركزية الادارية كونها تتيح مجال اوسع و حرية اكثر للأقاليم و المحافظات لاتخاذ القرار المناسب، ومن جهة اخرى تخفف من كاهل الاعمال على عاتق المركز، الامر الذي ينعكس ايجاباً على دور المركز في القيام بالأعمال الموكلة اليه بموجب الدستور.
2. لا نرى ضرورة اتحاد الدول فيما بينها لتكوين اتحاد فدرالي وخصوصاً في ظل انتشار النظم الديمقراطية و الدولة المدنية.
3. نوصي بضرورة وضع لجان مشتركة بين المركز و الاقاليم او المحافظات من اجل مراجعة القرارات وعملية المراقبة والاشراف على تنفيذ القوانين.
4. نرى بأن الاتحاد الكونفدرالي هو الاقرب الى الاسلوب الديمقراطي السليم الذي يتيح للدول الانضمام وفق اتفاق او معاهدة يتم من خلاله تعضيد دور حقوق الانسان وغيرها.

المراجع**References** |

1. حسني بوديار – الوجيز في القانون الدستوري – دار العلوم للنشر والتوزيع – 2003م
2. خليل هيكل – النظم الدستورية المعاصرة والنظام الدستوري الاسلامي – بلا دار طبع – 1998م
3. د. حمدي قبيلات – القانون الاداري – الجزء الاول – ماهية القانون الاداري – الطبعة الاولى – دار وائل للنشر – عمان – 2008م
4. د. حميد حنون خالد – مبادئ القانون الدستوري – مكتبة السنهوري – بيروت – 2019م
5. د. سام سليمان دله – مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية – ط1 – منشورات جامعة حلب – 2002م

الخاتمة:

ختاما وبعد ماتم بيان أهم التداعيات الدولية لغزو الروسي على أوكرانيا في شباط من العام الحالي , فضلا عن مقدمات هذا الغزو والتي كانت لأشهر سابقة , يتضح أن الجانب الروسي كان ساعيا وبدرجة رئيسية الى إبعاد أوكرانيا عن كنف حلف الناتو وعدم تصديق الوعود التي اطلقها الحلف لحكومة كييف , كون هذا الأمر يعده الروس خطرا على أمنهم الداخلي وإنعكاساته على باقي الدول المحيطة بها , لذا وفي مناسبات كثيرة حاولت ردع الأوكرانيين من التفكير ولو لحظة بالإنضمام للحلف وإيصال قوة هذا التنظيم الى حدود روسيا لكن اوكرانيا كانت عازمة على ذلك , وهنا جاءتها صدمة الناتو ووعوده الكاذبة لها وإن لم تكن إنضمت بعد , لكنها خجولة جدا في إبداء المساعدة الحقيقية والفعلية لأوكرانيا , ومن هنا نستنتج من البحث جملة من المور , أهمها :.

1. تعد أوكرانيا بالنسبة للروس بعدا ومجالا حيويا مهما لايمكن المساس به .
2. تندرج ضمن الفقرة أعلاه الاهمية الاقتصادية والسياسية الكبيرة لها .
3. كان على حكومة أوكرانيا أخذ الدرس والتعلم منه وهو ماحدث في عام 2014 (أحداث القرم) , وان تعي جيدا حجم وقوة جارتها .
3. مابعد الغزو الروسي كانت هناك تداعيات كثيرة أفرزها ذلك التصرف , أهمها طريقة إعادة رسم كلامح النظام الدولي وعلى وفق توزنات جديدة .

الهوامش:

1- حمد أمين وآخرون , الازمة الاوكرانية وتداعياتها على مستقبل النسق الدولي , المركز الديمقراطي العربي , المانيا , برلين , 2022 , ص14

---

6. د. شعبان احمد رمضان – الوجيز في القانون الدستوري – بلا دار طبع – 2019م
7. د. عبد الحميد متولي ود. سعد عصفور ود. محسن خليل – القانون الدستوري والنظم السياسية – منشأة المعارف – الاسكندرية – بلا سنة نشر
8. د. عصام علي الدبس – القانون الدستوري والنظم السياسية – دار الثقافة للنشر والتوزيع – الاردن – ط1 – 2014م
9. د. علي شنطاوي – القانون الاداري الاردني – الكتاب الاول – ط1 – دار وائل للطباعة والنشر – عمان – 2009م
10. د. محمد الصغير بعلي – القانون الاداري - التنظيم الاداري – دار العلم للنشر والتوزيع – 2002م
11. د. محمد المساري – القانون الدستوري والنظم السياسية – الجزء الاول – بلا دار نشر – 2017م
12. د. محمد كامل ليلة – النظم السياسية الدولة والحكومة – دار النهضة العربية – بيروت – 1969م
13. مليكة الصروخ – القانون الاداري – مطبعة النجاح الجديدة – الطبعة الاولى – البيضاء – بلا سنة نشر.

2- حسام الدين جاد الرب , الجغرافيا السياسية , الدار المصرية اللبنانية , القاهرة , 2008 , ص232

-3 group of authors , the kremlin playbook, part 3 ,(keeping the faith) , a report of the CSIS Europe ,Russia , anr Eurasia program , center for strategic and international studies , February 2022 , p 25

4- احمد ابو زيد , الازمة الاوكرانية والحرب الباردة الجديدة في فهم الواقع الدولي , معهد العربية للدراسات , اذار 2014 , ص4

5- ماهر لطيف , " مكانة اوكرانيا في العقيدة الجيوسياسية الجيوبوليتيكية الروسية . طريق نحو التوسع الامبراطوري " , مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية , ابحاث ودراسات , بغداد , 5 حزيران , 2022 , ص4 .

5– "Verkhovna Rada of Ukraine Resolution on Declaration of Independence of Ukraine " . Verkhovna Rada of Ukraine 24 August 1991, Archived from the original on 30 September 2007, Retrieved 12 September 2007.

7- أقتصاد اوكرانيا هو أقتصاد السوق الحر الناشىء , منشور عبر الرابط :.

https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF_%D8%A3%D9%88%D9%83%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7/simplified

(*) اقتصاد الظل هو لأنشطة التي قد تعتبر منتجة بالمعنى الاقتصادي وقانونية أيضًا (بشرط توفر معايير الالتزام بنظم معينة) ولكنها مخفية عن عمد عن السلطات العامة (من أجل تفادي دفع الضرائب مثلا أو دفع اشتراكات الضمان الاجتماعي أو الالتفاف حول معايير أو متطلبات معينة, للمزيد ينظر :

Interfax Ukraine Azarov , "Shadow trade accounts for 40% of domestic market , Kiev ,December 2011

8- Leonard Peter , "Ukraine to deploy troops to Quash Pro –Russian insurgency in the east" , Yahoo news Canada on 14 April 2014 , Associated Press , Archived from the original Retrieved 26 October 2014

9- Big debts and dwinding cash , Ukraine tests creditors nerves , Reuters 17 October 2013

(*)كلمة «فوركس» تشير إلى سوق العملات الأجنبية أو البورصة العالمية للعملات الأجنبية، وهي اختصار للمصطلح الاقتصادي من اللغة الأجنبية "**Foreign Exchange Market**" أي «سوق تداول العملات الأجنبية»، وهو سوق يمتد في جميع أنحاء العالم حيث تصرف العملات من قبل عدة مشاركين، مثل البنوك العالمية والمؤسسات الدولية والأسواق المالية , للمزيد ينظر :.

Big debts and dwinding cash , Ukraine tests creditors nerves , Reuters 17 October 2013

10- Report "Westinghouse Wins Contract to Provide Fuel Supplies to Ukraine " , 19 june 2015 (press release) the original Westinghouse Electric , Archived from Retrieved 15 April 2014 .

11- محمد صفوان جولاق، معارضة أوكرانيا والطريق لأوروبا عبر الحكم، الجزيرة نت , عبر الرابط :.

http://www.aljazeera.net/news/pages/47ea560b-5c58-40d7-bfbf-3216d15e3796

(*)إن التنافس والصراع الإقليمي على القرم ليس جديدًا ، وإن خمد لعقود ؛ فالقرم كان جزءًا من الدولة العثمانية في أجزائها الشمالية ، بعد أن دخله الإسلام في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي ، وكان معظم سكانه من أصول تركية ، أُطلق عليهم لاحقًا اسم: "التتار". وتسمية "القرم" تترية تعني القلعة ، وكانت تضم مناطق ما يُسمى الآن "شبه جزيرة القرم" والأراضي المحيطة ببحر آزوف (في روسيا الآن) وشمال جزيرة القرم (في أوكرانيا اليوم) , قامت على أراضي القرم مملكة قرمية تترية من العام 1441-1783، وهي مملكة ضعفت بضعف الدولة العثمانية ، وتخلّت عنها هذه الأخيرة بتوقيع معاهدة "كوجك قينارجه"، التي نصت على منح القرم استقلالاً ذاتيًا عام 1774، ليبدأ الوجود الروسي لأول مرة في شبه الجزيرة ، ولكن الإمبراطورة الروسية يكاتيرينا الثانية أخلّت بالاتفاقية واحتلّت الجزيرة عام 1783، وأحرقت ودمرت عاصمتها (بغجة سراي آنذاك) والكثير من المعالم الحضارية التترية الإسلامية فيها , بعد ذلك تراجع الوجود التتري في القرم ، وخاصة بعد سيطرة السوفيت عليه ، ثم هجّر نظام الزعيم جوزيف ستالين التتار بالكامل عام 1944 قسرًا بدعوى الخيانة خلال الحرب، ووُزّعت بيوتهم وأراضيهم على "العمال الكادحين" من روسيا وغيرها ، ليعظم وجود الروس في الإقليم , ووفق إحصائية أُعدت عام 2001 يشكّل الروس والمنحدرون من أصول روسيا نسبة تقارب نحو 58% من إجمالي عدد السكان البالغ 2 مليون نسمة ، بينما يشكّل الأوكرانيون نسبة تقارب 24%، ويشكّل تتار القرم نسبة 12% , وكانت جمهورية القرم واحدة من دول الاتحاد السوفيتي إلى العام 1954 , حيث قرر الزعيم نيكيتا خروتشوف ضمها إلى أوكرانيا لتبقى كذلك بعد استقلال الأخيرة عام 1991 , للمزيد ينظر :. عبد العزيز سليمان نوار و عبد المجيد نعنعي , التاريخ المعاصر لوربا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية , دار النهضة العربية , بيروت , 2014 , ص ص 245 . 252 , وكذلك ينظر : جمال محمود حجد , القوى الكبرى ةالشرق الاوسط (في القرنين التاسع عشر والعشرين) , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية , 1989 , صص 67 . 88 , وينظر ايضا : د. أمين القاسم، جغرافيا شبه جزيرة القرم وتاريخ التتار فيها، أوكرانيا برس عبر الرابط :.

http://ukrpress.net/node/2512

12- هوارد آموس ," اوكرانيا : سيفاستوبول تعين عمدة مواليا لروسيا مع نمو المخاوف الانفصالية , صحيفة الغارديان البريطانية في 25 شباط 2014 , وللمزيد ينظر : ابراهيم يوسف عبيد و نعمة سعيد سرور," السلوم الروسي تجاه ازمتي جورجيا . اوسيتيا الجنوبية 2008 , واوكرانيا القرم 2014 " , مجلة التاريخ العربي , العدد 8 , 2017 , ص143

13- مايكل كوفمان وآخرون , "عبر من عمليات روسيا في شبه جزيرة القرم وشرق اوكرانيا " , ابحاث ودراسات , مؤسسة راند للابحاث والدراسات , عبر الرابط :. **1498www.rand.org/t/RR**

وللمزيد ينظر :. اف ستيفن لارابي وآخرون , " روسيا والغرب بعد الأزمة الأوكرانية . اوجه الضعف . الأوربية جراء الضغوط الروسية " , ابحاث ودراسات , مؤسسة راند للابحاث والدراسات , عبر الرابط :. **1498www.rand.org/t/RR**

14- اسماء حداد , "روسيا والتداعيات الجيوسياسية لزمة القرم في ظل التنافس الدولي على اوراسيا " , مجلة المعيار , المركز الجامعي احمد بن يحي الونشريسي , الجزائر , المجلد التاسع , العدد 4 , ديسمبر 2018 , ص135 , وينظر لنفس الباحثة : الحروب الهجينة : الازمة الاوكرانية أنموذجا . مجلة مدارات سياسية , عدد ديسمبر 2017 , ص ص114

15- احمد السيد , " اوكرانيا بؤرة توتر تاريخية بين موسكو والغرب " , في (روسيا واوكرانيا من الازمة الى الحرب البدايات والمآلات) , المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية , القاهرة , 2022 , ص7

16- Taras Kuzio & pual D Anieri , the Sources of Russia's Great power politics , E – International relation publishing , Bristol , England , 2020 , p.86

17- احمد السيد , " اوكرانيا بؤرة توتر تاريخية بين موسكو والغرب " , مصدر سبق ذكره , ص9

(*)تم التوقيع عليه بعد محادثات مكثفة في مينسك بيلاروسيا، تحت رعاية منظمة الأمن والتعاون في أوروبا. نفذ الاتفاق الذي أعقب عدة محاولات سابقة لوقف القتال في دونباس وقفًا فوريًا لإطلاق النار. لكنه فشل في وقف القتال في دونباس، وبالتالي تبعتها حزمة جديدة من الإجراءات تسمى مينسك الثانية، والتي تم الاتفاق عليها في 12 فبراير 2015. , للمزيد ينظر : احمد السيد , " اوكرانيا بؤرة توتر تاريخية بين موسكو والغرب " , مصدر سبق ذكره .

18- ممدوح عبد المنعم , روسيا تنادي بحق العودة الى القمة , د.ت. , ص77 1

19- احمد السيد , " اوكرانيا بؤرة توتر تاريخية بين موسكو والغرب " , مصدر سبق ذكره , ص9

20- رحاب الزيادي وآخرون ," التأثيرات الجيوسياسية . الغاز والشرق الاوسط في الازمة الاوكرانية " , في (روسيا واوكرانيا من الازمة الى الحرب البدايات والمآلات) , المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية , القاهرة , 2022 , ص63

21- Taras Kuzio & Crisis in Russian studies ? (nationalism, imperialism) , Racism and war , E – International relation publishing , Bristol , England , 2020 , p.p .30 - 32

22- رحاب الزيادي وآخرون , مصدر سبق ذكره , ص65

23- عناد كاظم حسين النائلي , روسيا الاتحادية ومستقبل التوازن الاستراتيجي العالمي , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت , 2017 , ص 183

24- رحاب الزيادي وآخرون ," التأثيرات الجيوسياسية . الغاز والشرق الاوسط في الازمة الاوكرانية , مصدر سبق ذكره , ص63

(*)يُقصد بها تلك الدول التي كانت منضوية تحت مظلة الاتحاد السوفيتي .

25- عناد كاظم حسين النائلي , روسيا الاتحادية ومستقبل التوازن الاستراتيجي العالمي , مصدر سبق ذكره , ص184

26- رحاب الزيادي وآخرون ," التأثيرات الجيوسياسية . الغاز والشرق الاوسط في الازمة الاوكرانية , مصدر سبق ذكره , ص64

27- المصدر نفسه

28- رحاب الزيادي وآخرون ," التأثيرات الجيوسياسية . الغاز والشرق الاوسط في الازمة الاوكرانية , مصدر سبق ذكره , ص64

29- إيمان أحمد عبد الحليم ، "هل تتحول الحرب الأوكرانية إلى كارثة استراتيجية لموسكو؟"، 10 مارس/آذار 2022، عبر الرابط ، **https://bit.ly/3KIfDXP**

30- ماهيناز الباز، "آليات أوكرانيا لإدارة اقتصاد الحرب مع روسيا"، مركز المستقبل، 23 مارس/آذار 2022، عبر الرابط :. **https://bit.ly/37oCwkT**

31- Sudha David-Wilp and Thomas Kleine-Brockhoff, "A New Germany: How Putin's Aggression Is Changing Berlin," Foreign Affairs, March 1, 2022, "accessed April 3, 2022". https://fam.ag/3u31hLS.

-32 عصام عبد الشافي , " تداعيات الحرب الروسية الاوكرانية " , 3 ايار 2022 , عبر الرابط :.

https://studies.aljazeera.net/ar/article/5361

-33 عصام عبد الشافي , " تداعيات الحرب الروسية الاوكرانية , مصدر سبق ذكره .

(*)لم تخرج القمّة الافتراضيّة بين الرئيسين الأميركيّ جو بايدن والروسيّ فلاديمير بوتين بحلّ للتوتّر الذي تشهده الحدود بين البلدين , اذ حشدت موسكو أكثر من 93 ألف جنديّ على الحدود المشتركة في خطوة هي الثانية لعان 2021. وقدّر وزير الدفاع الأوكرانيّ أوليكسي ريزنيكوف شنّ روسيا هجوماً عسكريّاً على بلاده أوائل 2022 وهو ماحدث فعلا , للمزيد ينظر :

جورج عيسى , " قمة بايد ن . بوتين الافتراضية نجاح نسبي ؟" , عبر الرابط :.

https://www.annaharar.com/arabic/politics/international/usa/08122021093610613

- داليا يسري , " اخر اوراق موسكو في نزاعها ضد اوكرانيا " , في (روسيا واوكرانيا من الازمة الى الحرب البدايات والمآلات) , المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية , القاهرة , 2022 , ص10

(*) وتحدث أيضا خلال المؤتمر الصحفي عما وصفها بالعملية الخاصة التي تشنها قواته في أوكرانيا منذ 24 /شباط الماضي، قائلا إنها تحقق أهدافها, وتابع أن الهدف النهائي للعملية الخاصة هو حماية إقليم دونباس (شرقي أوكرانيا) ، وإرساء شروط تضمن أمن روسيا ، على وفق تعبيره , وتأتي تصريحات الرئيس الروسي في تركمانستان بينما أطلقت قمة حلف شمال الأطلسي في مدريد رسميا عملية انضمام فنلندا والسويد إلى الحلف, كما تأتي في ظل تصعيد كلامي بين روسيا والغرب على وقع التصعيد العسكري في أوكرانيا ، وتفاقم أزمة الغذاء في العالم جراء الحرب المستمرة في الجارة الغربية لروسيا , للمزيد ينظر :. " بوتين يلوح بالرد اذا مانشر الناتو قوات في فنلندا والسويد وقيادة الحلف الاطلسي يعتبرون ان روسيا هي التهديد الاكبر , مقالة افتتاحية في مركز الجزيرة للدراسات , نشرت بتاريخ 30 / 2022/6 , عبر الرابط :

https://www.aljazeera.net/news/politics/2022/6/30/%D8%A8%D9%88%D8%AA%D9%8A%D9%86-%D9%8A%D9%84%D9%88%D8%AD-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AF-

%D8%A5%D8%B0%D8%A7-%D9%86%D8%B4%D8%B1-

%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%AA%D9%88-%D9%82%D9%88%D8%A7%D8%AA-

%D9%81%D9%8A

35- بوتين يلوح بالرد اذا مانشر الناتو قوات في فنلندا والسويد وقيادة الحلف الاطلسي يعتبرون ان روسيا هي التهديد الاكبر, مقالة افتتاحية في مركز الجزيرة للدراسات , نشرت بتاريخ 30 / 2022/6 , عبر الرابط :

https://www.aljazeera.net/news/politics/2022/6/30/%D8%A8%D9%88%D8%AA%D9%8A%D9%8

6-%D9%8A%D9%84%D9%88%D8%AD-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AF-

%D8%A5%D8%B0%D8%A7-%D9%86%D8%B4%D8%B1-

%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%AA%D9%88-%D9%82%D9%88%D8%A7%D8%AA-

%D9%81%D9%8A

(*) يشير مصطلح تحالف الراغبين إلى القوات متعددة الجنسيات بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، وإلى القيادة العسكرية خلال غزو العراق عام 2003، وما تلا ذلك من حرب العراق والأبفاء على هذا التحالف لوقت الزمات , للمزيد ينظر :.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D9%84%D9%81_%D8%A7%D9%84%

D8%B1%D8%A7%D8%BA%D8%A8%D9%8A%D9%86

36- Kemal Derviş and José Antonio Ocampo, "Will Ukraine's Tragedy Spur UN Security Council Reform?," Project-Syndicate.org, March 3, 2022. "accessed April 1, 2022". https://bit.ly/3wFZxtO.

- Ipid .

38- عصام عبد الشافي , " تداعيات الحرب الروسية الاوكرانية , مصدر سبق ذكره .

39- John J. Mearsheimer, "Bound To Fail: The Rise and Fall of the Liberal International Order," International Security, Vol. 43, no. 4 (Spring 2019): 48-49

40- Robert Kagan, "What we can expect after Putin's conquest of Ukraine," Washington Post, February 21, 2022. "accessed April 3, 2022". https://wapo.st/3DcwEqs.

-41 عصام عبد الشافي , " تداعيات الحرب الروسية الاوكرانية , مصدر سبق ذكره .

42- محمد بوبوش ، "الإشكاليات القانونية للحرب الروسية - الأوكرانية 2022" ، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية ، 29 مارس/آذار 2022) عبر الرابط :. ، **https://bit.ly/3Lyjzuq** .

43- منى سليمان، "التداعيات والمسارات المحتملة للعملية العسكرية الروسية في أوكرانيا"، مجلة السياسة الدولية (القاهرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية)، 26 فبراير/شباط 2022، (تاريخ الدخول: 27 مارس/آذار 2022)، **https://bit.ly/3tG3Lji**

المشاورات اليمنية: محطات، ومعوقات (2015 - 2021م)

Yemeni Consultations:stations and obstacles 2015-2021

د. صريح صالح القاز

مركز الدراسات الاستراتيجية – صنعاء

الملخص:

يهدف البحث إلى استعراض أهم جولات المشاورات اليمنية، ونتائجها خلال الفترة الزمنية 2015 - 2021م، وتوضيح المعوقات الداخلية، والخارجية التي حالت دون نجاحها.

تمحورت إشكالية البحث في الإجابة على التساؤلين المترابطين التاليين:

ماالذي جعل المشاورات السياسية اليمنية تراوح دون أي تقدم إيجابي؟، وهل كانت التدخلات الخارجية في أزمة اليمن السياسية عامل انفراج أم عامل تعقيد؟.

وبواسطة المنهجين التاريخي، والوصفي التحليلي بصفتهما أكثر ملائمةً لموضوع وطبيعة البحث تمت معالجة الموضوع في مبحثين: يتناول الأول محطات المشاورات، فيما يتناول الثاني معوقات المشاورات، بالإضافة إلى خاتمة.

توصل البحث إلى: أن المشاورات اليمنية برعاية الأمم المتحدة التي تخللت الصراع المستمر في اليمن منذ العام 2015م، قد فشلت في التوصل إلى تسوية شاملة لهذا الصراع الذي تسبب في كارثة إنسانية هي الأسوأ على مستوى العالم؛ ويعود ذلك إلى معوقات داخلية(سياسية - عسكرية - اقتصادية - اجتماعية)، وإقليمية(السعودية - الإمارات - إيران)، فضلاً عن الموقف المتضارب للأمم المتحدة، وتحديدًا الانقسام القائم بين الدول دائمة العضوية(أمريكا - بريطانيا - فرنسا - روسيا - الصين)، في كيفية التعاطي مع هذا الصراع.

الكلمات المفتاحية : مشاورات - السعودية - اليمن - محطات - معوقات.

Abstract:

This research paper reviews the most important rounds of Yemeni consultations and their results during 2015-2021 to clarify the internal and external obstacles that prevented their success.

The research problem focused on answering the following two related questions: What caused the Yemeni political consultations to falter without any positive progress? Were the external interventions in Yemen's political crisis a relief factor or a complicating factor?

Using the historical and descriptive-analytical approaches, as they are more appropriate to the subject and nature of the research. The subject was dealt with in two sections: the first deals with the stages of consultations, while the second deals with the obstacles to consultations, in addition to a conclusion.

The research concluded: that the Yemeni talks under the auspices of the United Nations that permeated the ongoing conflict in Yemen since 2015 have failed to reach a comprehensive settlement of this conflict, which has caused a humanitarian catastrophe that is the worst in the world; This is due to internal (political-military - economic - social) and regional obstacles (Saudi Arabia - UAE - Iran), as well as the conflicting position of the United Nations, specifically the division between the permanent member states (America - Britain - France - Russia - China), How to deal with this conflict.

Keywords: consultations, Saudi Arabia, Yemen, stations, obstacles

مقدمة:

تعاني اليمن كواحدة من الشعوب العربية التي طالتها موجة ماتُعرف بثورة الربيع العربي منذ العام 2011م، من تداعيات هذه الثورة التي أدخلت البلد في أتون صراع سياسي مرير، واحتراب عسكري عنيف في العديد من جبهات القتال، أعلنته، وأججته دول مايُسمى بالتحالف العربي لدعم الشرعية اليمنية بقيادة المملكة العربية السعودية، بدءًا من العام 2015م مع فرض حصار بري، وبحري، وجوي، شامل.

على مدى سبع سنوات، وخلال عدد من الجولات التشاورية برعاية الأمم المتحدة التي أوفدت أربعة مبعوثين : جمال بن عمر، وإسماعيل ولد الشيخ، ومارتن غريفيث، وهانس غروندبرغ، لم يُفلح طرفا الصراع(حكومة صنعاء بقيادة حركة أنصار الله - الرئيس المستقيل عبد ربه منصور هادي، وحكومته)، في تحقيق أي تقدم فيما يتعلق بإيقاف هذه الحرب، وخسائرها البشرية(قتلى - معاقين وجرحى)، والمادية(ممتلكات عامة - ممتلكات خاصة)، ولا ريب أن هذا التلكؤ، والإخفاق ناتجان عن جملة من المعوقات الداخلية(سياسية - عسكرية - اقتصادية - اجتماعية)، وخارجية إقليمية (السعودية - الإمارات - إيران)، التي بَقيت حجر عثرة، وعقبة كأداء أمام تحقيق السلام اليمني الشامل.

بالإضافة إلى الموقف المتناقض، والمنقسم بين الدول دائمة العضوية(أمريكا - بريطانيا - فرنسا - روسيا - الصين)، تجاه هذا الصراع.

أ- هيكل البحث:

سوف نستعرض في بحثنا هذا أبرز محطات التشاور، ومعوقاته في مبحثين: يتناول الأول، محطات المشاورات، فيما يتناول الثاني، معوقات المشاورات، بالإضافة إلى خاتمة.

ب - أهداف البحث:

بما أن لكل عمل أهدافه فإن أهم ما يهدف إليه البحث مايلي:

1- استعراض أهم جولات التشاور، ونتائج كل جولة.

2- كشف المعوقات الداخلية، والخارجية التي حالت دون نجاح المشاورات.

3- طرح نتائج للبحث.

ج - افتراضات البحث:

1- كلما زاد التفكك العسكري، والسياسي داخل طرف مايُسمى بالشرعية، كلما أدى ذلك إلى تعاظم حكومة صنعاء بالقدر نفسه.

2- التدخلات الخارجية(إقليمية - دولية)، تسببت بشكل كبير في عرقلة التسوية السياسية.

ء - إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث في الإجابة على التساؤلين المترابطين التاليين:

ماالذي جعل المشاورات السياسية اليمنية تراوح دون أي تقدم إيجابي؟، وهل كانت التدخلات الخارجية في أزمة اليمن السياسية عامل انفراج أم عامل تعقيد؟

هـ - منهج البحث:

لقد تم الاعتماد على المنهجين: التاريخي، والوصفي التحليلي بصفتهما أكثر ملائمةً لموضوع، وطبيعة البحث خلال الفترة الزمنية 2015- 2021م.

المبحث الأول

محطات المشاورات

1- مشاورات ثنائية:

أ) مشاورات جنيف (1) و(2):

- مشاورات جنيف(1)

كان الأمين العام للأمم المتحدة "بان كي مون" قد أفتتح محادثات السلام اليمنية في مدينة جنيف السويسرية ، مؤكداً على ضرورة وقف إطلاق النار لأسباب إنسانية.

واستمرت المفاوضات من 16 يونيو حتى 19 يونيو 2015م، وفي اليوم الأخير منها صرح وزير الخارجية اليمني آنذاك (رياض ياسين)، إن المفاوضات انتهت دون التوصل لأي إتفاق، وأكد يومها المبعوث الدولي الثاني إلى اليمن (إسماعيل ولد الشيخ أحمد)، على أن وقف إطلاق النار أمر لابد منه في حال عدم التوصل إلى إتفاق شامل. غير أن رياض ياسين استبعد ذلك وقال "إذا استمر احتلالهم (حركة أنصار الله)، لليمن وإذا واصلوا قتل الأبرياء واستمروا في تدمير كل شيء... فأي وقف لإطلاق النار يمكن التوصل إليه؟".

ولم يُكتب لهذه المشاورات النجاح، ومرد ذلك إلى تمسك حكومة عبدربه منصور هادي بنصوص المبادرة الخليجية، ومخرجات الحوار الوطني ،وإصرارها على تطبيق قرار مجلس الأمن الدولي رقم (2216).

في حين طالب وفد حكومة صنعاء(حركة أنصار الله والمؤتمر الشعبي العام)، بوقف الحرب كشرط للانخراط في هذه المفاوضات.[236]

- مشاورات جنيف (2) :

[236] ()مشوار السلام .. من جنيف 1 إلى ستوكهولم - بتاريخ 2018 -12- 6 ، على الرابط التالي: https://alwatantoday.com/posts ، تاريخ الاطلاع 10- إبريل – 2022.

انعقدت مشاورات جنيف (2)، لمدة خمسة أيام ، برعاية الأمم المتحدة من 15 - 20 ديسمبر - 2015م بمدينة (بيل) السويسرية، بُعيد خمسة أشهر من انعقاد (جنيف 1)،

وانتهت المشاورات دون تحقيق أي تقدم، عدا ما أعلنه المبعوث الدولي إلى اليمن، إسماعيل ولد الشيخ أن" الأطراف اليمنية المشاركة في مشاورات السلام جنيف(2) اتفقت على أن يتم عقد مشاورات ثانية في منتصف يناير - 2016م، دون تحديد مكانها مع إنشاء لجنة للاتصال، والتهدئة تشرف عليها الأمم المتحدة، ومجموعة تدابير لبناء الثقة تفضي إلى الإفراج عن المعتقلين وضمان سيرورة وقف إطلاق النار، وإيصال المساعدات الإنسانية".[237]

ب) مشاورات الكويت 2016م:

انعقدت مشاورات السلام اليمنية في دولة الكويت في الفترة من 21 - إبريل، إلى 6أغسطس - 2016م، برعاية الأمم المتحدة، بين الحكومة اليمنية، ووفد حكومة صنعاء. تضمنت أجندة المشاورات المحددة من الأمم المتحدة خمسة محاور رئيسية هي: وقف إطلاق النار، والانسحاب من المدن، وتسليم السلاح، وإعادة مؤسسات الدولة بالاضافة إلى ملف الأسرى، والمعتقلين.

و منذ 21 - إبريل وحتى ال-30 من يونيو، طرح كل طرف رؤيته السياسية، والأمنية للحل، مع الاختلاف في اسبقيتها، حيث أصر وفد حكومة الرئيس المستقيل عبدربه منصور هادي على البدء في تنفيذ الإجراءات الأمنية، والعسكرية المطلوبة من حركة أنصار الله والرئيس السابق علي عبدالله صالح، المتمثلة في: الانسحاب من المدن، وتسليم الأسلحة الثقيلة، ومن ثم الانتقال إلى الشق السياسي. فيما تمسك وفد حكومة صنعاء برؤيته التي مفادها: بأن الشق السياسي ينبغي الاتفاق عليه قبل الشق العسكري والأمني كتشكيل حكومة توافقية انتقالية، تتولى هي الإشراف على الجانب الأمني الخاص بالانسحاب، وتسليم الأسلحة، وكل الترتيبات الأمنية.

لم تسفر المشاورات التي شهدت جولتين، وانتهت في السابع من أغسطس - 2016م عن أي نتائج إيجابية مع إصرار كل طرف على فرض رؤيته، وكان لأمير الكويت الشيخ (صباح الأحمد الجابر الصباح)، نوايا ومساعٍ حميدة فيها.[238]

وحينما أدرك السفير الأمريكي في اليمن "ماثيو تولر" أن المشاورات لم تحقق أي تقدم مما كان يؤمل، عاد في الكويت ليستخدم لغة التهديد مع وفد حكومة صنعاء بقوله: " أمامكم الآن صفقة: إما أن توقعوها، وإما الحصار الاقتصادي وسننقل البنك، وسنمنع الإيرادات، وسنغلق مطار صنعاء". وقابله وفد صنعاء بالرد: " افعلوا ما شئتم لن نستسلم أبداً مهما كان" ليظل الوفد إثر ذلك ثلاثة أشهر عالقًا بمسقط، بسبب منع السعودية للطائرة التي يستقلها من العودة إلى صنعاء .[239]

---

[237] *()أحمد عاطف، مراوغة الحوثي: لماذا تتعثر مفاوضات حل الأزمة اليمنية؟ أبو ظبي، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 6 - يناير - 2019 ، على الرابط التالي:* https://futureuae.com › Item؟Future Center، *تاريخ الاطلاع، 8 - إبريل - 2022*

[238] *()الاتفاقيات الهشة مع الحوثيين وفشل مبادرات السلام، (مركز أبعاد للدراسات والبحوث، إبريل - 2022)، ص، 40*

[239] *()أبرز جولات المفاوضات والمشاورات اليمنية التي حصلت منذ بداية الحرب 2015، بتاريخ 6 - ديسمبر - 2018 ، على الرابط التالي:* https://almanar.com.lb، *تاريخ الاطلاع 17- إبريل - 2022*

ج) اتفاق ستكهولم 2018م:

في مشاورات استمرت أسبوعًا في السويد(بين 6 و13- ديسمبر - 2018م)، اتفق وفد حكومة صنعاء(حركة أنصار الله)، وحكومة عبدربه منصور هادي في العاصمة السويدية(ستكهولم)، على تجنيب مدينة الحديدة، وموانئها (الحديدة، والصليف، ورأس عيسى)، الاقتتال، والخراب، والدمار، وتعزز هذا الإتفاق بقرار مجلس الأمن 2451 في (21- ديسمبر- 2018م). بعد أن أيد المجلس إحاطة مبعوث الأمم المتحدة الثالث إلى اليمن (مارتن غريفيث)، بخصوص ذلك.[240]

من أهم نقاط الاتفاق:

1- وقف إطلاق النار: يبدأ منذ توقيع الاتفاق وقف إطلاق النار بمحافظة، ومدينة الحديدة، وموانئ الحديدة، (ميناء الحديدة، وميناء الصليف، وميناء رأس عيسى)، وبدأت الهدنة المفتوحة في (18- ديسمبر- 2018م).

2- إعادة الانتشار لقوات الطرفين: في مدينة، وميناء الحديدة، وميناءي الصليف، ورأس عيسى إلى مواقع يتوافق عليها الطرفان بواسطة لجنة مكونة من ستة أعضاء:ثلاثة من طرف حكومة صنعاء وثلاثة من طرف حكومة هادي بإشراف الأمم المتحدة، وتم تعيين الجنرال الهولندي المتقاعد (باتريك كاميرت)، من الأمم المتحدة، ليتولى قيادة هذه المهمة بواسطة نظام رقابي "كفؤ وقوي".

في نهاية ديسمبر 2018 م، وصل "كامبيرت" إلى الحديدة بمعية فريق أممي، واجتمع بمدينة الحديدة بممثلي الطرفين، لمناقشة انتشار القوات، وتَسلم منهما في يناير- 2019م، خططهما حول إعادة الانتشار.[241]

ويُعتبر إتفاق (استكهولم)،- الوحيد- الذي حقق نجاحًا على الأرض، من بين سلسلة المشاورات وإن بشكل غير كامل، ويعود السبب في ذلك إلى رغبة كل طرف في إقناع المجتمع الدولي بميوله نحو السلام، وإلى حرص حكومة صنعاء على تجنيب مدينة الحديدة، وموانئها التدمير لما يشكله ذلك من خطورة إنسانية عالية على حياة سكان المحافظات التي تحت سيطرتها، وشاطرها نفس الشعور الموقف الأممي الذي ضغط على حكومة عبد ربه منصور هادي بشدة للقبول بالإتفاق كي لايكون مصير تحرير الحديدة من قبضة الجيش، واللجان الشعبية التابعة لحكومة صنعاء حسب - تصوره- مشابهًا لمعركة تحرير عدن عام 2015م، التي أصبحت تعاني من الانفلات الأمني وغياب الخدمات الأساسية ومرتعًا للجماعات الإرهابية، فضلاً عن أن موانئ الحديدة تُعتبر الشريان الوحيد لإمداد 80% من سكان اليمن بمتطلبات الحياة الأساسية(مواد غذائية - أدوية - مشتقات نفطية)، لاسيما، وأن بقيت الموانئ اليمنية لا تفي بالغرض، وعلى الرغم من نجاح الاتفاق في تجنيب الحديدة معركة مروعة، وكذا نجاح صفقة الأسرى المنبثقة عنه؛

---

[240] ()*هل يصمد اتفاق ستوكهولم بين الحكومة اليمنية والحوثيين؟. مركز أبعاد للدراسات والبحوث،6-1-2019م ، على الرابط التالي:* news https://abaadstudies.org-*59788 ، تاريخ الاطلاع 30-6- 2022م.*

[241] ()Yemen's Houthis start redeployment in Hodeidah as part of U.N. deal - https://uk.reuters.com/article/uk-yemen-security/yemens-houthis-start-redeployment-in-hodeidah-as-part-of-u-n-deal-idUKKCN1OS04R

إلا أن سقوط الضحايا من الجانبان ظل مستمر، وبات كل طرف بين الحين، والآخر يحمل الطرف الآخر إرتكاب الخروقات المنتهكة لهذا الاتفاق.[242]

2- مشاورات أحادية الجانب:

أ) مؤتمر الرياض 2015م:

انعقد مؤتمر الرياض كمؤتمر سياسي يمني في الفترة 17 - 19 مايو 2015 م، بين الأطراف السياسية اليمنية، بمشاركة(401)، شخصية سياسية من مختلف المكونات السياسية بما فيها المؤتمر الشعبي العام. ماعدا حركة أنصار الله تحت شعار "انقاذ اليمن ، وبناء الدولة الإتحادية"، متزامنًا مع عمليات عسكرية نفذها مايُسمى التحالف العربي العسكري بقيادة السعودية على العاصمة صنعاء وكل المناطق التي تسيطر عليها حكومة صنعاء، وقال رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر عبدالعزيز جباري: " أن مرجعية الحوار هي المبادرة الخليجية، ومخرجات الحوار الوطني، وقرار مجلس الأمن الدولي رقم (2216)، الصادر تحت البند السابع"، وكان من أهداف المؤتمر: القضاء حينها على اللجنة الثورية في صنعاء التي تشكلت بموجب الإعلان الدستوري من قبل حركة أنصار الله ، واستعادة الأسلحة، والمعدات العسكرية التي سيطرت عليها.[243]

ب) اتفاق الرياض 2018م:

وقُع على الاتفاق يوم الثلاثاء 5 - نوفمبر - 2019 م، في العاصمة السعودية (الرياض) من جانب حكومة عبدربه منصوري هادي، والمجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم من دولة الإمارات العربية المتحدة الذي رفض منذ أن تأسس في مايو -2017 م، الاعتراف بشرعية عبد ربه منصور هادي، وحكومته، وقاوم تواجدهما في عدن.[244]

وأهم ماجاء في هذا الإتفاق هو تشكيل حكومة خلال(30)من التوقيع عليه تتكون من (24) وزيرًا كحد أقصى يكون للانتقالي نصيب في عضويتها، وقد جرى اقتسام حقائب الحكومة مناصفه تقريبًا بحيث يكون للمحافظات الشمالية(11)، حقيبة إلى جانب رئيس الحكومة، وللمحافظات الجنوبية(13)حقيبة؛ في حين غاب أي تمثيل للمرأة والشباب، فضلاً عن إغفال حصة إقليم تهامة، ونص الاتفاق على عودة الحكومة إلى عدن لتأدية اليمين الدستورية أمام عبد ربه منصور هادي، ومن ثَم تستأنف الحكومة، وكل مؤسساتها مهامها من عدن. بالإضافة إلى دمج كل التشكيلات العسكرية، التي تعمل خارج إطار الدولة وأسلحتها ضمن قيادة وزارتي الدفاع، والداخلية.[245]

غير أن كل بنود الإتفاق لم تُنفذ فلا عبد ربه منصور هادي استطاع العودة إلى عدن، ولا حكومته تمكنت من مزاولة مهامها منها، ولا دمُجت التشكيلات العسكرية، وأسلحتها ضمن الدولة، وكل ماحصل هو الاعتراف بالمجلس الانتقالي،

---

[242] *()بسام أبو عكر، مستقبل الحرب في اليمن،(المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية، مسارات، تقدير موقف)، 5 - مارس - 2020 ، ص 5 - 6*

[243] *()مؤتمر الرياض (2015) - Kachaf كشاف ، على الرابط التالي: https://www.kachaf.com › wiki ، تاريخ الاطلاع، 20 - إبريل – 2022*

[244] *()اتفاق الحكومة والانفصاليين.. الطريق إلى السلام في اليمن على ركام السيادة ، 8-11- 2011م ، على الرابط التالي: https://abaadstudies.org › news-59822. تاريخ الاطلاع 15 - مارس - 2022.*

[245] *()الحكومة اليمنية الجديدة: ظروف تشكلها والتحديات التي تواجهها،(الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقدير موقف، 4 - يناير - 2021)، ص ص 1- 4*

وشرعنة وجوده من خلال توقيع الاتفاق معه ككيان سياسي نِد للدولة، وإشراكه في الحكومة، ومنحه حقائب وزارية مهمة لم يكتف بها بل عاد إلى إعلان الإدارة الذاتية للجنوب بتاريخ25 إبريل 2020 .[246]

تبين في هذا السياق أن كل الاتفاقات الثنائية، والأحادية السابقة لم يُكتب لها النجاح، وكانت عبارة عن إجراء روتيني دأبت كل الأطراف على القيام به، وهم يشكون في إمكانية تطبيقها عمليًا، وكل ما حصل ليس أكثر من تغطيات إعلامية للاستهلاك الإعلامي تسببت في هدر نفقات مالية باهظة هنا، وهناك، وكان من الأصح، ومن المفترض إنفاقها في جوانب إنسانية يمنية ضرورية.

المبحث الثاني

معوقات نجاح المشاورات

1- معوقات داخلية:

أ) سياسيًا:

لطالما استمر الرئيس السابق(علي عبدالله صالح)، يُعتبر نفسه صاحب الفضل في إيصال: عبدربه منصور هادي إلى منصب رئاسة الجمهورية، وهو لايستحقه، وينظر إليه، ومعه حركة أنصار الله على أنه منتهي الصلاحية بعد أن كان توافقي لمدة عامان من (2012 حتى 2014م)، بموجب المبادرة الخليجية وآليتها المزمنة.[247]

ومستقيل أيضًا بموجب استقالته الموجهة لمجلس النواب بتاريخ 22 يناير 2015م ورأى علي عبدالله صالح، وأنصار الله أن السعودية هي من تفرض عبد ربه منصور هادي رئيسًا على اليمن بالقوة. لذلك ظلت نصوص المبادرة الخليجية، ومخرجات الحوار الوطني الشامل، والقرار الأممي(2216)، بشأن اليمن اللَّاتي يتمسك بها المستقيل:عبد ربه منصور هادي محل رفض مشترك من قبلعلي عبدالله صالح، وحركة أنصار الله، وعامل تحالف بينهما.[248]

لأن الآلية التنفيذية المزمنة للمبادرة الخليجية من وجهة نظرهما: تم تنفيذها بإنتقائية لمصلحة خصومهما، وعلى سبيل المثال: التمديد لعبد ربه منصور هادي بعد فترة العامين المحددة في المبادرة، كما أن مخرجات الحوار الوطني التي جاء فيها تقسيم اليمن إلى سته أقاليم مسألة لم يقبلها، لا علي عبدالله صالح، ولا قيادة أنصار الله لأنهما يُعتبرانها غير عادلة من حيث معياري الثروة، والسكان، ويؤكدان أنها مشروع لتفكيك اليمن.[249]

---

[246] *()اتفاق الرياض: السعودية تتولى زمام القيادة في جنوب اليمن، مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، على الرابط التالي:*https://sanaacenter.org/ar/publications-all/analysis-ar/8352. *2019 -11 - 8 ، تاريخ الاطلاع 10 - يناير – 2022.*

[247] *()المبادرة الخليجية، الأربعاء 23 - نوفمبر - 2011.*

[248] *()صالح أبو عوذل، لماذا يرفض الحوثيون مشروع الستة الأقاليم في اليمن ؟!، عدن الغد، 13 - يناير – 2015، على الرابط التالي:* https://adengad.net › public › news، *تاريخ الاطلاع، 10- إبريل – 2022.*

[249] *()أنظر: وثيقة مخرجات الحوار الوطني الشامل، مؤتمر الحوار الوطني الشامل، (صنعاء،2013 - 2014، مطابع دائرة التوجيه المعنوي،) ص ص 99 - 100*

وأن كان طرحهما ليس بعيدًا عن الحقيقة. إلا أنهما في الأساس لايرغبا في إضعاف سيطرة قوة المركز(صنعاء)، لصالح الأطراف(بقيت المحافظات)،بالنسبة لهما كقوتين تقليديتين عسكرية، ومذهبية، تحرصان على بقاء نفوذهما بواسطة المركز. ولعل القرار الأممي (2216)، الذي صدر خصيصًا لمعاقبة علي عبدالله صالح، وحركة أنصار الله.[250]

هو الآخر ساهم في تعكير الجوء السياسي، ومتن العلاقة التحالفية بينهما إلى حدٍّ ما خلال عامي(2015 – 2016م)، ودفعهما إلى تشكيل سلطة رئاسية بديلة(المجلس السياسي الأعلى)، موازية لسلطة عبد ربه منصور هادي، وجعلهما يقفان في خندق واحد لمواجهة جبهته، ومن ورائها. لأنهما اعتقدا، وبخاصة علي عبدالله صالح بأن عبدربه منصور هادي، وقيادة حزب التجمع اليمني للإصلاح هما من سعيا جاهدين لاستصدار هذا القرار بواسطة السعودية، والإمارات. لذا كان الحوار في ظل هذه المعطيات، والإجراءات قضية عبثية، وغير مستساغة من - وجهة نظرهما - بعد أن طالبا بإعادة النظر في منصب الرئاسة، وفي مخرجات الحوار الوطني، وفقرات القرار الأممي (2216)، وقُوبلت مطالبهما بالرفض من الطرف الآخر الذي تمسك برئاسة عبدربه منصور هادي، وبالتنفيذ الحرفي لكل ذلك علاوة على أن تنصيب الجنرال علي محسن الأحمر نائبًا لرئيس الجمهورية كان من ضمن معوقات الحوار.[251]

لأنه بالنسبة - لعلي عبدالله صالح - خصم سياسي ساهم بفاعلية في إزاحته عن الحكم، فيما تُسمى ثورة 11 فبراير 2011م، ومن ثم - حسب صالح - لا يحق لمن كان جزءًا من نظامه أن يُعيد إنتاج نفسه من جديد في منصب كبير كهذا.

أما حركة أنصار الله فأن علي محسن الأحمر يُعد أكبر خصم فكري، وعسكري لها لكونه حاربها ميدانيًا لسنوات، ويتبنى الفكر السني المضاد لها، وله علاقات واسعة، ووطيدة مع الجماعات الإسلامية السنية، والقبلية، والعسكرية المناهضة أيدلوجيًا لها كحركة شيعية، وهو من يغدق على خصومها الأموال، والسلاح .[252]

الجدير ذكره في هذا السياق أن سيطرة حركة أنصار الله على العاصمة السياسية للجمهورية اليمنية(صنعاء)، وهروب عبدربه منصور هادي إلى عدن، ومنها إلي السعودية، ومكوثه، وكل أعوانه خارج اليمن بعد أن فشل في البقاء كرئيس في عدن كعاصمة مؤقته قد قوى موقفها السياسي، والتفاوضي أمام العالم. لأنه إذا كان هادي، وحكومته لم يستطيعا أن يوجدا لهما موطئ قدم في نطاقهما الجغرافي اليمني! فأنهما بكل تأكيد غير مؤهلان على حكم اليمن، وما نشأة المجلس الانتقالي الجنوبي، ومؤتمر حضرموت الجامع، والائتلاف الوطني الجنوبي، والمجلس الأعلى للحراك الثوري السلمي لتحرير واستقلال الجنوب.[253]

---

[250] ()قرار مجلس الأمن الدولي رقم (2216) للعام 2015 - وزارة الخارجية اليمنية، 14- إبريل – 2015 ، على الرابط التالي: https://www.mofa-ye.org › Pages

[251] ()غاندي عنتر،الصراع السعودي الإماراتي ومستقبل اليمن، المعهد المصري للدراسات، 6 - سبتمبر - 2016، على الرابط التالي: https://eipss-eg.org ، تاريخ الاطلاع، 10- يناير – 2022.

[252] ()أنظر: أنس القاضي، اليمن من الوحدة إلى الثورة ، الجمهورية اليمنية خلال ربع قرن من الاستبداد، والهيمنة الخارجية(1990 - 2015) (صنعاء، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية اليمني، فبراير- 2022)، ص ص 74 – 75.

[253] ()المكونات السياسية في جنوب اليمن، (بيروت، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، العدد(32) ديسمبر 2018)، ص ص 8-17-30

على حساب سلطة عبد ربه منصور هادي، وحكومته ككيانات سياسية متباينة الرؤى، والأهداف، وتحديدًا فيما يتعلق بوحدة اليمن، وشكل نظامه السياسي مستقبلاً، إلا دليل على تفكك معسكر عبد ربه منصور هادي سياسيًا، وتراجع سيطرته لمصلحة هذه الكيانات؛ التي عَرفت أن عبدربه منصور هادي، وحكومته غير قادران على تلبية مطالبها في: أي تسوية سياسية يمنية شاملة، وهو ما أضعف موقف عبدربه منصور هادي أمام حكومة صنعاء التي عجز على مواجهتها برؤية، وطنية، واحدة بسبب انشغاله بالمماحكات البينية داخل معسكره فمن الصعب على من يعيش في صراع مع حلفائه أن ينجح في تحقيق سلام مع خصومه(حكومة صنعاء)؟[254] الذين استغلوا ذلك الفشل في تقديم أنفسهم كبديل، وطني مناسب على الساحة، فرضته طبيعة المرحلة، ويستحق الاعتراف العالمي بشرعيته مؤكدين: أن عبدربه منصور هادي، وحكومته، لا وزن لهما على الأرض، ومن لاوزن له لا حوار معه.[255]

لم تكن حكومة صنعاء وحدها من أنكر شرعية عبدربه منصور هادي وحكومته وروج لفشلهما بل أنبرت قيادات حزبية، وإدارية: (الوزير صالح الجبواني، الوزير البرلماني عبدالعزيز جباري، الوزير أحمد الميسري)، من داخل معسكر عبدربه منصور هادي[256]هاجمت تبعيته المطلقة للسعودية، والإمارات، وانتقدت أداء حكومته، وفسادها، وفشلها، وأكثر من ذلك طالبت بإيقاف الحرب(مبادرة عبد العزيز جباري - أحمد بن دغر).[257]

ولا يُقارن هذا التباين، والتصدع بما جرى داخل حكومة صنعاء التي تقاتلت، وانتهى قتالها بمقتل علي عبدالله صالح رئيس المؤتمر الشعبي العام كشريك رئيسي مع حركة أنصار الله، فقد حافظت حركة أنصار الله على فاعلية المجلس السياسي الأعلى كسلطة سياسية، واحدة، وطَبعت الوضع، وتمكنت من السيطرة السياسية، والعسكرية في ظرف قياسي، وباتت في فسحة من أمرها بعد مقتل رئيس المؤتمر الشعبي العالم (علي عبدالله صالح)، بتاريخ 4 ديسمبر 2017 م، حيث أصبح قرارها واحد، ووفد وطني تفاوضي برأس واحد بعد أن كان برأسين:(وفد المؤتمر الشعبي العام - وفد حركة أنصار الله)، وهو مالم يتوفر داخل مناطق سيطرة عبد ربه منصور هادي، وحكومته، ويرجع ذلك إلى أن التجانس المذهبي، والاجتماعي داخل المناطق التي تسيطر عليها حكومة صنعاء أكثر من غيرها، أي أن الطرفان(أنصار الله - علي عبدالله صالح): الغالب منهما، والمغلوب يقعان ضمن الإطار المذهبي، والاجتماعي الواحد.

والأهم من ذلك أن حكومة صنعاء لم تتعامل مع القيادات الجنوبية، وغيرها داخل العاصمة صنعاء، وكل مناطق سيطرتها بلغة التهميش القصوى، ومنطق الاقصاء الشامل بل حافظت إلى حدٍّ ما على روح الشراكة معها كتمسكها: بعبد العزيز بن حبتور

---

[254] *()عبد الناصر المودع، هل ساهمت الحرب الهجينة في تعقيد، وإطالة الحرب في اليمن؟ "تحليل" ، 2 - يناير – 2019، على الرابط التالي:* https://aljanadpost.net *، تاريخ الاطلاع 28-6-2022م.*

[255] *()هيروشيما اليمن - جرائم حرب وحشية ترتكبها الولايات المتحدة بحق المدنيين في اليمن(صنعاء، إصدار الدائرة الحقوقية والقانونية بالمكتب السياسي لأنصار الله، 2020)، ص ص 46 - 47 .*

[256] *()انقلاب جديد يقوده الميسري والجبواني ضد الشرعية، الأمناء نت، 2019 - 9 -15 على الرابط التالي:* https://al-omana.net › details*، تاريخ الإطلاع 28-6-2022م.*

[257] *()اليمن.. بيان "فشل الخيار العسكري" يثير الجدل، وتشكيك بالدوافع والأهداف، 3 - ديسمبر - 2021 ، على الرابط التالي:* https://www.alhurra.com yeme*، تاريخ الاطلاع 30-5-2022م.*

(محافظة شبوة الجنوبية)، رئيسًا لحكومة صنعاء وهو مالم يوجد في مدينة عدن التي تكرست فيها خلال الآونة الأخيرة ثقافة الكراهية لكل ماهو شمالي .[258]

إن نزعة حب الذات، ورفض الآخر قد ساهمت في عدم نجاح المشاورات، وإطالة أمد الصراع، ويتجلى ذلك في لغة الفريقان الرئيسان المتصارعان الاقصائية، والتخوينية من قَبيل مايردده الإعلام المناهض لحكومة صنعاء حين يصفها: بالانقلابية والسلالية الغير مستحقة للسلطة، في مقابل ذلك تصف حكومة صنعاء خصومها: بالخونة، والمرتزقة، والعملاء في سعى حثيث من كلاهما للسيطرة، على المجتمع السياسي، والمدني، والأهلي، والتفرد بإدارته، استغلالاً لغياب دور الأحزاب السياسية، ومنظمات المجتمع المدني التي هُمشت، وكان من المفترض أن يكون لها موقف في ضبط، وإدارة الصراع السياسي، والدفع نحو التفاوض البناء، والشراكة الوطنية، ويعود السبب في كل هذا العِداء والجمود السياسي، إلى أن: اليمن تعاني من ظاهرة تراكم الأزمات، ودورات الصراع المختلفة، وحينما جاءت الفرصة لتطبيق قانون العدالة الانتقالية الذي كان من المفترض أن يفضي إلى مصالحة وطنية خلال مؤتمر الحوار الوطني 2013 م، لم تتمكن القوى السياسية والوطنية جميعها من تنفيذه بل ظلت كل أسباب، ونتائج جولات العنف والحروب اليمنية قائمة دون معالجة، وجبر ضرر.[259]

وهنا ندرك أن الفجوة السياسية مازالت شاسعة بين حركة أنصار الله كقوة ثورية، وخصومها كقوى تقليدية، وبشكل كبير في مسألة نظام الحكم، ففي الوقت الذي يتمسك فيه الطرف المناهض لحركة أنصار الله بالديمقراطية الإنتخابية على النمط الأمريكي - الغربي، نجد الأخيرة غير متقبلةً لها، وتميل إلى تطبيق الديمقراطية الشعبية التي تعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية، والسياسية لجهة الكادحين، والمهمشين ..[260]

ب) عسكريًا:

كان للتدخل العسكري(العدوان)، من قبل مايُسمى التحالف العربي لدعم شرعية الرئيس المستقيل عبدربه منصور هادي مساهمة كبيرة في إذكاء التوتر السياسي، أي أن العمليات العسكرية أجهضت العمليات السياسية؛ فلم يكن من المعقول أن يكون الخيار العسكري مقدمًا على الخيار السياسي. لأن القصف الذي تعرضت له اليمن، وليس- المقام هنا لسرده - فُسر من طرف غالبية أبناء اليمن على أنه إذلالاً ، وتركيعًا للقبول بما تمليه السعودية، وحكومة عبد ربه منصور هادي، وتَبين أن الهدف منه - لابد من أن تقبلوا بما نريد طائعين أو مُكرهين - ما أدى إلى تماسك حكومة صنعاء وتحديدًا بعد أن تعرضت منازل على عبدالله صالح، ومقربيه، وقيادات حزبه(المؤتمر الشعبي العام) للقصف، والتدمير، ليتعقد الوضع أكثر، وتجد قيادة حكومة صنعاء نفسها مجبرة على الموجهة العسكرية،

---

[258] ()هود محمد قباص أبو راس - ما بعد صالح: مسارات الحرب في اليمن - المعهد المصري للدراسات.25 - ديسمبر-2017 ، على الرابط التالي: https://eipss-eg.org ، تاريخ الاطلاع: 18-5-2022.

[259] ()عادل دشيلة ، وآخرون، بناء السلام في اليمن ، تجارب، مؤثرات، شروط،(تركيا، مركز المخا للدراسات، ط1 - 2021) ص ص 22 - 23 - 77

[260] ()أنظر: أنس القاضي، اليمن من الوحدة إلى الثورة،مرجع سابق ،ص ص 300 – 301.

والتحشيد لها، لأن سبيل الحرب بات الخيار المتاح بعد أن لم يبق لها ماتخشى خسارته، فالحرب بالفعل لم تعط فرصة، أو تقدم محفز للحوار بل حشرت حكومة صنعاء في زاوية ضيقة ليس أمامها إلا القتال..[261]

فليس من المنطق أن تُجرى مشاورات ناجحة من حيث الشكل، والمضمون في ظل الخراب، والدماء وأن جرت فليست سوى مناورة لإسقاط الحجة، وترتيب الحال.

ولما لهذه الحرب من مآس، وفضائع في المناطق التي تسيطر عليها حكومة صنعاء، إلا أن حسنتها الوحيدة تتمثل في اجبار الأخيرة على التوجه الفعلي الحثيث صوب التصنيع الحربي العسكري بعد أن أيقنت، بأن مشوار الحرب طويل، وأن قرار إيقافها مرهون بمزاج القيادة السعودية التي تحضى بمجاملة العالم، في حين كانت، ومازالت حكومة عبد ربه منصور هادي تَعول على الدعم الخارجي، وبالفعل استطاعت حكومة صنعاء مع الحرب، والحصار المفروضان عليها إنتاج قوة ردع (صواريخ - طيران مسير) قصفت أهداف، ومنشئات حيوية في العمقين السعودي، والإماراتي، وقد انعكست فاعلية قوة الردع هذه على العملية السياسية، والعسكرية لصالح حكومة صنعاء.[262]

فحين كانت حكومة صنعاء في بداية الحرب تشترط إيقافها للانخراط في المشاورات لأنها لاتمتلك قوة الردع اللازمة أصبحتا السعودية، والإمارات في الوقت الراهن هما من تشترطا إيقاف العمليات العسكرية كشرط للتفاوض. وليس بخاف النجاح الاستخباراتي العسكري لقوات حكومة صنعاء في توفير بنك معلومات مكنها من قصف الأهداف الثابتة(منشئات حيوية) .[263]

والمتحركة(قيادات عسكرية - تجمعات عسكرية)، بدقة عالية، بما يعني أنه كلما مشينا إلى الأمام، وجدنا حكومة صنعاء تسير من الضعف إلى القوة، والمستقيل عبدربه منصور هادي، وحكومته يسيرون من القوة إلى الضعف.كما أن تعدد القيادات(علي محسن الأحمر- طارق صالح - عبدالرحمن المحرمي - عيدروس الزبيدي، محمد المقدشي)، والتشكيلات العسكرية المتصارعة داخل معسكر عبد ربه منصور هادي

(الجيش الوطني - حراس الجمهورية - العمالقة - الأحزمة والنُخب العسكرية والأمنية)جاء في مصلحة حكومة صنعاء التي تتصف بواحدية القيادة(قائد المسيرة عبد الملك الحوثي)، وواحدية القوة العسكرية (الجيش، واللجان الشعبية)، وجعلها في موقع قوة لا تقبل المشاورات إلا بما يناسبها.

ما يجب الإشارة إليه أن: تأخر التسوية خلال السنوات السابقة يعود إلى أن حالة الصراع المسلح لم يُسفر عنها لا طرف منتصر كليًا يفرض شروطه، ولا طرف منهزم كليًا يتقبلها .[264]

---

[261] *()عاتق جار الله، علاقة صالح، والحوثي تنسيق تكتيكي أم تحالف إستراتيجي؟ تقييم حالة (الدوحة، المركز العربي للأ بحاث ودراسة السياسات، ديسمبر- 2016)، ص ص 16 - 17.*

[262] *()الحوثيون يكشفون عن أسلحة جديدة بينها صواريخ كروز وطائرات مسيرة ،7 - 7 – 2019، على الرابط التالي:* https://almahrahpost.com › news ، *تاريخ الاطلاع 18- 6- 2022م.*

[263] *()الحوثيون يعلنون استهداف منشآت تابعة ل-"أرامكو" في السعودية ، 5 - 9 -2021 على الرابط التالي:* https://arabic.rt.com › middle_east، *تاريخ الاطلاع 15- 4- 2022م.*

[264] *()أنظر : نايف القداسي - عدنان الجبزني، جيش، وجيوش.. البنادق المشتركة في اليمن(تحقيق خاص للمصدر أونلاين) ، 3- يناير- 2021، على الرابط التالي:* https://almasdaronline.com › articles . ، *تاريخ الاطلاع 6-6- 2022م.*

و أنه لمن المستحيل أن تتخلى حكومة صنعاء عن السلاح ، أو تسلمه إلى أي جهة وسيطة، أو محايدة كما يحلوا لخصومها ترديده. لأن شرعيتها(ثورية - عسكرية)، وغير معترف بها دوليًا بينما شرعية خصومها سياسية، ومعترف بها دوليًا. فلو تخلت حكومة صنعاء عن السلاح باتت دون غِطاء، فلا هي بقت على شرعيتها العسكرية، ولا هي تحصلت على شرعية سياسية؛ على العكس من خصومهما الذين يملكون أكثر من غطاء بمساندة العالم.

ج) اقتصاديًا:

ساهمت المساعدات الإنسانية الخارجية في تقوية طرفا الصراع، وإطالة أمده نظرًا لتوظيف معظمها عسكريًا في التعبئة، والحشد، ولم تتردد حكومة عبد ربه منصور هادي بعد فشلها العسكري في استخدام الاقتصاد كسلاح للضغط على حكومة صنعاء من خلال تشديد الحصار البري، والجوي، والبحري، لعرقلة دخول المتطلبات الأساسية للحياة كالمشتقات النفطية بحق سكان مناطق حكومة صنعاء سعيًا منها في خلق حالة استياء، وتذمر في أوساطهم قد تتبلور مع مرور الأيام إلى ثورة شعبية ضدها.

إما لتجبرها على التفاوض بضعف، أو تؤدي للإطاحة بها.[265]

كما أن تغول قيادات تقليدية منتفعة: سياسية، وعسكرية، واقتصادية داخل مؤسسات الطرفين المتحاربين، قد أعاق الحل السياسي. لكون هذه القيادات ترى في أي تسوية سياسية نهائية فيما لو تحققت بمنزلة نهاية لمصالحها من الحرب. لاسيما تلك التي تأكد لها استحالة العودة إلى المناطق التي تقع تحت سيطرة حكومة صنعاء، وصدرت بحقها، وممتلكاتها أحكام قضائية، حيث رأت أنه من المناسب لها استمرار الحرب لحين العودة بالقوة العسكرية إلى ممتلكاتها، أو حتى تتمكن من ترتيب وضعها، وأسرها في الخارج، وتعوض ماخسرته. وفي نفس الوقت أنتج الصراع أمراء حرب في شمال اليمن وجنوبه، وشرقه، وغربه يمارسون اقتصاد الحرب، ولم يَرق لهم أي تسوية سياسية ريثما يتمكنوا من بناء إمبراطوريات اقتصادية ضخمة.[266]

د) اجتماعيًا:

لئن الرئيس المستقيل عبد ربه منصور هادي يفتقر إلى حاضنة شعبية في شمال اليمن، وفي جنوبه، وبالذات في مسقط رأسه (محافظة أبين) فضلاً عن هروبه من صنعاء إلى عدن- كما آسلفنا- بصورة غير لائقة، ومنها إلى سلطنة عمان، فالمملكة العربية السعودية، وتصريحه في وقت لاحق بأنه لم يعلم بقصف صنعاء من مقاتلات مايُعرف بالتحالف العسكري العربي، إلا وهو في طريقه إلى السلطنة فأن ذلك كله قد أضعف موقفه السياسي، والعسكري في أغلب مناطق اليمن[267] . وتمكنت حكومة صنعاء من استثمار ذلك سياسيًا وإعلاميًا، وجماهيريًا في تسويقه للشعب اليمني كعميل، وخائن، ومرتزق، وغير جدير بكرسي الرئاسة، وليس من الصواب القبول ببقائه.

---

[265] *()الحرب على المعونات - تقرير اليمن، يناير - فبراير - 2020 - مركز صنعاء ، 18- مارس – 2020 على الرابط التالي:* https://sanaacenter.org › the-yemen، *تاريخ الاطلاع 20- 6- 2022م.*

[266] *()محمود الطاهر- حفصة جودة، خريطة أمراء الحرب في اليمن، تقرير، نون بوست ، بتاريخ 20 - 11 – 2017، على الرابط التالي:* https://www.noonpost.com › content، *تاريخ الاطلاع 25- 6 -2022م.*

[267] *()أنظر: ماجد المذحجي ، وآخرون ، اليمن بعد هادي ، مركز صنعاء للدراسات الإستراتيجية ، 2020 - إبريل16 ، تاريخ ، على الرابط التالي:* https://sanaacenter.org › analysis-ar، *تاريخ الاطلاع، 20 - إبريل – 2022.*

ليس ذلك فحسب بل تمكنت إلى حدٍّ كبير من توجيه، وتفعيل غالبية سكان المناطق التي تسيطر عليها(80%)، من سكان الجمهورية في: التحشيد، ورفد جبهات القتال بالمال، والرجال، وفي التظاهرات، والفعاليات، والاعتصامات السياسية، والاجتماعية، والإعلامية، وأيقضت فيهم نزعة الحمية القبلية، والاستجابة للداعي القبلي، وقلصت الصراعات القبلية البينية من خلال حلحلت العديد من قضايا الثأر، وغيرها.

وفَعلت بواسطة مجلس التلاحم القبلي(وثيقة الشرف القبلي)، التي في نصوصها تَجسيد للتقاليد القبلية، وتوجيه لتحركات القبائل، وضمان ولائهم.[268]

كل ماسبق عزز من موقف حكومة صنعاء السياسي، وجعلها تتفاوض من موقع قوة لأنها تتكئ على كتلة سكانية كبيرة، وليس من المبالغة القول:إن العاصمة صنعاء، وبقيت المناطق التي تحكمها تُعتبر أكثر أمنًا من تلك الواقعة تحت سيطرة حكومة عبد ربه منصور هادي. بما يدل أن الأخيرة لم تستطع أن تقدم للمجتمع المحلي والدولي في شتى المجالات أي نموذج مثالي يشهد على أحقيتها، وكفاءتها لقيادة الشعب اليمني. ولعل الانفلات الأمني، وظهور الجماعات الإرهابية، وتصاعد عمليات الاغتيالات في المناطق الواقعة تحت سيطرتها، قد جعلت النداءات العالمية الإنسانية والحقوقية ترجح لجهة حكومة صنعاء على النداءات السياسية ضدها. من منطلق: إن أي انفلات أمني في المناطق التي تحت سيطرة حكومة صنعاء ذات الكثافة السكانية، سوف يفاقم الكارثة الإنسانية اليمنية ويهدد الإقليم، ولذلك ليس في مصلحة اليمن والمنطقة أن تصبح المناطق التي تسيطر عليها حكومة صنعاء مشابهة لتلك التي تسيطر عليها حكومة عبد ربه منصور هادي.

2- معوقات خارجية:

أ) التدخل السعودي - الإماراتي:

ساهم التدخل العسكري- السعودي - الإماراتي في إرباك الوضع اليمني، وفشل طيلة سبع سنوات على تحقيق أهداف تدخله، إن بالحسم العسكري، أو بالحوار السياسي، لأن السعودية كقائدة للتحالف استعجلت الخيار العسكري، وتهيئ لها الوضع بعد أن استضافة عدد من القيادة اليمنية(السياسية- العسكرية- القبلية)، إن مسألة القضاء على حركة أنصار الله عسكريًا لن تستغرق سوى بضعة شهور دون حاجة لأي تفاوض سياسي معها يشرعن وجودها، ووجدت نفسها بعد مشوار طويل لا هي أخرجت خصمها: السيد الحوثي من صنعاء، ولا أدخلت فيها حليفها: السيد الرئيس عبدربه منصور هادي، واعتقدت أن إمكانيتها العسكرية، والمالية، ونفوذها السياسي العالمي كفيل في كل الأحوال بإزالة حركة أنصار الله كمكون صغير لا يملك من القدرات المختلفة مايضمن له البقاء، لكنها تفاجئت بعد

[268] ()بنودُ وثيقة الشرف القبلي التي قامت القبائلُ اليمنية بالتوقيع عليها ، 4 - مارس – 2019 ، على الرابط التالي: http://www.almasirahnews.com، تاريخ الاطلاع 29- 6- 2022م .

فترة من الحرب بعدد من الصواريخ، والطائرات المسيرة القادمة من صنعاء- تضربها في العمق- بل وفي مناطق حيوية، وحساسة.[269]

لتقم إثر ذلك بمناشدة العالم للقيام بإيقاف هذه العمليات العسكرية، والبحث عن مخرج سياسي شامل. والحقيقة أن هذا التدخل السعودي على وجه التحديد لم يكن في المقام الأول من أجل الرئيس المستقيل عبدربه منصور هادي، وشرعيته، وأمن اليمن، وسيادته، بل من أجل الأمن القومي السعودي إذ أعتبرت السعودية وجود حركة أنصار الله على سدة الحكم في صنعاء بمنزلة إمتداد فكري شيعي لإيران يهدد استقرارها وفكرها السني- الوهابي، ويخرج اليمن من دائرة نفوذها إلى دائرة النفوذ الإيراني.[270]

ولايختلف الأمر بالنسبة للإمارات كثاني دولة في إطار مايُسمى التحالف العربي لدعم الشرعية اليمنية حيث استغلت هذا الغطاء لتحقيق أجندتها في اليمن، وبخاصة في المحافظات الجنوبية، والشرقية الغنية بالجزر الهامة، والموارد الطبيعية، وذات الموانئ الحيوية، والمواقع الإستراتيجية الساحلية.[271]

علاوةً على سعيها المستمر لتهميش حزب التجمع اليمني للإصلاح في اليمن(الإخوان المسلمين)، واقصاء قياداته، وكان ذلك واضحًا من خلال الضغط على الرئيس المستقيل عبد ربه منصور هادي لإقالة نايف البكري محافظ عدن ليتم تعيين خلفًا له في ذات المنصب من ترضى عنه(عيدروس الزبيدي)، وتعيين حليفها شلال علي شايع مديرًا لأمن محافظة عدن، وكذلك عزل محافظ البيضاء نايف القيسي الذي لم يكن على انسجامًا مع سياستها.[272]

السعودية والإمارات نفسيهما تسببتا في إطالة حرب اليمن، وغياب السلام، وعرقلة التسوية السياسية، بسبب خلافهما حول بعض الأجندة، ومسائل النفوذ، والهيمنة السياسية!.[273]

من جانبها استغلت حكومة صنعاء عملية التطبيع العربية بقيادة الإمارات مع الكيان الإسرائيلي في: التمسك بخيار الجهاد المقدس كأولوية، وفرض عين، والتأكيد على مصداقية شعارها المبكر المناهض لأمريكا، وإسرائيل، مبررة أن السلام مع الإسرائيليون القدامى، والجدد ليس من الدين الإسلامي في شيئ.

وفي وضع كهذا لايمكن أن ننظر للمشاورات اليمنية، إلا من زاوية الأهداف السعودية - الإماراتية في اليمن، أي أن الانخراط، أو عدم الانخراط في المشاورات، ونجاحها، أو فشلها مرهون برغبات قيادتي الدولتين، ومدى جِديتهما في ذلك.

---

[269] ()محمد حسين علي القاسم، الأزمة اليمنية أسبابها وأبعادها 2015 - 2020، (برلين، المركز الديموقراطي العربي، 13- سبتمبر- 2021) ، على الرابط التالي: https://democraticac.de›، تاريخ الاطلاع ، 20 - 4 – 2022 .

[270] ()آشير أوركابي، الحرب السعودية مع الحوثيين: حدود قديمة، خطوط جديدة ، 9 - إبريل – 2015 ، على الرابط التالي: https://www.washingtoninstitute.org ، تاريخ الاطلاع، 20- 6 - 2022 م.

[271] ()أنظر : عاتق جارالله - صالح بن غالب، الأجندة الإماراتية تجاه الجزر اليمنية، تقييم حالة، (تركيا، مركز المخا للدراسات الإستراتيجية، 2021) - ص ص 8 - 9

[272] ()هود محمد قباص أبو راس، اليمن: بعيداً عن المجلس الرئاسي، تغيير قيادات عسكرية ومحلية، المركز المصري للدراسات، 8 - إبريل - 2022 ، على الرابط التالي: https://eipss-eg.org، تاريخ الاطلاع، 15- فبراير- 2022 .

[273] ()شيماء بهاء الدين - التحالف السعودي الإماراتي في اليمن : من الاتفاق إلى الاختلاف،(القاهرة، مجلة قضايا ونظرات مركز الحضارة للدراسات والبحوث - العدد ال16 - 2020) ص ص 121 - 122

ب) التدخل الإيراني:

ليس هناك مايمنع التأكيد على وجود علاقة قوية بين إيران، وحركة أنصار لله، ويبدو ذلك واضحًا من سلسلة التصريحات المتواترة لعدد من القيادات الإيرانية، واليمنية والقنوات الإخبارية، والإعلامية، وأبرز مثال على ذلك: اعتراف إيران بمشروعية حكومة صنعاء، وتعيين الدبلوماسي(حسن إيرلوا)، سفيرًا لها في صنعاء، واعتماد إبراهيم الديلمي سفيرًا لليمن في طهران، وهو مالم تقم به أي دولة أخرى عدا سورية! التي اعترفت نصف اعتراف بقبولها سفيرًا لصنعاء في دمشق، ولم توفد سفيرًا إليها.[274]

ولا شك في أن هذه العلاقة المتينة خرجت من مشكاة واحدة، وهي الخلفية الفكرية الشيعية المشتركة داخل مايُعرف(محور المقاومة)، المناهض للقوى الإقليمية، التى تقف على النقيض الفكري منها بقيادة السعودية(فكر سني وهابي)، وحلفائها(أمريكا- بريطانيا - بعض دول الغرب) .[275]

وبما أن العلاقة بين الدول ترتكز في المقام الأول على (نظرية المصلحة)، فليس غريبًا أن توظف إيران علاقتها بحكومة صنعاء بقيادة أنصار الله لما يخدم أجندتها في المنطقة، والعالم، والشيء نفسه بالنسبة لحركة أنصار الله التي تستفيد من هذه العلاقة في تطوير ذاتها عسكريًا، وسياسيًا، ومن ثم فأن عملية السلام في اليمن إذا لم يكن موعد نجاحها يلبي مصالح إيران فأنه من الطبيعي- حسب لغة المصلحة - أن تعمل إيران على ترحيلها تحت عناوين، ومبررات مختلفة.[276]

ج) التدخل الأمريكي - الغربي:

ينطلق التدخل الغربي في اليمن، وعلى رأسه التدخل الأمريكي من منطلق المصلحة الوطنية الأمريكية العليا، والأمن القومي الأمريكي، وليس من منطلق مبادئ العدالة، والقيم الإنسانية. فالإسلام كدين بشقيه السني - الشيعي يُعتبر عدوًا فكريًا من منظور بعض قادة أنظمة الغرب - المسيحي، ولا يهم الولايات المتحدة الأمريكية على - سبيل المثال - من المظلوم، أو الظالم في أي حرب بينية إسلامية - عربية بل مايهم هو أين؟ ومع أي طرف تكمن مصلحة أمريكا؟.

وبناءً على ذلك، فإن سياسة التفتيت، وإذكاء الصراع، وتأجيجه وإبقاء المنطقة مضطربة، وملتهبة يظل الإسلوب الأنسب، لهذه القوى، لما من شأنه إنهاك الإسلام، ومقدراته من الداخل بأيدي أبنائه من جهة، وإبقاء هذه البلدان سوقًا مفتوحة للأسلحة الأمريكية - الغربية بمليارات الدولارات من جهة أخرى. فمن مصلحة القوى الغربية ديمومة الصراع العربي - العربي ، والصراع الإسلامي - الإسلامي، لأن السلام يوحد المسلمين ضد الآخر الديني، والسياسي، والثقافي (الغرب المسيحي)، وتتراجع في الوقت ذاته المبالغ الباهضة التي تجنيها الدول الغربية من صفقات الأسلحة.

---

[274] ()عادل دشيلة ، وآخرون ، بناء السلام في اليمن، مرجع سابق، ص، 82

[275] ()أحمد الديب،هدنة اليمن وتنحي هادي: حان الوقت لتقليل الخسائر - مركز صنعاء للدراسات الإستراتيجية، 1 - مايو – 2022، على الرابط التالي: https://sanaacenter.org/ar/translations/17686، تاريخ الاطلاع 22- 6- 2022م.

[276] ()محمد خيري، دوافع مساندة إيران للحوثيين في اليمن، القاهرة، المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، ، المدونة، 23 - أكتوبر – 2019، على الرابط التالي: https://afaip.com، تاريخ الاطلاع 27 – 6 – 2022م.

سيبقى اليمن التي يجني الغرب من الحرب فيه مبالغ مهولة: المثال الحي على ذلك، وسوف يظل السلام فيه رهنًا بالإرادة الأمريكية - الغربية التي تربط تحقيقه بأجندتها الإقليمية، والدولية. وإذا كان للقوى الغربية من شيئ تهتم به في اليمن، أو غيره فهو مصالحها، ومساندة الجماعات الإرهابية، أو التخلص منها بعد نفاد مفعولها.[277]

ء) الدور المتضارب للأمم المتحدة:

مازال المجتمع الدولي لايمتلك الإرادة لانهاء حرب اليمن، وليس لديه رؤية واضحة لصنع عملية السلام فيه، وغير مستوعب بشكل كبير لكل أسباب الصراع، وتعقيداته، وأبعاده. علاوةً على الانقسام القائم بين الدول الكبرى الفاعلة(أمريكا - بريطانيا - فرنسا - روسيا - الصين)، في كيفية التعاطي مع ملف الصراع اليمني الذي تحرص كل منها على ربط تسوية هذا الصراع، أو عدم تسويته بمصالحها الآنية، والمستقبلية.[278]

الخاتمة

توصل البحث إلي الآتي:

-إن الصراع العسكري، والسياسي في اليمن خضع للأهوى، والأمزجة الداخلية، والخارجية التي تحكمها نزعة الانتقام، والرفض للآخر، أكثر من خضوعه لمنطق العقل، ولغة التصالح، فضلاً عن عدم وجود رغبة أممية كاملة لإحلال السلام، وتوفير الضمانات لإنجاح مشاوراته ومخرجاتها.

-إن الأطراف المتشاورة في كل جولة من جولات المشاورات عانت من حالة غياب الثقة. ولم يذهب أي منها، وكله أمل في إيجاد تسوية سياسية، بل كان ذهابه من باب المناورة السياسية، وإسقاط الحجة؛ أمام الرأي العام المحلي، والأجنبي، لقناعته اليقينية المسبقة بعدم نجاح التشاور، حتى جاءت نتائج كل جولات التشاور فارغة المحتوى، عديمة الجدوى، وكل ما جرى خلال السبع السنوات الماضية ماهو إلا تجريب كل طرف من عام إلى آخر لكل مابيده من أوراق ضغط متاحة (سياسية - عسكرية - اقتصادية - اجتماعية)، على أمل تركيع الطرف الآخر بالقوة - حتى طال أمد الصراع-.

-أسهمت القرارات الأممية بشأن اليمن، وبخاصة القرار (2216)، الذي وضع اليمن تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، ونص على معاقبة الرئيس السابق(علي عبدالله صالح)، وزعيم حركة أنصار الله(عبدالملك الحوثي)، وغيرهما، وفَرض الحصار البري، والبحري، والجوي على اليمن في تَعْقِيد المشهد السياسي، وضيقت الخناق على حكومة صنعاء، وجعلتها أقرب للحرب منه إلى السلام.

- لم يكن التدخل العسكري لما يُسمى بالتحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن موفقًا سواءً من حيث قرار التدخل، أو من حيث نتائجة الكارثية؛ بل كان قرارًا انفعالي يفتقر إلى قراءة الموقف، وتقديراته الآنية، والمستقبلية، ولم يُحقق ماكان يُرتجى منه بل ساهم في تعزيز موقف حكومة صنعاء العسكري، والاجتماعي، وخَلق لها حالة من التضامن، والالتفاف الشعبي حولها من أبناء المحافظات، والمناطق التي تحكمها(80% من سكان الجمهورية اليمنية)، بعد أن

---

[277] ()أنظر: شيماء حسن يحيى، تطورات الموقف الأمريكي من الأزمة في اليمن، (بيروت، - CAUS - مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، المجلد ال40 ، العدد ، (470)، إبريل 2018) ص ص 155 - 162.

[278] ()عائشة البصري، اليمن: المبعوث الرابع للأمم المتحدة ومأزق الحلّ (الدوحة، تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 22 مارس 2022)، ، على الرابط التالي: https://www.dohainstitute.org › Pages، تاريخ الاطلاع ، 5 - 4 – 2022 .

هالهم الدماء، والخراب، والدمار، التي ارتكبته طائرات التحالف، وفي وضع كهذا بات خيار الحرب هو المفروض عليها، والممكن لها، وخيار السلام هو شبه المستحيل، مستفيدة في الوقت ذاته من الصراع، والتفتت السياسي، والعسكري البيني داخل معسكر عبد ربه منصور هادي.

-إن التقدم العسكري الداخلي في مختلف الجبهات، والخارجي(قصف العمقين السعودي، والإماراتي)، اللذين حققتهما قوات حكومة صنعاء الجوية قدجعلاها غير مركزة في وقف العمليات العسكرية بقدر تركيزها على رفع الحصار المفروض على اليمن الذي - إذا ماتم رفعه - لم يتبق أمامها إلا نيل الإعتراف الدولي، والذي يُعتبر مسألة وقت، وسوف يأتي عاجلاً أم أجلاً ، طالما ، والسلطة على الأرض لها.

-لا تكترث حكومة صنعاء بأي تسوية سياسية تنقلها من حالة التفرد بالقرار السياسي داخل صنعاء إلى حالة التعدد، والشراكة مع خصومها، وبخاصة أولئك الذين صدرت بحقهم أحكام قضائية.

- أفادت المساعدات الإنسانية الخارجية أطراف الصراع في توظيف بعضها لأغراض عسكرية، وسياسية، مما عرقل فرص السلام.

- وجود أمراء حرب يعارضون بشدة نجاح عملية السلام، ويستمرئون في اقتصاد الحرب.

-تسببت التدخلات الخارجية الإقليمية، والدولية في الشأن اليمني في عرقلة التسوية السياسية: إما للمقايضة بها، أو لتمرير أجندة مختلفة، أو تحقيق أطماع معينة على حساب اليمن الأرض، والإنسان.

قائمة المراجع:

1- الكتب:

- القاضي أنس ، اليمن من الوحدة إلى الثورة ، الجمهورية اليمنية خلال ربع قرن من الاستبداد، والهيمنة الخارجية(1990 - 2015) (صنعاء، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية اليمني، فبراير - 2022).
- هيروشيما اليمن - جرائم حرب وحشية ترتكبها الولايات المتحدة بحق المدنيين في اليمن(صنعاء، إصدار الدائرة الحقوقية والقانونية بالمكتب السياسي لأنصار الله، 2020).
- دشيلة عادل ، وآخرون، بناء السلام في اليمن ، تجارب، مؤثرات، شروط،(تركيا، مركز المخا للدراسات، ط1 - 2021) .

2- الوثائق والتقارير الرسمية:

- وثيقة مخرجات الحوار الوطني الشامل، مؤتمر الحوار الوطني الشامل، (صنعاء،2013 - 2014، مطابع دائرة التوجيه المعنوي).
- المبادرة الخليجية، الأربعاء 23 - نوفمبر - 2011.
- قرار مجلس الأمن الدولي رقم (2216) للعام 2015 - وزارة الخارجية اليمنية، 14- إبريل – 2015 ، على الرابط التالي: https://www.mofa-ye.org › Pages

- Yemen's Houthis start redeployment in Hodeidah as part of U.N. deal - https://uk.reuters.com/article/uk-yemen-security/yemens-houthis-start-redeployment-in-hodeidah-as-part-of-u-n-deal-idUKKCN1OS04R

3- المجلات والدوريات:

- الاتفاقيات الهشة مع الحوثيين وفشل مبادرات السلام، (مركز أبعاد للدراسات والبحوث، إبريل – 2022).
- أبو عكر بسام، مستقبل الحرب في اليمن،(المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية، مسارات، تقدير موقف)، 5 - مارس - 2020 .
- الحكومة اليمنية الجديدة: ظروف تشكلها والتحديات التي تواجهها،(الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقدير موقف، 4 - يناير – 2021).
- المكونات السياسية في جنوب اليمن، (بيروت، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، العدد(32) ديسمبر 2018).
- جار الله عاتق ، علاقة صالح، والحوثي تنسيق تكتيكي أم تحالف إستراتيجي؟ تقييم حالة (الدوحة، المركز العربي للأ بحاث ودراسة السياسات، ديسمبر – 2016).
- جارالله عاتق - صالح بن غالب، الأجندة الإماراتية تجاه الجزر اليمنية، تقييم حالة، (تركيا، مركز المخا للدراسات الإستراتيجية، 2021) .
- بهاء الدين شيماء - التحالف السعودي الإماراتي في اليمن : من الاتفاق إلى الاختلاف،(القاهرة، مجلة قضايا ونظرات مركز الحضارة للدراسات والبحوث - العدد ال16 - 2020) .
- يحيى شيماء ، تطورات الموقف الأمريكي من الأزمة في اليمن، (بيروت، - CAUS - مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، المجلد ال40 ، العدد ، (470)، إبريل 2018) .

4- المراجع الالكترونية:

- أبرز جولات المفاوضات والمشاورات اليمنية التي حصلت منذ بداية الحرب 2015، بتاريخ 6 - ديسمبر - 2018 ، على الرابط التالي: https://almanar.com.lb، تاريخ الاطلاع 17- إبريل – 2022.
- أبو راس هود - ما بعد صالح: مسارات الحرب في اليمن - المعهد المصري للدراسات.25 - ديسمبر -2017 ، على الرابط التالي: https://eipss-eg.org ، تاريخ الاطلاع: 18-5-2022.
- أبو راس هود ، اليمن: بعيداً عن المجلس الرئاسي، تغيير قيادات عسكرية ومحلية، المركز المصري للدراسات، 8 - إبريل - 2022 ، على الرابط التالي: https://eipss-eg.org، تاريخ الاطلاع، 15- فبراير - 2022 .
- أبو عوذل صالح ، لماذا يرفض الحوثيون مشروع الستة الأقاليم في اليمن ؟!، عدن الغد، 13 - يناير – 2015، على الرابط التالي: https://adengad.net › public › news، تاريخ الاطلاع، 10- إبريل – 2022.
- اتفاق الحكومة والانفصاليين.. الطريق إلى السلام في اليمن على ركام السيادة ، 8-11- 2011م ، على الرابط التالي: https://abaadstudies.org › news-59822. تاريخ الاطلاع 15 - مارس - 2022.

- اتفاق الرياض: السعودية تتولى زمام القيادة في جنوب اليمن، مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، على الرابط التالي:https://sanaacenter.org/ar/publications-all/analysis-ar/8352. 20`19 -11 - 8 ، تاريخ الاطلاع 10 - يناير – 2022.

- انقلاب جديد يقوده الميسري والجبواني ضد الشرعية، الأمناء نت، 2019 - 9 -15 على الرابط التالي: https://al-omana.net › details، تاريخ الإطلاع 28-6-2022م.

- *أوركابي آشير ، الحرب السعودية مع الحوثيين: حدود قديمة، خطوط جديدة ، 9 - إبريل – 2015 ، على الرابط التالي:* https://www.washingtoninstitute.org *، تاريخ الاطلاع، 20- 6 - 2022 م.*

- *البصري عائشة ، اليمن: المبعوث الرابع للأمم المتحدة ومأزق الحلّ (الدوحة، تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 22 مارس 2022)، ، على الرابط التالي:* https://www.dohainstitute.org › Pages، *تاريخ الاطلاع ، 5 - 4 – 2022 .*

- *بنودُ وثيقة الشرف القبلي التي قامت القبائلُ اليمنية بالتوقيع عليها ، 4 - مارس – 2019 ، على الرابط التالي:* http://www.almasirahnews.com، *تاريخ الاطلاع 29- 6- 2022م .*

- *الحرب على المعونات - تقرير اليمن، يناير - فبراير - 2020 - مركز صنعاء ، 18- مارس – 2020 على الرابط التالي:* https://sanaacenter.org › the-yemen، *تاريخ الاطلاع 20- 6- 2022م.*

- *الحوثيون يعلنون استهداف منشآت تابعة ل-"أرامكو" في السعودية ، 5 - 9 -2021 على الرابط التالي:* https://arabic.rt.com › middle_east، *تاريخ الاطلاع 15- 4- 2022م.*

- *الحوثيون يكشفون عن أسلحة جديدة بينها صواريخ كروز وطائرات مسيرة ،7 - 7 – 2019، على الرابط التالي:* https://almahrahpost.com › news *، تاريخ الاطلاع 18- 6- 2022م.*

- *خيري محمد ، دوافع مساندة إيران للحوثيين في اليمن، القاهرة، المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، ، المدونة، 23 - أكتوبر – 2019، على الرابط التالي:* https://afaip.com، *تاريخ الاطلاع 27 – 6 – 2022م.*

- *الديب أحمد ، هدنة اليمن وتنحي هادي: حان الوقت لتقليل الخسائر - مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية ، 1 - مايو – 2022، على الرابط التالي:* https://sanaacenter.org/ar/translations/17686*، تاريخ الاطلاع 22- 6- 2022م.*

- *الطاهر محمود - حفصة جودة، خريطة أمراء الحرب في اليمن، تقرير، نون بوست ، بتاريخ 20 - 11 – 2017، على الرابط التالي:* https://www.noonpost.com › content، *تاريخ الاطلاع 25- 6 -2022م.*

- *عاطف أحمد ، مراوغة الحوثي: لماذا تتعثر مفاوضات حل الأزمة اليمنية؟ أبو ظبي، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 6 - يناير - 2019 ، على الرابط التالي:* https://futureuae.com › Item؟Future Center، *تاريخ الاطلاع، 8 - إبريل - 2022*

- *عنتر غاندي ،الصراع السعودي الإماراتي ومستقبل اليمن، المعهد المصري للدراسات، 6 - سبتمبر - 2016، على الرابط التالي:* https://eipss-eg.org *، تاريخ الاطلاع، 10- يناير – 2022.*

- *القاسم محمد ، الأزمة اليمنية أسبابها وأبعادها 2015 - 2020، (برلين، المركز الديموقراطي العربي، 13- سبتمبر- 2021) ، على الرابط التالي:* https://democraticac.de*، تاريخ الاطلاع ، 20 - 4 – 2022 .*

- *القداسي نايف - الجبزي عدنان ، جيش، وجيوش.. البنادق المشتركة في اليمن(تحقيق خاص للمصدر أونلاين) ، 3- يناير-2021، على الرابط التالي:* https://almasdaronline.com › articles *. ، تاريخ الاطلاع 6-6- 2022م.*

- المذحجي ماجد - وآخرون ، اليمن بعد هادي ، مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، ، 2020 - إبريل16 ، تاريخ ، على الرابط التالي: https://sanaacenter.org › analysis-ar، تاريخ الاطلاع، 20 - إبريل – 2022.
- مشوار السلام .. من جنيف 1 إلى ستوكهولم - بتاريخ 2018 -12- 6 ، على الرابط التالي: https://alwatantoday.com/posts ، تاريخ الاطلاع 10- إبريل – 2022.
- مؤتمر الرياض (2015) - Kachaf كشاف ، على الرابط التالي: https://www.kachaf.com › wiki ، تاريخ الاطلاع، 20 - إبريل – 2022.
- المودع عبد الناصر ، هل ساهمت الحرب الهجينة في تعقيد، وإطالة الحرب في اليمن؟ "تحليل" ، 2 - يناير – 2019، على الرابط التالي: https://aljanadpost.net ، تاريخ الاطلاع 28-6-2022م.
- هل يصمد اتفاق ستوكهولم بين الحكومة اليمنية والحوثيين؟. مركز أبعاد للدراسات والبحوث،6-1-2019م ، على الرابط التالي: https://abaadstudies.org news-59788 ، تاريخ الاطلاع 30-6- 2022م.
- اليمن.. بيان "فشل الخيار العسكري" يثير الجدل، وتشكيك بالدوافع والأهداف، 3 - ديسمبر - 2021 ، على الرابط التالي: https://www.alhurra.com yeme، تاريخ الاطلاع 30-5-2022م.

النظرية السياسية والاسئلة الكبرى - محاولة للفهم

Political theory and the big questions - an attempt to understand

صابر يوسف علي رمضان

باحث أكاديمي – فلسطين

ملخص:

تسعى هذه المقالة إلى فهم حالة الاشتباك والجدل بين النظريات السياسية المفسرة للاحدث، خاصة في ظل الحرب الروسية- الاوكرانية . وتؤكد على بروز ظاهرة قديمة جديدة من النظريات التي تتجاوز حدود التفسير، لتشكل محرك للسياسات الخارجية للقوى. اعتمد الباحث على منهجية التحليل المستند إلى النظرية السياسية الرابعة للمنظر الروسي الكساندر دوغين ، والتي طرحت بقوة في سياق الحرب الروسية -الاوكرانية المستمرة. خلص الباحث إلى أن هذه النظريات الجديدة والمحركة للسياسات وليست مجرد مفسرة ،ستولد نظريات سياسية خاصة بتاريخ وثقافة ورؤية كل قوة من القوى الطامحة للعب دورا في اطار النظام الدولي المقبل.

كلمات مفتاحية : النظرية السياسية، السياسة الخارجية، النظام الدولي، الأصلانية ،الليبرالية،الواقعية .

Abstract:

This article seeks to understand the state of conflict and controversy between the political theories that explain the latest events, especially in light of the Russian-Ukrainian war. And it emphasizes the emergence of a new old phenomenon of theories that go beyond the limits of interpretation, to form an engine for the foreign policies of the powers. The researcher relied on the analysis methodology based on the fourth political theory of the Russian theorist Alexander Dugin, which was put forward strongly in the context of the ongoing Russian-Ukrainian war. The researcher concluded that these new theories that drive policies and are not just an explanation, will generate special political theories specific to the history, culture and vision of each of the forces aspiring to play a role in the framework of the next international system.

Keywords: political theory, foreign policy, the international system, nativism, liberalism, realism.

مقدمة :

أعادت الحرب الروسية - الاوكرانية المستمرة منذ 24شباط 2022،وبروز النظرية السياسية الرابعة للمفكر والفيلسوف الروسي " الكساندر دوغين"، ومدى تأثيرها على السياسة الخارجية للرئيس الروسي بوتين،إلى الاذهان مسألة تأثر القادة والزعماء أو تبنيهم لنظرية سياسية معدلة للتاريخ الخاص و تقود الدولة، او توجهات فكرية سياسية محددة للتعاطي في الشان العالمي. وهذا تاريخياً أثر في مسارات ايديولوجية ونظرية عدة مثل الفاشية ، والنازية، والرأسمالية والشيوعية، واظهر قدرتها على إحداث تعديلات او تغييرات جذرية في المشهد الجيوسياسي العالمي . مما طرح بقوة إشكالية وسؤال هل نحن بحاجة لنظريات سياسية معدلةوتستجيب لمعطيات الواقع وليست تماماً أسيرة للتاريخ،وذلك لفهم الأنشطة التي تجري على المسرح الدولي والمحلي والاقليمي لمختلف القوى والدول، والسعي نحو التنبؤ بهوية المشهد المستقبلي، لكن أي نوع من النظريات نحتاج.

تعتمد منهيجة الباحث على التحليل ، وإعادة النظر في مجريات الساحة الدولية والاقليمية، على خلفية الحرب الروسية -الاوكرانية استناداً إلى النظرية السياسية الرابعة التي طرحها المفكر الروسي الكساندر دوغين، والتي تعكس رؤية تسعى من خلالها القوى إلى مراجعة مكانتها وموقعها من النظام والتفاعلات الدولية. ولا بد في سبيل ذلك من العودة إلى المختبر الأول للنظريات ولمجريات الأمور أي إلى التاريخ والفلسفة السياسية،على اعتبار " أن النظرية السياسية ما هي إلا فلسفة سياسية".[279] ولأن لكل أمة فلسفتها وتاريخها الخاص والمشترك،فإن لكل أمة نظرية خاصة بها مما يؤكد على حالة الصدام بين النظريات،والتي يترجمها الواقع والمشهد الدولي باشكال مختلفة، سواء حروب عالمية او حروب باردة أو اقليمية او بالوكالة، أو حروب أهلية. يدعم ذلك المفكر جلين تندر بقوله " أن الفكرة الحديثة عن الثورة،فكرة اعادة البناء السريع والتام تقدم تركيزاً مناسباً لانعكاس الفكر في سلطتنا عبر التاريخ.[280] وبذلك يعود الفكر أساس النظرية السياسية التي يمكن لها أن تشكل في ظل متغيرات تاريخية وسياسية ما سلطة فوق الدولة .

النظرية والسياسات الخارجية :

لقد اصبح التغيير التاريخي مناط من يملك النظرية والايديولوجية السياسية القابلة للتنفيذ، ويمكن لها أن تقود بشكل او باخر السياسات الخارجية للاعبين. إذ أن الأمم عندما تقوى شوكتها وتستعيد قواها تعود إلى استرجاع جوهرها التاريخي والتقليدي في سياستها،ويؤكد نيكولاس بولانتزاس" أن شكلاً جديدياً للدولة يفرض نفسه بالتدريج".[281] مثلت المانيا القرن العشرين و النازية نموذجا واضحا، خاصة بعد رفضها لمعاهدة فرساي المذلة بعد الحرب العالمية الأولى عام 1919،ثم عام 1933 حيث تم اعتماد سياسات الانسحاب من عصبة الأمم،ومؤتمر نزع السلاح. كذلك اشتدت قوة الفاشية في ايطاليا عام 1922 وترجمت في حركة سياسية منظمة وموجهة للدولة فيما بعد،لتعيد مجد الأمبراطويرة الرومانية الجديدة،بسياسات جديدة أسست للحرب العالمية الثانية.واليوم في الصين

[279] *ابراهيم ابراش. 2004.النظرية السياسية: التجريد والممارسة، .ص24.*

[280] *جلين تندر. 1993، الفكر السياسي والاسئلة الابدية، ص269.*

[281] *نيكولاس بولانتزاس، 2007، نظرية الدولة ، ص203.*

يتم إعادة النظر في توجهات الثقافة الماركسية التاريخية العميقة وتأثيرها في السياسات الصينية الخارجية، كما نعتمد على النظرية اليبرالية بكامل تطبيقتها في فهم السياسات الخارجية الأمريكية والغربية عموماً، في السيطرة على مسار التاريخ العالمي،كما صورها المفكر الفرنسي "برنارد هنري ليفي" في حديثه عن الأمبراطوية والملوك الخمس.[282] كما ذهبت مدارس نحو دراسة النظرية السياسية الدينية في فهم على الاقل توجهات الحركات الدينية والاسلامية الفاعلة على المشهد السياسي المحلي والاقليمي لها . ولكل ذلك فإن تنامي القوة الاقتصادية والعسكرية للدول،ليس مرعبا بحد ذاته إلا إذا ارتبط بخط وعصب فكري ونظري مثير،يمكن أن ينتج حرباً أو يعيد صياغة واقع جديد، أو يلجأ لأدوات غير تقليدية في التغيير،وفي تعريف المصالح القومية، بشكل ليس مرغوباً لتلك القوى العظمى المهيمنة.

النظرية السياسية الرابعة : مزيداً من السيادة الوطنية.

شكل طرح المفكر دوغين للنظرية الرابعة في عالم السياسة ثورة فعلية وتحول جذري من فهم التاريخ إلى صناعته. فقد طرح افكار تتعلق بضرورة التخلص من هشاشة النظام السياسي والدولة والمؤسسات، من خلال الارتباط ليس بالقائد الفرد أو المؤسسة، وانما بالغريزة أو نظام الغريزة كمكون جذري لرغبات المجتمعات، وهويتها القومية. لذلك أكد دوغين على أن أي شخصية ليبرالية ستأتي وتحكم ما بعد بوتين لن تكون عامل بناء وانما تدمير لكل المنجزات الروسية في الحرب الحالية خاصة، وستؤدي بالضرورة إلى تفكيك روسيا وخسارة القرم والحرب الأهلية. ولن يجنب روسيا ذلك الا بوجود شخص وطني قومي او عسكري وطني يدعوا لمزيد من السيادة (الامبراطورية)، وما يرتبط بها من فكر ومضامين تنعكس في تغيير على الوقائع الجيوسياسية الوطنية باسلوب روسي خاص، او بالطريقة الحالية للحرب الروسية -الأوكرانية. تنتظم الدولة ومقوماتها ومؤسساتها وفق توجهات الزعيم الجديد الوطني والقومي الحريص على الرؤية والهوية الوطنية المميزة لروسيا في مواجهة الليبرالية الغربية التي تسبب كل هذا الاضطراب العالمي.

على هذه الخلفية، وفي ظل موجة التغيير و إعادة بناء المجتمعات، يمكن صياغة الاسئلة الكبرى التالية، لماذا تبقى النظريات السياسية وتنهار القوى الكبرى والدول؟ وهذا هو سؤال الاستمرارية والديمومة. لماذا من المهم وجود خط وعصب فكري وفلسفي قيمي لأي نظرية سياسية؟ وهذا سؤال الخط الوجودي((philosophical-intellectual nerve. ما علاقة النظرية السياسية بحالة الخوف من التحلل الاجتماعي والتفكك الجيوسياسي للدول والقوى؟ وهذا سؤال الجيوبوليتيك. كيف تؤثر النظرية في طبيعة بناء وتكوين النخبة في النظام السياسي؟ وهو سؤال النخبة والنظام. كيف للنظرية أن تحدد او تعيد صياغة الهوية الوطنية والقومية ؟ وهذا سؤال الهوية ومن نحن؟ .هل يمكن لقوة أن تساهم أو تشارك في صناعة التاريخ العالمي بدون نظرية؟ وهذا سؤال الولوج للنظام العالمي. هل يحتاج القائد أو الزعيم أو القوى الكبرى لنظرية سياسية؟ وهذا سؤال الخطاب السياسي .لماذا تفشل النظريات السياسية المؤثرة في

[282] *للمزيد أنظر: احمد مغربي(صحافي)، هنري ليفي ينعى "تنازل الامبراطورية الامريكية " ويحذر من "5 ملوك" بينهم الاسلاموية المتطرفة 19\2\2019. وهذا العنوان "الامبراطورية والملوك الخمس"، هو عنوان كتابه يصف فيه الصراع بين الهيمنة الامريكية والغربية عموماً والملوك الخمس ابرزها الصين و وروسيا، والقوى الراديكالية الاسلامية المضادة لهيمنة الراسمالية الغربية على المشهد العالمي.*www.independentarabia.com

السياسات الخارجية في معالجة الكثير من الأزمات خاصة ذات البعد العرقي والأثني والسياسي، مثل مسألة كوسوفو، والصراع بين اذربيجان - أرمينيا، والصراع الفلسطيني – الاسرئيلي،ومسألة كشمير أو ذات البعد الإقتصادي والمالي مثل حرية السوق مقابل رأسمالية الدولة؟ وهذا سؤال الأزمات. مالذي يجري في الساحة العالمية، وإلى أين ؟ وهنا سؤال المعرفة والتحليل والتنبؤ. وختامها هل يمكن العودة إلى التاريخ السياسي والثقافي القديم الخاص بكل أمة لتفسير عالم السياسة اليوم؟.

لذلك فان البعد الثقافي في النظرية السياسية يتطلب وجود مشروع سياسي أو قوة ناعمة . يرى المنظر جوزيف.س الأبن أن هناك توجه نحو القوة الناعمة في هذا السياق، تعتمد على جاذبية الافكار أو القدرة على صياغة برنامج سياسي". يمثل خط فكري لأي أمة مثل تحالف الديمقراطيات منذ عام 1945 بفعل الايديولوجيات. ومجد الامبراطورية الرومانية لدى ايطاليا والفاشية، وفكرة العثمانية لدى تركيا، والقومية العربية التي سادت نظريا في العالم العربي، وقانون او مشروع التمكين لدى النازية عام 1933.

كما تمثل النظرية الأصلانية بمعنى العودة للاصول توجه اساس في النظرية السياسية الرابعة، وهنا تشهد عودة المجتمعات الى روحها القومية واستلهام هويتها من تاريخها الخاص، وبالتالي رفض فرض نهج ثقافي او سياسي او اجتماعي او اقتصادي على أي أمة، ومتى استعادة الدول هويتها تلك وتمتعت بالقوة اللازمة او المعقولة ستثور ضد الليبرالية ومن هنا جاءت فكرة النظرية الرابعة في تصفية الاستعمار،وبناء ذاتها وفق نظرية وظروف جديدة خاصة. هذه الأساليب في العودة والبناء من جديد، أحد الانتقادات التي وجهها المفكر هنري كيسنجر لروسيا عندما حدد " أن مشكلة روسيا تكمن في اعتمادها اسليب تاريخية في دورها الحيوي في بناء النظام العالمي الجديد.[283]

جون مير شايمر مقابل الكساندر دوغين:

في أتون الاشتباك النظري، بين العالم الغربي الليبرالي ثم النيوليبرالي وبقية القوى والاقاليم الساعية الى استلهام تاريخها الخاص، تزداد التوجهات نحو السيادة الوطنية وبناء النظريات الموجهة للسياسات الخارجية في ظل فقدان النظرية الغربية لهيمنتها، يقول المنظر جوزيف س.ناي الابن " فقدت النظرية الليبرالية مصداقيتها على ضوء اندلاع الحربين العالميتين".[284] مما اتاح المجال لتحل محلها النظرية الواقعية في مرحلة الحرب العالمية الثانية، ثم عادت الليبرالية بشكل جديد في ضوء تزايد الاعتماد الاقتصادي والتجاري المتبادل بين القوى والدول. تاريخياً لا يوجد نظرية سياسية في العالم منعت حربا أو صراعا أو أزمة ،ربما خففت من مستوى او احتمالات وقع عنف او صراع مثل الديمقراطية او الليبرالية.

[283] *هنري كيسنجر. 2001، هل تحتاج أمريكا لسياسة خارجية ؟، ص70-71.*

[284] *جوزيف س. ناي الابن. 1997، المنازعات الدولية : مقدمة للنظرية والتاريخ، ص63-64.*

وفي ظل ولادة النظرية السياسية الرابعة في روسيا يبرز جدل مثير. فالحديث عن سياسة توازن القوى لدى النظرية الواقعية ثم الواقعية الهجومية، يتطلب جدل حرج بالضرورة. يفرضه تساؤل هل القوى العظمى والدول دائما تتحرك بناء على توازن القوى أم توازن نظريات خاصة لتلك القوى حاول كل قوة الحفاظ عليها وعلى تمددها الحضاري؟. وهل نحن بحاجة لمستوى واحد أم مستويين من التحليل والتفسير؟.

إحدى معالم عالم السياسة المستقبلي، إلى جانب النظرية السياسية الرابعة، سياسات ما بعد توازن القوى. ركز المنظر والمفكر السياسي الغربي جون مير شايمر على سياسة توازن القوى كمحرك للسياسات الخارجية للدول تجاه بعضها البعض وفي اقليمها بالذات، وخاصة في توافر القدرات الاقتصادية والعسكرية،ومدخلات ثقافية وسياسية وجيوسياسية للدول. أما ما بعد توازن القوى هناك تمدد القوة او توسيع النفوذ والقوة للقوى العظمى، وهذه تحمل في طياتها مضامين تتعلق بالقوة الثقافية والسياسية والاقتصادية والحضارية الخاصة بتاريخ كل قوة. قد تتفاوت العناصر في التأثير أو الظهور ولكنها تبقى ثابتة بوجودها في النظام ككل. فقد حدد شايمر مصدر خوف وقلق الغرب من روسيا الناهضة والقومية الجديدة هو حالة التوسع والرغبة القوية لذلك.[285] بموجب وجود نظرية سياسية رابعة تسعى لتحقيق تاريخ خاص ، فهذا يوفر جذور الغطاء والمبرر الشرعي لمحاولات التوسع تلك.

فالنظرية الواقعية ترى أن أصول المنازعات تعود إلى أن تطور قوة ما، دافع لتطور قوة أخرى بذات الاتجاه او بشكل آخر مختلف. فاذا امتلكت قوة (أ) سلاحا نووياً في ظل وجود تقارب جيوسياي فانه سيؤدي الى سعي القوى الاخرى لامتلاك ذات السلاح او عقد تحالفات مع دول تمتلك هذا السلاح. فمثلا امتلاك الهند للقوة النووية دفعت الباكستان في ذات الطريق، لكن السؤال لماذا تسعى القوى المتباعدة جيوسياسياً إلى سلك هذا الطريق؟ فالنظرة الواقعية لا تكفي هنا لتحليل الواقع، الواقعية تقول لنا انه لا بد لهذه القوى ان تسلك هذا الطريق، لكن لماذا؟ اهو مجرد توازن ومصالح قومية وأمنية فقط؟ أم أن هناك توجهات ونوايا غير معلنة يمثلها الخط او العصب الفكري القيمي والفلسفي(intellectual nerve) الذي يشد الدولة والمجتمعات وقادتها، وهو جوهر البناء في النظريات. لذلك قلنا أنه عندما تقوى الدول فإنها تعيد تصحيح تاريخها الخاص بها حتى الجيوسياسي منه، وهنا من شأن النظرية السياسية أن تنقل التاريخ الصامت إلى حيز الفعل، وتعيد بعث الروح القومية فيه، على قاعدة أنه لا تاريخ بلا نظرية ولا نظرية بلا قيادة وممارسة. وهنا فإن مسألة القائد والزعامة والنظرية غير مرتبطة بفرد بعينه او مجتمع أو طبيعة المؤسسات بقدر ما هي ارتباط بذلك الخط الفكري الذي يكيف كل المكونات لخدمة القائد الذي يجسد تلك الافكار والنظريات. تمثل ماليزيا نموذج واضح في اعتماد النظرية الاسيوية في التنمية الاقتصادية وبناء نموذج سياسي ملكي مبني على السلام الداخلي، فالملك ينتخب. فبغض النظر عن من يحكم تبقى النظرية التنموية الاسيوية والسياسية

[285] *جون مير شايمر. مأساة القوى العظمى. ص 463.*

فاعلة.[286] ويفسر المنظر جوزيف س. ناي الابن أن تبرير هيمنة الأقوى عبر الحربيين العالميين وفي السياسة الدولية لما بعد الحروب أنها كانت تعود في جزء منها إلى نظرية وانتشار افكار تشارلز داروين عن البقاء للاصلح".[287]

النظريات السياسية والأصلانية :

نحن أمام نوع من النظريات المنتجة لفلسفة الولوج إلى المسرح الدولي. فالجدل التاريخي الذي دار بين النظريات تمحور حول مسألتين. الاولى الفهم والتفسير والتحليل،و التنبؤ. الثانية صناعة التاريخ والمستقبل ، الليبرالية اليوم تسيطر وتصنع مستقبل، لذلك برزت أطروحة نهاية التاريخ، أما الشيوعية الماركسية والاشتراكية تراجعت مع انهيار القوى التي حملتها ثم أعيد استلهامها من جديد. لكن المثير ولادة نظريات سياسية مبنية على الغريزة والأصلانية، فما معنى الغريزة هنا ؟ وكيف لها أن تنبه الآخرين حول ماهية المستقبل؟ .

أقصد بالغريزة في سياق هذا المقال، السلوك الطبيعي الأصلاني لأي قوة في ظروف خاصة ومحددة. حيث أن هذه الغريزة تتداخل مع المعتقدات ووجهات النظر العالمية التي تشكل الفهم الاستراتيجي للقادة والسياسيين والنخب.[288] كما أنها تشكل أساس ثقافي خاص وتعافي لأي قوة، فالمجتمع الروسي يرفض الغربنة او التطرف الغربي منذ نهاية القرن العشرين،وفق تعبير المدير السابق للاستخبارات الوطنية الامريكية عام 2017، أكد على أن " الممارسات التاريخية للروس الذين عادة ما يتم دفعهم وراثياً تقريباً ... أكتسب حظوة كاسلوب روسي نموذجي، هذا التوجه عبر عن سياسة ابتعاد حاسم عن التجربة النيو ليبرالية من قبل حكومة بوتين نحو دولة أكثر هيمنة وموقف قومي،وضع الروس خارج التوجه الديمقراطي الرأسمالي النيوليبرالي مما جعلها غير مقبولة للقوة الغربية ".[289] ورفض الليبرالية الغربية عند المفكر دوغين تقابل ما أسماه الباحث سانتوش ديسياي Santosh Desai بالجاذبية الحتمية والشد المتواصل للغرائز السياسية التي تدفع اللاعبين الرئيسيين وتحفزهم.

فالغرائز السياسية يكون لها قوة أكبر من الحسابات السياسية او العقلانية. في الولايات المتحدة الأمريكية تمثلت الغريزة السياسية ، في سياسات جذرية وسريعة قام بها الرئيس ايزنهاور في ايجاد طريق لانهاء الازمة الكورية، وفي سياسة كينيدي في الاهتمام بصحوة الدول النامية في الحرب الباردة، وتعهد نيكسون بانهاء حرب فيتنام. وسياسة دونالد ترامب بشأن الانسحاب من الاتفاق النووي الايراني ،واتفاقية باريس للمناخ.[290] تاريخياً ايضاً برزت سياسات متطرفة للزعيم هتلر في توسعه اللاعقلاني في اوروبا وروسيا واعلان الحرب على الولايات المتحدة الامريكية في الحرب

---

[286] *أنظر: احمد محي الدين التلباني. 2019،التجربة الاقتصادية الماليزية،ص 15-18.*

[287] *جوزيف س.الابن: مصدر سبق ذكره،98:1997.*

[288] Roger Boyd, the combined transitions of great power politics and the global energy system A comparative Analysis of china, the united states, and Russia". 2021.pp8-9.

[289] Ibid pp62-63.

[290] *انظر: دينيس روس ، مستشار وزميل معهد واشنطن لدراسة الشرق الادنى، شغل مناصب عليا في الأمن القومي وهورئيس مركز القوة الاقتصادية والمالية في مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات . المقال نشر في موقع لوس انجلوس تايمز، بعنوان هل هناك عناصر في السياسة الخارجية لترامب تستحق الابقاء عليها؟. نشر بتاريخ 27-يناير-2022.* www.washingtoninstitute.org .accessed *2022-11-12*

العالمية الثانية،حيث خضعت لغرئز اكثر منها حسابات عقلانية متوفرة في عالم اليوم. يؤيد ذلك التوجه الياباني أو العودة اليابانية المدعومة بالتيار القومي المحافظ، في ظل بيئة اقليمية مضطربة، والداعي إلى أن تصبح اليابان قوة عظمي مستقلة أكثر عن الولايات المتحدة،وسياسات القوى العظمي التي سادت سياستها الخارجية منذ عام 1945،وهذا يفسر سياسة رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي عام 2021 في الاعتماد على الذات والنموذج الخاص في جعل اليابان قوة عظمى ،ربما يدفعها إلى اعادة مراجعة دستورها وتبني سياسات أكثر استقلالية، تكون نهجاً سياسيا وعقيدة لأي حكومات قادمة. [291]

هذا التوجه يطرح تهديدات جيوسياسية محتملة، باتت رهينة توجه غريزي قومي أو أصلاني في شتى انحاء العالم. فالرئيس الصيني ركز على فكر الاشتراكية ذات الخصائص الصينية لعصر جديد، يتبنى الدمج بين الاشتراكية وتقاليدها وبين الحداثة الغربية كبديل عن المناهج الغربية، ومحورها الماركسية ودراسات الحركة الشيوعية الصينية، وتطوير ديمقراطية خاصة تحول الصين من مجرد مختبر للنظريات الغربية إلى صناعة المعرفة بناء على العوامل الثقافية الصينية. يشير رائد الدراسات الصينية ديفيد جودمان إلى اعتماد الصين كقوة عظمى تعزز موقعها على طروحات المصير المشترك للبشرية ،وتبادل المنافع في ظل مبادرة طريق الحزام والحرير.[292] وهي في سبيل ذلك ترتكز على التقاليد الصينية الخاصة التي تجد سندها في النظرية الكونفوشيوسية الداعمة للتقاليد الصينية . ويؤكد عبد الرحمن شلقم، أن الزعيم الصيني طور شيوعية صينية منفتحة -بلا تعارض مع جوهر الماركسية- على الغرب بمعن ان النظريات تمر بمراحل التحديث والتجديد استجابة لمستجدات الواقع مع الحفاظ على الصبغة العامة للنظرية.[293] وهذا يؤكد أن لكل أمة نظريتها وتجربتها وتاريخها الخاص تستلهمه وتبرزه بطريقة منفتحة لكنها معارضة لفرض الليبرالية ومضامينها المتعددة على العالم، لوادة كيان صيني منفتح وقابل للتمدد ونشر النفوذ، وحتى لا نذهب بيعداً فحتى القوى الاقليمية ايضاً تشكل قوة كامنة من ذات المنطلق. فتركيا منذ عام 2009 سعت إلى زيادة نفوذها ونشر تجربتها ونظريتها الثقافية والسياسية الخاصة ، من بوابة منظمة الدول التركية التي تشترك مع تركيا بروابط الثقافة واللغة والدين،خاصة مع جمهوريات الاتحاد السوفيتي القديمة ،وكانت سابقاً تسمى المجلس التركي. وكانت ازمة الطاقة وضم قبرص التركية، مثار نقاش في إطار المنظمة وعقب الازمة الروسية – الاوكرانية. وهذا يبدوا بداية لفكر اقليمي ثقافي عثماني توسعي يمهد لممارسة سياسية ناجحة في الشأن العالمي.

لذلك فالنظرية السياسية مهمة في تحديد المنطق او النافذة التي تتنظر بها القوى المتصارعة الى طبيعة الصراع وغاياته وأداوته. فالليبرالية الأمريكية والغرب لاتنظر الى روسيا مبدئياً كعدو استراتيجي رغم الحرب وانما اضطراب يحدث في توازن القوى الأوروبي باعتبار روسيا قوة اوروبية ،وتحاول امريكا وقوى اوروبا التحالف وعمل توازن مع روسيا في اوكرانيا، في حين الخوف الليبرالي والاستراتيجي و الفعلي هو من الصين ذات الجغرافيا والثقافة المختلفة،

[291] Kenneth, B. Pyle, 2018.japans return to great power politics.13: pp69-90.

[292] *نادية حلمي. 2020، المدرسة الصينية للعلوم السياسية ، ص 20.*

[293] *عبد الرحمن شلقم، 2022. هل تصبح الصين راس العالم القادم". جريدة الايام عن الشرق الاوسط،ص8.*

وتمتلك عقيدة وخط وجودي على أساس مذهب رأسمالية الدولة . تم سوق هذه التحليلات السياسية من تجارب وتوجهات مختلفة لقوى متباينة، حتى نثبت مؤشر نقل نظريات من مجال التفسر أو التحليل إلى ولادة نظريات تعيد بناء المجتمعات بشكل قد يتجاوز الحدود الجيوسياسية الكلاسيكية، لنظام وستفاليا والحرب العالمية الثانية. كل ذلك مرتبط بغريزة التحرر التي أشار اليها المفكر السياسي تشومسكي في بناء النظرية الاشتراكية التحررية كبديل للنظرية الراسمالية ، وسمى تلك التوجهات بالبنى الفطرية العقلية والادراكية، التي تولد طريقة جديدة لقراءة الصراع وبشكل مختلف.

هل ما زال هناك مشهد بحاجة لولادة نظريات سياسية جديدة؟.

نحن بحاجة لنظريات جديدة ومعدلة وفق المستجدات العالمية والاقليمية، لأنه لا نهاية للتاريخ إلا بفناء الجنس البشري والكون. كما لا يمكن لأي توجه نظري ولو كان يسير قوى عظمى أن يسد الأفق الشامل أمام ولادة النظريات حتى وإن كانت مجرد افكار ورؤى. فالنظريات السياسية ضرورية لأن التكوين العالمي للمجتمعات والدول ما زال يرزع تحت هيمنة نزعات دون اخرى، فمرحلة الاستعمار رسمت حدودا تاريخية اصبحت مثار نزاع وقيد للتغيير مع كل نزعة بشرية تبرز في الأفق. لذلك برزت النازية والفاشية ومن قبلها الشيوعية والليبرالية ، لتتحول النظريات لتكون محاولات جدية من قبل القوى المختلفة لإعادة بناء تاريخها الخاص او تصحيح مسارها التاريخي المرسوم بحكم القوى الخارجية في لحظة تاريخية ما.

ولأن النظريات تاتي من فهم صيرورة وبناء وتكوين البيئة التاريخية للقوى والدول، وتحدد علاقات هذه الدول مع بعضها البعض وفي طبيعة بنائها السياسي كنظام، وحركتها على المسرح العالمي، بفضل ذلك تحولت النظريات بل انتقلت من اطار ومقترح للتحليل والتفسير والتنبؤ والاستجابة إلى حالة جعلتها عبارة عن عقيدة سياسية ومحرك فعلي للقيادات وللقوى الدولية والاقليمية على سواء في اعادة بناء تاريخها وموقعها بين الأمم. ولا بد من النظريات لتعيد إلى الاذهان تركيب المشهد التاريخي لبروز النظم الدولية مثل توازن القوى، وعالم متعدد الاقطاب،وثنائية القطبية، ثم القطب الواحد، وما بعد القطب الواحد، ومن هنا جاءت النظرية السياسية الرابعة التي طرحها المفكر الروسي الكساندر دوغين لتعيد الحياة من جديد في عصر الامبراطوريات الشعبوية وخاصة القيصرية التي تنبني على نزعة أو غريزة لدى الشعب الروسي،الموجهة في مجملها للتوجه الروسي في الحرب على أوكرانيا في محاولة لخلق اوكرانيا جديدة ، وجعلت النظرية من الحرب ليست مجرد مواجهة عادية وانما حرب مصير ووجود. وكم سيكون نظريا طرح فكرة او تصور خيالي لفكرة بناء نظرية قومية فعلية وعملية كعقيدة سياسية تعيد بناء التاريخ العربي لتجاوز مرحلة الاستعمار وما بعد الاستعمار في نظرية فكرية تتنظر قائد او زعيم او قوة على مبدأ تصفير الاستعمار،واستلهام الافكار الدينية بطريقة ما، أما الدولة والمؤسسات فهي المتغير لصالح النظرية. فإذا أرادت القوى الضعيفة اليوم وربما القوية في المستقبل، أن تعيد اثبات ذاتها وهويتها القومية وتطلعاتها لما بعد الاعتبارات الجيوسياسية الخاصة بثقافتها وقيمها ومجدها التاريخي، لا بد لها من نظرية تسيرها اولاً وتساعد اللاعبين الاخرين على فهمها والتحرك في العلاقات معها او ضدها، ربما تمثل تركيا بشكل واضح هذا التوجه في الاعتماد غير المعلن على

النظرية التاريخية الخاص بها وهي النظرية العثمانية التركية،بشكل بطيئ عبر الارتباط وتعزيز العلاقات مع الشعوب والمجتمعات الناطقة بالتركية او ذات التاريخ المشترك. وتمثل ايران ايضاً توجه جديدا في تأثير النظرية الفارسية الامبراطورية في تسيير سياستها غي المعلنة بما فيه الكفاية،والحركة الصهيونية وكيانها الاسرائيلي يمتلك نظرية دينية توراتية واضحة لاعادة بناء تاريخها الديني وتجسيده على جغرافيا سياسية لم تنضج بعد!.كذلك ما زالت القوى العالمية البارزة مثل الصين تعتمد في سياستها القومية والوطنية على مبادئ النظرية الصينية الخاصة المستوحاة من الماركسية كأساس يستوحي في جزء منه مبادئ الكونفوشيوسية، لتعزيز النزعة الصينية العالمية المؤثرة من بوابة حديثة لتلك التعاليم تحت مسمى " تعزيز الانسانية بدل آمركة العالم والهيمنة.

النظريات السياسية تنعكس ايضا في المجالات الثقافية والفكرية والانتاجات الفلسفية للشعوب والمجتمعات،لذلك فإن محاولة فرض نمط ثقافي لأمة وقوى على أمة أخرى بشكل كامل يفشل بشكل تلقائي،لأن ثقافة أمة أو مجتمع تكون جزء من تاريخ خاص، ونظرية خاصة بتلك الأمة. ومن هنا جاءت نظريات الهيمنة الثقافية والفكرية ومحاولات محو تاريخ واحلال تاريخ آخر بديل، حتى لا تكون تلك النظرية والهوية نزعة جديدة وباعث جديد لتلك الأمم يهدد هيمنة القوى الخارجية عليها، ولفهم ما يدور ومحاولة لمنع تشويه الخط القيمي والفلسفي لأي أمة وعمليات المحو تلك كان لا بد من نظريات جديدة. فالنظريات السياسية التفسيرية مثل الواقعية وغيرها ستدوم في قدرتها التحليلة والتفسيرية ، والنظريات التاريخية تجدد حسب خصوصية كل دولة، وبالنهاية القوى على محتلف مستوياتها لا تتحرك في فراغ ولا تسعى للاشيئ ويتوقف مصيرها وحركتها بعودتها إلى الاصول، وبتحديد نظرية متماسكة شاملة للمستقبل.

الخاتمة :

يخلص المقال إلى أن مجريات السياسات الخارجية ، والتفاعلات المستقبلية للقوى الصاعدة ،ستعتمد بطرق مختلفة على اعادة بناء نظريتها السياسية الخاص بها. انطلاقاً من تاريخها وثقافتها الخاصة. وهذا سيؤدي إلى بروز ظاهرة تراجع هيمنة الليبرالية او الليبرالية الجديدة التي تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية ، لصالح عالم او مشهد دولي بنظريات خاصة متعددة ومختلفة. وهذه النظريات السياسية المجددة لن يقتصر دورها على التفسير فقط، وانما ستعمل على صنع التحركات وتوجهات القوى الجديدة الصاعدة في عالم السياسة المقبل . فمثلا روسيا تعتمد على نزعتها الوطنية والقومية الخاصة ويجسدها في ذلك النظرية السياسية الرابعة التي طرحها المنظر الكساندر دوغين، وفي الصين تعتمد السياسات على اعادة بناء النظرية الماركسية مع انفتاح على بعض السياسات الاقتصادية المناسبة لعالم السوق الحر، وكذلك الهند سيكون لها توجهات انطلاقاً من تاريخها ومصالحها . اقليمياً هناك دول تمثل هذا التوجه النظري مثل تركيا وسعيها لبناء اطار ثقافي وحضاري عثماني تطلعاً لمستقبل ودور عالمي لها .

المراجع:

اللغة العربية :

1- نيكولاس بولانتزاس : نظرية الدولة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.2007،203.

2- ابراهيم ابراش: النظرية السياسية: التجريد والممارسة، دار المنار،2004، 24.

3- جلين تندر: الفكر السياسي والاسئلة الابدية، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، القاهرة،1993، ط1، 27.

4- هنري كيسنجر: هل تحتاج أمريكا لسياسة خارجية ؟ ترجمة عمر الايوبي، دار الكتاب العربي،2001، بيروت،70-71.

5- جوزيف س. ناي الابن: المنازعات الدولية : مقدمة للنظرية والتاريخ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، 1997 ،63-64.

6- جون مير شايمر: مأساة سياسة القوى العظمي،النشر العلمي والمطابع ،الرياض،2012،463.

7- احمد محيي الدين التلباني: التجربة الاقتصادية الماليزية :التقويم والدروس المستفادة. جامعة الاسكندرية ،15-18.

8- نادية حلمي: المدرسة الصينية للعلوم السياسية : كيف نظمت بكين حقل الدراسات السياسية في ظل ثقافة غوانشي(وجهة نظر صينية)، ملتقى الباحثين السياسيين العرب،2019، 20.

9- عبد الرحمن شلقم: هل تصبح الصين راس العالم القادم". جريدة الايام عن الشرق الاوسط، فلسطين،8.

اللغة الانجليزية :

1- Roger Boyd, the combined transitions of great power politics and the global energy system A comparative Analysis of china, the united states, and Russia". 2021.pp8-9.

2- Kenneth, B. Pyle, 2018.japans return to great power politics.13: pp69-90.

تأثير التحولات السياسية في العراق على تطور النظام الصحفي والاعلامي للفترة 2003_2020

The impact of political transformations in Iraq on the development of the press and media system for the period 2003-2022.

د.محمد أحمد محمد طرفة

باحث أكاديمي – العراق

المستخلص:

توصلت هذه الدراسة الى ان العراق قد شهد في هذه الفترة خمسة تحولات سياسية مهمة اثرت في تطور النظام الصحفي والاعلامي حيث تمثل التحول الاول في اسقاط النظام السياسي العراقي قبل 2003 بقوة السلاح من قبل دولتي الاحتلال امريكا وبريطانيا ومن ثم اختراق نظامه السياسي الجديد من قبل دولتي الاحتلال (امريكا, بريطانيا) والدول الاقليمية وعلى راسها ايران, وشهد النظام الاعلامي خلال هذا التحول فوضى اعلامية عارمة. اما التحول السياسي الثاني والثالث فقد تمثلا في تأسيس مجلس الحكم من قبل دولتي الاحتلال (امريكا, بريطانيا) واصدار قانون ادارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية 2004 وما نتج عنهما من حكومة انتقالية ومؤقتة, وتميز النظام الصحفي والاعلامي في هذه المدة القصيرة بتأثره شبه الكامل بمبدأ الفوضى الذي احدثه التحول السياسي الاول. اما التحول السياسي الرابع فقد تمثل بالسلطات العراقية المنبثقة عن دستور 2005 الدائم, حيث فرض هذا التحول السياسي رغبة حكومية جامحة في فرض هيمنتها على النظام الصحفي والاعلامي في العراق وخاصة الرسمي منه. اما التحول السياسي الخامس والاخير فقد تمثل بالحراك الشعبي والجماهيري الذي ابتداء في شباط 2011 واستمر لغاية الان وما احدثة من تأثير مباشر على النظام الصحفي والاعلامي وخاصة عبر تفعيلة لوسائل الاعلام الجديد الذي من خلاله استطاع ذلك الحراك تفعيل الراي العام المحلي والدولي من اجل فرض تغير سياسي على القوى الحزبية والطائفية والعرقية النافذة في النظام السياسي العراقي بعد 2003, وخاصة في احتجاجات تشرين 2019.

الكلمات المفتاحية : التحولات السياسية - النظام الصحفي والاعلامي - الحراك الشعبي والجماهيري - النظام السياسي العراقي

Abstract:

This study concluded that Iraq witnessed during this period five important political transformations that affected the development of the press and media system. The first shift represented the overthrow of the Iraqi political system before 2003 by force of arms by the occupying states, America and Britain, and then the penetration of its new political system by the two occupying states. (America, Britain) and regional countries, led by Iran, and the media system witnessed during this transformation a complete media chaos. As for the second and third political transformation, they were represented in the establishment of the Governing Council by the two occupying powers (USA and Britain) and the issuance of the Law of Administration for the Iraqi State for the Transitional Period 2004 and the resulting transitional and interim government, and the press and media system was distinguished in this short period by its almost complete influence on the principle of The chaos caused by the first political transition. As for the fourth political transformation, it was represented by the Iraqi authorities emanating from the permanent constitution of 2005, as this political transformation imposed an unbridled governmental desire to impose its hegemony on the press and media system in Iraq, especially the official one. As for the fifth and final political transformation, it was represented by the popular and mass movement that started in February 2011 and has continued until now, and its direct impact on the press and media system, especially through its activation of the new media, through which this movement was able to activate local and international public opinion in order to impose political change on the The partisan, sectarian and ethnic forces in force in the Iraqi political system after 2003, especially in the October 2019 protests.

Keywords: political transformations - the journalistic and media system - popular and mass movement - the Iraqi political system

المقدمة:

شهد العراق بعد احتلاله في نيسان 2003 من قبل التحالف الانجلو امريكي تحولا سياسيا جذريا ليس في نظامه السياسي الحاكم قبل 2003 فحسب, بل بمختلف انظمة الحكم السياسية التي حكمت الدولة العراقية الحديثة منذ العام 1921م ملكية كانت ام جمهورية, فبعد ان كان العراق تحت حكم فكر وفلسفة نظام الحزب الواحد المتمثل بحزب البعث العربي الاشتراكي في الفترة الاخيرة من عمر النظام السياسي العراقي قبل 2003, اصبح بعد هذه الفترة نظاما سياسيا من نوع خاص, حيث بُني وأُنشا من قبل المحتل الذي وفر له الحماية والدعم الكاملين وكان نظاما اقرب ما يوصف به انه فوضويا متناقضا على مستوى الاتجاهات والافكار والرؤى للقوى التي ساهمت في تأسيسه وادارته, وان هذا النظام السياسي في العراق الجديد لا يملك رؤية فكرية وفلسفية موحدة وثابتة باتجاه محدد, وانما كان اساس اتجاهه وفلسفته خاصة باتجاه وفلسفة ورؤى المحتل نحو عراق المستقبل كما أُريد له ان يكون, تاركا _المحتل_ للقوى المحلية التي جاء بها الى السلطة حرية الراي في تأسيس نظام سياسي عراقي جديد, والتي لا يمكن لتلك الآراء الخروج باي شكل عن اتجاهات فلسفة المحتل الفوضوية. فكان نظام مبنى على المحاصصة العرقية والطائفية والمكوناتية المتناقضة التي لم يعرفها او يعيشها اي نظام سياسي عراقي على مدى تاريخ تأسيس الدولة العراقية الحديثة. ورغم تناقض الآراء للقوى السياسية الجديدة اتضحت جليا تلك الآراء الحزبية والطائفية والمكوناتية الضيقة عندما انعكست واصبحت مواد قانونية وتشريعية تضمنها قانون المرحلة الانتقالية لإدارة الدولة العراقية لسنة 2004 ومواد الدستور العراقي الدائم لسنة 2005 وما تلاها من تشريعات وممارسات لمختلف السلطات العراقية المتعاقبة منذ 2003 ولغاية 2022.

ان الفلسفة الفكرية حول بناء الدولة العراقية من خلال تحليل فكر وفلسفة الأحزاب والتيارات السياسية العراقية التي برزت بعد عام 2003 تؤكد ان هذه الاحزاب والقوى شهدت تحولات في توجهاتها السياسية والفكرية في ما يخص, الدولة و طبيعة النظام السياسي ودور الدين في نظام الحكم والعلاقة مع الاخر، فقد غاب عن هذه القوى وضع استراتيجية متكاملة للدولة وإدارة الحكم فيها بعد التغير, لذا نجد انها واجهت ازمة فكرية في ادارة الدولة لصعوبة التحديات المصيرية التي اعترضت سير العملية السياسية, بسبب تعدد الشرعيات التي ولدت ازمة الطاعة للسلطة, وسبب اخر ان التخطيط الذي سبق الاحداث في حقبة المعارضة بنيه على اهداف محددة الملامح والتي لا تواكب التطورات التي شهدتها الساحة العراقية بعد التغيير لاختلاف الرؤية الفكرية والأيديولوجية لعديد من الاحزاب. فالأحزاب السياسية الاسلامية العراقية مثلا, كانت نظرتها في مدة المعارضة تصب على التغيير بالنظام السياسي واقامة نظام حكم إسلامي اضافة الى الاختلاف حول شكل الحكم, وبعد الوصول الى السلطة تغيرت نظرة تلك الاحزاب والقوى العراقية من ان يكون نظام الحكم إسلاميا الى ان يكون الاسلام جزء اساسي ومهم في الدولة, وهذا ما تم تأكيده في دستور 2005, وبرر التراجع هذا من اجل استيعاب التنوعات الفكرية والدينية في المجتمع العراقي, ونحت تلك الاحزاب نحوى دولة مدنية وفق مبادئ الديمقراطية في ظل دستور يتوافق وتطلعات المجتمع العراقي على حد ادعائها حينه.

اما الاحزاب القومية الكردية, فقد اختلفت أيضا ما بين فترة المعارضة وفترة الاحتلال, ففي فترة المعارضة تنوعت اتجاهات تلك القوى حول الدولة وشكل الحكم فيها,(فيدرالية – كونفدرالية – انفصال). وبعد التغيير في 2003 توحدت توجهات الاحزاب القومية الكردية حول اقامة دولة اتحادية برلمانية ديمقراطية فيدرالية, كما تم تأكيد ذلك في الدستور العراقي لسنة 2005.

من هنا دخل النظام الصحفي والاعلامي العراقي كونه العنصر المؤثر والمتأثر في النظام السياسي الجديد منحى جديد من منحنيات التطور, فبعد ان كان هذا النظام تابع لنظام سياسي شمولي قبل 2003 ليس له من العمل الاعلامي سوى نصيب المهنية البحتة التي تستوجب على القائم بالاتصال ان يصوغ رسالته الاعلامية بحرفية دون اي تقاطع مع ذلك النظام, الى نظام اعلامي حر ليبرالي ادعاءا, وواقعا فانه نظاما اعلاميا عاكس لآراء ومبادى القوى السياسية المسيطرة على المشهد السياسي رغم وجود وسائل اعلامية تدعي الحيادية والاستقلالية بشكل او اخر.

الدراسات السابقة:

_]دراسة: ماجد فرحان جابر)2019(.[294]

استهدفت هذه الدراسة تسليط الضوء على الاستراتيجية الإيرانية تجاه العراق خلال مدة ما بعد الانسحاب العسكري الأمريكي من العراق عام 2011، وتتمحور مشكلة الدراسة حول معرفة الإستراتيجية الإيرانية اتجاه العراق بصورة خاصة ، بفرضية أن إيران تسعى إلى فرض هيمنتها على العراق. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الواقعي والوصفي ومنهج تحليل النظم من خلال عرض المحددات التي أثرت وتؤثر على الإستراتيجية الإيرانية. وقد خلصت الدراسة إلى أن الاستراتيجية الإيرانية الإقليمية تقوم على أساس توظيف توازنات القوى الإقليمية لا على أساس الدوافع الطائفية. وفي البعد الاقتصادي في الاستراتيجية الإيرانية اتجاه العراق فقد خلصت الدراسة إلى أن إيران تتحكم بالاقتصاد العراقي عبر إغراقه بالسلع المختلفة والرخيصة الثمن.

_دراسة . **Mohammed Ali Yaseen Taha (2018)**[295]

تعتبر هذه الدراسة من الدراسات المقارنة واهتمت بالنظام السياسي في إقليم كوردستان العراق وتحديداً فيما يتعلق منه بالنظام الإعلامي والتفاعل بين النظامين, وتعد من أولى المحاولات لتقديم دراسة مقارنة للسياسة والصحافة في إقليم كوردستان-العراق لفهم ديناميكيات أنظمة الإعلام والمشاركة في المناقشة النظرية للإعلام والسياسة. واستخدمت هذه الدراسة التحليل الكيفي، للقوانين الحالية والمحفوظة والوثائق الحزبية ووسائل الإعلام،

---

[294]() *ماجد فرحان جابر"2019" الاستراتيجية الإيرانية اتجاه العراق بعد عام 2011"اطروحة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد".*

[295]() Mohammed ail Yaseen Taha2018 Political parties and the press in the kurdistan region of Iraq. Doctoral Thesis, Political Science (Comparative Politics), University of Lisbon, Institute of Social Sciences, 2018. http://hdl.handle.net/10451/37422.

بالإضافة إلى المقابلات الشخصية شبه المنظمة والاستبيانات المجهولة التي أجريت كجزء من هذه الدراسة. وتوصلت الدراسة الى ان ملكية الحزب كاملة لوسائل الإعلام, والى إن الترابط بين الإعلام والسياسة أمر لا مفر منه وانهما مكملان احدهم للأخر. وتوصلت الدراسة الى ان الصحفيين ليس بالضرورة من المهنيين، ويكفي أن يكونوا أعضاء في أحد الأطراف الحزبية المهيمنة والتي تمتلك وسائل الإعلام. وكذلك وجدت الدراسة ان للدولة دورًا مهمًا في الرقابة وتبقى التشريعات المتعلقة بالإعلام في الغالب حبرا على ورق بدلاً من تنفيذها بالكامل.

_ دراسة: وسام غالي الساعدي(2018).[296]

استهدفت هذه الدراسة تحديد انماط وعادات وتفضيلات استخدام النخبة الأكاديمية العراقية لشبكة الانترنت وتشخيص ابرز دوافع وأسباب استخدام أفراد النخبة الأكاديمية العراقية للمواقع الالكترونية العراقية. والكشف عن تفضيلات النخبة الأكاديمية العراقية من بين المواقع الالكترونية العراقية, وتعد هذه الدراسة من البحوث الوصفية, واستخدمت اداة الملاحظة العلمية وصحيفة الاستبانة, واجريت الدراسة على عينة من النخبة الأكاديمية العراقية المستخدمة للمواقع الالكترونية لمعرفة علاقته بالمشاركة السياسية, وتوصلت الدراسة الى ان هذا الاستخدام يغلب عليه الطابع العلمي والثقافي, ووجود اهتمام متوسط من أفراد العينة بالموضوعات السياسية التي تطرحها المواقع الالكترونية العراقية ,كما ان مستوى تفاعل أفراد العينة مع الأحداث والقضايا السياسية التي تطرحها المواقع الالكترونية العراقية مستوى متوسط, فهم يتابعون الموضوعات والقضايا السياسية من اجل الاطلاع ومعرفة الأخبار. وعدم وجود مستوى عالٍ من الثقة من بما تقدمه المواقع الالكترونية العراقية من معلومات سياسية. اضافة الى ان حجم الاستخدام للمواقع الالكترونية العراقية لا يتناسب مع مستوى المشاركة السياسية لعينة الدراسة.

_ دراسة: (2012) **Haider S. Kadhum.**[297]

تناولت هذه الدراسة وضع المشهد الصحفي العراقي بعد الإطاحة بالنظام السياسي العراقي قبل 2003, واستخدمت هذه الأطروحة أدلة تستند إلى مقابلات أصلية مع شخصيات بارزة من الصحافة العراقية لتكوين صورة مفصلة لهذه المحاولات. وحاولت كذلك الكشف على وجه الخصوص عن التدخلات الأمريكية في عمل الصحافة العراقية في الفترة 2003-2006, ومنها الانتشار الهائل للصحف المحلية والذي حاولت السلطات الاميركية توظيفه كمؤشر على النجاح في اضفاء الطابع الديمقراطي في العراق, الا ان هذا الطرح اتى بنتائج سلبية لدى القراء حول التشكيك بمصداقية الصحافة الجديدة بسبب الفوضى العارمة التي خلفتها تلك السياسة. كذلك توصلت الدراسة

---

[296]() *وسام غالي الساعدي(2018). استخدام النخب للمواقع الالكترونية العراقية وعلاقته بالمشاركة السياسية. اطروحة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية الاعلام. جامعة بغداد.*

[297]() Hadhum, Haider S. (2012). The media in transition: The rise of an "independent" press in Post-Invasion Iraq and the American role in shaping the Iraqi press 2003 - 2005. (Unpublished Doctoral thesis, City University London). https://openaccess.city.ac.uk/id/eprint/1730 /.

الى ان هناك حاجة لإنشاء إطار قانوني جديد لوسائل الإعلام, إضافة إلى ما قامت به سلطة الائتلاف المؤقتة داخل العراق من اصدار اوامر اعطت بموجبها لرئيس سلطة الائتلاف المؤقتة الحق في إغلاق أو معاقبة أي كيان إعلامي إذا خالف شروطاً معينة. كما توصلت الدراسة الى أن الخطط الأمريكية عبر وزارة دفاعها كانت مبكرة بضرورة تشكيل وخلق صحافة عراقية في الغالب صديقة للاحتلال الأمريكي، ومتصدية للرسائل أو الحملات المعادية لأمريكا, لكن البنتاغون لم يكن ناجحًا، حيث كان المقاول الرئيسي الذي اوكلت له المهمة موجهًا بشكل أكبر نحو التحكم في المعلومات،. وتوصلت الدراسة ايضا الى ان الإجراء المفضل الآخر لسلطة الاحتلال هو رشوة الصحفيين المحليين لتغطية مثل هذه الأحداث ونشرها في الصحف الموجودة.

_دراسة (2011)[298] **Duggan, Edward C .**

هدفت هذه الدراسة الى معرفة الاجابة عن الاسئلة الرئيسة لسبب غزو امريكا للعراق عام 2003, ومن هم صناع القرار الرئيسين في اتخاذ قرار الغزو, وما هي الدوافع السياسية لذلك, وما كان يأمل صناع القرار تحقيقه, وبنيت نتائج هذه الدراسة على تتبع العملية التاريخية من خلال إلقاء نظرة فاحصة على المهن الخاصة بالفاعلين السياسيين الرئيسيين المعنيين وبياناتهم العامة وكذلك الوثائق التي رفعت عنها السرية. وان اهم تلك النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة تمثلت في أن غزو العراق كان جزءًا من مشروع أكبر لنائب الرئيس الامريكي ديك تشيني ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد لإعادة ترسيخ الاستخدام غير المقيد للقوة العسكرية الأمريكية بعد هزيمة فيتنام. ولم تتفق مع التفسيرات البديلة بأن غزو العراق كان نتيجة رد فعل مبالغ فيه على أحداث 11 سبتمبر، أو تهديد أسلحة الدمار الشامل، أو خطة لنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط ، أو رغبة في حماية (إسرائيل) أو خطة للربح من النفط العراقي. حيث أثبت الدراسة ان المحافظين البدائيين _وليس المحافظين الجدد_ هم من أقنعوا الرئيس الامريكي بالذهاب للحرب مع العراق، حيث أن هؤلاء القادة أرادوا متابعة تغيير النظام في العراق عند توليهم مناصبهم, للقناعات المسبقة لديهم بان غزو العراق من شأنه أن يمدد الحرب على الإرهاب، ويوفر فرصة لمتابعة سياستهم طويلة الأمد لتعزيز قوة الرئاسة وتحويل الجيش إلى قوة عالية التقنية وذات تمويل جيد.

_التعليق على الدراسات السابقة وأوجه الاستفادة منها:

انقسمت الدراسات السابقة التي استعرضناها في هذه الدراسة الى قسمين, تمثل القسم الاول في الدراسات السياسية التي تطرقت نتائجها بشكل جزئي وغير مباشر الى تحولات سياسية مهمة في واقع النظام السياسي العراقي للفترة الزمنية لدراستنا, وبصورة خاصة تناولت مواقف اهم دولتين كان لهم دورا فعال ومؤثر بشكل مباشر على النظام السياسي العراقي الجديد بعد 2003 الا وهم الولايات المتحدة الامريكية وايران, حيث اشرت نتائج تلك الدراسات الاهداف الحقيقية لتلك الدولتين, تمثلت بما يخص الدور والهدف الامريكي وفق ما توصلت الية دراسة

[298]() Duggan, Edward C .The War Lobby: Iraq and the Pursuit of U.S. Primacy. A DISSERTATION Presented to the Department of Political Science and the Graduate School of the University of Oregon in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy August 2011 http://hdl.handle.net/1794/12100

Duggan, Edward C, (2011) من ان القادة من الصقور البدائيين ممثلين بوزير الدفاع رامسفيلد ونائب الرئيس دك تشيني أرادوا متابعة تغيير النظام في العراق عند توليهم مناصبهم, لقناعاتهم المسبقة بان غزو العراق من شأنه أن يمدد الحرب على الإرهاب، ويوفر فرصة لمتابعة سياستهم طويلة الأمد لتعزيز قوة الرئاسة وتحويل الجيش إلى قوة عالية التقنية وذات تمويل جيد, وليس الذريعة المعلنة المتمثلة بأسلحة الدمار الشامل العراقية. اما بما يخص الدور والهدف الايراني تجاه النظام السياسي الجديد في العراق بعد 2003 فقد تمثل بنتائج دراسة ماجد فرحان جابر(2019) في بيان الاستراتيجية الإيرانية الإقليمية التي تقوم على أساس توظيف توازنات القوى الإقليمية لا على أساس الدوافع الطائفية, وهذا ما يؤيده العديد من المراقبين من ان ايران دولة برغماتية تنظر لمصالحها الخاصة بدليل نتيجة هذه الدراسة التي تؤكد أن إيران تتحكم بالاقتصاد العراقي عبر إغراقه بالسلع المختلفة والرخيصة الثمن.

اما القسم الثاني من الدراسات السابقة في دراستنا هذه فقد اهتم في الأبعاد المختلفة للنظام الصحفي والاعلامي العراقي بعد 2003 وعلاقته بالنظام السياسي العراقي الجديد بعد 2003, حيث وجدت نتائج دراسة **Mohammed Ali Yaseen Taha** (2018)الى ان ملكية الحزب في كردستان العراق كاملة لوسائل الإعلام, والى إن الترابط بين الإعلام والسياسة أمر لا مفر منه وانهما مكملان احدهم للأخر. وكذلك توصلت الدراسة الى ان الصحفيين ليس بالضرورة من المهنيين، ويكفي أن يكونوا أعضاء في أحد الأطراف الحزبية المهيمنة والتي تمتلك وسائل الإعلام. وكذلك وجدت الدراسة ان للدولة دورًا مهمًا في الرقابة وتبقى التشريعات المتعلقة بالإعلام في الغالب حبرا على ورق بدلاً من تنفيذها بالكامل. مما تعكس تلك النتائج شكل النظام الصحفي والاعلامي الجديد في عراق ما بعد 2003 وتبعيته للنظام السياسي. اما نتائج دراسة وسام غالي الساعدي(2018) التي استهدفت تحديد انماط وعادات وتفضيلات استخدام النخبة الأكاديمية العراقية لشبكة الانترنت والتي توصلت نتائجها الى ان هذا الاستخدام يغلب عليه الطابع العلمي والثقافي, ووجود اهتمام متوسط من أفراد العينة بالموضوعات السياسية التي تطرحها المواقع الالكترونية العراقية ,كما ان مستوى تفاعل أفراد العينة مع الأحداث والقضايا السياسية التي تطرحها المواقع الالكترونية العراقية مستوى متوسط, فهم يتابعون الموضوعات والقضايا السياسية من اجل الاطلاع ومعرفة الأخبار. وعدم وجود مستوى عالٍ من الثقة من بما تقدمه المواقع الالكترونية العراقية من معلومات سياسية. اضافة الى ان حجم الاستخدام للمواقع الالكترونية العراقية لا يتناسب مع مستوى المشاركة السياسية لعينة الدراسة. مما يدلل على الاهتمام الكبير من النخبة العراقية في استعمال وسائل الاعلام الجديد التي اصبحت وسيلة اعلامية حديثة تضاف الى وسائل الاعلام التقليدية في النظام الصحفي والاعلامي العراقي بعد 2003, وفي ذات الوقت اكدت نتائج الدراسة عدم قناعة النخب العراقية في النظام السياسي الجديد من خلال احجام تلك النخب من المشاركة السياسية.

وبذلك استفادت دراستنا من مسح ادبيات الدراسات السباقة في ترسيخ اهداف الدراسة من اجل توصيف وتحديد وتفسير التحولات السياسية التي طرأت على النظام السياسي العراقي بعد 2003 ومدى تأثيرها على تطور النظام الصحفي والاعلامي العراقي بجميع أبعاده للفترة 2003_2022.

- مشكلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة توصيف وتحليل التحولات السياسية وبيان مدى تأثيرها على تطور نظام الصحافة والإعلام بالعراق بعد الاحتلال الانجلوامريكي للفترة 2003_2022.

- اهمية الدراسة:

تكمن اهمية هذه الدراسة كونها من الدراسات التي تهتم بالتحليل والتوصيف والتحديد لواقع التحولات السياسية في العراق وربط تأثيرها على أبعاد النظام الصحافي والاعلامي في فترة مهمة عاشها العراق من خلال رؤية الخبراء لتلك التحولات, وما يمثله ذلك من اضافة قيمة للمكتبة الاعلامية العربية.

- اهداف الدراسة وتساؤلاتها:

يتحدد الهدف الرئيسي في هذه الدراسة في رصد وتوصيف وتحليل وتفسير تأثير التحولات السياسية في العراق بعد الاحتلال الانجلوامريكي في 2003 على ابعاد النظام الصحفي والاعلامي. وتسعى الدراسة لتحقيق هذا الهدف عبر الاجابة على التساؤلات التالية:

1- ما مدى تأثير التحول السياسي المتمثل بحكم سلطة الاحتلال الانجلوامريكي على تطور ابعاد النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022؟

2- ما مدى تأثير التحول السياسي المتمثل بمرحلة مجلس الحكم وحكومته المؤقتة (حكومة اياد علاوي) على تطور أبعاد النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022؟

3- مدى تأثير التحول السياسي المتمثل بمرحلة الجمعية الوطنية وحكومتها (حكومة ابراهيم الجعفري) على تطور أبعاد النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022؟

4- مدى تأثير التحول السياسي المتمثل بمرحلة الدستور العراقي الدائم لسنة 2005 وسلطاته المتعاقبة على تطور أبعاد النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022؟

5- ما مدى تأثير التحول السياسي المتمثل بمرحلة بروز الحراك الجماهيري الشعبي للفترة 2011_2022 على تطور ابعاد النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022 ومدى مساهمة ذلك الحراك في تطور وسائل الاعلام الجديد؟

- الاطار النظري للدراسة:

نظرية المسؤولية الاجتماعية لوسائل الاعلام:

تعتمد هذه الدراسة في اطارها النظري على نظرية المسؤولية الاجتماعية التي سيتم تفسير النتائج على ضوئها والاستفادة من محدداتها في ايضاح تأثير التحولات الاجتماعية في العراق خلال فترة الدراسة على واقع ابعاد النظام الصحفي والإعلامي.

إن نظرية المسؤولية الاجتماعية تعد مناسبة ووثيقة الصلة بوسائل الإعلام في الوقت الراهن، وان مبادئها تعد قاعدة أساسية فيما يقدمه العاملون في مجال الأخبار.[299] وتعتبر نظرية المسئولية الاجتماعية امتدادا او تطويرا للمفاهيم والأفكار الليبرالية، حيث تعمل في ضوء مسئوليتها والتزاماتها تجاه الأفراد والمجتمع[300]، لذا فالنظرية تعد تعديلاً او تكييفاً لمبادئ الحرية الإعلامية، وتوجيها لخدمة المجتمع في إطار أخلاقيات الممارسة المهنية التي تضمن في النهاية أسلوباً للعمل والأداء يخدم حرية الفرد والمجتمع معاً .[301]وتعد نظرية المسؤولية الاجتماعية إحدى النظريات المعيارية التي صنفها دينيس ماكويل Mc Quail لتفسير الممارسات الإعلامية داخل بنية أي مجتمع، حيث تؤكد هذه النظرية على أن الحق في الحرية يتحمل ببعض الالتزامات نحو المجتمع وهو ما يسمى بالحرية الإيجابية أو الحرية الهادفة اجتماعياً[302]، ويرى فيفيان Vivian أن نظرية المسئولية الاجتماعية لوسائل الإعلام تقيم الأداء الإعلامي لهذه الوسائل من خلال التأثيرات المفيدة للإعلام في المحيط الاجتماعي.[303]

مهدت أفكار العديد من المفكرين لبروز نظرية الحرية والفكر الليبرالي الذي بدأ يحكم العمل الصحفي عقب الثورة الفرنسية، كما أعقبت ثورة التحرير في الولايات المتحدة صدور الدستور الذي نص على عدم حق الكونجرس في إصدار أي تشريع من شانه أن يحدد حرية الأفراد في التعبير عن أراءهم بأي وسيلة.[304] وتعد نظرية المسؤولية الاجتماعية احدى النظرية الاربعة التي ترتبط النظام السياسي وتحدد شكل العلاقة بين السلطات ووسائل الاعلام اضافة الى النظرية السلطوية متمثلة في الغالب بالأنظمة الصحفية في دول العالم الثالث التي تدار من خلال الحكومة, والنظرية الشمولية في النظم الصحفية والاعلامية, والتي يمتلك من خلالها الحزب الحاكم للدولة جميع وسائل الانتاج بما فيها وسائل الاعلام ابان فترة الحرب الباردة متمثلة بالاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية, والرابعة

---

[299]() Vold,S. (1999). Ranger. update: the Social Responsibility of the press. Unpublished M.S.Dissrtation (San Jose State University).

[300]1 فهمي، نجوى عبد السلام؛ إلهامي، جيهان. (2003، مايو). تجاوزات الممارسة الصحفية المصرية خلال الفترة من يناير1999وحتى مايو2002: تحليل من المستوى الثاني. المؤتمر العلمي السنوي التاسع. ج2.أخلاقيات الإعلام بين النظرية والتطبيق. كلية الإعلام، جامعة القاهرة. ص90.

[301]2عبد الحميد، محمد.(2000). نظريات الإعلام واتجاهات التأثير.(ط2). القاهرة: عالم الكتب. ص34.

[302]() Mc Quail. D.(2005), PP. 185- 186.

[303]() Vivian. J.(2006). P. 490.

[304]() مكاوي، حسن عماد.(1993). نظرية المسئولية الاجتماعية وممارسة العمل الإخباري. مجلة بحوث الاتصال. (العدد 9 يوليو).كلية الإعلام، جامعة القاهرة. ص 66.

هي النظرية هي الليبرالية التي تعلي الحرية الفردية عمن سواها وتحظر الرقابة على وسائل الاعلام وهذه النظم الصحفية والاعلامية متمثلة في الدول الغربية وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا.[305] ثبتت نظرية المسؤولية الاجتماعية مبادى جديدة شكلت إضافة لمبادئ النظام الصحفي والإعلامي الليبرالي, الذي اعتمد على ضرورة وجود ضابط شخصي من قبل الصحفيين والإعلاميين، وذلك من خلال مواثيق الشرف المهنية والأخلاقية الداعية لتحقيق توازن بين حرية الصحافة والاعلام مع الاخذ بنظر الاعتبار مصلحة المجتمع.[306]

_مفهومها:

عرف ما كويل MC Quail المسؤولية الاجتماعية "بأنها إحدى السمات التي يجب ان تتسم بها وسائل الإعلام للعمل على تحقيق الديمقراطية للمجتمع وذلك بواسطة تطبيق بعض الواجبات والالتزامات غير الموثقة ولكنها معترف بها بشكل ضمني. كما إنها مجموعة المبادئ الأخلاقية التي تجعل وسائل الإعلام منبرا لتقديم الحقيقة للمجتمع"[307]. وعُرفت ايضا بأنها مجموعة الوظائف التي يجب أن تلتزم بتأديتها الصحافة أمام المجتمع في مختلف مجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بحيث يتوافر في معالجتها لموادها قيم مهنية كالدقة والموضوعية والتوازن والشمول، والتي يجب أن تعكس الأوضاع التاريخية والحضارية والأمنية على المستويين المحلي والدولي شريطة أن تتوافر للصحافة حرية حقيقية تجعلها مسئولة أمام القانون والرأي العام[308].

_ مبادئ نظرية المسئولية الاجتماعية

يرى دينيس ما كويل MC Quail أن هناك مجموعة من المبادي العامة لتنظيم المسؤولية الاجتماعية وفقا لبعض الالتزامات اهما:

1- على وسائل الاعلام أن تتبنى وتنفذ التزامات محددة ومسؤولة تجاه المجتمع حتى تحظى بثقته، وتفعيل هذه الالتزامات يقتضى وجود معايير مهنية لنقل المعلومة، كالالتزام باليات الرقابة الذاتية والدقة والموضوعية والتوازن في العرض لعمل وسائل الاعلام.

2- على وسائل الاعلام تجنب كل ما يؤدي للفوضى المجتمعية من اعمال عنف وجريمة والتقليل من شأن الاخر وخاصة الاقليات.[309]

---

[305]() مكاوي، حسن عماد . (1994).أخلاقيات العمل الإعلامي, دراسة مقارنه، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص.69 64

[306]() ابو زيد, فاروق.(1986) النظم الصحفية في العالم العربي، عالم الكتب، القاهرة، ص 7.

[307]() الجندي، حنان حسن محمد.(2011). صورة القائم بالاتصال في مجال الإذاعة المسموعة والمرئية. رسالة ماجستير. قسم علوم الاتصال والإعلام، كلية الآداب، جامعة عين شمس: القاهرة. ص 30.

[308]() حسام الدين، محمد.2003.المسئولية الاجتماعية للصحافة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. ص40.

[309]() Merill J.C.، Three theories of press responsibility and the advantages of

pp 47 - 59.، D Ibid، in Elliott،pluralistic individuals m

3- على وسائل الاعلام أن تضع حق المجتمع والجمهور تحت دائرة الضوء, وذلك من خلال تفعيل المعايير المهنية الرصينة في الاداء وتسخيرها لمصلح المجتمع.[310]

_ ابعاد نظرية المسؤولية الاجتماعية وفق المنظور الاعلامي:[311]

تتضمن هذه النظرية ثلاثة معايير اساسية في الضبط المهني لعمل وسائل الاعلام تتمثل في:

1- معيار الضبط الاجتماعي في الاداء الصحفي والاعلامي: ويتمثل في مدى تأدية الوظائف الاساسية لوسائل الاعلام في التعليم والتثقيف والاقتصاد ..الخ, على مستوى الفرد والجماعة.

2- معيار ضبط اخلاقيات المهنة الصحفية: ويتضمن مجموعة القيم والمبادئ التي تحكم الممارسات الصحفية والاعلامية, وغالبا ما يعبر عنها بمواثيق الشرف الصحفي والاعلامي, التي تنص على احترام الخصوصية وعدم الخداع وعدم تغليب المصالح الشخصية...الخ.

3- معيار الضبط القانوني: ويتضمن كفالة القوانين والدساتير لحرية الوصول للمعلومة وحرية تداولها والحفاظ على سرية مصادر المعلومات كحق من حقوق العمل الصحفي الحر, وفي الوقت ذاته اهتمام وسائل الاعلام بتوجيه المجتمع نحو الحقائق الدقيقة لتنوير المجتمع مع الالتزام الكامل بمقومات المجتمع وحفظ الكرامة الانسانية.

_ الانتقادات الموجة لنظرية المسؤولية الاجتماعية:[312]

تعرضت هذه النظرية لعد انتقادات وبمختلف الفترات الزمنية من عمرها وان اهم تلك الانتقادات تمثلت في:

_ ان هذه النظرية تتيح للسلطات التدخل في تقييد وتحجيم الدور الصحفي والاعلامي لوسائل الاعلام المختلفة بذريعة مصطلحات عدة يؤطرها الصالح العام.

_ ان هذه النظرية تضع اطر تفسيرية لأوضاع النظم الصحفية والاعلامية في بلدان العالم الثالث.

_ ان عمل وسائل الاعلام وفق هذه النظرية يفقدها الاليات الفاعلة والملزمة لتنظيم عمل تلك الوسائل بسبب البنود الفضفاضة لتلك النظرية التي يصعب اخضاعها للاختبار المنهجي.

---

[310] *() ليلى عبد المجيد.(1983). حرية الصحافة في مصر بين التشريع والتطبيق 1952 – 1974 ،القاهرة، العربي للنشر والتوزيع.*

[311] *() أ.د مروى ياسين محمد بسيوني.(2016). الضوابط الشرعية والمهنية في معاجلة الخطاب الديني بالقنوات الفضائية الإسلامية للأحداث السياسية - دراسة في إطار نظرية المسؤولية الاجتماعية. مجلة البحوث الاعلامية في جامعة الازهر. العدد(46) في اكتوبر 2016. ص95.*

[312] *() أ.د مروى ياسين محمد بسيوني.(2016). المرجع السابق. ص94.*

_ ان اغلب مجالات تطبيق هذه النظرية ارتكزت على وسيلة اعلامية واحدة وهي الصحافة دون الاهتمام بوسائل الاعلام الاخرى.

الاطار المنهجي للدراسة:

- منهج ونوع الدراسة:

تستخدم هذه الدراسة منهجي المسح كونها دراسة وصفية. ويتطلب هذا المنهج جهدا علميا منظما للحصول بيانات ومعلومات واوصاف عن الظاهرة مجال البحث.[313] حيث يمكن ان يستخدم في رصد وفهم مختلف عناصر العملية الاعلامية والنظام الإعلامي الحاكم في العراق وان استخدامه يحقق نتائج مهمة من اجل التعرف على أسس النظام الصحفي والاعلامي، ودراسة العلاقات المتبادلة يتيح للباحث الربط بين النظام الصحفي والإعلامي بتفاصيله المختلفة وبين التحولات السياسية الحاصة في العراق.

- ادوات الدراسة:

تستخدم هذه الدراسة اداة المقابلة العلمية المتعمقة مع افراد عينة الدراسة بوصفها من افضل ادوات جمع المعلومات والبيانات ولتميزها بالعمق في ادارة الحوارات من اجل الحصول على المعلومات الكافية بالنسبة الى المسائل التي تتطلب شرحا او توضيحا من جانب المبحوث لجمع البيانات عن وسائل الاعلام موضوع دراستنا اضافة الى تحليل نتائج الدراسات السابقة.

- عينة الدراسة:

تستخدم هذه الدراسة العينة الطبقية العشوائية (Striated Sample) المكونة من (7) مبحوثين من الخبراء الذين ينتمون الى الحقل الأكاديمي من الإعلاميين والمشرعين والسياسيين, تمثل الصفوة الاكاديمية والصحفية والاعلامية والسياسية في العراق للتعرف على آرائهم ووجهات نظرهم ومعايشاتهم والحصول على المعلومات التي يمتلكونها تجاه التحولات السياسية وبيان تأثيرها على تطور النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022.

الاطار الاجرائي للدراسة:

- حدود ومجتمع الدراسة:

تنقسم حدود الدراسة الى:

[313] () ا. د محمد غريب, د وجدي حلمي. مناهج البحث الاعلامي, الاسس النظرية والتطبيقية. ط1,القاهرة, الدار المصرية اللبنانية, 2019. ص53.

1- ان هذه الدراسة من الدراسات الانية والتي يرتبط مداها الزمني وفق ما تقتضية عملية اتمام الدراسة والانتهاء منها, وقد تم استخدام اداة الدراسة في اجراء المقابلات المتعمقة من بداية شهر كانون الثاني(يناير) حتى نهاية شباط (فبراير) 2022.

2- حدود مكانية وتشمل العراق عامة وبغداد خاصة للقاء عينة الدراسة والاطلاع على عمل نظام وسائل الاعلام وعلاقته بالتحولات السياسية عن قرب.

- مصطلحات الدراسة:

_ نظام: تعتمد الدراسة في تفسير مصطلح نظام System على خمسة أبعاد لمفهوم النظام _الصحفي والاعلامي_. هي الفلسفة الاعلامية التي يقوم عليها النظام الاعلامي، وهي عبارة عن مجموعة المبادئ والاسس الفكرية، ثم السياسات الاعلامية وهي البرامج التطبيقية للفلسفة الاعلامية، ثم الاطار القانوني الذي يترجم الفلسفة والسياسات الاعلامية الى تشريعات قانونية تحكم عمل المؤسسات الاعلامية، ثم البنية الاتصالية الاساسية(البنى التحتية للنظام)، وتشمل مستوى تكنولوجيا الاتصال والكوادر البشرية المتاحة والابنية والمنشئات والامكانات المادية وغيرها، واخيراً تأتي الممارسات الاعلامية في الواقع الفعلي من قبل القائم بالاتصال.[314]

_ النظام الصحفي: يقصد به نظام _كما حدُد اعلاه_ الصحافة المطبوعة, Printed Media وهي الوسائل التي تستخدم تكنولوجيا الطباعة التي يعود تاريخها الى منتصف القرن الخامس عشر باختراع الطباعة, وتشمل الصحف والمجلات باختلاف انواعها, اضافة الى النشرات والدوريات ذات التوزيع الجماهيري.[315]

_ النظام الاعلامي: يقصد به نظام وسائل الاعلام الجديد ويشمل الصحافة الالكترونية والمواقع والبوابات الاخبارية والمدونات اضافة الى وسائل التواصل الاجتماعي. وما تحتويه هذه التطبيقات من نشاط اتصالي يستهدف تزويد الجمهور بالأخبار والحقائق والمعلومات عن القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الامور بطريقة موضوعية دون تحريف.[316]

التحولات السياسية: ويقصد بها مجموعة التحولات السياسية في العراق بعد 2003 والتي حدثت عبر عدة مراحل بدأت بمرحلة سلطة الاحتلال المباشرة من خلال سلطة الحاكم المدني بول بريمر مرورا بمجلس الحكم

---

[314]() د. محمد شومان " النظام الإعلامي العربي بين المفهوم النظري والواقع العملي من الخليج إلى المحيط مضامين إعلامية متشابهة وتحديات مشتركة" متاح 2020/3/3 http://www.al-jazirah.com/1999/19990627/ar2.htm.

[315]() ا. د منى الحديدي, ا. د شريف درويش اللبان (فبراير2009) "فنون الاتصال والاعلام المتخصص" القاهرة , ط1, الدار المصرية اللبنانية. ص25.

[316]() المرجع السابق, ص27.

والحكومة الانتقالية وصولا الى الحكومة الدائمة من خلال تأكيد نظام الحكم في العراق _نظام جمهوري برلماني_ بواسطة المادة (1) من الدستور العراقي الدائم لعام 2005. [317]

الاطار التحليلي للدراسة:

- الاختراق الدولي والاقليمي للنظام السياسي العراقي الجديد وعلاقته بتطور النظام الصحفي والاعلامي في العراق 2003_2022.

تشكل النظام السياسي في العراق بعد 2003 باردة ورغبة وتخطيط ورعاية ودعم انجلوامريكي كونهما دولتي احتلال مسيطرة على المشهد العراقي كاملا بقوة السلاح, الا ان هذا الدعم والرعاية من لدنا اعظم دولتين تدعيان الليبرالية والديمقراطية في العالم لا يعني ان النظام السياسي العراقي الوليد بعد 2003 كان نظام ليبراليا وديمقراطيا كما يفترض ان يكون حسب طبيعة الانظمة الحاكمة للمحتلين الجدد, بل وحسب ادعاءاتهم عند احتلهم للعراق تحت مسمى (عملية حرية العراق), وانما كان نظام سياسيا هجينا وعقيما ودخيلا على النظم السياسية اقليما ودوليا طيلة الفترة 2003_2022. حيث لم يستطيع هذا النظام من تكوين دولة عراقية حره وديمقراطية رغم الدعم الدولي غير المسبوق في تاريخ الدولة العراقية الذي حصل علية النظام السياسي العراقي الجديد والامكانيات الهائلة من الموارد الاقتصادية والبشرية لدى العراق كدولة لها ثقلها الاقليمي والدولي, بل الانكى من ذلك فقد شرع المحتل ابواب العراق للتدخلات الاقليمية والدولية في شؤونه وادارة موارده وخرق سيادته رغم مسؤوليته القانونية والاخلاقية كمحتل في حماية الدولة المُحتلة من تلك التدخلات السلبية.[318] مما خلق فوضى عارمه للمشهد السياسي العراقي قد دعت اليها الادارة الامريكية المحتلة بداية الاحتلال تحت مسمى الفوضى الخلاقة ([319*] Creative chaos), الا ان المتتبع لحالة النظام السياسي العراقي وخاصة لفترة دراستنا (2003_2022) ان هذا المسمى الفوضى الخلاقة (Creative

---

[317] () جريدة الوقائع العراقية الرسمية, نص الدستور العراقي, العدد4012, بتاريخ 2005/12/28.

[318] ()اوضح ذلك:

_ مقابلة د. محمود عزو حمدو. استاذ العلوم السياسية بكلية الحقوق جامعة الموصل. مقابلة اجريت عبر تطبيق (WhatsApp) مساء يوم الخميس المصادف 2022/1/27.العمر: (40) سنة. النوع: ذكر. التحصيل العلمي: دكتوراه في العلوم السياسية. العمل الحالي: استاذ جامعي. العمل السابق: صحفي وباحث. العمل قبل الاحتلال, طالب. الاتجاه السياسي: مستقل, مقيم ويعمل في العراق محافظة نينوى قبل وبعد الاحتلال.

[319*] (الفوضى الخلاقة) مصطلح سياسي يقصد به ""تكوين حالة سياسية بعد مرحلة فوضى متعمدة الإحداث تقوم بها أشخاص ومجموعات معينه بدون الكشف عن هويتهم, بهدف تعديل الأمور لصالحهم، أو تكوين حاله إنسانية مريحة بعد مرحلة فوضى متعمدة من أشخاص وجماعات معروفه من أجل مساعده الآخرين في الاعتماد على نفسهم. واكبر شهرة لهذا المصطلح بخصوص العراق والمنطقة ظهر في مطلع عام 2005 عندما أدلت وزيرة الخارجية الأميركية "كونداليزا رايس" بحديث صحفي مع جريدة واشنطن بوست الأميركية، حيث كشفت عن نية الولايات المتحدة الامريكية نشر الديمقراطية بالعالم العربي والبدأ بتشكيل ما يعرف ب "الشرق الأوسط الجديد"، من خلال نشر الفوضى الخلاقة في المنطقة عبر سياسات الإدارة الأميركية. على الرغم من وجود هذا المصطلح في أدبيات الماسونية القديمة حيث ورد ذكره في أكثر من مرجع وأشار إليه الباحث والكاتب الأمريكي دان براون إلا أن هذا المصطلح لم يطف على السطح إلا بعد الغزو الأمريكي للعراق الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس جورج دبليو بوش في تصريح وزيرة خارجيته كوندوليزا رايس في حديث لها أدلت به إلى صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية في شهر نيسان 2005، حيث انتشرت بعض فرق الموت ومنظمات إرهابية مثل شركة بلاك ووتر الأمنية"" .

chaos) لا يعني اطلاقا خلق نظام سياسي حر وديمقراطي مستقر بعد خلق فوضى لمدة قصيرة وانما كان هدفه استعماريا انتقاميا بحت, تمثل في اعلى درجات التفاؤل اضعاف العراق كدوله محورية في المنطقة, بل امتد هذا الهدف الى رسم منطقة شرق اوسط جديد برؤية انجلوصهيوامريكية بأدوات محلية من المنطقة ذاتها او ما اطلق علية حروب الجيل الرابع ([320*] Fourth generation wars _ F.G.W_) لتحقيق مآرب استعمارية وجيوسياسية (Geopolitics) تخدم مصالح واهداف اصحاب تلك الرؤى.

ومن اجل تسليط الضوء على الاختراق الدولي والاقليمي للنظام السياسي العراقي وعلاقة ذلك بتطور النظام الصحفي والاعلامي العراقي للفترة 2022/2003 سنتناول ابرز التدخلات الدولية والاقليمية في اختراق النظام السياسي العراقي:

_ دوليا: الاختراق الانجلوامريكي للنظام السياسي العراقي وعلاقته بتطور النظام الصحفي والاعلامي للفترة 2022_2003.

تأسس النظام السياسي في العراق بعد 2003 بإرادة دولتي الاحتلال (امريكا , بريطانيا) كما مر ذكره سابقا, وقد شهد المسرح السياسي لهذا النظام الوليد مراحل تأسيسية عدة تحت سيطرة تامة للمخرج الانجلوامريكي الذي لم يكتفي بدوره الأخراجي بل تعداه لمرحلة كتابة وادارة الحوارات بين ممثلين القوى السياسية الفاعلة في المشهد السياسي العراقي بعد 2003 والمدعومة من قبل المحتل والتي كان دورها الحقيقي لا يتعدى كونها كومبارس لأقناع الراي العام العالمي بان هناك مشهد لنظام سياسي عراقي حر وديمقراطي, مع تهميش وتغييب وحتى اغتيال ممثلين الشعب من الكفاءات والقوى الوطنية التي اجتهدت بدخولها للعملية السياسية لتمثيل الشعب العراقي وتقلل الضرر الواقع علية.

استندت السلطة المحتلة في حكمها للعراق على قرار مجلس الأمن المرقم 1483 في 2003خلال هذه المدة أعيدت هيكلة المؤسسات العراقية العامة والاقتصاد العراقي بشكل جذري، فأصدرت السلطة أكثر من مئة مرسوم شامل وفتح الاقتصاد العراقي إمام تأثيرات التجارة الحرة بعد أعوام من الحصار الاقتصادي الشامل الذي عانى منه العراق للفترة 1990_2003.

وعبد ان فشلت قوات الاحتلال في إدارة العراق بصورة مباشرة، بسبب تصاعد اعمال المقاومة الشعبية العراقية الشاملة منذ الايام الاولى للاحتلال, أعلنت نيتها تأسيس سلطة تساعدها في الإدارة مع التركيز على كلمة سلطة فهي ليست حكومة, وانما سلطة ذات طابع استشاري, حيث أعلن بول بريمر رئيس الإدارة المدنية الأمريكية في العراق عن

[320*] *مصطلح F.G.W "" يعني صراع يتميز بعدم وضوح الخطوط الفاصلة بين الحرب والسياسة والمقاتلين والمدنيين. ويعني ايضا الحرب الجديدة وحسب تعريف البروفيسور الأمريكي "ماكس مايوراينگ الذي يعد أول من أطلقها في محاضرة علنية " في معهد الأمن القومي الإسرائيلي عندما عرفها بنقاط مختصرة بالشكل الآتي: الحرب بالإكراه، إفشال الدولة، زعزعة استقرار الدولة ثم فرض واقع جديد يراعي المصالح الأمريكية. ويشير الجيل الرابع من حروب إلى خسارة الدول القومية لاحتكارها شبه الكامل للقوات المقاتلة، والعودة إلى أوضاع الصراع الشائعة في العصر ما قبل الحديث"" .*

تأسيس مجلس للحكم الانتقالي الذي يعتبر أول سلطة تشكلت لإدارة أمور العراق بعد سقوط النظام العراقي قبل 2003،

فقد نظمت التجربة الانتخابية الأولى الخاصة بانتخاب أول جمعية وطنية بالانتخاب السري المباشر في 2005/1/30 واستنادا على قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية الذي اعد من السلطة اعلاه.[321] وتمخض عن تلك الانتخابات تشكيل الجمعية الوطنية الانتقالية وحكومة عراقية انتقالية (برئاسة ابراهيم الجعفري)، حلت محل الحكومة العراقية المؤقتة (التي راسها اياد علاوي)، وتم التصويت على هذه الحكومة من قبل مجلس النواب المؤقت في 28 نيسان 2005، وكانت المهام الرئيسة لهذه الحكومة هي الإعداد للانتخابات العراقية لاختيار مجلس نواب وحكومة دائمتين مدتهما 4 سنوات والتصديق على مسودة الدستور. وفي انتخابات مجلس النواب في 15 كانون الأول 2005 تم اعتماد نظام الدوائر المتعددة والعمل بنظام القائمة المطلقة، إما انتخابات 2014 و 2018 فقد تم الاعتماد على نظام الدوائر المتعددة ونظام القائمة المفتوحة مع إدخال (نظام سانت ليغو)[322*] المعدل, حيث أُجبرت القوى السياسية المهيمنة على المشهد السياسي العراقي للفترة 2003_2022 والمدعومة خارجيا في اغلبها, على الانصياع الى جزء مهم من المطالبات الجماهيرية التي افرزتها تظاهرات واحتجاجات تشرين 2019 وعدلت تلك القوى مجبرة القانون الانتخابي لمجلس النواب العراقي بقانون جديد للانتخابات يقلل من سطوة الاحزاب ويعطي فرصة اكبر للمرشحين المستقلين اصحاب عدد الاصوات الاعلى فالأعلى بغض النظر عن عدد اصوات القوائم الحزبية والتخلص من التمثيل النسبي الذي كان يحتكر الفائزين بالقوائم الحزبية حصرا رغم حصولهم على اصوات اقل من المرشحين المستقلين, ويتضح ذلك من خلال المادة (15) اولا التي قسمت الدوائر الانتخابية الى دوائر متعددة في المحافظة الواحدة, وثانيا من المادة ذاتها التي فرضت ان يكون الترشيح فرديا ضمن الدائرة الانتخابية, وثالثا التي عدت المرشح فائزا في حال حصوله على اعلى الاصوات وفق نظام الفائز الاول. وفي التوقيت ذاته لتلك الانتخابات الخاصة بالجمعية الوطنية اجريت انتخابات مجالس المحافظات العراقية الأولى، استنادا إلى قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية، فقد شهد العراق بعد 2003 تغيرات كبيرة في مجال الإدارات المحلية لاسيما المجالس البلدية للمحافظات، الذي اختلف عن الأنظمة السابقة قبل 2003 التي جمعت مبدأي الانتخابات وتقنين اختيار أعضاء مجلس الإدارة المحلية، فقد كان أعضاء البلدية ينتخبون بالانتخاب الحر المباشر وبالاقتراع السري لكن بعد 2003 قد جرى تبني

---

[321]() *اعتمد الباحث على:*

1- *جاسم محمد سهراب، الدور السياسي للحركات الاجتماعية في العراق (2003-2015)، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، 2016.ص184.*
2- *محمد الهزاط ،احتلال العراق :الأهداف -النتائج والمستقبل ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت ،2004، ص187*
3- *قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية. في 2004/1/1م.جريدة الوقائع العراقية العدد(3981) في 2003/12/31.ص96.*

[322]* *نظام سانت ليغو* Sainte-Lague *نظام انتخابي قديم ابتكر عام 1910, وهذا النظام الانتخابي يقلل من العيوب الناتجة عن عدم التماثل بين عدد الاصوات المعبر عنها وعدد المقاعد المتحصل عليها, وهذا العيب تستفيد منه في نتائج الانتخابات الاحزاب الكبيرة على حساب الاحزاب الصغيرة والمستقلين.*

نظام احتسبت كل محافظة بحدودها الإدارية دائرة انتخابيه واحدة تنافس الكيانات السياسية باعتماد القوائم المغلقة وجرت الانتخابات العراقية في جميع المحافظات العراقية ماعدا إقليم كردستان بعد إن جرى تخصيص (41) مقعدا ماعدا قائمة بغداد (51) مقعد 0اما انتخابات 2009 إذ جرى استخدام القائمة النسبية الشبة مفتوحة بدلا من القائمة المغلقة0اماانتخابات عام 2013التي جرت في 4/20/ 2013 والتي كانت الاخيرة كانتخابات للمجالس البلدية في المحافظات العراقية للفترة 2003_2022 فقد استخدمت نظام التمثيل النسبي مع اعتماد القائمة المفتوحة مع الاختلاف في توزيع المقاعد وذلك باستخدام صيغة انتخابية تعطي فرصة للقوائم الصغيرة للحصول على مقاعد.[323]

في اعلاه ابرز المراحل التي عاشها النظام السياسي العراقي للفترة 2003_2022 والتي اظهرت دور المحتل الانجلو امريكي الاساسي ليس في اختراق هذا النظام والتأثير فية فحسب طيلة الفترة الزمنية اعلاه, ولكن اظهرت مدى صناعته ورعايته لذلك النظام السياسي المشوه والعقيم في انجاب دولة ذات مقومات رصينة يستحق ان يملكها العراق بثقله الاقليمي والدولي وتاريخه وموارده البشرية والاقتصادية. ومع التحولات المرحلية للنظام السياسي العراقي طيلة تلك الفترة, وبما ان النظام الصحفي والاعلامي يعتبر الظل المتطابق للفلسفة السياسية لنظام اي بلد . حيث يُعدّ الإعلام الوجه الآخر للسياسة، بدليل ارتباط نظريات الإعلام وانظمته بالمذاهب السياسية في اطار التأثير والتأثر، أي التفاعل فيما بين النظامين، لاسيما بعد ان تشعبت الدراسات الإعلامية، وتطورت الأفكار السياسية في هذا المجال. فوسائل الاتصال الجماهيري هي التي تعكس لنا وضعية أي نظام سياسي قائم، ودرجة تطوره واتجاهاته ومصالحها ورؤيتها لمتطلبات تماسك النظام نفسه ومتطلبات الدفاع عنه بما يحقق مصلحة الفرد والمجتمع، وتعمل على اقناعه عبر الاطر القانونية والسياسية والتنظيمية, وفي الوقت ذاته ان الفلسفة السياسية لأي نظام هي التي تصنع وتتحكم في أي نظام صحفي واعلامي. ((324))

لذا فان الاختراق الانجلوامريكي للنظام السياسي العراقي كانت له تأثيرات مباشرة وغير مباشرة في تطور النظام الصحفي والاعلامي العراقي طيلة الفترة الزمنية 2003_2022 من خلال جميع ابعاد النظام الفكرية والسياسية وتشريعاته القانونية والبنى التحتية والتمويل والممارسات الفعلية من قبل القائم بالاتصال على ارض الواقع في البلد, وانعكس هذا الاختراق السياسي في تطورات النظام الصحفي والاعلامي العراقي في الاصدارات المباشرة لوسائل الاعلام

---

[323]() *اعتمد الباحث على:*

1- *وسام حسين علي العيثاوي ،التحديث والاستقرار في النظام السياسي العراقي بعد عام 2003،المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسة والاقتصادية ،ط1 ،برلين ،ألمانيا ،2018،ص57.*
2- *قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (9) لسنة 2020. جريدة الوقائع العراقية الرسمية بالعدد (4603) في 2020/11/9.*
3- *مروة خضير جبوري. رسالة ماجستير في علم الاجتماع. مقدمة إلى مجلس كلية الآداب . جامعة بغداد 2017..ص73-88.*
4- *د. ناظم نواف إبراهيم، العنف السياسي في العراق المعاصر، دار الرافدين، بيروت، 2015 ، ص258.*

[324]() *اعتمد الباحث على:*

1- عبد المنعم كاظم الشمري، وسائل الاتصال وعملية صنع القرار في العراق، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1997، ص92.

2- راسم محمد الجمال، الاتصال والإعلام في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1991، ص19.

المختلفة للنظام الصحفي والاعلامي خاص بهذه المرحلة من قبل المحتل الانجلو امريكي او الاصدارات غير المباشرة لوسائل الاعلام المختلفة او وسائل الاعلام التي تلقت الدعم من قبله سواء كانت وسائل اعلام تدعي الاستقلالية او حزبية.

_ اقليميا: الاختراق الايراني للنظام السياسي العراقي وعلاقته بتطور النظام الصحفي والاعلامي للفترة 2003_2022.

اختلف الاختراق الايراني للنظام السياسي العراقي للفترة 2003_2022 عن ما سبقه من اختراق انجلو امريكي, فان هذا الاختراق وان تم من خلال غض النظر عنه من قبل المحتل, بل يمكن القول انه تم بتهيئة الاجواء الملائمة له وبرغبة المحتل الانجلو امريكي لتحقيق اهداف قريبة وبعيدة المدى في الاستراتيجية الانجلوصهيوامريكية لرسم شكل وهوية المنطقة بأدوات محلية من المنطقة ذاتها.

فبعد الاحتلال العسكري الأمريكي للعراق عام 2003م، حدث تغير في الموقف الإيراني من أجل درء الخطر الأمريكي عن ايران، من اجل ان لا يطالها تغيير الأنظمة المارقة حسب الوصف الامريكي[325*] في الشرق الأوسط والتي كانت ايران من بينها، الأمر الذي دفعها لتتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية عبر استراتيجية استثمار الفرص والتي اثبتت الوقائع ان ايران خير مستثمر للفرص على اقل تقدير لفترة دراستنا 2003_2022، أملا من أن يجنبها هذا الموقف أي تحرك امريكي قد يطالها لاحقا، فقد تمكنت ايران من تحويل الوجود العسكري الأمريكي المكثف على جانبيها الشرقي والغربي (في افغانستان والعراق)، من وجود لحصارها، إلى فرصة التفاوض معها من قبل الولايات المتحدة بشأن تهدئة الأوضاع في العراق وأفغانستان مقابل إطلاق يد ايران وإشراكها في أي ترتيبات إقليمية لاحقة وتعزيز دورها الإقليمي، الأمر الذي دفعها بأن تمسك بالملف العراقي، وهي تعرقل المشروع الأمريكي في العراق، مما منع ذلك السياسة الأمريكية من ان تدفع المواجهة مع إيران إلى نقطة اللاعودة، لأسيما أن التحولات السياسية الجديدة في العراق أدت إلى تغيير في كيفية النظرة الايرانية إلى مسائل المنطقة وضرورة تعريف جديد لدور العراق في الاستراتيجية الإيرانية، ففي غضون عقود مضت كان العراق يشكل اكبر تهديد للأمن القومي الإيراني، وأدى التغيير في بنية السلطة في العراق إلى تحول العراق من مهدد عسكري واستراتيجي لإيران إلى فرصة مغرية أمام الاستراتيجية الإيرانية.

حيث استثمرت ايران خروج العراق من التوازنات الإقليمية بعد الاحتلال الأمريكي لمصلحة تكريس هيمنتها وزعامتها على منطقة الخليج العربي وانفرادها بالتحكم في موارد النفط والطاقة من خلال هيمنتها على مضيق هرمز الذي يعد أهم ممر لعبور النفط إلى العالم، من خلال تقاسمها النفوذ على الخليج العربي مع الولايات المتحدة الأمريكية وتحديها للوجود العسكري المكثف على مياه الخليج، الأمر الذي عزز من دورها الإقليمي وهمش دور دول الخليج العربي اقليميا, واما على صعيد النظام السياسي العراقي الجديد فقد اشتركت ايران مع امريكا وبريطانيا في

[325]* *الوصف الامريكي المتمثل بـ دول محور الشر_* Axis of Evil_ *واول من استخدم هذه العبارات الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش في خطاب القاه في 2002/1/29 ليصنف به حكومات العراق وايران وكوريا الشمالية, اعتقادا منه بدعم تلك الدول للإرهاب وسعيها لتطوير اسلحة الدمار الشامل.*

تشكيله من خلال قوتها الناعمة المتمثلة بهيمنتها المطلقة على العقيدة الفكرية للأحزاب والحركات الدينية التي لجئت الى ايران ابان النظام العراقي السابق او التي تأسست بالداخل الايراني بمسمى عراقي والتي كان لها حصة الاسد والكلمة الفصل داخليا في صناعة النظام السياسي العراقي الجديد بعد 2003. [326]

لقد شكل التدخل العسكري الأمريكي في العراق تناقضاً لإيران، لأنها كانت تجد نفسها محاصرة من قبل القوات الأمريكية من الشرق والغرب (افغانستان والعراق) من جهة، ومن جهة أُخرى وجدت ان الولايات المتحدة الأمريكية تُعد صاحبة الجميل الاكبر في اسقاط اكبر عدو استراتيجي لإيران، المتمثل بالنظام السياسي في العراق قبل 2003. وبعد الانسحاب العسكري الأمريكي من العراق عام 2011والحراك الشعبي العربي في العام ذاته وما بعده تمكنت ايران من الوقوف إلى جانب الحركات الإسلامية التي تدعي التحرر وركوبها موجة الغضب الشعبي والجماهيري للشعوب العربية على انظمتها السياسية ومساندتها، برفقة تركيا وقطر، وفي الوقت نفسه عملت ايران على جذب روسيا الاتحادية والصين كحلفاء دوليين لمساندتها في سوريا إلى جانب حلفائها الإقليميين في العراق ولبنان واليمن والبحرين، والحيلولة دون سقوط النظام السوري، لاسيما عقب هيمنة تنظيم (داعش) الإرهابي على أغلبية المدن السورية بعد عام 2013. لذلك عملت ايران عبر استراتيجيتها في العراق بعد عام 2011 على وحدة وسلامة الأراضي العراقية، لاسيما أن الحرب على الإرهاب ضد تنظيم داعش الارهابي عام 2014، قد أوجدت فرصة مناسبة لكي ترسخ إيران دورها في العراق، إلى جانب ما كانت تتمتع به من نفوذ عبر علاقاتها مع سوريا ولبنان، لكن هذا النجاح الإيراني رافقته خسارة على مستوى الرأي العام العربي، وهي خسارة مرتبطة بالعودة القوية لصورة إيران بوصفها دولة تتحرك بدوافع ظاهرها طائفية _وحقيقة تلك التحركات قومية عنصرية_ لدى قاعدة عريضة من الرأي العام العربي. وقد تميزت الاستراتيجية الايرانية الدعائية في العراق بسمات عدة منها محاولتها اختراق العقول واحتلال النفوس باستعمال أساليب مختلفة لاستغلال عواطف الجمهور وكسب ميولهم واتجاهاتهم. وتلازم تكتيك دعايتها مع الحدث، وذلك عن طريق وضع استراتيجية من خلال أثارة النقاشات المستمرة والتأكيد على نقاط مركزية قليلة لتبقى عالقة في الذهن. وكذلك اخفاء حقائق الموقف السياسي والتلاعب بعقول الناس وتدمير وعيهم. اضافة الى الاغراق الإعلامي، حيث يتم خلط الاوراق عبر ضخ كم من المواد الإعلامية المتنوعة في مضامينها لتضليل الراي العام وتنمية القلق داخل المتلقين لخلق عدم الارتياح والتوتر لحدوث خطر او ضرر على النفس من مصدر ما. النشاط الدعائي الايراني الموجه الى المنطقة العربية عامة والعراق خاصة ليس حديث العهد واستخدام ايران لوسائل الاعلام المختلفة كان ينطوي على نشاط دعائي يرتبط بشعار سابق هو تصدير الثورة الاسلامية، ويرتبط ايضا برغبة رجال الدين في ايران بإعادة بناء الامبراطورية الفارسية تحت غطاء ديني. بدليل عدم توقف النشاط الدعائي الايراني الموجه للمنطقة العربية في اي مرحلة من مراحل الدولة الاسلامية الايرانية الا ان درجة وقوة هذه الدعاية قد مرت بفترات مد وجزر حسب الاحداث التي شهدتها المنطقة والمتمثلة بالحرب الايرانية العراقية وما تبع ذلك من صراعات في

---

[326]() *اعتمد الباحث على:*

_ ماجد فرحان جابر"2019" الاستراتيجية الإيرانية اتجاه العراق بعد عام 2011"اطروحة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد".ص215. .ص-217.

المنطقة ومما ادى بالتالي الى تمرد النفوذ الايراني في العراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين فضلا عن تطور العلاقات السياسية والعسكرية التي ترتبط بها ايران بدول المنطقة لا سيما قطر وعمان والكويت. إن رغبة دول الجوار وقدرتها على التدخل في الشؤون العراقية، مرتبط بالتفاعلات الإقليمية والتطورات السياسية الداخلية العراقية بشكل كبير، وتعتبر ايران أكثر دول الجوار في ممارسة هذا الدور لمرحلة ما بعد الانسحاب العسكري الأمريكي من العراق نهاية 2011م، لاسيما بعد سيطرة تنظيم داعش الارهابي على ثلث الأراضي العراقية عام 2014، والذي منح ايران فرصة أوسع للتدخل في العراق على شكل تقديم المعونة مدفوعة الثمن والاستشارات للحكومة العراقية لمواجهة التنظيم الارهابي، في إطار تعزيز استراتيجيتها اتجاه العراق، واستطاعت أن تبني شبكة من العلاقات مع مختلف القوى السياسية والعسكرية التي تديم من خلاله نفوذها ودورها في العراق.[327] فاغلب القوى السياسية التي سيطرت على النظام السياسي في العراق داخليا بعد الانسحاب الشكلي للاحتلال الانجلوامريكي صنفت بالاحزاب العقائدية التي تهدف الى الترويج عن اهداف احزابها العقائدية والتي تقدم تفسيرا عقائديا للازمات التي يعاني منها المجتمع. واغلب تلك القوى واكثرها سيطرة على المشهد السياسي العراقي تلك القوى السياسية التي تتخذ من قيادات الثورة الايرانية مرجع فكري وعقائدي لها. وصنفت ايضا بأحزاب وقوى المصالح غير المشروعة التي تبحث عن المصالح الذاتية والانية لها على حساب الوطن والمواطن وغالبا تلك القوى والاحزاب نشطت في المدن والمحافظات التي سيطر عليها داعش الارهابي عام 2014, واخيرا الاحزاب الشخصانية وترتبط بوجود اشخاص فاعلين والولاء يكون هنا للشخص اكثر من الحزب, وشمل هذا الصنف من الاحزاب والقوى السياسية تيارات سياسية عرقية وطائفية. ان المراقب لاختراق النظام السياسي العراقي 2003_2022 دوليا واقليميا من خلال ما تقدم, يمكن ان يحدد مرحلتين مترادفتين ومتعاكستين لهذا الاختراق, المرحلة الاولى بدأت في نيسان 2003 وانتهت مع نهاية 2011 عند الخروج الشكلي لقوات الاحتلال الانجلو امريكي, وهذه الفترة شهدت سيطرة مباشرة من قبل المحتل الانجلوامريكي على سير النظام السياسي العراقي مع فسح المجال لمسرحية العملية السياسية من اتمام فصولها حسب رغبة المحتل, اما المرادف لهذه السيطرة المباشرة فقد تمثل بسيطرة ايران على تشكيل وتحديد هوية النظام السياسي العراقي الجديد بعد 2003 داخليا على الاقل من خلال استخدام قوتها الناعمة في السيطرة على الاحزاب والقوى السياسية العراقية ذات التوجهات الفكرية والعقائدية المتخذة من قادة الثورة الايرانية مرجع عقائديا لها. اما المرحلة الثانية الممتدة من بداية 2012 الى 2022 فقد شهدت سيطرة ايران بشكل مباشر على فصول مسرحية العملية السياسية كما جاء بتصريحات كبار ساسة النظام السياسي العراقي الجديد بعد 2003. مع الابقاء على القوى المرادفة والمتعاكسة في هذه المرحلة مع دورها في المرحلة الاولى, الا وهو الاختراق الانجلوامريكي من خلال استخدام هذه المرة

---

[327]() اعتمد الباحث على:

1- ماجد فرحان جابر. مرجع سابق. ص215-216.

2- عبد الرزاق محمد الدليمي، الدعاية والارهاب ، (عمان: دار جرير، 2010م).، ص 21-22.

3- احمد حاتم محمد محمود" الدعاية الإيرانية الموجهة للدول العربية إزاء سياستها الخارجية عبر مواقع الصحف الالكترونية"2019"رسالة ماجستير مقدمة لكلية الاعلام الجامعة العراقية.ص239.

4- ماجد فرحان جابر. مرجع سابق. ص216-217.

القوة الناعمة لتحقيق هذا الاختراق المتمثل بالسيطرة على اغلب الشخصيات السياسية في النظام السياسي العراقي الجديد على مختلف مشاربها الفكرية والعقائدية بسبب امتلاك الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا ملفات الفساد المالي والاخلاقي والاجرامي بحق الشعب العراقي لأغلب تلك الشخصيات بعد ان مهدت امريكا وحليفتها لتلك الشخصية الطريق لانغماسها وتورطها بتلك الملفات المخزية بحق الوطن والمواطن. ففي المرحلة الاولى المتمثلة بالسيطرة المباشرة لأمريكا وحليفتها على النظام السياسي العراقي 2003_2011 اكدت تقارير صادرة عن منظمة الشفافية الدولية أن الفساد المالي في العراق أصبح لا مثيل له في التاريخ. كما أن العراق يحتلُّ أدنى درجة في قائمة الشفافية الدولية. كذلك صدرت عن "هيئة الشفافية العراقية" تقارير مماثلة ومفجعة. وهي كلها مؤشرات تقول لنا أن الفساد والنهب المالي في الدولة العراقية الجديدة، قد بلغ حداً كبيراً، وفي هذا الباب، فإن أمريكا وحليفتها، يتحملان مسؤوليات كبيرة عن الفساد الذي أحدثوه في العراق.[328]

ان اختراق النظام السياسي العراقي 2003_2022 دوليا واقليما تتحمل مسؤوليته كاملة دولتي الاحتلال (امريكا , بريطانيا) بغض النظر عن الدور السلبي الذي لعبته ايران في تحقيق اختراقها لذلك النظام الوليد, فلولا الضوء الاخضر من قبل المحتل للدور الايراني لما تغول ذلك الدور واصبح المتحكم الاول في تسيير النظام السياسي وفق أهدافه ومصالحة على حساب المصلحة العراقية سواء ان كان ذلك بشكل غير مباشر كما حدث في الفترة 2003_2011 او بشكل مباشر كما حدث في الفترة 2012_2022.[329] وكل ما تقدم يصب في نهاية المطاف في مصلحة تحقيق الاهداف الانجلوصهيوامريكية المتمثلة بأضعاف العراق واخراجه من دائرة التوازنات الاقليمية والدولية لغرض رسم جغرافية سياسية جديدة للمنطقة تحقق الامن القومي الصهيوني والمصالح الاقتصادية والاستعمارية لدولتي الاحتلال(امريكا, بريطانيا).

- الاتجاهات الفكرية والعقائدية للنظام السياسي العراقي وعلاقتها في تطور النظام الصحفي والاعلامي 2003_2022.

اتجاهات الاحزاب العراقية :

شهدت النظام السياسي العراقي الجديد بعد 2003 بروز عدة احزاب وتيارات سياسية يمكن حصر ابرزه بأحزاب ذات توجهات اسلامية كحزب الدعوة وحزب الفضيلة والحزب الاسلامي العراقي. وأحزاب قائمة على العرق أو القومية

---

[328]() *اعتمد الباحث على:*

1- *بسام عبد الرحمن ، الاعلام البرلماني والسياسي (عمان : دار اسامة للنشر والتوزيع ، 2011) ص43 .*
2- *تصريحات اياد علاوي اول رئيس وزراء عراقي بعد 2003. متاح في 23:11 ليوم 2021/7/9. على* https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2010/10/101018_maliki_iran_tc2 & https://www.aa.com.tr/ar/
3- *د. شاكر النابلسي. قراءة في ملفات الفساد المالي الأمريكي في العراق.* https://p.dw.com/p/HJur/ *متاح في 2022/03/11 12:19 ص.*

[329]() *وضح ذلك:*

_ مقابلة د. محمود عزو حمدو. سبق الاشارة اليها.

كالحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني . وأحزاب تجمع بين العرق والدين كحزب الاتحاد الكردستاني الاسلامي. وأحزاب تدّعي العلمانية كالحزب الوطني الديمقراطي وحزب المؤتمر العراقي والحزب الشيوعي. وحركات وتيارات وتجمعات سياسية فضلت عدم تحويل نفسها الى تنظيم حزبي كالمجلس الاعلى الاسلامي والتيار الصدري وحركة الوفاق الوطني العلمانية. اضافة الى أحزاب وتجمعات صغيرة لتمثيل الاقليات.[330] بالرغم من ان النظام السياسي العراقي الجديد قد تشكل دون هوية واضحه بسبب تضارب الاتجاهات والعقائد للقوى المشكلة لهذا النظام وتناقضاتها وتضادها الذي انعكس واضحا في مواد دستور 2005 وما تلاه من تشريعات كون تلك القوى جميعها وبجميع تناقضاتها هي من صاغت ذلك الدستور بمباركة ودعم المحتل فأصبحت مواد عديدة من الدستور عائق حقيقيا لبناء الدولة العراقية الحديثة والمتطورة. ورغم التناقض والتضاد الفكري والعقائدي لجميع القوى والتيارات التي شاركت في بناء وتمرير مواد الدستور العراقي الدائم لسنة 2005 كلٌ حسب نصيبه وحصته الا ان من الملاحظ ان الاتجاهات الفكرية والعقائدية للنظام السياسي العراقي بعد 2003 قد أُقصي منها اي حزب او تيار سياسي يحمل فكر قومي عربي من المشاركة في العملية السياسية في العراق 2003_2022 واختصار الاحزاب والتيارات والحركات القومية المشاركة بالنظام السياسي الجديد على القوميات الكردية والتركمانية والاقليات الاخرى, بسبب التخوف من عودة حزب البعث العربي الاشتراكي الى العملية السياسية تحت مسمى قومي عربي جديد, والذي حُل وحُظر من قبل سلطة الاحتلال الانجلوامريكي في العراق بتأريخ 16 نيسان 2003، وأمرت بتنفيذ أمر الاعلان بالحل عن طريق إلغاء هياكل الحزب واطره واقصاء قياداته عن مراكز السلطة والمسؤولية في المجتمع العراقي. لتاتي المادة (7) اولا من الدستور العراقي الدائم لسنة 2005 وتأكد هذا الحظر. وكذلك قانون رقم (32) لسنة 2016 قانون حظر حزب البعث والكيانات والاحزاب والانشطة العنصرية والارهابية والتكفيرية. تميزت الحياة الحزبية في العراق بعد 2003 بِسمات عده منها ان الخريطة الحزبية في العراق غير محددة المعالم على الرغم من مرور عدة سنوات. وشخصنة القوى السياسية، اي ان القوى السياسية يرتبط وجودها واستمراريتها بشخص زعيمها. ولم تستطيع اي من القوى السياسية ان تستقطب العراقيين حول مشروع وطني حقيقي، ولم تصل تلك القوى في الوقت نفسه الى ابرام عقد اجتماعي مع القوى السياسية الاخرى. وقد تميزت القوى السياسية بسرعة الانتقال من اتجاه الى اخر، استنادا الى الربح والخسارة المصلحية، وليس على اساس فكري. فبنت تحالفات بين تلك القوى اغلبها على اسس مصلحية ضيقة، غيبت فيها المصلحة العليا لبناء الدولة.[331]

---

[330] () اعتمد الباحث على:

_خلف كريم كيوش علي التميمي" العلاقات العامة التسويقية للأحزاب السياسية ودورها في ترتيب أولويات الجمهور"2016"اطروحة دكتوراه مقدمة لكلية الاعلام جامعة بغداد. ص108.

[331] - () اعتمد الباحث على:

1-أزهار صبيح غنتاب الكعبي" الصحافة الحزبية في العراق"2005"رسالة ماجستير قدمت لمجلس كلية الاعلام جامعة بغداد ص66.

2-دستور جمهورية العراق لسنة 2005. المادة (7) اولا. المنشور في جريدة الوقائع العراقية الرسمية بالعدد 4012 في 2005/12/28.

3- قانون رقم (32) لسنة 2016 قانون حظر حزب البعث والكيانات والاحزاب والانشطة العنصرية والارهابية والتكفيرية. المنشور في جريدة الوقائع العراقية الرسمية بالعدد 4420 في 2016/10/17.

أصبح العراق ساحة لصدامات سياسية، وأصبح بلداً يعاني من فراغ سياسي وأمني، ودولة بلا مؤسسات سياسية ولا هيئات سلطه، بهذا أصبح الوضع العراقي والقضية العراقية غاية الحساسية والتشابك. ولعل من أبرز المؤشرات هو ظاهرة إنشاء الكثير من الحركات والأحزاب السياسية إلى درجة أصبح هناك أكثر من (200) حزب وحركة سياسية بعد أن كان نظام الحزب الواحد هو السائد قبل 2003، وأصبح واقع العراق يعاني من مشاكل اجتماعية بسبب اخفاقات نظامه السياسي الجديد, وبرزت بشكل كبير تلك الاشكاليات بعد سقوط الحكومة المركزية في بغداد, وأصبحت هناك بطالة عارمة وتخلف اقتصادي شديد وارتفاع معدلات الجريمة بكل أشكالها، وأصبح هناك انتشار لآفات اجتماعية كان العراق وباعتراف المنظمات الدولية المختصة خالياً منها قبل الاحتلال مثل آفة المخدرات، وأصبح هناك ضعف متزايد في البنى الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والخدمية والعلمية والسياسية والأمنية واتسم الوضع العراقي في هذه الفترة بوجود خلافات ورؤى سياسية متناقضة من اجل تشكيل مستقبل العراق وشكل الدولة, هل هي دولة فدرالية؟ او دولة كونفدرالية؟ أم دولة مركزية؟ وهناك قوى وجهات تسعى لخلق فتن طائفية وعرقيه ومذهبيه وهي مشاكل خطيرة لأن هذه المشاكل لها تفاعلاتها وامتداداتها على الصعد المحلية والإقليمية والدولية وهناك جهات خارجية تغذي مثل هذه المشاكل وفقاً لمصالحها الاستراتيجية. من جهة أخرى شهد النظام السياسي العراقي الجديد بعد 2003 اختلافات حول دور الدين _الإسلام_ في السياسة فقد امتلك هذا النظام الوليد قوى سياسية ذات اتجاهات نحو فصل الدين عن الدولة وهناك توجهات إسلامية أصولية، اضافة الى تيارات وسطية، فأصبح الواقع السياسي العراقي يشير إلى هذا المزيج المركب والمعقد من نظام سياسي دون هوية فهو نظام شرقي وغربي واسلامي اصولي ووسطي وليبرالي واتحادي وانفصالي...الخ من المسميات في ان واحد.

إن التحولات السياسية التي تمثلت باحتلال العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها بريطانيا وتغيير نظام الحكم العراقي بالقوة وإنشاء شكل جديد وطرق جديدة لإدارة النظام وشؤون الدولة وبالشكل الذي فتح الباب واسعاً أمام الروئ والأفكار والعقائد المختلفة والمتضاربة في بعض الأحيان قد ابرزَ إشكالية إدارة الشؤون السياسية وعبر أي نظام من أنظمة الحكم المعروفة عالمياً للتعامل مع التركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية الثقيلة والوضع السياسي الجديد الناشئ عن طبيعة الاحتلال والبيئة السياسية الداخلية والخارجية للعراق.

وقد برز العديد من القوى الاجتماعية المؤثرة في النظام السياسي العراقي الجديد اضافة لما سبق من قوى وتيارات سياسية تمثلت في العشائر والمرجعيات الدينية العليا ذات النفوذ الاجتماعي الواسع. ان تعدد الرؤى للأحداث والقضايا وتباين المواقف حولها كما مر ذكره في في النظام السياسي العراقي الجديد بعد 2003 قد يدفع الى الكشف عن اتجاهات القائم بالاتصال وانتماؤه السياسي من خلال تبنيه لخيارات معينة دون سواها في العمل الصحفي والاعلامي، حيث يعد بعض المتخصصين ان الاتجاهات السياسية تعد ثاني العوامل من حيث القدرة على التأثير في خيارات نقل الاحداث والاخبار من قبل القائمين بالاتصال بعد الانحياز الثقافي، وهذا ما أكدته عدة دراسات مهمة عن التوجهات السياسية للقائمين بالاتصال إلى وجود تنوع في الانتماء السياسي بينهم. ان للقائم بالاتصال اتجاهات

4- خيري عبدالرزاق جاسم، العملية السياسية في العراق، مركز العراق للدراسات, بغداد , مطبعة البينة، 2010, ص101.

نحو ذاته ونحو موضوع رسالته الاعلامية ونحو الجمهور، فاتجاهه نحو ذاته يؤثر على نوع الرسالة التي يؤديها وعلى تأثيرها، فاذا كان اتجاهه نحو ذاته ايجابيا فانه يولد الثقة في نفسه مما ينعكس على من يتعاملون معه فيثقون برسالته الاعلامية، واتجاهه نحو الموضوع فلابد ان يؤمن بما يكتب وينشر، فالقائم بالاتصال يكلف بالكتابة عن اشياء كثيرة واذا لم يؤمن بصدق ما يقوله ويقتنع به، يصبح من الصعب عليه ان ينقل معلوماته بفاعلية, اما اتجاه القائم بالاتصال نحو الجمهور فيعد من العوامل التي تحدد مدى نجاح أو فشل الاتصال، فالجمهور لا يستمع ولا يقتنع بكلام شخص يشعر انه لا يهتم به حتى وان كان ما يقوله صحيحا ومنطقيا. ان القائم بالاتصال كلما كان ذا اتجاه سياسي أو عقائدي سيؤثر ذلك في قراراته في نشر الرسائل الإعلامية والصحفية، ويهمل كل ما يخالفه أو يتعارض مع مصالح فكره، أو على الاقل سيقلل من شانه. وهناك علاقة بين الاتجاه السياسي للقائمين بالاتصال وادائهم الصحفي والإعلامي، إذ أن عدداً من القائمين بالاتصال الذين تتعارض اتجاهاتهم الايديولوجية مع السياسة الإعلامية يلجؤون إلى نشر اعمالهم في وسائل أُخرى تتناغم مع اتجاهاتهم السياسية، أي ان أداءهم الإعلامي يصبح معتاد في الوسائل التي تتعارض مع اتجاهاتهم. وظهر ذلك جليا من خلال الممارسات الإعلامية والصحفية للقائم بالاتصال في وسائل الاعلام المختلفة للنظام الصحفي والاعلامي في العراق, حيث ينتقي القائم بالاتصال في تلك الوسائل الرسائل الإعلامية التي تنسجم مع أيدولوجيته الفكرية أو تشكل أهمية لحزبه او تياره اذا كان منتميا له.[332]

ويفترض السلوك المهني على القائم بالاتصال ان يعتمد على الضبط الذاتي للمشاعر والميول والاتجاهات في المواقف المختلفة والاحتفاظ بحاجاتهم الخاصة بعيدا عن مواقفهم المهنية كذلك التصرف بطريقة مهنية والاعتماد على الأسلوب الموضوعي واستخدامهم الفهم والتحليل بدلا من الاحكام العشوائية. لذا نجد ان القيم الذاتية للقائم بالاتصال واتجاهاته تشكل ضغطا عليه وتؤثر في ادائه الصحفي مهما حاول ان يبتعد عن الذاتية ويلتزم بالموضوعية فلا بد ان يتسرب شيء منه للسطور التي يكتبها والخبرة المهنية ومستوى التدريب والتعليم الذي يحظى به القائم بالاتصال يمكن ان يساعد في ضبط ذاتية القائم بالاتصال ويجعله يتعامل مع الموضوعات الصحفية بحرفية أكثر.[333]

لذا فان فئه الصحفيين والاعلاميين المهنيين الذين يعملون في وسائل الاعلام الحزبية وحتى الرسمية الى حد بعيد ولديهم فكر وعقائد سياسية ورؤى وطنية ابعدوا عن العمل في النظام الصحفي والاعلامي العراقي الجديد, وتم

---

[332]() اعتمد الباحث على:

1- شداد خليفة خزعل التميمي"2013" الحكومة الائتلافية في ظل دستور العراق لعام 2005"رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية القانون - الجامعة المستنصرية" ص115-116.
2- د. السيد بخيت، العمل الصحفي في مصر: سيسيولوجيا الصحفيين المصريين، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1998).ص39.
3- د. جيهان احمد رشتي، الاسس العملية لنظريات الإعلام، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1975)،. ص132- 133.

[333]() اعتمد الباحث على:

1- إسراء جاسم فلحي الموسوي. مرجع سابق.ص144.
2- أزهار صبيح غنتاب الكعبي. مرجع سابق. ص196.

الاستعانة بمن هم دخلاء على مهنة الصحافة والاعلام لسد الفراغ الذي احدثه ابعاد محترفو الاعلام الحقيقين. مما ادى بوسائل الاعلام للأحزاب والتيارات السياسية في النظام الصحفي والاعلامي الجديد بالابتعاد عن المهنية والامتياز بالانغلاق الحزبي والتقليدية والعشوائية والرتابة. لهذا ادت الاتجاهات السياسية والفكرية والعقائدية للقوى والتيارات السياسية في العراق بعد 2003 دورا هاما في تعدد التوجهات السياسية والايدلوجية للنظام الصحفي والاعلامي العراقي بذات العدد لتلك القوى السياسية المسيطرة على المشهد السياسي الجديد اضافة الى الهامش البسيط لوسائل الاعلام المستقلة والتي سعت لإيجاد موطأ قدم لها وسط زحمة وشدة التنافس غير المنصف مع وسائل اعلام تلك الاحزاب والتيارات صاحبة المال والسلطة والنفوذ في العراق الجديد, قبل ان تتنفس الصعداء _ وسائل الاعلام المستقلة _بعد العام 2010 عند تعرف واستخدام النظام الاعلامي والصحفي العراقي لوسائل الاعلام الجديد لـ (New Media) التي احدثت توازن نوع ما بين سيطرة الاحزاب والتيارات السياسية السلطوية والدور الفاعل لوسائل الاعلام المستقلة. وهذا ما اثبتته الوقائع العملية لنظام الصحافة والاعلام في عراق ما بعد 2003 والذي هيمنت علية القوى والاحزاب والتيارات السياسية التي اورثها المحتل السلطة دون الدولة في نظام سياسي ولد مشوه من رحم اجندات المحتل السلبية اتجاه بناء دولة عراقية حره وديمقراطية وحديثة ومتطورة كتجربتي المانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية.

- التحول السياسي عبر محاولات اصلاح النظام السياسي العراقي بواسطة الحراك الجماهيري للفترة 2003_2022:

شهد العراق حراك جماهيريا منذ الايام والشهور الاولى لاحتلال بغداد في نيسان 2003 من قبل التحالف الانجلوامريكي وعلى مختلف الصعد, استقبل من قبل قوات المحتل بطرق مختلفة كل حسب نوع تلك المطالب الجماهيرية, فكانت ردت الفعل للقوات المحتلة ممتدة من الترحيب بالتظاهرات وحمايتها مرورا بالتعنيف والتفريق السلمي او التجاهل وصولا الى تفريقها بالرصاص الحي, لكن هذا العبء (مواجهة التظاهرات) خُفف عن القوات المحتلة عند تأسيس مجلس الحكم العراقي وما تبعه من تشكيل لحكومات عراقية متعاقبة للفترة 2003_2022 والقي على عاتق تلك الحكومات وخاصة بعد العام 2011 الذي شهد الخروج الصوري لقوات الاحتلال.

فقد برزت العديد من الاحتجاجات على الأوضاع السياسية والاقتصادية لاسيما مع وجود البطالة بسبب كثرة خريجي المدارس والمعاهد والجامعات، بسبب غياب دور تخطيط الدولة لاستيعاب طاقات المجتمع المختلفة وعدم توافر فرصة عمل في القطاع العام والخاص، مما اجبر الحكومة إلى الانفتاح السياسي من اجل امتصاص غضب القوى الجماهيرية وإجراء إصلاحات في غالبها كانت شكلية، مما دفع المطالبين بالإصلاح إلى التجمهر واستعمال العنف المتبادل.

إن الإصلاح الجزئي الذي قامت به الحكومات العراقية المتعاقبة جاء بطبيعة الحال نتيجة مطالبة المواطنين بالإصلاح السياسي وإعادة صياغة العلاقات التي تربطهم بمؤسسات الدولة وجعلها أكثر ديمقراطية وانسجاما مع حقوقهم السياسية والإنسانية ومكافحة المحسوبية الحزبية والفئوية في التعامل معهم. إن تجربة الحكومات العراقية المتذبذبة في الإصلاح السياسي ومدى انعكاسه على تحسن أداء الأجهزة الحكومية ليست ببعيدة عن الواقع المشار إليه، ففي

ظل صعوبة الظروف الاقتصادية والسياسية التي تعاني منها الدولة العراقية بسبب الاخفاقات الحكومية المتكررة فإن الإصلاحات تركزت في بداياتها على المطالب الخدمية، وما إن لبثت هذه المطالب ان تحولت إلى مطالب سياسية لارتباط الجانب الخدمي بالسياسات الحكومية وركزت على الإصلاحات الدستورية والقانونية. إذ أصبح الإصلاح السياسي مطلبا أساسيا يردده الإفراد بغيا للحصول على حقوقهم الدستورية المشروعة وذلك للحد من الفقر والبطالة وتردي الخدمات وتوفير البنى الأساسية والخدمات الاجتماعية وهذا الإصلاح يتحقق من خلال تضافر الجهود المجتمعية مع الحكومة وقد اجبر الحراك المدني في العراق الحكومات العراقية المتعاقبة على تحقيق مجموعة من الإصلاحات التي تمس الحياة بشكل مباشر، لكن سرعان ما تلتف تلك الحكومات على تلك الاصلاحات وتحولها لمصالح الاحزاب والقوى السياسية المكونة لتلك الحكومات, وشملت تلك الاصلاحات الخجولة النظام السياسي والنظام الانتخابي والجوانب الاقتصادية والادارية اضافة الى الجوانب الاجتماعية والثقافية. ولعل ابرز الإصلاحات الخجولة في النظام السياسي العراقي الجديد هو ما قدمه رئيس الوزراء حيدر العبادي ابان سيطرة تنظيم داعش الارهابي على ثلث الاراضي العراقية في وثيقة الاتفاق السياسي بين الكتل السياسية المشاركة في الحكومة التي سميت من قبل تلك القوى بحكومة الوحدة الوطنية لسنة 2014، وأول هذه الخطوات الإصلاحية تمثلت في تشكيل حكومة على أساس مبدأ الشراكة الحقيقية في اتخاذ القرارات ومحاربة الفساد والمفسدين، وإجراء الإصلاحات المطلوبة في الجهاز الإداري للدولة، واعتماد أسس واستراتيجيات جديدة بما في ذلك مراجعة واقعية لمنظومة الفساد ومكافحته كما نصت علية تلك الوثيقة.[334]

وكذلك نصت المادة (ثامناً) من الوثيقة ذاتها على تحقيق التمثيل المتوازن للمكونات المجتمعية في الوظائف العامة في مفاصل الدولة المختلفة من خلال تشريع قانون الهيئة العامة لضمان التوازن وفق المادة (105) من الدستور. والتأكيد على حرص الحكومة على ضمان استقلالية القضاء وإبعاده عن التأثيرات السياسية والطائفية. إما بعد عام 2015 اخذ منحى الإصلاح السياسي بشكل أخر وذلك بسبب ضغط الحراك الاحتجاجي في محافظات بغداد والوسط والجنوب على الحكومة وتأييد المرجعية الدينية في النجف شجع رئيس الحكومة حيدر العبادي في 9\8\2015 اي بعد الجمعة الثانية للتظاهرات، بإطلاق برنامج إصلاح، متخذا من الاحتجاج ومطالبات المرجعيات الدينية سندا له، في لحظة بدأت مؤاتيه لتحقيق اصلاح حقيقي _لو كانت هناك رغبة حكومية صادقة_ وان هذا الإصلاح ضم خمسة حزم حول الإصلاح والفساد والخدمات والترشيق الوزاري وقدمت ورقة الإصلاح إلى مجلس البرلمان للمصادقة عليها. يمكن القول إن الحراك المدني أسهم بجزء بسيط في الإصلاح السياسي من خلال المطالب التي رفعها المتظاهرون التي تمثل بمحاربة الفساد السياسي، وكشف ملفات الفساد للمسؤولين، والمطالبة بالقضاء على المحاصصة الحزبية

---

[334]() *اعتمد الباحث على:*

1- *حسنين توفيق إبراهيم ،الإصلاح السياسي لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مركز الخليج للأبحاث، دبي،2005 ،ص 24.*
2- *مروة خضير جبوري. مرجع سابق .ص81.*
3- *وثيقة الاتفاق السياسي بين الكتل السياسية المشاركة في حكومة الوحدة الوطنية، 2014,* http://www.cabinet.iq/uploads/pdf/Window5/4.pdf *متاح في 14:42في 2021/7/10.*

السياسية، فكانت استجابة رئيس الوزراء العبادي لهذه المطالب من خلال تغيير بعض الوزراء ومحاولة تقليل وترشيق عدد الوزراء وحاميات المسئولين، وكذلك دمج بعض الوزارات العراقية مع بعضها الأخر، من اجل تقليل الإنفاق، فضلاً عن تشكيل كابينة وزارية جديدة مع محاسبة المفسدين، ومحاولة ترشيق عدد المسؤولين، وهذه جميعها إصلاحات بسيطة لا ترتقي إلى المستوى المطلوب، ولم ترتق إلى مطالب المحتجين والمتظاهرين منذ 25 شباط 2011.

اما على صعيد النظام الانتخابي تعد أحد نجاحات الحراك المدني هو الإسهام في تعديل و إصلاح والتغيير في بعض القرارات أو القوانين، فالحراك المدني العراقي كان قادرا على إحداث تأثير في العملية السياسية ونجح الى حد ما في تعديل بعض القوانين ومنها قانون سانت ليغو الانتخابي سيء الصيت, الذي يعد أحد طرق نظام التمثيل النسبي وهو إعطاء كل حزب أو قائمة انتخابية عددا من المقاعد النيابية يتناسب مع قوتها العددية والأصوات التي يحصل عليها، وتم الأخذ بنظام التمثيل النسبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما نص الدستور الدنماركي العام على إتباع هذا النظام.[335]

اعتمد العراق منذ التغيير عام 2003 في نظامه الانتخابي على نظام التمثيل النسبي الذي يعتمد على مبدأ مفاده يحصل كل حزب على عدد من المقاعد يتناسب مع عدد الأصوات التي يحصل عليها ذلك الحزب في الانتخابات, مع وضع عتبة انتخابية بعشرات الالاف من الاصوات يتحتم على المشاركين جمعها لدخول التنافس على المقعد الانتخابي مما يحرم المستقلين والاحزاب الصغيرة من الحصول على اي مقعد برلماني برغم حصولهم على اصوات اعلى من الاصوات التي يحصل عليها افراد الاحزاب الكبيرة والتي تستحوذ على المقاعد الانتخابية من خلال جمعها لعشرات بل مئات الالوف من الاصوات عبر زج مرشحين محليين كثر لجمع اصوات تصب بالتالي لصالح تلك الاحزاب مقابل مغانم بسيطة لأولئك المرشحين الكومبارس. وقد قرر مجلس النواب العراقي في جلسته التي عقدها يوم 4 تشرين الثاني 2013 اعتماد نظام سانت ليغو المعدل (1.9) والتي تم تضمينها في الفقرة (14) من قانون الانتخابات وهي طريقة توزيع المقاعد بين القوائم المتنافسة. مما اثار حفيظة الجمهور العراقي حيث شهدت مواقع التواصل الاجتماعي (Social Media) في العراق جدلا وانتقادا واسعا بشأن القرار النيابي وانطلاق دعوات إلى تفعيل حركة الاحتجاج، ودعا ناشطون إلى تظاهرة حاشدة في ساحة التحرير للتعبير عن رفض هذا القانون، للحد من هيمنة الأحزاب الكبيرة وتصاعدت المطالبات بتشريع قانون انتخابات يضمن إعطاء فرصة الأحزاب الصغيرة والمستقلين للفوز في الانتخابات, فقد استطاعت الحركة الاحتجاجية إيقاف هذا القانون واعتماد طريقة (1.7) في الانتخابات لعام 2018, وتعتبر جزئية غير كافية لكنها اقل ضررا للأحزاب الصغيرة والمستقلين من النسبة المعدلة. ويبدو إن غالبية الأحزاب والقوى السياسية الحاكمة تعارض القائمة المفتوحة في الانتخابات مما جعل ذلك المعوق الأكبر الذي يواجهة تشريع قانون

---

[335]() *اعتمد الباحث على:*

1- *وثيقة الاتفاق السياسي بين الكتل السياسية المشاركة في حكومة الوحدة الوطنية، 2014, مرجع سابق.*
2- *فالح عبد الجبار، سعد عبد الرزاق ،حركة الاحتجاج والمساءلة: نهاية الامتثال بداية المساءلة، ط1، بغداد، 2017، ص 45.*
3- *د. صالح جواد كاظم وعلي غالب العاني، الأنظمة السياسية، دار الحكمة، بغداد، 1991، ص47.*

انتخابات القائمة المفتوحة، وهذا من شأنه إن يكون محركا للراي العام وتصاعد الدعوات للاعتماد على القائمة المفتوحة في الانتخابات بدلا من القائمة المغلقة من خلال تظاهرات شعبية شهدها العراق في مدن رئيسة عدة في البلاد كبغداد والبصرة والسماوة. نتيجة لظهور دعوات كثيرة بشان ضرورة تطوير النظام الانتخابي في العراق، من اجل إعطاء الناخب فرصة أفضل لمنح صوته إلى مرشح ما وليس إلى حزب او كتلة معينة فقد ظهرت مطالب متزايدة لتغير بعض خصائص النظام الانتخابي المتبع.[336]

وكما مر بنا في الفصل الثاني من دراستنا حيث شهد العراق انتفاضة تشرين 2019 الشعبية التي اصبحت تاريخ لبدء مرحلة جديدة من بناء النظام السياسي العام في البلد ووضعت النظام السياسي العراقي في احرج موقف يمر به منذ تأسيسه في 2003, اذ لجئت جميع سلطات النظام السياسي العراقي (التشريعية, التنفيذية, القضائية) بسبب جهد وعزيمة ودماء المتظاهرين واصرارهم على التغيير وما سببه ذلك من ضغط جماهيري هائل في ساحة التحرير ببغداد واغلب محافظات الوسط والجنوب, مما حدا بالسلطات الى اجراء تغيرات سريعة معترفة بانحراف النظام الذي كان يدعي الديمقراطية واهتزازه امام عزيمة واصرار المتظاهرين, فشملت تلك الاجراءات اصدار قانون جديد للمحكمة الاتحادية العليا [337*]التي اديرت منذ 2005 بقرار حكومي مستند الى قانون المرحلة الانتقالية. وعزل الحكومات المحلية في جميع المحافظات من خلال التصويت على ذلك في مجلس النواب العراقي., وكذلك طال العزل الحكومة المركزية بأكملها من خلال اجبارها على تقديم استقالتها وقبول تلك الاستقالة من قبل البرلمان العراقي, إضافة الى اقرار تعديل لقانون الانتخابات الجديد لعام 2022.[338] اكثر انصافا من سابقة رغم انه لا يلبي كامل طموح المتظاهرين, واعلان قيام انتخابات مبكرة ولأول مره في تاريخ النظام السياسي الجديد فُرض رئيس للحكومة دون رغبة

---

[336]() اعتمد الباحث على:

1- هيفاء احمد محمد، النظام الانتخابي في العراق، مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية، جامعة بغداد، 2014، ص2.
2- مروة خضير جبوري. مرجع سابق .ص85.
3- د. سامر مؤيد عبد اللطيف، التعديل في قانون الانتخابات العراقي: الدواعي والدلالات ، مجلة أهل البيت، العدد 10، كربلاء، 2017، ص84.
4- وليد كامل الزيدي، قانون انتخابات مجالس المحافظات ،دار السنهوري ط1 ،بيروت ،2016،ص 54.

[337]* اقر قانون المحكمة الاتحادية العليا رقم (25) لسنة 2021 قانون التعديل الاول للمر رقم (30) لسنة 2005 بعد قراءات ومناقشات في البرلمان العراقي طيلة عام 2020 واقر بصيغته النهائية في اذار 2021 ونشر في الجريدة الرسمية في شهر حزيران 2021 اي خارج زمن دراستنا الممتدة 2003_2020.

[338]() اعتمد الباحث على:

1- قانون المحكمة الاتحادية العليا رقم (25) لسنة 2021 قانون التعديل الاول للمر رقم (30) لسنة 2005. الوقائع العراقية بالعدد (4635) في 2021/6/7.
2- قرار البرلمان بحل مجالس المحافظات والاقضية والنواحي والغاء امتيازات كبار المسؤولين متاح في https://ar.parliament.iq/28/10/2019/ 16:19 بتاريخ 2021/7/11.
3- قبول البرلمان العراقي لاستقالة رئيس الوزراء العراقي عادل عبد المهدي متاح علي https://ar.parliament.iq/01/12/2019/ 43:16في 2021/7/11.
4- قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (٩) لسنة ٢٠٢٠. جريدة الوقائع العراقية بالعدد (4603) في 2020/11/9.

الاحزاب المتسلطة بغض النظر عن مدى موقف الجماهير المنتفضة من الحكومة الجديدة, حيث طالب المتظاهرون بتغيير النظام السياسي ككل, الا ان شعارات الانتفاضة التي ولدت من رحم معاناة العراقيين والتي كانت بالضد من الموقف الايراني والامريكي من الشأن الداخلي العراقي على حدا سواء والمطالبة بسيادة وطن اثارت سخط وغضب الدول المتحكمة في المشهد السياسي العراقي مما ولد ذلك عدم تعاطف من تلك القوى المؤثرة في المشهد العراقي مع الانتفاضة وسُلط ضغط كبيرا على ساحات التظاهر ادى الى تلاشي تلك الساحات ولو الى حين بانتظار ما قد تنتج عنه الاصلاحات التي ما كانت ان تتحقق لو ارادة الشعب الثائر على الفوضى والفساد وانهاك الدولة.

على الصعيد الاداري تحقق جزء من الإصلاحات الإدارية بفعل تأثير حركة الاحتجاج ففي سنة 2015 بدأت اول تظاهرة بأربعة آلاف متظاهر، ولكن زخم الحركة تصاعد وصولاً إلى تظاهرات نهار الجمعة الرابع. وفي المقابل، أطلق رئيس الحكومة العراقية حيدر العبادي حزمة إصلاحات، الإدارية منها دمج عدداً من الوزارات، وزارة البيئة مع وزارة الصحة ووزارة السياحة والاثار مع الثقافة ووزارة العلوم والتكنولوجيا بوزارة التعليم العالي والغاء حقائب وزارة الدولة التي منحت سابقا ترضية للأحزاب والقوى السياسية التي لم تحصل على وزارة فعلية من اجل تخفيض التكاليف المالية و امتصاص التضخم المالي ، وخفّض عدد عناصر المواكب الأمنية للوزراء ومستشاريهم ومن ضمنهم الرئاسات الثلاث تحويل الفائض إلى وزارتي الدفاع والداخلية. إلى جانب إصدار أوامر بإيقاف مخصصات حمايات المسئولين المتقاعدين.

يمكن القول إن الإصلاحات التي ذكرت آنفا هي إصلاحات جزئية، فالنظام السياسي العراقي2003_2022 نظام مأزوم يحتاج إلى الإصلاح الشامل، وقد بات من الضروري العمل على إجراء عملية إصلاح في بنية النظام السياسي العراقي الذي أسس في ظل ظروف استثنائية، على اقل تقدير ان لم نقل بناء نظام سياسي جديد يتصف بالحرية والديمقراطية الحقيقية التي يتطلع اليها الشعب العراقي بكافة فئاته وشرائحه من خلال إعادة النظر في عدة مواد دستورية وتفعيل القوانين المعطلة التي تصب في المصلحة العامة لبناء دولة المواطنة ذات السيادة الكاملة. [339]

المقابلات العلمية المتعمقة:

_ مقابلة د. اكرم فرج الربيعي. [340]

بشان علاقة النظام الصحفي الاعلامي في العراق بعد 2003 بالتحولات السياسية والمتمثلة بمدى تأثير التحول السياسي المتمثل بحكم سلطة الاحتلال الانجلوامريكي على تطور ابعاد ذلك النظام فقد رأى الخبير ان

---

[339] () اعتمد الباحث على:

_ مروة خضير جبوري. مرجع سابق .ص87.

[340] () مقابلة د. اكرم فرج الربيعي. العمر (59) سنة. النوع (ذكر). التحصيل العلمي دكتوراه في الاعلام. رئيس قسم الاعلام بكلية المستقبل الجامعة الخاصة. رئيس مركز اضواء الاستشاري للدراسات والبحوث, رئيس تحرير جريدة اضواء, باحث في مركز الدراسات والبحوث في وزارة الثقافة, سكرتير تحرير في قسم اخبار تليفزيون العراق قبل الاحتلال. الاتجاه السياسي مستقل. يقيم في العراق محافظة بغداد قبل وبعد الاحتلال. اجريت المقابلة بمقهى جيفارا في شارع 14 رمضان في منطقة المنصور ببغداد بتاريخ 2022/2/8.

اسباب الفوضى الصحفية والاعلامية التي اعقبت الاحتلال مباشرة ليست وليدة ساعتها فحسب, وانما نتجت عن تعطش جماهيري كبير ليس لممارسة الصحافة والاعلام فقط وانما على جميع الصعد الثقافية بسبب الحصار الخانق الذي سبق الاحتلال بثلاثة عشر سنة والذي لم يقتصر على الجانب الاقتصادي فحسب, وانما شمل التطور العلمي والثقافي, وهذا الجانب كان مؤشر لدى المحتل, بدليل اطلاقة للحريات الصحفية والاعلامية بشكل تعدى ممارسة الحريات الى مستوى خلق الفوضى الصحفية والاعلامية التي تصب مع باقي النظم الاخرى بإناء الفوضى الخلاقة التي اعلن عنها المحتل كسياسة ينتهجها تجاه ليس العراق فحسب وانما جميع دول المنطقة وخاصة العربية منها. وبسبب رصانة سياسة المحتل هذه تجاه النظام الصحفي والاعلامي العراقي لما احدثه من فوضى من خلال حله للنظام السابق بالكامل وعدم وضوحه بتأسيس نظام صحفي واعلامي جديد ذو هوية محددة انسحبت هذه السياسات على التحولات السياسية اللاحقة التي شهدها العراق كنشوء مجلس الحكم والحكومات الانتقالية والمؤقتة والسلطات المنبثقة عن دستور 2005 وصولا الى سنة 2022, فلم تشهد تلك التحولات المتلاحقة تطورا يعتد به للنظام الصحفي عما اتى به المحتل, لا بل شهد النظام الصحفي تطور سلبيا نحو توجيه الاعلام الرسمي لمصلحة السلطات وخاصة السلطة الحكومية من خلال اصدار تشريعات قانونية تحمل الطابع السياسي اكثر من الطابع القانوني والدستوري. كمثال لا للحصر من خلال ربط تمويل هيئة الاعلام والاتصالات وشبكة الاعلام العراقي بوزارة المالية الحكومية وغيرها من الاجراءات التي حدت من استقلالية عمل السلطة الرابعة. واضاف الخبير واما التطور الايجابي في النظام الصحفي والاعلامي في العراق في هذه الفترة فقد تمثل بالتحول السياسي الذي احدثته الاحتجاجات والتظاهرات الجماهيرية والتي شكلت وعيا شبابيا جديدا وايجابيا ليس سياسيا فحسب وانما انسحب على تطور استخدام وسائل الاعلام وخاصة الجديدة منها (**New Media**) والمجتمعية (**Social Media**) التي اثرت وساهمت بشكل كبير في هذا التحول السياسي المهم في عراق ما بعد الاحتلال.

_ مقابلة الاستاذ حسن عبد الله سالم.[341]

بشان تأثير التحول السياسي المتمثل بحكم سلطة الاحتلال الانجلوامريكي على تطور ابعاد النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022, رأى الخبير ان هناك تأثيرا كبيرا شهده النظام الصحفي والاعلامي في هذه الفترة تمثل في جلب المحتل لشخصيات اعلامية ذات نهج سياسي تابع لتوجهاته اضافة الى تشجيع الشخصيات الاعلامية المحلية التي رغبت في الانخراط في مشروع الاحتلال واصبحت جزءا منه, مما انعكس ذلك التحول على سير عمل النظام الصحفي والاعلامي الجديد في عراق ما بعد الاحتلال. اما في مرحلة تولي مجلس الحكم وانبثاق الحكومة المؤقتة فقد شهد النظام الصحفي والاعلامي متنفسا للصحفيين والاعلاميين في التعامل مع السلطات رغم المؤاخذات عن تلك الحكومة, حيث رفع بعض من الحرج في التعامل مع تلك السلطة كونها سلطة تتكون من عراقيين وليس

[341] *() مقابلة ا/حسن عبد الله سالم رئيس تحرير جريدة الايام السبعة. الرئيس السابق لفرع نقابة الصحفيين العراقيين في محافظة صلاح الدين. مقابلة بتاريخ 2022/1/8 في منزله. العمر: (52) سنة. النوع: ذكر. التحصيل العلمي: ماجستير اعلام. العمل قبل الاحتلال, محرر في تلفزيون العراق. الاتجاه السياسي: مستقل, مقيم ويعمل في العراق محافظة صلاح الدين قبل وبعد الاحتلال.*

سلطة احتلال, وشهد النظام الصحفي والاعلامي آنذاك تنفيسا اكثر في الحومة الانتقالية المنبثقة عن الجمعية الوطنية بعد ذلك برئاسة (ابراهيم الجعفري) خاصة وان هذه المرحلة اعيد فيها الحق الوظيفي لعدد كبير من شريحة الصحفيين والاعلاميين الذين سرحهم الحاكم المدني بعد حل وزارة الاعلام وفق ار سلطة رقم (2) لسنة 2003, الا ان هذه الايجابيات المحدودة في هذه التحولات السياسية لم تمنع تأشير العديد من السلبيات لممارسة تلك السلطات المنبثقة عبر هذه التحولات تجاه النظام الصحفي والاعلامي في العراق آنذاك.

اما بخصوص تأثير التحول السياسي المتمثل بمرحلة الدستور العراقي الدائم لسنة 2005 وسلطاته المتعاقبة على تطور أبعاد النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022 فقد اشار الخبير الى ان هذا التحول قد اتاح للنظام السياسي تعدد السلطات مما انعكس بالتالي على النظام الصحفي والاعلامي من خلال تشريع بعض القوانيين وفق ذلك الدستور وتعديل او الغاء اخرى تخص النظام, مع الاحتفاظ بالملاحظات التي ذكرناها بخصوص تلك التشريعات انفا.

اما بخصوص تأثير التحول السياسي المتمثل بمرحلة بروز الحراك الجماهيري الشعبي للفترة 2011_2022 على تطور أبعاد النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022 , فقد اشار الخبير على وجود نقلة نوعية في وسائل الاعلام للنظام تمثل بدخول وسائل الاعلام الجديد () في توجيه الجمهور بشكل عملي وفعال واجبار السلطات على الانصات لمطالب ذلك الجمهور والاستجابة لها بصورة اكبر. واستمر هذا التأثير الايجابي طيلة فترة الاحتجاجات الجماهيرية الى ان اتضح ذلك التأثير جليا في احتجاجات اكتوبر 2019 ودور تلك الوسائل الاعلامية الجديدة في توجيه الجماهيري وايصال مطالبهم في اصلاح النظام السياسي والنهوض بالواقع الخدمي والاعمار والقضاء على الفساد وما نتج عنه من بعض الاصلاحات السياسية وخاصة الاطاحة بالحكومة القائمة آنذاك وتعديل قانون الانتخابات العامة واجراء انتخابات مبكرة.

_مقابلة د. جاسم الحلفي [342]

بشان مدى تأثير التحول السياسي المتمثل بحكم سلطة الاحتلال الانجلوامريكي والسلطات العراقية المتعاقبة حتى 2022, على تطور ابعاد النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022, فقد رأى الخبير ان

---

[342] *() د. جاسم الحلفي عضو الهيئة العليا للأعلام والعضو المناوب في مجلس الحكم الانتقالي ومستشار رئيس الوزراء العراقي في اول سلطة تنفيذية عراقية بعد الاحتلال. مقابلة اجريت في منزله بمنطقة الكرادة في بغداد بتاريخ 2022/1/31.العمر: (61) سنة. النوع: ذكر. التحصيل العلمي: دكتوراه في العلوم السياسية. العمل الحالي: متقاعد وناشط مدني في الاحتجاجات الداعية لإقامة دولة مدنية. العمل السابق: عضو الهيئة العليا للأعلام والعضو المناوب في مجلس الحكم الانتقالي ومستشار رئيس الوزراء العراقي في اول سلطة عراقية بعد الاحتلال وقيادي في الحزب الشيوعي العراقي. العمل قبل الاحتلال, عدة اعمال سياسية ومهنية منها صحفي ومؤسس لراديو تموز في دولة السويد سنة 1996, ومعارض بالمنفى اقام في اوربا واقليم كردستان ابان تسعينيات القرن العشرين عندما كان هذا الاقليم خارج سيطرة الحكومة العراقية آنذاك لتمتعه بالحماية الدولية بعد حرب احتلال الكويت. الاتجاه السياسي: شيوعي, مقيم ويعمل خارج العراق قبل الاحتلال ويقيم حاليا ومنذ الاحتلال في 2003 في العراق محافظة بغداد.*

هذه التحولات وبمختلف السلطات سواء كانت سلطة احتلال اول سلطات عراقية قد نجحت في تهديم النظام الصحفي والاعلامي السابق لسنة 2003 بشكل كامل, وقضت مجتمعتا على النظام السلطوي والموجة من خلال الاجراءات المختلفة التي قامت بها تلك السطات, الا ان تلك السلطات مجتمعتا لم تسطيع وطيلة تلك الفترة من بناء نظام صحفي واعلامي حر وديمقراطي يلبي طموح وتطلعات ومصالح الشعب العراقي, فكما ذكرنا سابقا ان بداية تأسيس النظام الصحفي والاعلامي الجديد ابتدأ عمليا بإصدار الامرين (65) و(66) لسنة 2004 من قبل السلطة المدنية للاحتلال وكما مر بنا سابقا, وهما كما ذكرنا كانا تشريعين متقدمين في مجال الحريات الاعلامية والصحفية, الا ان ضعف التطبيق وعدم وجود متطلبات نجاح هذان التشريعان كما ذكرنا سابقا, وتوالي السطات ذات الاتجاهات الفلسفية والسياسية المتضاربة كل هذا وغيره ادى الى تراجع النظام الصحفي والاعلامي لمصلحة سلطة الحكومة على حساب الصالح العام وتحول الاعلام وخاصة الرسمي منه مدافعا شرسا عن السياسات الحكومية بغض النظر عن الاخطاء الفادحة التي ارتكبتها تلك الحكومات بحق العراق.

اما بخصوص مدى التأثير المتبادل بين وسائل الاعلام الجديد في النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2020, و الحراك الجماهيري الشعبي خلال الفترة2011_2022, رأى الخبير ان في فترة اصبحت اعلام الـ (**Social Media**) ووسائل الاعلام الجديد (**New Media**) هو القائد والموجه للحركات الاحتجاجية وهو من يعيد انتاجها من خلال تحديد شعاراتها وتوقيتاتها والترويج لها والدفاع عنها ضد الاعتداءات التي تطالها وايصال صوتها الى العالم الخارجي ونقل الراي العام الدولي تجاهها, اضافة الى الحملات التي تنطلق من اجل الافراج عن معتقلي تلك الاحتجاجات. وهذا الدور غالبا ما يقوم به عبر وسائل الاعلام الجديدة هذه, عامة النشطاء بغض النظر عن مستوياتهم الثقافية والتعليمية ومكانتهم الاجتماعية. اضافة الى ان اغلب وسائل الاعلام التقليدية باتت تعتمد على الـ (**Social Media**) كمصدر رئيس ومهم من مصادر اخبارها ومعلوماتها اضافة الى كونه مقياس لمعرفة اتجاه الراي العام السائد في تلك الفترة.

_ مقابلة ا. خضر خلف الدليمي [343]

بشان علاقة التحولات السياسية بتطور النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022 ومدى تأثير التحول السياسي المتمثل بحكم سلطة الاحتلال على ذلك التطور رأى الخبير ان هذا التحول السياسي ادى الى انتقاله نوعية في تطور النظام الصحفي والاعلامي العراقي بعد ان كان نظام شمولي اصبح نظام يدعى الحرية واقرب ما يكون فوضويا بسبب ان تلك الانتقالة تمت بدون تدرج طبيعي مما حرم النظام الجديد الاستفادة من ابعاد النظام الصحفي والاعلامي السابق, اما بشان التحولات السياسية التي مثلت السلطات العراقية

[343] *() مقابلة ا. خضر خلف شهاب الدليمي العمر (60) سنة النوع ذكر المستوى التعليمي ماجستير في الاعلام يعمل حاليا معاون ثقافي في دائرة العلاقات الثقافة العامة بوزارة الثقافة, صحفي في وزارة الاعلام قبل الاحتلال. الاتجاه السياسي مستقل. يقيم داخل العراق محافظة بغداد قبل وبعد الاحتلال. اجريت المقابلة بمكتبة في دائرة العلاقات الثقافية العامة في منطقة الاسكان ببغداد بتاريخ 2022/2/8.*

المتعاقبة من مجلس الحكم والحكومة المؤقتة مرورا بالحكومة الانتقالية والجمعية والوطنية والسلطات العراقية المنبثقة عن دستور 2005 فقد رأى الخبير ان تلك التحولات لم تأتي بجديد عن التحول السابق ان لم نقل سعت بشكل او اخر لتقييد بعض الحريات التي اطلقت في التحول الاول وتقييد العمل الصحفي والاعلامي لمصلحة الجانب الحكومي قدر المستطاع. ورأى الخبير ان للتحول السياسي المتمثل بالحراك الشعبي اثر فعال لتطور وسائل اعلامية وصحفية جديدة تمثلت بوسائل الاعلام الجديد ووسائل التواصل الاجتماعية أضيفت وفرضت نفسها كوسائل اعلام حديثة تضاف الى وسائل الاعلام التقليدية وتفوقت عليها في مواطن عدة, حيث استخدمت لتنظيم سير عمل تلك الاحتجاجات وتنظيم اوقاتها ...الخ, واشار الخبير الى قناعته الخاصة به ان هذه الاحتجاجات لم ترق لمستوى الحراك الشعبي بسبب انها مثلت فئة الشباب والصبية وكانت شبه خالية من باقي الفئات العمرية الاخرى, الا من بعض الشخصيات التي اريد لها ان تكون ومضات اعلامية لتلك الاحتجاجات.

_ مقابلة د. عمار طاهر محمد [344]

بشان اثر التحولات السياسية في العراق على نظام الصحافة والاعلام الجديد للفترة 2003_2022, ومنها التحول السياسي المتمثل بحكم سلطة الاحتلال الانجلوامريكي رأى الخبير ان هذا التحول رافقه حريات صحفية واعلامية كبيرة لحد الفوضى, لكن ان هذا التحول السياسي لم يكن صاحب ارادة في تغيير واقع النظام الصحفي والاعلامي في العراق الى واقع افضل يحقق الاهداف المرجوة, اما عن التحول السياسي المتمثل بمجلس الحكم الانتقالي والحكومتين الانتقالية والمؤقتة فقد رأى الخبير ان تلك المدة كانت مدة قصيرة غارقة بالفوضى ليس بالمجال الاعلامي فحسب وانما بشتى المجالات الحياتية للشعب العراقي, فتلك السلطات لم تستطيع ان تبنى مستشفى او تقدم اي خدمة في الجانب الانساني تراها تستطيعان تهته بالنظام الصحفي والاعلامي رغم اهميته وخطورته ولكن لاتساع مشاكله وتعقيد مشهده, فهناك مفهوم خاطئ لدى الصحفيين والاعلاميين من جهة والسلطات من جهة اخرى يتمثل في التوجس والحذر من اي شكل من اشكال التقرب الى تقنيين النظام الاعلامي ويترجم على انه قيود, وهذا غير صحيح فلا يعقل ترك النظام الاعلامي فوضوي بهذه الطريقة. اما بشان التحول السياسي المتمثل بمرحلة الدستور العراقي الدائم لسنة 2005 وسلطاته المتعاقبة على تطور أبعاد النظام الصحفي والاعلامي رأى الخبير ان هذا التحول السياسي لم يأتي بجديد على تطور النظام الصحفي والاعلامي في العراق, فالممارسات الصحفية قبل هذا التحول لم تتغير لان ما جاء بذلك الدستور بشان الاعلام مادة عامة لم تترجم الى سياسات وتشريعات تحدد تلك الرؤية العامة القابلة للتأويل بكل الاتجاهات, اما الممارسات والحريات فقد استمرت على ما هو علية قبل صدور الدستور مع الاخذ بنظر الاعتبار المحددات الذاتية التي تم التطرق اليها سابقا ومنها الامنية والاجتماعية ..الخ. وبخصوص تأثير التحول السياسي المتمثل بمرحلة بروز الحراك الجماهيري الشعبي الام للفترة 2011_2022 على تطور ابعاد النظام الصحفي

---

[344] *() د. عمار طاهر محمد, اكاديمي. مقابلة اجريت معه في مكتبه بكلية الاعلام/ جامعة بغداد بتاريخ 2022/2/17.العمر: (54) سنة. النوع: ذكر. التحصيل العلمي: دكتوراه في الاعلام. العمل الحالي: عميد كلية الاعلام بجامعة بغداد. العمل السابق: استاذ الصحافة في كلية الاعلام بجامعة بغداد. الاتجاه السياسي: مستقل, مقيم ويعمل داخل العراق محافظة بغداد قبل وبعد الاحتلال.*

والاعلامي في العراق رأى الخبير ان المنافسة السياسية بين القوى النافذة قد استغلت هذا الحراك الجماهيري كل حسب مصلحته بالتأييد او بالضد من تلك التظاهرات وانعكست هذه الحالة على النتاج الصحفي والاعلامي لوسائل الاعلام المملوكة من قبل تلك الجهات المتحالفة او المتضادة ووظفت كل وسيلة اعلامية رؤيتها وفق رؤية ملاكها, مما احدثت تلك المنافسة والاعلامية حالة من البلادة لدى المتلقي العادي بسبب الجرع الزائدة التي ضُخت عبر تلك وسائل الاعلام باتجاه الجمهور العراقي وما تحمله من تناقضات في الطرح, مما ولد عزوف من قبل ذلك الجمهور عن متابعة البرامج السياسية التي تهدف الى الاثارة والنيل من الخصوم واعلاء شان الاحبة (ممول الوسيلة).

_مقابلة د. سهام الشجيري: [345]

بشان بيان اثر التحولات السياسية في العراق على نظام الصحافة والاعلام الجديد للفترة 2003_2020 وعن مدى تأثير التحول السياسي المتمثل بحكم سلطة الاحتلال الانجلوامريكي والسلطات العراقية المتعاقبة وصولا لعام 2022 رأى الخبير ان هذه التحولات السياسية تطابقت بشكل نسبي بالتحول السياسي الرئيس المتمثل بحكم سلطة الاحتلال, رغم ان السلطات المنبثقة بعد دستور 2005 ذهبت بعيدا في توجيه وسائل الاعلام وخاصة الرسمية في محاولة منها للسيطرة على عمل تلك الوسائل وبشكل غير معلن من خلال فرض سيطرتها على التعيينات للمناصب القيادية العليا في تلك المؤسسات وزج كوادر السلطة الحزبية في الهيكلية الادارية لتلك المؤسسات, اضافة الى السيطرة على تلك المؤسسات من خلال التمويل الحكومي من خلال سعي تلك السلطات الى ربط تمويل تلك المؤسسات تارة بمجلس النواب العراقي وتارة في وزارة المالية, الا ان الذي يحسب بالإيجاب لهذه المرحلة بشان تطور النظام الصحفي والاعلامي تعدد الوسائل الاعلامية ونشوء مؤسسات اعلامية كبيرة, بغض النظر عن الاتجاهات السياسية المختلفة التي تحكم عمل تلك الوسائل والمؤسسات الاعلامية. وبشان مرحلة بروز الحراك الجماهيري الشعبي الام للفترة 2011_2022 كتحول سياسي جديد رأى الخبير ان هذا التحول ننتج عن معاناة كبيرة للشعب العراقي جراء سياسات المحتل الفوضوية وما تبعها من سياسات خاطئة للقوى السياسية التي استلمت مقاليد الحكم من الحاكم المدني للمحتل, فاصبح هناك راي عام ذو بعد سياسي لرؤية جديدة تختلف عن ما سبق, وان هذا التحول السياسي جاء مؤثرا ومتأثرا في وسائل الاعلام الجديدة والتي لعبت دور كبير في تشجيع وانتشار واستمرارية هذه الاحتجاجات, وفي الوقت ذاته فان هذا التحول السياسي ساعد تطور اتساع وانتشار استخدام هذه الوسائل الاعلامية الجديدة بسبب الشرائح الاجتماعية الكثيرة التي ساهمت في هذا التحول السياسي.

_ مقابلة د. محمد عزو حمدو [346]

---

[345]() مقابلة د. سهام حسن علي الشجيري صحفية, واكاديمية. مقابلة اجريت معها بمكتب عمادة كلية الاعلام في جامعة بغداد بتاريخ 2022/2/17.العمر: (58) سنة. النوع: انثى. التحصيل العلمي: دكتوراه في الاعلام. العمل الحالي: رئيس قسم الصحافة في كلية الاعلام بجامعة بغداد وعضو مجلس نقابة الصحفيين العراقيين. العمل السابق: استاذ الصحافة في كلية الاعلام بجامعة بغداد وعضو مجلس نقابة. الاتجاه السياسي: مستقلة, مقيمة وتعمل داخل العراق محافظة بغداد قبل وبعد الاحتلال.

[346]() مقابلة د. محمود عزو حمدو. سبق الاشارة اليها.

بعد الاحتلال الانجلو امريكي للعراق في 2003 شهد النظام الصحفي والاعلامي تغييرا جذريا بسبب تغيير نظامه السياسي حيث اقدمت السلطة المدنية للاحتلال على حل جميع مؤسسات ووسائل الاعلام القائمة آنذاك, وانشئت وسائل اعلام جديدة وفق رؤيتها المتجسدة بأنشاء "" المفوضية العراقية للاتصالات والاعلام "" المسؤولة عن اصدار تراخيص البث والارسال وتنظيم العمل الاعلامي بشكل عام داخل العراق وفق رؤية تلك السلطة وكذلك تم تأسيس شبكة الاعلام العراقي والتي أُريد لها حسب ادعاء سلطة الحاكم المدني بان تكون نسخة من ""هيئة الاذاعة البريطانية **BBC**"" من حيث الاستقلالية المالية والتحريرية لتمثل جسد الاعلام العراقي الجديد وفق تلك الرؤية, كذلك سعت السلطة المدنية الى تقديم الدعم المالي لإصدار العديد من الصحف, لذلك شهدت فترة حكم السلطة المدنية الى تاريخ قيام الحكومة العراقية المؤقتة برئاسة اياد علاوي صدور عدد كبير من الصحف واغلبها بطبعات رديئة, ولاحظنا صدور نوع اخر من الصحف التي تتخذ جانب المعارضة للوضع القائم آنذاك. ومن خلال هذا النوع من الصحف شعر الصحفي العراقي بمتنفس جيد للتعبير عن اراءة بحرية واستقلالية لحد ما. مما انتجت هذه الفترة والفترات التي تلتها فوضى اعلامية كبيرة ادت فيما بعد الى صناعة خطاب الكراهية عبر وسائل الاعلام المختلفة, كون ان المجتمع العراقي لم يكن مهيئ لهذا الكم الهائل من الوسائل الاعلامية متضاربة الآراء والاتجاهات بعد ان كان معتادا على الانصات لراي اعلامي موحد وفق فلسفة فكرية ذات اتجاه واحد وغالبا ما تهتم بنشاطات مسؤولي الدولة وبحسب اسبقية اهمية ذلك المسؤول, بينما بعد 2003 انفتحت وسائل الاعلام على ادراج موادها الخبرية على القضايا الاجتماعية والخلافات السياسية, اضافة الى الانفتاح التقني الهائل الذي رافق هذا التحول متمثلا بإتاحة استلام البث الفضائي المباشر لمختلف وسائل الاعلام والذي كان محظورا على المواطنين استلامه ايام النظام السياسي السابق لسنة 2003. واكد الخير ان الولايات المتحدة الأمريكية عندما اقدمت على احتلال العراق في 2003 قد حققت نجاحا تاما في خطتها العسكرية نَجم عنه اسقاط النظام السياسي العراقي القائم آنذاك, الا انها لم تكن تمتلك الرؤية السياسية الناجعة كما تحقق في خطتها العسكرية, والتي تمكنها من ادارة شؤون هذا البلد, مما نجم عن ذلك خلق فوضى عارمة تحمل اعبائها العراقيين قبل غيرهم تمثلت بقدوم قوى الارهاب الوافدة على المجتمع العراقي وانتعاش نشاطها اضافة الى المشاكل السياسية التي نشأت جراء تعدد رؤى واتجاهات القوى السياسية الوافدة مع المحتل. _ وهذا الراي تطابق مع رؤية الخبير د. جاسم الحلفي الذي عبر عن يقينه المطلق بان المحتل لم يكن يعي جيدا سيكولوجية المجتمع العراقي وطبيعة اتجاهاته المعادية والمناهضة والمشكك بنوايا المحتل من قبل وبعد الاحتلال_ .[347]

اما فيما بعد فقد شهدت فترة السلطات العراقية المؤقتة والانتقالية كتحول سياسي جديد بعد الانتقال التدريجي للسلطة من المحتل الى تلك السلطات تأثيرا سلبيا على العمل الصحفي والاعلامي بسبب تعرض الإعلاميين والصحفيين لشتى المضايقات وانتهاك لحقوقهم المهنية من قبل تلك السلطات الحكومية الناشئة آنذاك ولم تقتصر تلك الانتهاكات لحقوق الصحفيين على خروقات تلك السلطات وانما امتد ذلك الانتهاك ليشمل جماعات خارج اطار

[347]() مقابلة د. جاسم الحلفي . سبق الاشارة اليها.

تلك الحكومات وسلطات الاحتلال ليشمل الاذرع المسلحة للأحزاب السياسية المتنفذة اضافة الى احداث العنف المتبادل بين قوات الاحتلال والمناوئين لوجودها في الفلوجة والنجف وباقي المدن العراقية الاخرى ووصلت تلك الانتهاكات لحد تصفية الصحفيين او اختطافهم على يد المحتل او الاذرع المسلحة او الجماعات الارهابية والمتطرفة وخاصة بعد الاحداث الطائفية التي عصفت بالبلاد وابرزها تفجير الاضرحة والمقامات المقدسة في سامراء وما تبعها من اعمال عنف متبادل بين مختلف المجاميع المتطرفة دفع ثمنه المواطن البسيط وبالتالي المجتمع المدني العراقي اضافة الى الصحفي والاعلامي الذي يؤدي رسالته الصحفية في نقل الاحداث وسط ذلك الكم الكبير من التناقضات.

اما بخصوص التحول السياسي المتمثل في اقرار الدستور العراقي الدائم لسنة 2005, فقد اكد الخبير على ان ذلك الدستور قد اعطا ضمانا كامل للحريات الصحفية والاعلامية وخاصة وفق ما جاء بالمادة (38) منه, الا ان السياسات الاعلامية للمشرع العراقي بالشأن الصحفي والاعلامي المتمثلة في حق الوصول الى المعلومة والجرائم الالكترونية والحريات الصحفية الاخرى لم تفلح في سن قوانين تلبي الطموح في هذا المجال, حيث لم تساير تلك السياسات الاعلامية التحولات التكنولوجية الهائلة في مجال الاتصال والتي بدأت تزداد بشكل طردي منذ بدايات القرن الحادي والعشرين وصولا لعام 2022, واضاف الخبير ان العيوب في السياسات الاعلامية والنقص التشريعي وعدم تكامل ما شرع من قوانين في هذه الفترة يؤكد عدم تطبيق المبادئ التي دعا اليها الدستور من حرية للصحافة والاعلام, بدليل رجوع حكومة نوري المالكي وهي اول حكومة منتخبة وفق دستور 2005 الى التضييق على الصحفيين من خلال تطبيق فقرات قانونية من قانون العقوبات العراقي (111) لسنة 1969 والتي تعود الى فترة النظام العراقي الموجة قبل سنة 2003 والتي غُض النظر عن سريان مفعولها لاستخدامها لمصلحة الحكومات عندما تضيق ذرعا تلك الحكومات بالحريات التي منحها الدستور للعمل الصحفي والاعلامي, لا بل ذهبة تلك الحكومة الى ابعد من ذلك عندما اسست لأعلام رديف يهدف لخدمة السلطة من خلال توظيف القدرات المالية الهائلة للدولة بواسطة نفوذ رئاسة الوزراء كالسيطرة على شبكة الاعلام العراقي او غيرها من المؤسسات الاعلامية وخاصة الحزبية والقريبة من الاحزاب المتنفذة والتي تعمل خارج اهداف الدولة وفق رؤى رئيس الحكومة والمقربين من السلطة. بدليل تحول التغطيات الاعلامية لشبكة الاعلام العراق والتي يفترض بها انها هيئة خاصة تعمل لمصلحة الدولة العراقية باتت اقرب الى ما ان تكون ناطقة باسم السلطة التنفيذية ومنفذه لسياسات الحكومة وان تعارضت تلك السياسات مع مصالح الدولة العراقية, ومصالح ورغبات جميع اطياف المجتمع واهتماماتهم. وتطابق هذا الراي مع ما طرحة الخبير د. جاسم الحلفي عن مجيء حكومة السيد نوري المالكي عندما ذكر ان لم يبقى له حجة لأقناع نفسه بالاستمرار بمجال ادارة وتنظيم الشأن الصحفي والاعلامي العراقي, كون السيد المالكي اتخذ سياسية تجاه الاعلام شبة ما تكون بالموجهة دون الاعلان عن ذلك وانما بشكل عملي, رغبة منه بخلق اعلام مطبل له ورادا على منتقديه, فقام بتعيين اعضاء من الحزب الذي ينتمي الية بمناصب قيادية ونافذة في الهيئات الصحفية والاعلامية المستقلة كهيئة الأعلام والاتصالات وشبكة الاعلام العراقي.[348]

[348]() مقابلة د. جاسم الحلفي. سبق الاشارة اليها.

ومن حسنات السياسة الاعلامية القريبة من تطلعات الاعلاميين والصحفيين في هذه الفترة تشريع قانون حماية الصحفيين العراقيين رقم (21) لسنة 2011 بجهود وضغط من قبل نقابة الصحفيين والعديد من المنظمات العاملة والمهتمة بهذا الشأن بحسب راي الخبير. اما بخصوص مدى تأثير التحول السياسي المتمثل بمرحلة بروز الحراك الجماهيري الشعبي للفترة 2011_2022 على تطور أبعاد النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022 فقد رأى الخبير ان هذه المرحلة شهدت تزايد كبير لخطاب الكراهية وخاصة عبر وسائل الاعلام و كان هذا الخطاب احد المخاطر التي كانت تحدق وتهدد السلم الاهلي والمجتمعي في العراق بشكل كبير خاصة تدخل الخطاب الديني لمختلف الاتجاهات والوافد عبر وسائل الاعلام من خارج العراق لشخصيات دينية مما ادى الى بروز الخطاب الطائفي المتبادل متأثرا بما كانت تمر به المنطقة وخاصة احداث سوريا, ومما زاد خطورة هذا الخطاب في غالبه انه كان ممول بشكل واضح ولا غبار علية من قبل القطبي الداعمين لذلك الحراك في المنطقة وهما دول الخليج العربي وتركيا, اضافة الى تمويل الخطاب الطائفي من الكفة الاخرى من قبل ايران, مما ادى ذلك الدعم الى تأثير سلبي مباشر في عمل وسائل الصحافة والاعلام في العراق او تلك الوسائل التي تستهدف الجمهور العراقي, اما وسائل الاعلام المستقلة فقد عانت في هذه المرحلة من سوء التمويل الذي انعكس بالسلب على عملها ومدى تأثيرها على الجمهور, وكذلك عانت وسائل الاعلام المستقلة والصحفيين المستقلين والعزل من مدى خطورة الوضع الامني على حياتهم وعملهم وخاصة في مدن نينوى وصلاح الدين والانبار لما كانت تشهده تلك المناطق من اعمال عنف من جهات متعددة ومتضاربة في الاهداف والمصالح تعمل جميعها لترويض العمل الصحفي لمصالحها, اما داخل بغداد فقد شهدت الحريات الصحفية والاعلامية مضايقات وضغوطات حكومية.

وبخصوص تأثير وسائل الاعلام الجديد في النظام الصحفي والاعلامي في العراق للفترة 2003_2022, على الحراك الجماهيري الشعبي خلال الفترة2011_2022 فقد اكد الخبير على ان هذه الوسيلة الاعلامية الجديدة قد اشاعت روح التمرد لدى الجماهير المحتجة لما توفره من خدمات اعلامية انية ومؤثرة, فلطالما حُرمت تلك الجماهير من هذه الميزة طيلة الفترات السابقة لظهورها وخاصة ابان السبعينات والثمانينات والتسعينات, كون ان الاعلام آنذاك موجة من قبل الدولة بشكل كامل ووسائله محدودة ومقننة لصالح النظام السياسي الحاكم. الا ان هذه الوسيلة الجديدة منحت المواطن امكانية ان يكون ناقل للحدث اضافة لدوره الاحتجاجي مما ولدَ لدينا فيما عرف فيما بعد بصحافة المواطن او صحافة المجتمع التي انتعشت وانتشرت سريعا على حساب باقي الوسائل الاعلامية التقليدية الاخرى وخاصة الصحافة المطبوعة التي تراجع دورها وتأثيرها كثيرا بسبب بروز هذا النوع الجديد والمؤثر من وسائل الاعلام الجديد (**New Media**). فجميع الصفحات الشخصية للنشطاء والمدونين على وسائل وتطبيقات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر و الانستغرام...الخ قد اصبحت بمثابة صحف ووسيلة اعلام انية تؤثر وتتأثر بالأحداث. اما بشان الفائدة التي حققتها وسائل الاعلام الجديدة(**New Media**) اجتماعيا, فقد رأى الخبير ان هذه الوسيلة الحديثة لعبت دورا ايجابيا في التواصل وسرعة معرفة الاحداث والاخبار والتفاعلية والتواصل اما عن التأثير السلبي في النظامين السياسي والاجتماعي العراقي, فقد ساهمت تلك المنصات في نشر وتشجيع العنف والكراهية على مستوى عالي كأطلاق الوصمات الاجتماعية بين الخصوم ومحاسبة وانتقاد الاخرين على آرائهم ومعتقداتهم والتحريض بين ابناء المجتمع

الواحد. وعن تطور الاستفادة من وسائل الاعلام الجديد للحراك الشعبي في العراق خلال الفترة الزمنية لدراستنا, فقد رأى الخبير ان ذلك التطور بلغ ذروته في احتجاجات اكتوبر 2019 عندما وظُفت وسائل الاعلام الجديد(**New Media**) من قبل المحتجين بشكل كبير في اقامت واستمرارية وضغط تلك الاحتجاجات على السلطات العراقية في سبيل تحقيق اهدافها المعلنة كمكافحة الفساد وتحقيق الاستقلال السياسي التام عن التدخلات الخارجية, اضافة الى الخدمات والعيش الكريم. حيث استطاعت تلك الاحتجاجات من اجبار السلطات العراقية والقوى السياسية النافذة على اتخاذ عدة تنازلات لمصلحة مطالب المحتجين كإسقاط الحكومة وتعديل قانون الانتخابات واجراءات حكومية وبرلمانية اخرى, الا ان هذه المكاسب التي حصل عليها المحتجين حسب وجهة نظر الخبير كانت وفق مبدا مستوى الاجابة في السياسات العامة والتي سعت من خلالها تلك الجهات الحكومية والحزبية المسؤولة عن النظام السياسي في العراق الى امتصاص ضغط وتأثير الاحتجاجات عبر تلك الاصلاحات التي كان الهدف منها بالأساس امتصاص زخم تلك الاحتجاجات.

نتائج الدراسة

- ***خلصت الدراسة الى عدة نتائج, يعرضها الباحث وفقا لإجاباتها على تساؤلات الدراسة***

-

1- التحول السياسي الاول: وشمل اسقاط النظام السياسي العراقي قبل 2003 بقوة السلاح من قبل دولتي الاحتلال امريكا وبريطانيا واعلان العراق كبلد محتل وفق قرار مجلس الامن الدولي المرقم (1483)[349] *في 2003/5/22. ابتداءا, ومن ثم اختراق نظامه الجديد من قبل دولتي الاحتلال(امريكا, بريطانيا) والدول الاقليمية وعلى راسها ايران, حيث شهد النظام الصحفي والاعلامي العراقي خلال هذا التحول تطورا تمثل بصدور عدة وسائل اعلام مختلفة منها صحف اصدرها المحتل بصورة مباشرة كصحيفة بغداد الان والعراق اليوم وغيرها اضافة الى توزيع صحف عالمية بإصدارات خاصة بالداخل العراقي من قبل المحتل كصحيفتي الزمان والشرق الاوسط.*[350]*, اما على صعيد الاذاعة المسموعة فقد أنشأت قوات الاحتلال الامريكي منذ الايام الاولى لاحتلالها لبغداد اذاعة سميت اذاعة جمهورية العراق وبدأ بثها في 2003/4/13 بموقع بسيط يضم أستوديو صغير في متنزه الزوراء وسط بغداد, اما على صعيد الصحافة والاعلام المرئي فقد اسس المحتل الامريكي قناة العراقية الفضائية على انقاض مؤسسات وزارة الاعلام التي حلت من قبله وخاصة تلفزيون العراق وقناة العراق الفضائية, وبدأت بثها التجريبي كمحطة أرضية في 2003/5/13. ورافق هذا*

---

[349]() قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم (1483)، الذي اعتمد في 22 مايو 2003، بعد أن أشار إلى جميع القرارات السابقة بشأن الحالة بين العراق والكويت، رفع المجلس العقوبات التجارية المفروضة على العراق (باستثناء حظر الأسلحة) وأنهى برنامج النفط مقابل الغذاء. وقد صاغت الولايات المتحدة القرار وشاركت في رعايته إسبانيا والمملكة المتحدة؛ وقد وافق عليه 14 عضو من اعضاء مجلس الامن من بين 15 عضوًا, لأن سوريا لم تشارك في التصويت. وسلم مجلس الامن بمسؤوليات والتزامات المملكة المتحدة والولايات المتحدة بوصفهما دولتين قائمتين باحتلال للعراق.

[350]() وضح ذلك:

_ مقابلة د. محمود عزو حمدو. سبق الاشارة اليها.

التحول السياسي فوضى عارمة من انشاء مؤسسات اعلامية مختلفة حزبية كانت ام اهلية. وحكم وسُيّر النظام الصحفي والاعلامي العراقي بجميع أبعاده (الفلسفية والسياسية والتشريعية وبناه التحتية وتمويله والممارسات الفعلية للقائم بالاتصال) بالأوامر التي اصدرتها سلطة الاحتلال المدنية.[351] وكما مررنا بها مفصلا في الفصل الثاني من دراستنا.

2- التحول السياسي الثاني: يعد تأسيس مجلس الحكم من قبل دولتي الاحتلال (امريكا, بريطانيا) بالأمر رقم (6) لسلطة الائتلاف. في 2003/7/13 التحول السياسي الثاني في النظام السياسي العراقي 2003_2022 , حيث شهد نظام الصحافة والاعلام العراقي في التحول انعطافه جديدة لكنها ليست بالكبيرة تمثلت بتأسيس مجلس الحكم في العراق بمباركة وتأييد مطلق من قبل سلطة الاحتلال وفق هيكلية عرقية وطائفيه. وافرزت عملية تشكيل هذا المجلس غياب الحس الوطني، بسبب انسحاب العراق الى الطائفية والعرقية بعد ان كانت القومية وحدها تمثل تهديدا لوحدته قبل 2003 كما ظهرت خلال مدة عمل هذا المجلس العديد من المشكلات اقر بها اعضاءه انفسهم.[352] أدت اول حكومة عراقية تشكلت بعد زوال النظام السابق اليمين القانونية في الثاني من ايلول 2003، برئاسة اياد علاوي اذ كان مجلس الحكم قد اصدر بتاريخ 31 آب 2003 بيان يحمل الرقم (28) اعلن فيه اسماء التشكيلة الوزارية التي خلت تشكيلتها من وزارة الاعلام, وهي بذلك _الحكومة الجديدة_ وافقت واكدت على نهج المحتل وفلسفته وسياساته تجاه النظام الصحفي والاعلامي في العراق بعد تغيير نظام الحكم.[353] وشهدت هذه التشكيلة غياب وتغييب واضحين لأية مشاركة عراقية رسمية او شعبية فعليه من الداخل العراقي في صياغة اي من التشكيلات السياسية التي شهدتها المرحلة والتي اسست فيما لبعد لشكل وهوية النظام السياسي العراقي 2003_2022، والتي تمت بلورتها خلف الابواب المغلقة، برعاية ومباركة وتأييد من سلطات الاحتلال وموافقة مدير سلطتها المدنية بول بريمر الذي اكد ان الحكومة الاولى التي تشكلت في مرحلة ما بعد الاطاحة بصدام حسين ستمارس الاشراف على الشؤون اليومية، وان كانت

---

[351]() اتفق في ذلك:

1- مقابلة د. اكرم فرج الربيعي. سبق الاشارة اليها.
2- مقابلة ا/حسن عبد الله سالم. سبق الاشارة اليها.
3- د. جاسم الحلفي. سبق الاشارة اليها.
4- مقابلة ا. خضر خلف شهاب الدليمي.سبق الاشارة اليها.
5- مقابلة د. عمار طاهر محمد, سبق الاشارة اليها.
6- مقابلة د. سهام حسن علي الشجيري سبق الاشارة اليها.
7- مقابلة د. محمود عزو حمدو. سبق الاشارة اليها.

[352]() اعتمد الباحث على:

1- امر رقم 6 لسلطة الائتلاف في 2003/7/13" اللائحة التنظيمية الصادرة من سلطة الائتلاف المؤقتة لتأسيس مجلس الحكم العراقي" الوقائع العراقية بالعدد 3978في 2003/8/13.ج1,ص23.
2- امر رقم 6 لسلطة الائتلاف في 2003/7/13" اللائحة التنظيمية الصادرة من سلطة الائتلاف المؤقتة لتأسيس مجلس الحكم العراقي" الوقائع العراقية بالعدد 3978في 2003/8/13.ج1,ص23.
3- أزهار صبيح غنتاب الكعبي. مرجع سابق ص75.

[353]() اوضح ذلك:

1- مقابلة ا/حسن عبد الله سالم. سبق الاشارة اليها.

السلطة ستبقى بأيدي الامريكان.[354] من جانبه هدد مجلس الحكم العراقي الانتقالي باستخدام نصوص الامرالذي أصدرت سلطة الاحتلال في 23 ايار 2003م بالرقم (1)، الذي نص على ان السلطة الائتلافية المؤقتة تمارس سلطات الحكومة مؤقتاً، من أجل ادارة شؤون العراق خلال المرحلة الانتقالية. ويعهد اليها بممارسة جميع السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية اللازمة لتحقيق اهدافها. بما في الامر اللائحة في القسم (2) التي نصت على ان تبقى القوانين التي كانت سارية في العراق ابتداءً من تاريخ 16 ابريل – نيسان 2003، سارية المفعول وقابلة للتطبيق، ما لم تعلقها السلطة الائتلافية المؤقتة او تستبدلها او تلغها.[355] مما لا شك فيهان هذا التحول في النظام السياسي العراقي لا يعد ذات تأثير ميداني على عمل و تطور النظام الصحفي والاعلامي العراقي 2003_2022 بسبب عدم تقاطعه مع التحول الاول بل يعتبر امتدادا طبيعيا له كون ان المحتل كان صاحب الكلمة الفصل في تشكيل هيكلة وهوية هذا مجلس الحكم وحومته الانتقالية, رغم من الادوار الدرامية التي ادتها الاحزاب والقوى السياسية المرضي عليها من قبل المحتل. وشهد هذا التحول بعض التطورات في النظام الصحفي والاعلامي العراقي .

3- التحول السياسي الثالث: شهد النظام السياسي العراقي 2003_2022 تحولا ثالثا بصدور قانون ادرة الدولة العراقية للفترة الانتقالية 2004.[356] لإدارة الدولة أثناء فترة الاحتلال الأمريكي للعراق وحل مؤسسات الدولة العراقية وإلغاء دستور سنة1970المؤقت من قبل مجلس الحكم ويعد هذا القانون اقصر الدساتير العراقية المؤقتة كمدة تاريخية قبل ان يحل محله دستور 2005. ونتج عن هذا التحول السياسي للنظام السياسي العراقي 2003_2022 فقد نظمت التجربة الانتخابية الأولى الخاصة بانتخاب أول جمعية وطنية بالانتخاب السري المباشر في 2005/1/30 واستنادا على قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية الذي اعد من السلطة اعلاه.[357] وتمخض عن تلك الانتخابات تشكيل الجمعية الوطنية الانتقالية وحكومة عراقية انتقالية (برئاسة ابراهيم الجعفري)، حلت محل الحكومة العراقية المؤقتة (التي راسها اياد علاوي)، وتم التصويت على هذه الحكومة من قبل مجلس النواب المؤقت في 28 نيسان 2005، وكانت المهام الرئيسة لهذه الحكومة هي الإعداد للانتخابات العراقية لاختيار مجلس نواب وحكومة دائمتين مدتهما 4 سنوات والتصديق على مسودة الدستور.[358] ولم يشهد هذا التحول السياسي في النظام السياسي العراقي عن تطورات ذات قيمة في النظام الصحفي والاعلامي العراقي حيث عمت الفوضى في كل جوانب الحياة ومنها الاعلامية, اذا ما استثنينا معالجة الوضع الوظيفي لكوادر وزارة الاعلام العراقية التي حلت من قبل سلطات الاحتلال حيث دمج اغلب تلك الكوادر ضمن الكادر الوظيفي لوزارة الثقافة.[359]

---

[354]() اكد ذلك:

1- مقابلة د. جاسم الحلفي. سبق الاشارة اليها

[355]() أزهار صبيح غنتاب الكعبي. مرجع سابق. ص68.

[356]() قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية. في 2004/1/1م.جريدة الوقائع العراقية العدد(3981) في 2003/12/31.ص96.

[357]() قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية. في 2004/1/1م.جريدة الوقائع العراقية العدد(3981) في 2003/12/31.ص96.

[358]() د. ناظم نواف إبراهيم، مرجع سابق, ص258.

[359]() اوضح ذلك:

1- مقابلة د. عمار طاهر محمد, سبق الاشارة اليها.

2- مقابلة ا/حسن عبد الله سالم. سبق الاشارة اليها.

4- التحول السياسي الرابع: شهد النظام السياسي العراقي 2003_2022 تحولا رابعا تمثل بصدور الدستور العراقي الدائم لسنة 2005, ليحل محل قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية لسنة 2004, واستمر سريان دستور 2005 طيلة فترة دراستنا 2003_2022 ولا توجد بوادر لأجراء تعديلات على مواده او فقراته بسبب صياغته التي صُيغت لضمان عدم تعديله الا بتوافق جميع الاحزاب والقوى السياسية التي اعدته تحت مظلة المحتل _الامر الذي يعد من المستحيلات_ مما يُنبأ ان هذا الدستور غير قابل للتعديل الا في حالتي التعليق او الالغاء عند تغيير كلي للنظام السياسي السائد في دراستنا 2003_2022 والحاكم في العراق. وقد جاء هذا الدستور نتيجة لانتخاب الجمعية الوطنية العراقية في 2005/1/31، وتشكيل أول حكومة انتقالية في 2005/4/28، وجرى فيها الاستعداد لتشكيل جمعية تأسيسية لكتابة الدستور، وفي 2005/8/28 تم تقديم المسودة النهائية للدستور إلى الجمعية الوطنية وإقرارها، بعد اجراء التعديل عليها، ونالت المسودة 78% في استفتاء شعبي عام في 2005/10/15، واثارت هذه النسبة موجة من الغضب لدى اغلب افراد الشعب العراقي الغير متحزب كون ان احد فقرات الدستور تنص على ان لا يعترض علية ثلثي المستفتيين في ثلاث محافظات الا ان النتائج التي اعلنت اكدت ان محافظتي صلاح الدين والانبار هي فقط من حققت الثلثين الرافض للدستور, فيما ان هناك محافظات اخرى اثير حولها وخاصة محافظة نينوى التي كان من المتوقع ان لم يكن المؤكد ان توفر التصويت الثالث والحاسم ب(لا) حيث كان من الممكن رفض ذلك الدستور. وعلى إثرها تم اقرار الدستور العراقي الدائم لسنة 2005 واجريت الانتخابات التشريعية كنتيجة لما نص الية هذا الدستور في 2005/12/15، وتم تشكيل مجلس النواب العراقي وتشكيل الحكومة العراقية, ولم تضيف هذه التحولات في السلطات العراقية المتعاقبة بعد استلامها السلطة من الحاكم المدني وصلان الى السلطات التي انبثقت عن دستور 2005 أي جديد بشان النظام الصحفي والاعلامي العراقي بل اتخذت اجراءات اكثر شدة لترويض ذلك النظام لمصلحة باقي السلطات وخاصة الحكومية منها.[360] جدير بالذكر أن كتابة الدستور تمت بعد تشكيل جمعية تأسيسية لجنة صياغة الدستور من 55 عضواً ، وأضيف لها 15 عضواً آخرين لتصبح 70 عضواً لتسمى فيما بعد هيئة صياغة الدستور. وقد وضح الدستور العراقي الدائم لعام 2005، في مادته الاولى شكل الدولة، وطبيعة النظام السياسي ونوعه حيث وصف جمهورية العراق بانها دولة مستقلة اتحادية واحدة ذات سيادة كاملة، نظام الحكم فيها جمهوري نيابي برلماني ديموقراطي اتحادي، وان هذا الدستور ضامن لوحدة العراق,وبرزت ملامح هذا الدستور في

---

[360]() اتفق في ذلك:

1- مقابلة د. اكرم فرج الربيعي. سبق الاشارة اليها.
2- مقابلة ا/حسن عبد الله سالم. سبق الاشارة اليها.
3- مقابلة د. جاسم الحلفي. سبق الاشارة اليها.
4- مقابلة ا. خضر خلف شهاب الدليمي.سبق الاشارة اليها.
5- مقابلة د. عمار طاهر محمد, سبق الاشارة اليها.
6- مقابلة د. سهام حسن علي الشجيري سبق الاشارة اليها.
7- مقابلة د. محمود عزو حمدو. سبق الاشارة اليها.

التحول السياسي الرابع في النظام السياسي العراقي بعد 2003 حيث اتضحت هذه الملامح عبر الانتخابات التشريعية التي جرت في 2005/12/15 ، وتشكيل مجلس النواب، وإفراز حكومة دائمة لأربع سنوات. [361]

5- التحول السياسي الخامس: يعد الحراك الشعبي المتمثل بالتظاهرات والاحتجاجات الجماهيرية التي برزت في العراق خلال فترة دراستنا 2003_2022 والتي كانت قد تشكلت نواتها منذ شباط 2011, حيث اجبرت الحكومة للتوسل الى الجماهير لمنحها مائة يوم لتتمكن من من تحقيق مطالب المحتجين الا ان الحكومة استفادة من امتصاص غضبة الجماهير في تلك المهلة والتقطت انفاسها دون تحقيق مطالب المحتجين. واستمر هذا التحول المهم في النظام السياسي العراقي بعد 2003 على مدى سنوات عدة على الرغم من الاحداث الارهابية التي عصفت بالعراق والتي فقد بسببه السيطرة على ثلث الاراضي العراقية لمصلحة المجاميع الارهابية, الا ان هذا التحول السياسي تكلل بانتفاضة تشرين الاول (اكتوبر) 2019 وما افرزت من نتائج هزت للمرة الاولى النظام السياسي العراقي الجديد بعد 2003 واجبرت احزاب هذا النظام وقواه السياسية على اجراء اصلاحات رغم الالتفاف على معظمها الا انها تعد نقطة التحول الاهم حيث استقالة الحكومة وهي سابقة لم يشهدها النظام السياسي الجديد رغم كل الماسي التي شهدها العراق, واجبر البرلمان على اقرار قوانين مهمة واعلان انتخابات مبكرة وتعهد بحل نفسة قبل اجراءها, ويعد اهم تحول في التحولات السياسية التي شهدها النظام السياسي العراقي بعد 2003, كون ان هذا التحول يمثل الارادة الشعبية الحقيقية المعبرة عن ارادة الشعب العراقي في تطلعاته للخلاص من هيمنة ودكتاتورية الاحزاب والقوى السياسية الساعية لتحقيق مصالحها الفئوية على حساب المصلحة العامة للبلد.[362] وقد استغل هذا التحول السياسي من قبل الجهات النافذة بمختلف مسمياتها الحزبية والطائفية والعرقية في تسقيط بعضها البعض بداعي المناصرة او الضد من هذا الحراك كل بحسب مصالحة, مما ولد واثار خطاب الكراهية بشكل ملفت للنظر في وسائل الاعلام العراقية. [363]

---

[361]() اعتمد الباحث على:

1- عبد العظيم جبر حافظ.2007. التحول الديموقراطي في العراق الواقع والمستقبل. رسالة ماجستير مقدمة لقسم النظم السياسية والسياسات العامة, كلية العلوم السياسية, جامعة النهرين.ص118.
2- دستور جمهورية العراق.2005/12/28.جريدة الوقائع العراقية بالعدد 4012في 2005/12/28. ص1.
3- عبد العظيم جبر حافظ. مرجع سابق.

[362]() اتفق في ذلك:

1- مقابلة د. اكرم فرج الربيعي. سبق الاشارة اليها.
2- مقابلة ا/حسن عبد الله سالم. سبق الاشارة اليها.
3- مقابلة د. جاسم الحلفي. سبق الاشارة اليها.
4- مقابلة ا. خضر خلف شهاب الدليمي. سبق الاشارة اليها.
5- مقابلة د. عمار طاهر محمد, سبق الاشارة اليها.
6 مقابلة د. سهام حسن علي الشجيري سبق الاشارة اليها.
7- مقابلة د. محمود عزو حمدو. سبق الاشارة اليها.

[363]() اشار الى ذلك:

1- مقابلة د. محمود عزو حمدو. سبق الاشارة اليها.

ان هذا التحول السياسي المهم قد ساهم بتطور النظام الصحفي والاعلامي العراقي تطورا ملحوظا,[364] وقد يعد الاهم من بين التحولات السياسية التي ساهمت بتطور النظام الصحفي والاعلامي في العراق بعد 2003 من خلال ادخال استخدامات وسائل الاعلام الجديد (New Media) و (Social Media) للجمهور العراقي كوسيلة صحافة واعلام تضاف الى وسائل الصحافة والاعلام التقليدية التي سبقتها.[365] اضافة الى محاولة سلطات النظام السياسي الجديدة بعد 2003 المتكررة مع اتساع كل تظاهرات و احتجاجات شعبية للتلويح و التهديد بإصدار قانون الجرائم المعلوماتية المهددة لحرية الصحافة الراي.

2- مقابلة د. عمار طاهر محمد, سبق الاشارة اليها.

[364]() اتفق في ذلك:

1- مقابلة د. اكرم فرج الربيعي. سبق الاشارة اليها.

2- مقابلة ا/حسن عبد الله سالم. سبق الاشارة اليها.

3- مقابلة د. جاسم الحلفي. سبق الاشارة اليها.

4- مقابلة ا. خضر خلف شهاب الدليمي. سبق الاشارة اليها.

5- مقابلة د. عمار طاهر محمد, سبق الاشارة اليها.

6- مقابلة د. سهام حسن علي الشجيري سبق الاشارة اليها.

7- مقابلة د. محمود عزو حمدو. سبق الاشارة اليها.

[365]() اوضح ذلك:

1- مقابلة د. محمود عزو حمدو. سبق الاشارة اليها.

مستقبل الصراع في إقليم ناغورني كاراباخ بعد حرب عام ٢٠٢٠ في ظل العوامل الإقليمية والدولية

The Future of the Conflict in Nagorno-Karabakh After the 2020 war In light of regional and international factors

حوراء حسين كريم *أ.د محمد منذر جلال*

الدراسات الدولية/كلية القانون والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية/الجامعة العراقية

الملخص:

تمثل جنوب القوقاز منطقة ذات أهمية استراتيجية كونها تتمتع بموقع فريد على خريطة العالم، ويسكن المنطقة أعراق وطوائف دينية متنوعة مما عرضها لتركيز عالي من الصراعات المشحونة والنشطة والعديد من المشاكل الحدودية، إذ تعاني المنطقة من عدم الاستقرار والنزاعات المجمدة القائمة على أراضيها، فضلات عن أنّها مركز متصادم ومتضارب بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وتركيا وإيران، إذ إنّ نفوذهم مترابط مع إبراز الدور الرئيسي لروسيا والولايات المتحدة الأميركية، وتُعدُّ قضية أمن الطاقة ونقل الموارد عبر جنوب القوقاز عنصر أساسي في تضارب مصالح اللاعبين الكبار، وهناك عامل أخر وراء العلاقات المعقدة في المنطقة هو توجه سياستها الخارجية متعددة الاتجاهات ومصالحها المتنافسة.

الكلمات المفتاحية: إقليم ناغورني كاراباخ، مستقبل الصراع في جنوب القوقاز، حرب الأسابيع الستة عام ٢٠٢٠.

Abstract:

The South Caucasus represents a strategically important region as it enjoys a unique location on the world map, and the region is inhabited by diverse ethnicities and religious sects, which exposed it to a high concentration of charged and active conflicts and many border problems, The region suffers from instability and frozen conflicts on its territory, as a collision and conflicting center between Russia, the United States of America, the European Union, Turkey and Iran, as their influence is interconnected with highlighting the key role of Russia and the United States of America, The issue of energy security and the transfer of resources across the South Caucasus is a key element of the conflict of interest of the major

players, and another factor behind the region's complex relations is its multidirectional foreign policy orientation and competing interests.

Keywords: Nagorno-Karabakh, the future of the conflict in the South Caucasus, the Six Weeks War in 2020.

المقدمة:

يقع إقليم ناغورنو كاراباخ المتنازع عليه في الجزء الجنوبي الشرقي من جمهورية أذربيجان، تبلغ مساحته حوالي ٤٨٠٠ كلم، وعاصمته ستيبانكبرت، يتميز الإقليم بطبيعته الجغرافية الجبلية، مع وجود مجموعة من الانهار التي تستخدم مياهها للري وتوليد الطاقة الكهرومائية، على الرغم من قلة موارده الاقتصادية إلاّ أنّه يشكل أهمية جيواستراتيجية بموقعه وهذا ما جعله دائمًا مطمعًا للجميع والسعي للسيطرة عليه مما أخضعه لفترات تاريخية طويلة من الاحتلال، وشهد الإقليم عددًا كبيرًا من الحروب والتنقلات وعمليات هجرة ونزوح بين السكان، لذا فليس مستغربًا في التاريخ الديموغرافي للإقليم أن تكون إحدى الجماعات العرقية هم الأغلبية في قرن وفي قرن آخر أقلية.

أنهى وقف إطلاق النار الذي توسطت فيه روسيا القتال لكنه ترك ناغورني كاراباخ دون سلام مستقر، فضلًا عن أنّ حرب عام 2020 غيرت الحقائق الأرضية إلى حد كبير لصالح أذربيجان، إلاّ أنّها لم تفعل الكثير لحلّ الوضع السياسي لناغورني كاراباخ، وفي الوقت نفسه يقوم الجانبان بحفر خنادق وبناء تحصينات جديدة على طول خطوط أقرب إلى بعضهما البعض أكثر من أيّ وقت مضى وغالبًا على مرأى من المستوطنات المدنية، ومن المرجح أن يتسبب تجدد التصعيد في وقوع إصابات بين الجنود والمدنيين أكثر من تلك التي كانت في الفترة التي سبقت الحرب.

أهمية الدراسة

اكتبست الدراسة أهمية تسليط الضوء على جانب أصبح سائدًا في العلاقات الدولية، وهو الصراع على إقليم ناغورني كاراباخ، فضلًا عن بتخلي الدول المعنية سعيها عن إيجاد الحلول السياسية للأزمة، أو تركها للتفاعلات الذاتية من دون تدخل إلاّ عند الضرورة، أو التأخير في مواجهة المشكلات حتى يصبح التدخل العسكري اضطراريًا لأطراف الصراع، وهذا يؤدي إلى إنّ يكون الصراع خيارًا جاهزًا لتلك الدول لتحريكها بحسب الوضع المستجد وتأثيرها على مواقف المراكز الإقليمية والدولية ذات الصلة، فضلًا عن ما تحتويه الدراسة من أهمية كبيرة كونها تحاول معالجة موضوعًا مهمًا في مواضيع الصراعات الإقليمية وآثارها على استقرار منطقة الدول المعنية بالصراع.

هدف الدراسة

تهدف الدراسة إلى التعرف على عمق الأثر الذي تركه الصراع الأرميني الأذري حول إقليم ناغوري كاراباخ، فضلًا عن مستقبل الإقليم بعد الحرب الأخيرة.

إشكالية الدراسة

تنطلق إشكالية الدراسة من سؤال (ما هو مستقبل إقليم ناغورني كاراباخ في ظل صراع الأطراف نتيجة اختلافهم في الأسباب والابعاد والأهداف المنشودة)؟

فرضية الدراسة

انطلقت الدراسة من فرضية مفادها، (أنّ الصراع في إقليم ناغورنو كاراباخ له جذوره التأريخية والتي تتجدد مع تجدد المصالح السياسية والاقتصادية للأطراف المحيطة بهذا الإقليم، وهو ما يفسر دخولهم اصطفافات الحرب الأخيرة إذ أنتجت تداعيات سلبية على مجمل منطقة جنوب القوقاز، فضلًا عن ذلك أصبح مستقبل الإقليم غامضًا إلى درجة كبيرة).

منهجية الدراسة

من أجل يتم تغطية موضوع الدراسة تمّ الاعتماد على المدخل الاستشرافي للتوصل إلى الرؤية المستقبلية حول وضع إقليم ناغورني كاراباخ.

الدراسات السابقة

Tadevosyan.M, (2021), the concepts of victory and defeat in the recent Nagorno-Karabakh war. The narrative of the Armenian side, George Mason University, Annual World Convention of the Association for the Study of Nationalities.

ركّزت الباحثة في هذه الدراسة على حرب كاراباخ الثانية التي استمرت 44 يومًا في خريف 2020، وكيف غيرت بشكل كبير المشهد السياسي والاجتماعي في المنطقة، بهذه الرسالة تمّ تحليل هزيمة الجانب الأرمني، وتسليط الضوء على مشاركة وسائل الإعلام التقليدية ووسائل التواصل الاجتماعي في سرد القصص بشكل نشط والتطور السردي الذي يدعم مواقف هذا الجانب أو الآخر، ولكن كان الاختلاف واضحًا لما توصلت إليه فقد قمت بذكر حرب كاراباخ الثانية وكيف قلبت موازين القوى مع ذكر أسباب الانتصار الاذربيجاني والهزيمة الأرمنية، فضلًا عن إعطاء النسب التقديرية للمعدات العسكرية لكلا الجانبين، والرجوع إلى الجذور التاريخية للصراع مع إعطاء نظرة مستقبلية لوضع الإقليم، تمثلت نتائج الدراسة بأنّ غالبية السكان الأرمن يعتقدون أن الحرب لم تنته بعد، خصوصًا لما تعيشه البلاد من حالة عدم الاستقرار السياسي في البلاد، والمعلومات المتضاربة المتوفرة من خلال وسائل الإعلام المحلية والخارجية على نطاق واسع بما في ذلك المعلومات التركية والأذربيجانية، وإنّ هذا الوضع سيدعم بالتأكيد عسكرة أقوى للبلاد.

Waal.T.D, (2021), In the South Caucasus, Can New Trade Routes Help Overcome a Geography of Conflict? Carnegie Endowment for International Peace.

تطرق الكاتب إلى أنّ الحرب الأخيرة بين أرمينيا وأذربيجان غيرت خريطة جنوب القوقاز بشكل كبير، إذ كان للقتال تكلفة بشرية فادحة ولم تحسم الخلافات السياسية الكبرى بينهم، ومع ذلك فتحت نتيجة الصراع آفاقًا وروابط تجارية جديدة وتعاونًا اقتصاديًا عبر المنطقة لأول مرة منذ جيل، تمثل الاختلاف لما توصلت إليه فقد لم أقتصر على التجارة الاقتصادية في المنطقة ولكن ذكرت أهمية فتح القنوات الاجتماعية ما بين البلدين لتمكنهم من إعادة العلاقات عبر روابط السلام والسعي بجهودهم لتجاوز الصراع والالتفات إلى مستقبل زاهر، وعدم ضياع فرصة المشاريع الإقليمية المستقبلية التي تشمل جميع الدول القوقازية الثلاث لأنّها تزيد من الترابط والتعاون الإقليميين، انتهت الدراسة بنتيجة مفادها أنّ الفوائد الاقتصادية تمتد لفتح طرق النقل المغلقة في جنوب القوقاز، وحسب النقطة التاسعة من إتفاقية وقف إطلاق النار لعام 2020 سيتم إلغاء حظر جميع الاتصالات الاقتصادية والنقل في المنطقة وقد ينعكس ذلك إيجابيًا على ديناميكيات الصراع هناك.

تمهيد

عززت أذربيجان وفقًا لاتفاق وقف إطلاق النار مكاسبها الإقليمية في المقاطعات الجنوبية الأربع المحيطة بناغورني كاراباخ (فضولي، جبرائيل، زانجيلان، جوبادلي) وكذلك أجزاء من إقليم كاراباخ (مداغيز، هادروت، شوشا)، ووافقت أرمينيا على الانسحاب من المقاطعات الثلاث (كالباجار، أغدام، لاشين) ونقلت هذه المناطق إلى أذربيجان بحلول الأول من ديسمبر من عام ٢٠٢٠، وفي الوقت نفسه تمّ نشر وحدة حفظ السلام الروسية على خط التماس وعلى طول ممر لاتشين، واستبدال القوات العسكرية الأرمينية وعتادها بقوات حفظ سلام روسية.(366)

ومن الناحية القانونية، لا يذكر الاتفاق أيّ شيء عن الوضع المستقبلي للكيان الأرميني الانفصالي، وقال وزير الخارجية الروسي (لافروف) إنّ الوضع "لم يتحدد" هذا يعني أن قرارات مجلس الأمن الدولي التي تؤكد وحدة أراضي أذربيجان تبقى سارية المفعول، وقد صرح الرئيس (بوتين) بنفسه أنّه من وجهة نظر القانون الدولي فإن ناغورنو كاراباخ والمناطق المجاورة لها معترف بها على أنها "جزء لا يتجزأ من جمهورية أذربيجان"، يبدو أن حق الأرمن المحليين في تقرير المصير مشكوك فيه كما هو الحال مع أيّ مقارنات في كوسوفو، لذلك سيتمتع الأرمن الإثنيون بنفس الحقوق التي تتمتع بها مجموعات الأقليات العرقية الأخرى في أذربيجان، بما في ذلك مجموعة كاملة من الحقوق الثقافية واللغوية.(367)

366() Emerson.M, (2020), Beyond Frozen Conflict Scenarios for the Separatist Disputes of Eastern Europe, Centre for European Policy Studies, Brussels, p206.

367() Guliyev.F, (2020), The End of the "Nagorno-Karabakh" Region, global Policy, ADA University, Baku, p1.

وبعد مرور عامين، ومنذ أن أوقفت أرمينيا وأذربيجان حربهما على ناغورني كاراباخ، وعلى الرغم من سيطرة أذربيجان على أغلب مناطق ناغورني كاراباخ، لكن لا تزال هناك أسئلة أساسية حول من سيقدِّم الأمن والخدمات لسكان المنطقة، وكيفية إدارة المساعدات الإنسانية وما إذا كان وقف إطلاق النار سيصمد، لذلك تم التطرق الى ثلاث مشاهد مستقبلية لبناء أحتمالات مستقبلية للصراع في ناغورني كاراباخ، مع تحديد المدى الزمني للمستقبل من خمس إلى عشر سنوات.

خارطة (١) الحدود الجديدة بعد حرب ناغورنو كاراباخ الأخيرة لعام ٢٠٢٠

ومن خلال اللجنة الحدودية الجديدة التي تشكلت، أوضحت هذا الخارطة ما توصلت إليه الأطراف المتنازعة.

Sources: Calhoun.A.G, (2022), Armenia AndAzerbaijan Establish Border Commission to Decide Nagorno-Karabakh's Future, The Organization for World Peace, https://images.app.goo.gl, Date of Visit 2022/7/5, 2:00pm.

المحور الأول

مشهد الاستمرار في تصعيد الصراع

تُعدُّ حرب ناغورنو كاراباخ واحدة من أطول الحروب العرقية في الاتحاد السوفيتي سابقًا والتي لديها تعقيد داخلي واسع، وهي من بين الأزمات التي تتأثر بالعوامل الجيوسياسية والثقافية والدينية والتاريخية، إذ تشمل العوامل الجيوسياسية (وجود حدود محدبة، ووجود منطقة عرقية، وشبكة المياه، وانعدام الشرعية والحدود المقوضة)، بينما تشمل العوامل الثقافية والتاريخية والسياسية (المشاعر السلبية التاريخية للأرمن، والنهج الإقليمية المتناقضة للأذربيجانيين والأرمن، والسياسات التمييزية ضد بعضهم البعض، وسياسات الدول السوفيتية بشأن الأعراق)، أدناه سيتم مناقشة العوامل الجيوسياسية بإيجاز، لتوضيح أسباب تشكيل الأزمة:-(368)

الحدود المحدبة: حدود أذربيجان المتاخمة لجمهورية أرمينيا لها منحنى، وأن المحافظة على سلامة هذه الحدود هو أكثر صعوبة من الحدود السلسة دون نتوء أو فجوة، لذلك يسبب هذا التحدي ضعفًا استراتيجيًا لأذربيجان في الحفاظ على آمن حدودها، لذلك تُعدُّ حدود هذين البلدين في هذه المنطقة من بين أسوء أنواع الحدود السياسية بين الدول، لأنّها في الأساس هي جبلية ولها العديد من الشقوق والتحدب والخدوش، مما يتسبب هذا العامل الجيوسياسي المستقر في صراع طويل بين هاتين الجمهوريتين، وكانت هذه القضية دائمًا مصدر قلق لجمهورية أذربيجان.

وجود منطقة عرقية: يعتقد العديد من العلماء أن القرن الحادي والعشرين مثل القرن السابق سيكون ساحة للصراعات العرقية، ومن المرجح في المستقبل توسيع الأزمات العرقية والأثنية وسيواجه النظام الدولي الصراعات السياسية والأمنية والاضطرابات، تضم منطقة القوقاز حوالي 50 مجموعة عرقية مع العديد من الاختلافات والأديان المتنوعة، لذلك لديها امكانيات كبيرة لحدوث صراعات وأزمات عرقية بصورة مستمرة.

شبكة المياه: تُعدُّ شبكة المياه من بين العوامل الطبيعية الأخرى التي كانت لها أدوارًا مختلفة خلال التاريخ، منذ الحرب العالمية الثانية كان لشبكة المياه دور رادع ولكن بسبب التقدم التكنولوجي أصبح للأنهار دور مختلف ذات أهمية جيوسياسية معينة، في المقام الأول جميع الشكاوى التي أرسلها الأرمن إلى الحكومة المركزية حول القضية التي اشتكى فيها سكان كاراباخ من إنّهم لا يستفيدون من مياه كاراباخ، فضلًا عن ذلك أن الأنهار في أذربيجان تعبر جبال كاراباخ وتتسبب بالسيطرة على الأوضاع المهمة في كاراباخ.

368() Ebrahimi.S and Others (2020), The Future of the Role of Russia and Turkey in Karabakh Conflict from the Perspective of Decision Theory, International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences, University of Isfahan- Department of Political Science, Iran, No.1, p244-245.

يوجد في منطقة جنوب القوقاز وتحديدًا ناغورني كاراباخ، لاعبون متعددون يلعبون أدوارًا مهمة، إذ يعود سبب وجودهم إلى جود العديد من الصراعات العرقية في هذه المنطقة وأبرزها صراع ناغورني كاراباخ، وعليه سيتم التحقيق في دور روسيا كواحدة من أهم اللاعبين في هذا الصراع، ومن ثم مناقشة دور تركيا في هذا الصراع:-(369)

لا تزال روسيا القوة السياسية المتنافسة مع الغرب من أجل الحفاظ على مملكتها الخاصة عن طريق تقليل دور الولايات المتحدة المتمثل بحلف الناتو في منطقة القوقاز، تُعدُّ روسيا نفسها وريث السوفييت وأنّها أعظم دولة تلعب دورًا في صراع ناغورني كاراباخ وتسعى للحفاظ على وجودها، وأن الصراع في ناغورني كاراباخ جعل العلاقات الروسية مع الجمهوريات المستقلة حديثًا معقدة وعرض أستقرار المنطقة للخطر، علاوة على ذلك فإنّ روسيا هي اللاعب الأكبر في المنطقة الذي يحاول تحقيق مصالحه الخاصة من خلال التحريض على الاختلافات العرقية والثقافية، وإنّ المسؤولون الروس سعداء بهذا التحريض من أجل المحافظة على سلطتهم الخاصة، إذ كان لستالين دور رئيسي بسياسة تفكيك الهويات وتشتيت الأعراق في القوقاز وخاصة إقليم ناغورني كاراباخ، وبهذه الطريقة حاول إلاّ يسمح لأذربيجان بأيّ صلة جغرافية مع تركيا، وسعى أيضًا إلى وضع ناغورني كاراباخ ذات الأغلبية الأرمنية تحت حكم أذربيجان، ووضع ناخشيفان ذات الأغلبية الأذربيجانية تحت حكم أرمينيا، إذ كان هذا الأمر يكفي لإشعال نار الفتنة وتأجيج الصراع بين الاذريين والأرمن، وكل ذلك يصب في مصلحة موسكو.

تركيا: أصبحت تركيا بعد حرب عام ٢٠٢٠ من اللاعبين المهمين في ناغورني كاراباخ، تتطور أهداف تركيا ومصالحها على أساس القضايا الاقتصادية والطاقوية، إذ كان لديها رغبة في استغلال موارد الطاقة في منطقة القوقاز واستكشافها وتعدينها وتحديد خطوط نقل الطاقة خارج المنطقة، وفي هذا السياق ستزيد تركيا من نفوذها الاقتصادي ودوافعها العسكرية والأمنية والأيديولوجية أو تعزيز القومية التركية في القوقاز، أن التأكيد على أهمية الدور التركي في منطقة القوقاز من أجل الاندماج الكامل في المجتمع الأوروبي والغربي، إذ يُعدُّ أستقلال أذربيجان وسلامتها الإقليمية في كاراباخ وتقليل النفوذ الروسي في القوقاز، هي فرصة لتحقيق أهداف تركيا وتوضيح موقفها بشكلٍ دقيق.

يلاحظ أنّه لا يوجد أيّ طرف من أطراف الصراع لديه خطة طويلة الأجل للوضع في ناغورني كاراباخ: إذ أن أرمينيا مشغولة بالأزمة السياسية الداخلية التي أعقبت استسلامها في الحرب فضلًا عن دعوات الجميع إلى علاقات أوثق مع روسيا لتأملهم من المساعدة بالحفاظ على الوضع الراهن في كاراباخ وتوفير ضمان أمني للمناطق المأهولة بالأرمن في المنطقة، أمّا أذربيجان فأعلنت عن حل النزاع وتخطط لدمج بقية المناطق المأهولة بالأرمن في كاراباخ تدريجيًا تحت حكم باكو المباشر لكنها لم توضح كيف يمكن فعل ذلك في وجود قوات حفظ السلام الروسية، في حين ستيباناكيرت

369() Marsili.M (2021), The Nagorno-Karabakh Conflict: A Legal Conundrum, Military Academy Research Center (CINAMIL), Military University Institute (CIDIUM), p4.

مشغولة جدًا بالتعامل مع أزمات ما بعد الحرب إذ تقلص اقتصادها إلى ربع حجمها السابق ولم تُعدُّ الزراعة التي كانت ثاني أكبر قطاع توظيف بعد الجيش مستدامة لأنّ ما يقرب نصف الأراضي الزراعية في كاراباخ أصبحت تحت سيطرة باكو، لذلك تتزايد الاتهامات بين أرمينيا وأذربيجان بشأن القضايا التي لم تحل، فضلًا عن إنّهم فشلوا في تسوية الأمور الأكثر إلحاحًا بعد الحرب (من إطلاق سراح أسرى الحرب، إلى احتجاز المناطق الملغومة، ووصول منظمات الإغاثة الدولية إلى منطقة النزاع) وأصبحت كل قضية ورقة مساومة سياسية، وأخيرًا كانت المناوشات في عام 2021 و٢٠٢٢ على الحدود بين أرمينيا وأذربيجان دليلًا صارخًا للحاجة إلى المشاركة الدبلوماسية في قضايا ما بعد الصراع مباشرة.(370)

خلقت حرب آرتساخ لعام 2020 تحديات جديدة وفاقمت الأسئلة التي لم تتم الإجابة عليها حول مستقبل العلاقات الإقليمية ووضع آرتساخ، وفي أعقاب وقف إطلاق النار الذي توسطت فيه روسيا في نوفمبر 2020 والذي أنهى حرب كاراباخ الثانية، وعلى الرغم من وجود قوات حفظ السلام الروسية على الأرض لكن لا تزال الاشتباكات العسكرية المستمرة على حدودي كاراباخ وأرمينيا، إلى جانب النزوح الجماعي وانعدام الأمن الاقتصادي والمادي، ومع تعزيز الأرمن والأذريين لمواقفهم على طول الخطوط الأمامية المنشأة حديثًا، أصبحت انفجارات العنف شائعة، لذلك على المدى الطويل ستظل أرمينيا متأثرة بالتغيرات التي تطرأ على البيئة الجيوسياسية الإقليمية، أذربيجان المنتصرة ولكنها لا تزال هجومية شدة، وجورجيا التي تسعى جاهدة من أجل الحياد ولكنها لا تزال متشابكة بعمق مع أذربيجان وتركيا وتعتمد عليهما اقتصاديًا، وإيران وتركيا متورطتان في تحديات محلية هائلة.(371)

مع تعرض الكثير لصدمات نفسية فإنّ المناخ ليس مؤاتيًا للحوار اللازم لحلّ مشاكل ما بعد الحرب، ناهيك عن مسألة وضع ناغورني كاراباخ التي تكمن في قلب الصراع، منذ الحرب كانت أرمينيا في أزمة سياسية في ليلة وقف إطلاق النار في 9 نوفمبر 2020 أقتحم الغاضبون المباني الحكومية واختبأت شخصيات الحزب الحاكم، إذ يلقي السياسيون باللوم على الخسائر في زمن الحرب ويتعهدون بالمستقبل من خلال علاقات أوثق مع روسيا كضمان أمني، أمّا في باكو على النقيض من ذلك، إذ قال الرئيس الأذربيجاني بأنها حرب عادلة، فضلًا عن أن الحصول على المزيد من المساعدات إلى المناطق المتضررة من النزاع أمر بالغ الأهمية، إذ لا تمتلك ستيباناكيرت ولا يريفان الموارد اللازمة للتعامل مع فوضى ما بعد الحرب وحدها مما يهدد بأزمة إنسانية طويلة الأمد وتشريد الناس على المدى الطويل، لذلك يمكن لوكالات الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية المساعدة في تحمل عبء مساعدة النازحين، إذ أن المنظمة الدولية الوحيدة العاملة في ناغورني كاراباخ هي اللجنة الدولية للصليب الأحمر الموجودة هناك منذ التسعينيات.(372)

370() Post-war Prospects for Nagorno-Karabakh (2021), International Crisis Group, Europe Report, p3-4.

371() Call for Research: Future of Karabakh identity and security, (2021), USC Dornsife Institute of Armenian Studies, https://www.Armenian.usc.edu, Date of visit 2022/7/1, 9:00pm.

372() Russell.M (2020), Russia in the southern Caucasus, European Parliamentary Research Service (EPRS), p1.

أن عدم وجود مصدر دخل موثوق به، سوف يعرض ناغورنو كاراباخ للاستنزاف، خاصة وأن سلطات الأمر الواقع ستشعر على الأرجح بأنها مضطرة لتقديم المساعدات للأفراد العسكريين الذين تركتهم الحرب وأسر القتلى، خصصت أرمينيا أكثر من نصف ميزانية المنطقة في السنوات الأخيرة، وقد تشعر بأنها مضطرة إلى زيادة دعمها المباشر لأجزاء ناغورنو كاراباخ التي لا تخضع الآن للسيطرة الأذربيجانية، على الرغم من أنّه من الصعب تخيل مدى ضائقة السيولة لأرمينيا وانها ستكون غير قادرة على فعل الكثير، ولا يبدو أن روسيا تخطط لتحمل الكثير من هذا العبء بخلاف زيادة بعض الدعم للمنظمات الدولية العاملة في المنطقة مثل الصليب الأحمر.(373)

بعد شهر واحد من دخول إتفاقية وقف إطلاق النار حيز التنفيذ في ناغورني كاراباخ، لا يزال مئات الآلاف من الناس متضررين بشدة في جميع أنحاء المنطقة، ومن المتوقع أن تزداد الاحتياجات الإنسانية سوءًا خلال فصل الشتاء، تسبب تصعيد الخريف عام ٢٠٢١ في دمار وقتل وجرح مدنيون ودمرت مئات المنازل والبنى التحتية الحيوية، ولا تزال الأسلحة غير المنفجرة في المناطق المأهولة بالسكان مما يشكل تهديدًا للحياة والأطراف، في دورها كوسيط محايد تدعم اللجنة الدولية للصليب الأحمر الجانبين في تنظيم مثل هذه العمليات، لقد كانت حاضرة إلى جانب قوات حفظ السلام الروسية في العشرات من عمليات الإنقاذ إذ يدخل الجانبان ساحة المعركة لاستعادة الرفات من الخنادق والحقول، هدفها هو تسهيل التواصل بين الجانبين لمساعدة هذه العمليات على المضي قدمًا بأسرع ما يمكن وبسلاسة لزيادة فرصة العثور على الجثث، إذ يعتمد وجودها على وجود الضمانات الأمنية اللازمة لفريقها للقيام بعملهم.(374)

ستواصل اللجنة الدولية للصليب الأحمر دعم ضحايا هذا الصراع في المنطقة، بالتعاون مع الصليب الأحمر الأرمني والهلال الأحمر الأذربيجاني، إذ تقوم فرقها بتقييم الاحتياجات الإنسانية وتبذل قصارى جهدها للوصول إلى الأشخاص المحتاجين إلى المساعدة، تشمل بعض الاحتياجات والشواغل الإنسانية الرئيسية:-(375)

دعم أسترجاع الجثث ونقلها إلى جانب، وتتبع الأشخاص المفقودين، والوصول إلى جميع أسرى الحرب والمدنيين وتبادل رسائل الصليب الأحمر/إقامة اتصالات عائلية.

الإمدادات الغذائية والشتوية للنازحين أو العائدين إلى ديارهم بعد النزوح، دعم المأوى والتدفئة وإصلاح المباني ومرافق النظافة والمياه النظيفة.

373() Improving Prospects for Peace after the Nagorno-Karabakh War, (2020), International Crisis Group, Brussels, p12.

374() Nagorno-Karabakh conflict: Operational Update December 2020, (2020), International Committee of the Red Cross ICRC, https://www.icrc.org, Date of Visit 2022/7/2, 5:40 pm.

375() Nagorno-Karabakh Conflict, (2020), https://www.tass.com, Date of Visit 2022/7/2, 6:02 pm.

تلقى 15 مستشفى ومرفقًا طبيًا إمدادات طبية، بما في ذلك الأدوية ومجموعات لعلاج المرضى المصابين، فضلًا عن مواد النظافة و١٢ مقبس إمداد بالأكسجين مثبتة في جناح علاج كوفيد-19.

تم توزيع 300 مجموعة من الستر الطبية على السلطات الصحية، وتوزيع 42 مجموعة إسعافات أولية، تلقت 723 أسرة دعم الصحة العقلية إذ تمّ تدريب 45 متطوعًا مجتمعًا على إجراء جلسات نفسية واجتماعية طارئة للأطفال والشباب.

كما أن مستقبل مجموعة مينسك التابعة لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، لحرب ناغورنو كاراباخ ليس واضحًا، إلى جانب الرؤساء المشاركين الثلاثة (فرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأميركية) تضم المجموعة ثمانية أعضاء دائمين: تركيا وبيلاروسيا وألمانيا وإيطاليا والسويد وفنلندا، فضلًا عن أرمينيا وأذربيجان، قالت روسيا وهي الأكثر مشاركة بين الرؤساء المشاركين إنها تريد مشاركة مجموعة مينسك في حل الوضع في ناغورني كاراباخ لكنها لم تحدد كيف، وانتهت زيارة الرؤساء الروس والفرنسيين والأمريكيين إلى باكو برفض (علييف) علنًا لقيمة المجموعة، إذ يشعر القادة الأذربيجانيون بالإحباط بشكل خاص من باريس التي يرونها لصالح أرمينيا وتزايد العداء تجاه تركيا حليفة أذربيجان.(376)

كما ذكرنا سابقًا، كانت طريقة بناء كلا الطرفين المتحاربين لقدراتهما العسكرية مختلفة، وكذلك تميزت في الابتكار والتغييرات العسكرية بين خيارات التحالف وتوظيف العقيدة العسكرية، مما كان له تأثير مباشر على الحلول التكتيكية والتكنولوجية المستخدمة خلال الحرب وعلى التطورات السياسية والخيارات الاستراتيجية التي من شأنها أن تؤثر على مزيد من التقدم في هذا الصراع، ومن المتوقع أيضًا حدوث توترات أكثر تعقيدًا في المنطقة لأنّ القرارات السياسية الوطنية ستقود الخيارات الاستراتيجية وتشكل الطريق لمزيد من القدرات العسكرية، كانت إعادة النظر في القدرات العسكرية واضحة خارج المنطقة أيضًا على سبيل المثال تدخلت أوكرانيا وبولندا وبعض الدول الأوروبية للحصول على التكنولوجيا الجوية التركية بدون طيار التي تمّ اختبارها في حرب عام ٢٠٢٠، مما تشير التطورات المستمرة في المنطقة إلى أن النتائج في الحرب الأخيرة هي ليست نتائج نهائية، وينبغي توقع المزيد من التطورات في البعد السياسي والاستراتيجي لملحمة الحرب هذه.(377)

على الرغم من وقف إطلاق النار في نوفمبر 2020 وجهود حفظ السلام، لم يتم إحراز تقدم كبير في تحقيق اتفاق سلام دائم بين أذربيجان وأرمينيا، لتأكيد نفوذها في المنطقة تكمل تركيا طواعية جهود حفظ السلام الروسية، وينخفض عدد النازحين داخليًا إذ تحافظ قوات حفظ السلام على درجة معينة من النظام في المنطقة، على الرغم من النزاع

376() Improving Prospects for Peace after the Nagorno-Karabakh War, Op.Cit. p13.

377() Bivainis.A, (2022), Multi-dimensional assessment of the Second Nagorno-Karabakh War, The Baltic Institute of Advanced Technology (BPTI), https://securityanddefence.pl, Date of Visit 2022/7/2, 10:00 pm.

المجمد لا تزال الخلافات قائمة إذ تنتهك الجماعات المسلحة المحلية الصغيرة من حين لآخر وقف إطلاق النار، وتتواصل التهديدات بين أذربيجان وأرمينيا وتؤثر سلبًا على الحريات المدنية في ناغورنو كاراباخ، حلت الحكومة الأذربيجانية محل حكومة أرتساخ السابقة لتأكيد سيطرتها على الأرض بينما يستمر الاقتصاد في النمو بمعدل تدريجي فإن الاستثمار الأجنبي المباشر محدود بسبب إمكانية إعادة تصعيد الصراع، نظرًا للطبيعة غير المحلولة للمنطقة المتنازع عليها لم تتخذ أذربيجان ولا أرمينيا مبادرة لمعالجة النظام الاجتماعي المتعثر والبنية التحتية المتداعية، مما أدى إلى ارتفاع عدد السكان الذين يواجهون تدهورًا في مستويات المعيشة وفرص العمل في المنطقة.(378)

وعليه، إن أيّ رؤية مستقبلية للتكامل الإقليمي في جنوب القوقاز مشروطة بحل ثلاثة صراعات إقليمية تعوق التنقل داخل المنطقة، وأهمها حل صراع ناغورني كاراباخ الذي يلوح في الأفق، إذ وضع هذا الصراع جدارًا لا يمكن اختراقه بين ولايتين من الولايات الثلاث في جنوب القوقاز، وهو يُعدُّ العقبة الرئيسة أمام التكامل الإقليمي في المنطقة، لأنّ الصراعات الإقليمية تحبس جنوب القوقاز باستمرار في عدم أستقرار كامن، مما يقلل من الإمكانات الاقتصادية للبلدان المنفردة والمنطقة بأسرها، لهذا السبب هناك حاجة ملحة لتسوية هذه الصراعات الإقليمية.(379)

المحور الثاني

مشهد العودة إلى الحرب

لا يزال الوضع الراهن بعد حرب عام 2020 ساريًا، وبينما تتحول التركيبة السكانية تدريجيًا لصالح أذربيجان مما يؤدي إلى أحتمال كبير بنشوب حرب جديدة بعد عام 2030، في هذا المشهد، ستوقع أرمينيا وأذربيجان اتفاقًا بشأن أستعادة الاتصالات وبدء عملية ترسيم الحدود، لكنهما تفشلان في التوصل إلى اتفاق بشأن وضع ناغورني كاراباخ، وبالنظر إلى عدم وجود اتفاق ستدعي روسيا أن قوات حفظ السلام الروسية ينبغي أن تبقى في ناغورني كاراباخ بعد نوفمبر 2025 لمنع إستئناف الأعمال العدائية، وستتفق أرمينيا وناغورني كاراباخ على هذا، وسيكون أمام أذربيجان خياران: الموافقة على تمديد تفويض قوات حفظ السلام الروسية أو المطالبة بانسحابها، لكن الخيار الأخير سيضع أذربيجان تلقائيًا في مواجهة روسيا ويخلق توترات ثنائية كبيرة، بالنظر إلى السياسة الحذرة للرئيس (علييف) فمن غير المرجح أن يختار طريق المواجهة مع روسيا.(380)

378() Atallah.Y and Others, (2021), 2021 Conflict Risk Diagnostic: Nagorno-Karabakh, p5, https://www.google.com, Date of Visit 2022/7/3, 1:00 pm.

379() Novruzlu.T (2020), The South Caucasus: A Future Vision for Development and Regionalism, Journal of Central Asia and the Caucasus, No.1, p1-2.

380() Tadevosyan.M, (2021), the concepts of victory and defeat in the recent Nagorno-Karabakh war. The narrative of the Armenian side, George Mason University, Annual World Convention of the Association for the Study of Nationalities, p28.

في غضون ذلك، قد تطالب أذربيجان بتنازلات من روسيا لموافقتها على تمديد قوات حفظ السلام الروسية، وربما ترغب أذربيجان في تنظيم وجود القوات الروسية من خلال اتفاقية ثنائية مع روسيا وبالتالي طرد أرمينيا من العملية، في هذا المشهد سيبقى مستقبل ناغورني كاراباخ في طي النسيان حتى عام 2030 على الأقل، وستستغل أذربيجان هذه الفترة لزيادة عدد الأذربيجانيين في الإقليم المتمتع بالحكم الذاتي سابقًا، إذ هناك خطط لجلب 27000 ألف أذربيجاني إلى أراضي شوشي وحوالي 30000 ألف في منطقة هادروت بحلول عام 2030، من وجهة النظر الأذربيجانية فإن الأعداد المتزايدة من الأذريين وتراجع عدد السكان الأرمن لأسباب أمنية ومستقبل غير مؤكد سيؤدي في نهاية المطاف إلى حل نزاع كاراباخ لصالح أذربيجان، وفي الوقت نفسه فإنّ التغيرات الديموغرافية في ناغورني كاراباخ ستجبر الأرمن على الرد لتأمين حدود ما بعد حرب 2020 على الأقل، قد ينظمون أستفتاء للانضمام إلى أرمينيا أو روسيا، بينما قد يوزع الروس جوازات سفر روسية لتعزيز نفوذهم، سيضمن هذا السيناريو أمانًا نسبيًا على المدى القصير إلى المدى المتوسط (من سبع إلى عشر سنوات)، لكن المنظور طويل الأجل سيظل متقلبًا.(381)

أما في حالة مغادرة القوات الروسية ناغورني كاراباخ بسبب التدخل الروسي في أوكرانيا والاضطرابات الداخلية، فستكون أرمينيا غير قادرة على الدفاع عن حدود ما بعد حرب عام 2020 في ناغورنو كاراباخ، ولن تنشر أيّ دولة أخرى (الولايات المتحدة الأميركية والمملكة المتحدة وألمانيا وفرنسا وغيرها) قوات في ناغورني كاراباخ ضد إرادة أذربيجان، كبادرة تجاه المجتمع الدولي قد تعرض باكو على ناغورنو كاراباخ نسخة خفيفة من الاستقلال الثقافي وتدعي في نفس الوقت أنّه يجب على السكان الأذريين دخول ستيباناكيرت للعيش هناك، وسوف ترفض نشر أيّ قوة حفظ سلام دولية، قلة من الأرمن في ناغورنو كاراباخ (إن وجدوا) سيوافقون على العيش تحت سيطرة أذربيجان أو سيغادرون إلى أرمينيا، بينما سترفض أذربيجان فكرة التطهير العرقي بحجة أنها توفر جميع الضمانات للأقلية الأرمنية إذا كانوا يفضلون المغادرة فهذا اختيارهم، قد يستنكر المجتمع الدولي (الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الأوروبي ومجلس أوروبا) هذه التطورات ويعبر عن مخاوفه لكن تصريحاتهم لن تحدث أيّ تغييرات على أرض الواقع.(382)

أمّا من وجهة نظر أرمينيا، شجعت المساعدات السياسية والعسكرية التركية باكو بتغيير عملية حل الصراع باستخدام الوسائل العسكرية لتغيير الوضع الإقليمي الراهن، وعلى الرغم من أن النتيجة النهائية مفيدة بشكل حاسم لأذربيجان، إلاّ إنّ أرمينيا وأرمن كاراباخ يفضلون رؤية الجزء من ناغورني كاراباخ الذي قاوم يقع تحت حماية قوات حفظ السلام الروسية وليس تحت رعاية أذربيجان، لذلك فالشعور العام في أرمينيا هو أن الوضع الجديد لا يمكن أن يستمر لصالح الأذريين، لأنّه مفهومًا جيدًا من قبل معظم المشاركين في المائدة المستديرة أن اتفاق السلام الذي أعتبره أحد الأطراف "استسلامًا" لن يكون أساسًا موثوقًا به لسلام مستقر وطويل الأمد، على العكس من ذلك

381() K.Abushov, (2021), The Vari ants of Political Solutions for the Nagorno-Karabakh Conflict, Journal of Conflict Transformation, Caucasus Edition, No.1, p7.

382() Tadevosyan.M, Op.Cit. p29.

قد يغذي المزيد من عدم الثقة والتوترات بين الأعراق، ويمكن أن يؤدي في النهاية إلى حرب أخرى، فضلًا عن خطر استمرار سباق التسلح على المدى الطويل وأوجه عدم الاستقرار المستمرة الناجمة عن تكنولوجيات التدمير الجديدة أمر خطير بطبيعته.(383)

قد يكون ترك إدارة المنطقة مباشرة للأمم المتحدة، كما هو الحال في كوسوفو أو كإقليم يخضع لمجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة، حلًا مؤقتًا بديلًا لصراع ناغورني كاراباخ، سيكون بالتأكيد أكثر انسجامًا مع المعايير الدولية لحفظ السلام، إذ تتمتع بعثة حفظ السلام الروسية الحالية "بتفويض فقط من الأطراف الثلاثة الموقعة على إعلان وقف إطلاق النار في 9 نوفمبر ٢٠٢٠ وهي أرمينيا وأذربيجان وروسيا" وبالتالي تفتقر إلى تفويض من الأمم المتحدة، لكي يتم تنفيذ بعثة الأمم المتحدة لحفظ السلام بنجاح ينبغي التغلب على عقبتين أساسيتين وهي الافتقار إلى الإرادة السياسية والردع الموثوق:-(384)

ينبغي أن تحظى إدارة الأمم المتحدة لناغورني كاراباخ بدعم مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، ومع ذلك ترى موسكو الأعضاء الدائمين الآخرين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة منافسين، ولن تكون راغبة في السماح لهم بالدخول إلى فنائها الخلفي، فضلًا عن ذلك ستكون إدارة الأمم المتحدة غير مقبولة لأذربيجان التي تدعي أنها حلت الصراع من خلال كسب الحرب الأخيرة.

في ما يخص مشكلة الردع، هناك سؤال عما سيحدث إذا تعرضت قوات حفظ السلام للهجوم من قبل دول ليس لها مصالح فورية في المنطقة، وبدون قدرات دفاعية كبيرة وتفويض محدود للهجوم قد يغادرون، من غير المرجح أن يلتزموا أكثر من خلال زيادة وجود القوات، العملية الروسية الحالية مختلفة لأنّ روسيا هي القوة الإقليمية التي لها مصلحة فورية في المنطقة وقدرات دفاعية كافية لردع العدوان من جميع الأطراف، لذلك فإن إدارة الأمم المتحدة في ناغورنو كاراباخ بعيدة حاليًا وسيتعين عليها أن تسير جنبًا إلى جنب مع جهود إضافية لضمان ردع موثوق به ضد العدوان من جميع الأطراف.

وفي غياب المشاركة الهادفة من المنظمات الإقليمية، لم تظهر منصات الحوار سوى القليل من النجاح الملموس في التوسط للسلام، مجموعة مينسك هي منتدى التفاوض الرئيسي لنزاع ناغورني كاراباخ بين أرمينيا وأذربيجان، ولكن مع غياب بناة السلام والناشطين المحليين يفتقد الفريق المكونات الرئيسية التي سيوفر حوار أكثر شمولًا بوضع

383() Whitehorse.A, (2020), what Future for Nagorno-Karabah in the Wake of the 2020 Six-week War? Consequence for Conflict Settlement in the South Caucasus Region, PfP Consortium Defense Academy and Security Studies Institute, Australian National Defense Academy, p2.

384() Rademaker.M and Others (2021), Armenia and the future of the South Caucasus, The Hague Centre for Strategic Studies, Holland, p32.

خيارات مفصلة وقرارات متفق عليها بشكل مشترك، فضلًا عن عدم وجود منتدى قوي للحوار لكن الديناميات السياسية لها أيضًا تأثير كبير على مسارات الصراع، وهي كالآتي:-(385)

لا تميل الأوضاع السياسية داخل كلا البلدين نحو إيجاد حلول وسط لحل المشكلة الأولية.

يؤدي الفصل المتزايد بين الناس داخل الولايات إلى بيئة مواتية للعنف، والأهم من ذلك أن العسكرة المستمرة للصراع تحد من فرص السلام.

تزود الحكومة الروسية كلا الطرفين بالمعدات العسكرية وتحتفظ بقاعدة عسكرية في أرمينيا، مما يؤجل التوصل إلى حل سلمي للصراع، على الرغم من أن روسيا هي رسميًا وسيط في حل الصراع داخل مجموعة مينسك، إلاّ أنّها لا تسمح للأعضاء الآخرين والرؤساء المشاركين بالتوصل إلى أيّ خطط هادفة أو مستدامة لحل الصراع جزئيًا، حتى أنها تذهب إلى حد استخدام مختلف النفوذ السياسي والدبلوماسي لمنع الأعضاء الجدد مثل ألمانيا من الانضمام إلى مجموعة مينسك.

تعطي هذه البيئة السياسية المغلقة والمتوترة الأولوية للمخاوف الأمنية الوطنية والإقليمية فوق أمن السكان المحليين وتؤثر سلبًا على الحيز المدني وتؤثر أيضًا على تدابير بناء الثقة وتشكل خطاب السياسات والقرارات.

يلقي مناخ عدم الاستقرار والاستبعاد هذا بظلاله على المنطقة، إذ تمّ ذكر الصراعات في جنوب القوقاز في مجالات الاهتمام الاثني عشر التي حددها الأمين العام للأمم المتحدة (أنطونيو غوتيريس Antonio Guterres) في ملاحظاته في 16 يناير 2018 في الاجتماع غير الرسمي للجمعية العامة، وقال إن "حل هذه الحالات يتطلب دحر المد الخطير للقومية وتنشيط مبادرات الوساطة ذات الصلة"، ومع ذلك فإنّ هذه البيانات الطموحة لم تترجم إلى أيّ إجراءات ملموسة بسبب الديناميات السياسية والنهج الأمنية التقليدية وعدم الإدماج المجدي.

مستقبل ناغورني كاراباخ غير واضح وغامض، إذا غادرت روسيا كاراباخ بعد نوفمبر 2025 لأيّ سبب من الأسباب، وبوجود الاتفاق الجديد بين روسيا وتركيا، والجهود الأمريكية الناجحة لطرد روسيا من جنوب القوقاز، وعدم الاستقرار الداخلي في روسيا، فسيضطر الأرمن إلى مغادرة كاراباخ وإعادة التوطين في أرمينيا أو بلدان أخرى، أرمينيا لديها أقل الاحتمالات لتشكيل مستقبل ناغورني كاراباخ، إذ تخلت عن التزامها بضمان أمن ناغورني كاراباخ بعد هزيمتها في حرب عام 2020 وإجبارها التوقيع على الاستسلام، فقدت أرمينيا الأهمية الجيوسياسية القليلة التي كانت تتمتع بها قبل الحرب، منذ 10 نوفمبر 2020 أهان الرئيس (علييف) علنًا رئيس أرمينيا وأرمينيا كدولة عدة مرات ولم يتلق أيّ رد من الزعيم الأرميني، لذلك توصل المجتمع الدولي والقوى المشاركة في المنطقة إلى استنتاج واضح -أرمينيا

385() In Search of Sustaining Peace: A Case-Study of Peacebuilding in South Caucasus, (2020), the International Center on Conflict and Negotiation (ICCN (, p4-5.

ليس لديها القدرة على الدفاع عن نفسها، وقد قبل القادة الأرمن الاستسلام وهم مستعدون لتنفيذ كل شروط الرئيس الأذربيجاني.(386)

وفي حالة بقاء روسيا في كاراباخ، فهناك عدة خيارات ممكنة قد تقوم روسيا بتمديد بيان نوفمبر 2020 بنفس الشروط وستبقى القوات الروسية هناك لمدة خمس سنوات أخرى حتى نوفمبر 2030، لنفترض حدوث تدهور كبير في العلاقات الروسية التركية على غرار أزمة نوفمبر 2015 وهي سقوط مقاتلة سوخوي 24 الروسية من قبل قوات الدفاع الجوية التركية قرب الحدود السورية التركية، وتدحض أذربيجان تحت ضغط تركيا، عرض روسيا بتمديد أنتشار القوات الروسية في ناغورني كاراباخ في هذه الحالة قد تعترف روسيا باستقلال ناغورني كاراباخ ضمن خط التماس الحالي وتوقيع اتفاق مع سلطات ناغورني كاراباخ لنشر قاعدة عسكرية روسية دائمة هناك، أفضل سيناريو لروسيا هو تمديد نشر قوات حفظ السلام الروسية في ناغورني كاراباخ لمدة خمس سنوات أخرى بنفس الشروط، ومع ذلك في جميع السيناريوهات فإن المتغير الرئيسي هو رؤية روسيا وقدرات الكرملين على حماية مصالحها في جنوب القوقاز.(387)

روسيا هي الوسيط الرئيس بين أرمينيا وأذربيجان وإنها تساعد على تسوية العديد من المشاكل ولكن ليس كلها، في يناير ٢٠٢١ أستضاف (بوتين) أول قمة بعد الحرب بين نظيريه الأرمني والأذربيجاني، وأطلقوا محادثات حول إستئناف الاستخدام المشترك لطرق النقل الإقليمية، مما ينبغي أن يؤدي إلى مزيد من الترابط بين أذربيجان وأرمينيا وتخفيف التوترات على المدى الطويل، وعلى الرغم من الخطط لاستكمال المناقشات الفنية بحلول مارس وصلت المحادثات إلى طريق مسدود مما أدى إلى بيانات ساخنة تهدد بتجدد القتال في جنوب أرمينيا إذ يوجد طريق مهم لأذربيجان، أندلعت التوترات في منتصف مايو ٢٠٢١ إذ اعترضت أرمينيا وأذربيجان على مواقع جديدة أنشأتها القوات الأذربيجانية بالقرب من حدود الدولة، سلطت هذه المواجهة الضوء على هشاشة وقف إطلاق النار.(388)

من المتوقع حدوث مواجهة عسكرية بين روسيا وتركيا، وقد تتطور إلى مواجهة بين روسيا وحلف الناتو، هذا الامر يدعم التحالفات القائمة فعليًا على محوري روسيا-أرمينيا من جهة، وتركيا-أذربيجان من جهة أخرى، إذ إن للثنائي الأول عضوية في منظمة معاهدة الأمن الجماعي، في حين تجمع الثنائي الثاني اتفاقيات تقع تحت إطار المجلس الأعلى للتعاون الاستراتيجي وهي تحالفات تفرض "تقديم الدعم" للدولة التي تتعرض للاعتداء، رغم أن الاتفاقيات المبرمة لا تحدد تمامًا شكل الدعم المقدم ولا تنص على كونه عسكريًا، ومن العوامل التي تزيد من فرص هذا السيناريو هو

386() Poghosyan.B, (2021), the future of Nagorno Karabakh, *New Geopolitics Research Network*, https://www.newgeopolitics.org, Date of Visit 2022/7/4, 2: am.

387() Poghosyan.B, (2021), the future of Nagorno Karabakh, Op.Cit.

(388) عريقات، محمود سلامة، (٢٠٢١)، *كراسات استراتيجية دراسات في مفهوم مختلف للتنظيم الدولي: المبادرات الاستراتيجية لحل نزاع إقليم كرباغ، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ص٥٠ .*

استمرار حالة التوتر بين البلدين دون انفراجات ولو نسبية، لكن هذا السيناريو مستبعد في المدى القريب لحرص كل من روسيا وتركيا ومن خلفها حلف الناتو على عدم الوصول لمواجهة مباشرة لأسباب عدة أهمها:-(389)

الكلفة الباهظة لأية مواجهة عسكرية بين موسكو وأنقرة واحتمالات تورط حلف الناتو فيها.

تأثيراتها السلبية على خطوط نقل الطاقة من المنطقة.

أتساع جهد روسيا لمواجهة الناتو في سوريا وأوكرانيا وجورجيا، فضلًا عن الضائقة الاقتصادية الروسية.

افتقار تركيا لمنظومة صاروخية دفاعية.

وأخيرًا، حالة الحرب الباردة شبه الروتينية التي تحولت إليها الاشتباكات الأذرية-الأرمينية.

المحور الثالث

مشهد التوصل إلى اتفاق يرضي الأطراف

اعتبارًا من هذه الفترة، يبدو هذا المشهد غير مرجح، نظرًا للاختلافات بين تصورات الأطراف، ومع ذلك لا يمكن استبعاده تمامًا وله اتجاهان فرعيان:-(390)

الأول: هو تحديد فترة انتقالية لناغورنو كاراباخ في معاهدة أرمينيا وأذربيجان، وينبغي وضع معايير محددة لمدة تلك الفترة الانتقالية، وينبغي أن يكون القرار النهائي لمحكمة العدل الدولية بشأن تطبيق الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، وفي نفس الوقت ينبغي تطبيق تدابير مكثفة لبناء الثقة خلال هذه الفترة قد تشمل إنشاء منطقة اقتصادية حرة في ناغورنو كاراباخ وإطلاق مشاريع اقتصادية صغيرة على مستوى المجتمع المحلي يستفيد منها الأرمن والاذريين، ينبغي الإبقاء على الوضع الراهن بعد حرب 2020 خلال الفترة الانتقالية لإمكانية استكمال قوات حفظ السلام الروسية بمراقبين عسكريين دوليين بتفويض من مجلس الأمن الدولي.

الثاني: هو إيجاد حل دائم فيما يتعلق بوضع ناغورنو كاراباخ، إذ لن يعمل هنا أستقلال ثقافي ولا عرض لتجربة جزر آلاند، قد يكون الخيار المحتمل تطبيق فكرة "السيادة المشتركة" في ناغورنو كاراباخ وسوف يمنح أرمينيا الحق في أن تكون ضامنًا لأمن السكان الأرمن في ناغورنو كاراباخ، في الوقت نفسه سيكون لأذربيجان الحق في ضمان أمن الشعب الأذري مع الحفاظ في نفس الوقت على الوجود الأجنبي الدولي هناك لفترة من الوقت، ينبغي أن يتمتع الأرمن

()389عبد الحميد، معتز محي، (٢٠٢١)، قره باغ تاريخ الصراع، ط٢، مطبعة السيماء للنشر والتوزيع، بغداد، ص ٢٨٩ -٢٩٠ .

390() Poghosyan.B, (2022), Scenarios for the Future of Nagorno Karabakh, The Armenian Weekly, https://Armenianweekly.com, Date of visit 2022/7/5, 4:00 pm.

والاذريين في ناغورنو كاراباخ بالحق في الحصول على الجنسية الأرمنية أو الأذربيجانية، في حين ينبغي أيضًا السماح بخيار الجنسية المزدوجة، قد يؤدي إنشاء منطقة اقتصادية حرة في ناغورنو كاراباخ إلى تعزيز التعاون الاقتصادي وتقليل التوترات، في هذا المشهد وفي نهاية المطاف قد تتحول ناغورنو كاراباخ إلى منطقة إدارية خاصة تحكمها أرمينيا وأذربيجان بشكل مشترك، وفي الوقت نفسه قد يدعم المجتمع الدولي تنمية القدرات المؤسسية للمنطقة.

يتأثر الجيل الجديد بالعديد من الشباب المتعلمين في الغرب، والأشخاص ذوي الآراء الليبرالية الذين شاركوا في مشاريع متعددة الثقافات، وتثير رؤيتهم للقوقاز المسالم الآمال في المستقبل، فضلًا عن ذلك أن آفاق التقارب بين أرمينيا وتركيا تكون بمثابة سبب للتقارب بين أرمينيا وأذربيجان أيضًا، مما يقلل من التوتر في المنطقة، ويبدو أن القوة السياسية الروسية تنحسر وكثيرًا ما يتم إلقاء اللوم على البلاد لعرقلة عملية السلام، ستترك روسيا على الساحة مساحة أكبر لأرمينيا وأذربيجان للمناورة والتوصل إلى اتفاق، إذ يمكن لحل هذا الصراع أن يفتح الفرص المحتملة للتعاون الإقليمي من خلال دمج أرمينيا في المشاريع، وسيؤدي حل هذا الصراع إلى تنشيط جنوب القوقاز.(391)

إنّ الأحداث الأخيرة في أوكرانيا والعقوبات الدولية ضد روسيا وانخفاض أسعار النفط، يمكن أن يؤدي إلى تضاءل موقف روسيا في فضاء ما بعد الاتحاد السوفيتي، وسيسمح ذلك للدول الغربية بالمشاركة بنشاط أكبر في حل نزاع ناغورني كاراباخ وفقًا لمبادئ القانون الدولي في احترام السلامة الإقليمية للدولة، في الوقت نفسه ستكون الدول الغربية مهتمة أكثر بتقليل الاعتماد على الطاقة الروسية وتقليل حجم واردات الغاز والنفط من روسيا، وبالتالي سيكون هناك المزيد من الاهتمام بتنفيذ مشاريع الطاقة في بحر قزوين بمشاركة أذربيجان، يمكن أن يؤدي التنفيذ الناجح لمشاريع الطاقة في بحر قزوين إلى زيادة اهتمام المجتمع الأرمني فيما يتعلق بتلك المشاريع أيضًا.(392)

يُعدُّ الصراع على ناغورني كاراباخ ليس مشكلة لأرمينيا وأذربيجان فقط، ولكن مشكلة لمنطقة القوقاز بأكملها، كونه العامل الأول الذي بدأ بزعزعة استقرار المنطقة، لقد مرت أكثر من ثلاثين عامًا على تدمير الاتحاد السوفيتي وحاول العديد من الأطراف المشاركة في حل الصراع ولكن لم ينجح أيّ منهم، لذلك لا تعاني منطقة ناغورني كاراباخ بمفردها بل تعاني أرمينيا وأذربيجان أيضًا، وبسبب الأوضاع غير المستقرة تتوقف الأعمال التجارية بسبب خوف العديد من رجال الاعمال للاستثمار في هذه الدول، لذلك ينبغي على الدولتين التوافق في الآراء والتوصل إلى حل وسط، ومحاولة نسيان الغضب والكراهية التي يشعرون بها تجاه بعضهم البعض، من اجل إيجاد طرق للخروج من هذا الصراع.(393)

391() Novruzlu.T, Op.Cit. p2.

392() Chitadze.N, (2022), Economic Factors of the Nagorno-Karabakh Conflict, Black Sea Region Geopolitical Research Center, International Black Sea University, p. 107.

393() The Nagorno-Karabakh Conflict: A Visual Explainer, (2022), International Crisis Group, https://www.crisisgroup.org, Date of Visit 2022/7/5, 8:33pm.

إذ إنّ هناك حاجة للبدء بخطوات صغيرة التي تمكن يريفان وباكو من التحرك تدريجيًا نحو تطبيع علاقاتهما بهدف التوقيع في نهاية المطاف على اتفاق سلام شامل في المستقبل هذا ممكن، وممكن اذا أتبعت جميع الأطراف المعنية نهجًا بناءًا لتحقيق سلام إيجابي مستدام مبني على العدالة ومليء بالمحتوى الإيجابي يهدف إلى أستعادة الثقة بين الأرمن والأذريين، إذ إنّ أفضل طريقة لمستقبل كاراباخ بأكملها هي العيش في سلام ووئام والسعي لإعادة بناء علاقات حسن الجوار بين البلدين، استنادًا إلى بعض الأسباب التي يمكن أن تساعد أذربيجان وأرمينيا على تحقيق تسوية سلمية عادلة ونهائية، وهي كالآتي

أولاً: إلى أرمينيا وأذربيجان :-(394)

تعزيز المصالحة وبناء الثقة والتفاهم المتبادل من خلال القنوات الحكومية وغير الحكومية، وذلك عن طريق إطلاق مشاريع مبتكرة تركز على بناء الجسور بين المجتمعات المنفصلة من خلال الحوارات المحلية حول فرص التعاون، وسيكون لهذه المشاريع التي تشمل الطائفتين في كاراباخ وكذلك العائدين من النازحين واللاجئين آثارًا متعددة، مثل أستعادة الاقتصاد في المناطق التي مزقتها الحرب، وتشجيع الاتصال البشري من خلال الأنشطة التجارية المشتركة، وبالتالي تسهيل التواصل.

إنشاء فريق متخصص من الخبراء يمكنهم العمل جنبًا إلى جنب مع الدوائر الحكومية في أرمينيا وأذربيجان لتقديم المشورة السياسية والتوصيات المدروسة جيدًا لصانعي القرار حول كيفية أستعادة الثقة والتفاهم بين البلدين، سيكون الهدف الرئيسي هو تشكيل روايات جديدة واستخدام الأدوات الحديثة وتعبئة موارد إضافية وإعداد الرأي العام لاتفاق سلام شامل، من خلال القيام بذلك ستتطور العلاقات بين الأطراف المتنازعة إلى سلام دافئ يمكن أن يشمل أشياء مثل التجارة المتبادلة والتفاعل التجاري والتبادلات الثقافية والتواصل التعليمي.

إشراك النساء في بناء الثقة لإدراج دورهن البناء في حوار السلام على جدول الأعمال، تشير الأدلة إلى أن النساء المشاركات في عملية السلام عادة ما يركزن بشكل أقل على غنائم الحرب وأكثر على المصالحة والتنمية الاقتصادية والتعليم والعدالة الانتقالية وكلها عناصر حاسمة في السلام المستدام، إذ أن زيادة مشاركة النساء أمر ضروري بالفعل لأنّ مشاركتهن ستخلق إتصالات جيدة وقوية بين الناس ويمكن أن تساعد في كسر القوالب النمطية السلبية وخلق صداقات جديدة، وقد يساهم ذلك في إرساء أسس المصالحة والسلام الدائم في نهاية المطاف.

ثانياً: إلى مجموعة مينسك التابعة لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا:-(395)

394() Labarre.F and Niculescu.G, (2021), What Future for Nagorno- Karabakh in the Wake of the 2020 Six-Weeks War?, Federal Ministry of Defence Rossauer Lände, Vienna, p14-15.

395() Joint Statement by the Heads of Delegation of the OSCE Minsk Group Co-Chair Countries, (2020), https://www.osce.org, Date of visit 2022/7/7, 2:00am.

تعزيز إعادة التأهيل بعد الحرب وتسهيل اتفاق السلام النهائي في المستقبل، من خلال إنشاء مراكز للسلام والمصالحة في كل من يريفان وباكو، اذا أخذنا في الاعتبار البيان المشترك الصادر عن الدول المشاركة في رئاسة مجموعة مينسك في المجلس الوزاري السابع والعشرين لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا في الفترة من 3 إلى 4 ديسمبر 2020، يبدو أنّه ليس لديهم أفكار أو مقترحات جديدة لوضع ما بعد الحرب في كاراباخ، إذ تتصرف روسيا بشكل منفصل، وتتصرف فرنسا كطرف في الصراع تقريبًا، وتصدر الولايات المتحدة تصريحات روتينية فقط، لا يترك التحالف الثلاثي هذا فرصة تذكر لإحياء مجموعة مينسك في كاراباخ، ولكن مع ذلك يمكن أن يكون للرؤساء المشاركين لمجموعة مينسك تأثير إيجابي على بناء السلام بعد الحرب، تحقيقًا لهذه الغاية يمكن أن تكون لجان استعراض الأداء في كلتا العاصمتين بمثابة أدوات جديدة لمجموعة مينسك لإعادة التأهيل وإعادة الإدماج بعد انتهاء الصراع.

ينبغي أن تعمل لجان استعراض الأداء بشكل وثيق مع جميع الجهات الفاعلة ذات الصلة، بما في ذلك المنظمات الدولية والإقليمية، مثل الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي، ينبغي أن تركز أنشطة لجان الممثلين الدائمين بشكل رئيسي على بناء قدرات الجهات الفاعلة الوطنية بهدف المساعدة في تيسير حوار السلام والمصالحة الدائمة، لمساعدة حكومتي أرمينيا وأذربيجان على وضع استراتيجيات سلام وخطط تنمية اقتصادية جديدة بهدف التفكير الاستراتيجي حول ضرورة إتباع نهج إقليمي مشترك.

أن للتسوية السلمية فوائد طويلة الأجل وواضحة، إذ إنّ الصراع يعيق تنمية المنطقة بأسرها، تقدم دراسة أجرتها شركة برلين إيكونوميكس عام 2019 بتكليف من الاتحاد الأوروبي حجة اقتصادية لا يمكن إنكارها لإيجاد حل:-(396)

في المالية العامة، ستستفيد كل من أرمينيا وأذربيجان بقوة من المدخرات الكبيرة في النفقات المالية المتعلقة بالصراع، إذ يمكن تخفيض النفقات العسكرية بنسبة 2٪ من الناتج المحلي الإجمالي السنوي في كلا البلدين إلى مستوى مماثل للبلدان الأخرى التي تعيش في سلام، فضلًا عن ذلك يمكن لأرمينيا توفير نفقات سنوية قدرها 0.9٪ من الناتج المحلي الإجمالي لدعم الاقتصاد المحلي في ناغورني كاراباخ، ويمكن لأذربيجان توفير النفقات لدعم النازحين يصل إلى 0.4٪ من الناتج المحلي الإجمالي السنوي، من شأن هذه الوفورات المالية أن تمكن كلا البلدين من خفض عجز الميزانية وزيادة الإنفاق بشكل كبير في المجالات المفيدة اجتماعيًا مثل التعليم أو الصحة.

لا تزال جميع الأطراف محاصرة بنفس قضايا الحياة والموت المتعلقة بالهوية والأمن التي تسببت بالصراع في الثمانينيات، في الممارسة العملية هذا يعني أن المجتمعين ليس لديهما عمليًا أيّ اتصال مع بعضهما البعض، فقط المجموعات الاجتماعية المحدودة جدًا مثل التجار الذين يقومون بأعمال تجارية في جورجيا، أو الطلاب الذين يلتقون بالجانب الآخر في العواصم الأجنبية، يواجهون أعضاء من المجموعة العرقية الأخرى ويسمعون وجهة نظرهم، وعندما

396() Waal.T.D, (2020), The Nagorny Karabakh Conflict in its Fourth Decade, Centre for European Policy Studies (CEPS), Brussels, p225-227.

يتعلق الأمر بتدابير بناء الثقة يميل الجانبان إلى شغل مواقف يستبعد بعضها البعض، إذ أن كلا المجتمعين يعيشان مع روايات الانقسام الدائم والاغتراب عن الآخر، حتى الشباب لم يتم إثبات الآمال فيهم على الرغم من إنّهم أكثر عولمة من آبائهم ويحملون أمتعة أقل من الصراع، من ناحية أخرى نشأوا بروايات وطنية مهيمنة تصور الجانب الآخر كأعداء، على عكس الأجيال الأكبر سنًا التي عاشت في الحقبة السوفيتية فإنّها تفتقر إلى ذكريات وقت عاشت فيه الدولتان جنبًا إلى جنب بسلام ويمكن لمعظمها التحدث بلغة مشتركة.

كل هذا يشير إلى أن أيّ شخص يسعى إلى إنهاء صراع كاراباخ ينبغي أن يستخدم استراتيجية مزدوجة على المدى القصير والطويل تتجنب مفردات "حل النزاع" المستخدمة في سياقات أخرى، ويتطلب في المدى القصير "إدارة الصراع" لمنع الجانبين من العودة إلى حرب من شأنها أن تسبب معاناة أنسانية رهيبة وتعيد قضية السلام من قبل جيل آخر، إذ يتطلب المدى الطويل أتباع نهج من الصبر الاستراتيجي وتحويل الصراع إذ يتم القيام بمزيد من العمل داخل المجتمعات الأرمنية والأذربيجانية أكثر من العمل بينهما.

إنّ البيان الثلاثي لقوات حفظ السلام الروسية في ناغورني كاراباخ، وضح الحد الأقصى لحجم القوة ب 1960 الف فردًا وقصر تجهيزهم على الأسلحة الصغيرة و٩٠ ناقلة جنود مدرعة و 380 مركبة آلية أخرى، من المقرر أن تدور القوة كل ستة أشهر، كما أعطى البيان فترة ولاية مدتها خمس سنوات يتم تجديدها تلقائيًا شرط إلاّ تطالب أرمينيا ولا أذربيجان بانسحابها، تطالب روسيا بتفويض رسمي من قبل أرمينيا وأذربيجان لتمكن قوات حفظ السلام بتحديد متى وتحت أيّ ظرف تتدخل وما إذا كان بإمكانهم إطلاق النار دفاعًا عن النفس أو لحماية المدنيين، وما هي المساعدة التي من المفترض أن تقدمها ولمن، سيساعد هذا في بناء الثقة ليس فقط للمسؤولين ولكن بين السكان الذين يتفاعلون مع قوات حفظ السلام يوميًا، لم تدع موسكو قوى خارجية أخرى للتأثير على التفويض قائلة "أن موافقة الأطراف المعنية كافية بموجب القانون الدولي"، وبما أن كل من أرمينيا وأذربيجان دعت إلى النشر فإن روسيا لا تنظر إلى التأييد الدولي لبعثة حفظ السلام على أنّه ضروري، ولا يخططون للحصول على موافقة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، لذلك تعترف موسكو أن قوات حفظ السلام التابعة لها ستظل الضامن الأجنبي الوحيد لوقف إطلاق النار.(397)

لقد أنتهت أذربيجان وأرمينيا من حرب كاراباخ الثانية، ونظرًا لتفوق أذربيجان العسكري والاقتصادي تمكنت من تحرير أراضيها المعترف بها دوليًا من الاحتلال الأرمني واستعادة سيادتها عليها لأول مرة منذ عام 1993، سيكون لأكثر من 800 ألف أذربيجاني فرصة للعودة إلى منازلهم واحتفلوا بفخر في هذا النصر التاريخي وبعودة أراضيهم الأصلية، بدأ الخبراء والسياسيون في العصف الذهني لتصميم مستقبل كاراباخ، إذ ذكر الرئيس الأذربيجاني (علييف) علنًا أن عصر جديد يبدأ في المنطقة والتي ستكون مليئة بالترميم وإعادة الإعمار، لأنّ في الواقع تمّ تدمير المناطق المحررة ومعظم

397() Post-war Prospects for Nagorno-Karabakh, Op.Cit. p12.

البنى التحتية وتحتاج إلى إعادة بنائها من الصفر، وتصور (عليف) أن مستقبل المنطقة يتمثل بالتعايش السلمي لكلتا المجتمعتين داخل سلامة أذربيجان الإقليمية، إذ لم يتم الاعتراف الدولي بكاراباخ كمنطقة مستقلة ولكن تمّ الاعتراف بسلامة أذربيجان الإقليمية، وبالتالي ينبغي تطوير النموذج والنسق المناسب لإدماج الأرمن في دولة أذربيجان، كون أذربيجان بلد متعدد الأعراق تضم العديد من الأقليات العرقية والدينية وكلها تتمتع بحقوق وامتيازات دستورية، ويُعدُّ غالبية الأذريين بأنّ التنوع العرقي للبلاد كنز وطني، ويتم تقديم الأرمن ليكونوا جزءًا من هذا التنوع الثقافي ويعيشون جنبًا إلى جنب مع الاذريين وغيرهم من الجماعات العرقية.(398)

وعليه، كان للأرمن والاذريين أوقات الحرب ولكن أيضًا سنوات عديدة من التعايش السلمي خلال الفترة السوفيتية عاش حوالي 200 ألف أرمني في باكو واستمتعوا بمراكز رفيعة المستوى في الحكومة والتعليم والاقتصاد، وبالمثل عاش 300 ألف أذربيجاني في أرمينيا وشعروا أيضًا بالسلمية والاستقرار لمعظم الوقت، وفي كاراباخ تعلم ممثلوا كل من المجموعتين العرقية لغات بعضهم البعض، وحضروا المناسبات المشتركة والأحداث الثقافية، لذلك يمكن أن يكون مستقبل المنطقة متفائلًا ومزدهرًا اذا وضع الجانبان جانبًا الصدمات والتظلمات التاريخية، عانت دول جنوب القوقاز من الحروب وترغب في التركيز على الفرص المستقبلية، لذلك أن فتح طرق النقل وممراتها يمكن أن تجعل المنطقة محور عبور لمزيد من الأوراسيا، ويمكن للإطار التعاون الإقليمي مع إشراك تركيا وروسيا وإيران حراسة المنطقة ضد الحروب والأشغال المستقبلية.(399)

مبادرات بناء الثقة مهمة في هذه المرحلة، وأن تبادل أسرى الحرب هو بداية جيدة، يمكن لمشاركة المساعدات الإنسانية وأنشطة الإغاثة وإزالة الألغام والزيارات المتبادلة والطلاب والمنظمات غير الحكومية المساعدة في بناء الثقة وإيجاد أرضية مشتركة للتعاون، كانت هذه الزيارات نادرة في الماضي بسبب الاحتلال، ومع ذلك في السنوات المقبلة ستكون الجسور البشرية محورية لبناء السلام المستدام، من المهم أيضًا أن يناقش كلتا المجتمعتين علنًا القضايا المباشرة التي تهمهم ويمكن القيام بذلك بطريقة مدنية دون بنادق وحروب، قد تشمل القضايا الأخرى الحقوق الثقافية والمواقع الدينية والفرص التعليمية والتاريخ المشترك، إنّ التركيز على العناصر الثقافية المشتركة سوف تضييق الفجوة بين الخصوم السابقين، في المستقبل غير البعيد يمكن تنظيم البرامج التعليمية المشتركة للشباب والأطفال والتي تهدف للقضاء على الكراهية العرقية والقومية مفيدة أيضًا، ينتمي دور مهم في هذه العملية إلى

398() Ismailzade.F, (2020), the future of Karabakh: An Azerbaijani perspective, Daily Sabah, https://www.dailysabah.com, Date of Visit 2022/7/8, 11:01 pm.

399() Ibid.

المنظمات الدولية والبلدان الأجنبية التي أجرت مصلحة في هذه المنطقة ويمكن أن تساعد على حد سواء مع عملية إعادة الإعمار وكذلك بناء السلام والثقة الدائمين بين الأذريين والأرمن.(400)

من الممكن أن تنضم مسألة إقليم ناغورنو كاراباخ إلى ملفات التنافس الروسي-التركي، والروسي-الأطلسي، بما قد يفتح المجال لمساومات تؤدي إلى صفقة ما بخصوصه، فالعلاقة الخاصة بين تركيا وأذربيجان قد تؤهِّل الأولى للعب دور الوسيط أو الضاغط على باكو لتهدئة الأوضاع، ويعزز هذا الامر رفض الطرفين الروسي والتركي من حيث المبدأ للمواجهة العسكرية كما ظهر في أزمة إسقاط المقاتلة الروسية، أن عجز ثلاثية "مينسك" حتى الآن عن بلورة حل مستدام للأزمة مما فتح الباب على اعتراضات واقتراحات حول بنيتها وعضويتها، الأمر الذي أدى إلى دخول تركيا كعضو فيها مثل الاتهامات الأذرية لها بالانحياز لأرمينيا بسبب عضوية روسيا فيها، وانتقادات تركيا مؤخرًا لها لفشلها في إنجاز اتفاق نهائي وبعض الاقتراحات الأوروبية بالتدخل والمساعدة، يبدو أن هذا السيناريو مستبعد على المدى المنظور لعدة أسباب أهمها:-(401)

تقييم روسيا للأزمة باعتبارها تقع في جوارها القريب الذي لا يمكن أن تسمح بالإخلال بتوازناته عبر دور تركي فاعل.

العلاقات غير الطبيعية التي ما زالت سائدة على محور موسكو-أنقرة، وغياب التكافؤ العسكري والاستراتيجي بينهما.

الشعور الأذري بوجود فرصة حقيقية لاسترجاع أراضيها المحتلة في ظل تفوقها العسكري وضائقة يريفان الاقتصادية.

نستنج مما سبق، ومن خلال ما تمت مناقشة ثلاث مشاهد مستقبلية حول الوضع في إقليم ناغورنو كاراباخ، إنّ الأمور ما زالت غامضة لأنّها عُرضة للتطور من قبل الجهات الأساسية (أذربيجان وأرمينيا)، فضلًا عن الجهات الإقليمية (روسيا وتركيا وإيران) والجهات الدولية (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وإسرائيل)، إذ أنّهم قادرين على تحريك الاشتباكات المحلية وتطويرها إلى مواجهات إقليمية في ما يخدم مصالحهم، أو في حال حصول تطورات غير محسوبة.

لذلك، إنّ مشهد العودة إلى الحرب، هو ليس بمشهد بعيد المدى أو مستحيل الحدوث، إلاّ أنّه غير متوقع في الفترة المقبلة، بسبب ضمان روسيا لمصالحها الحيوية في منطقة جنوب القوقاز وسيطرتها على بقية الأطراف الفاعلين في هذه الحرب، ووصولها إلى ما كانت تخطط له في تقربها من أذربيجان وإعطاء درس لا يمكن نسيانه لارمينيا، فضلًا عن انشغالها في حربها على أوكرانيا وضائقتها المالية التي تعاني منها، وأيضًا بسبب ضمان مصالح الأطراف الأخرى من

400() Vanyan.m, (2020), Nagorno-Karabakh: What does the future hold, openDemocracy free thinking for the world, https://opendemocracy.net, Date of Visit 2022/7/9, 11:34 pm.

401() *سعيد الحاج، (٢٠٢٠)، ناغورنو كاراباخ: ساحة صراع جديدة بين روسيا وتركيا، مركز الجزيرة للدراسات،* https://studies.aljazeera.net، *تاريخ الزيارة ١٢/٧/٢٠٢٢، ٧:٠٠* am.

خلال حرب ٢٠٢٠ الأخيرة، في حين أن مشهد التوصل إلى حل يرضى الأطراف، فحسب وجهة نظر الباحثة أنّه مشهد مستحيل الحدوث في هذه الفترة، لطالما لم تتفق المصالح الروسية مع المصالح الامريكية-الغربية تحديدًا على غنائم القوقاز، وعلى الرغم من أن تطبيق هذا المشهد على أرض الواقع يجلب السلام والوئام والاستقرار ليس فقط على إقليم ناغورنو كاراباخ ولكن على منطقة جنوب القوقاز بأكملها، وعلى بقية الأطراف لضمانهم للتجارة العالمية وخطوط نقل الطاقة، إلاّ إنّ روسيا ترفض ذلك لأنّها ترى بهذا المشهد ما يضمن نفوذها وسيطرتها الفعلية على جنوب القوقاز.

لذلك، فإنّ الباحثة ترجح مشهد الاستمرار في تصعيد الصراع، الاستمرار في الصراع ومن ثم التوصل إلى اتفاق وتسوية مؤقتة بين الأطراف المتحاربة ونبذ هذا الاتفاق وعدم الالتزام به ومن ثم الرجوع إلى نقطة الاختلاف وحدوث الصراع، لأنّ هذا المشهد هو الواقع الفعلي التي تشهده منطقة ناغورنو كاراباخ، تشتعل المنطقة من أبسط المواقف بين الطرفين ومن ثم تصل إلى أعلى مستويات الصراع وتصبح حربًا ضارة تلتهم كل ما حولها، وبعد ذلك تتدخل الأطراف وتبتكر تسوية مؤقتة تلائم مصالحها وأهدافها وتجبر كل من أذربيجان وأرمينيا القبول بها وتنفيذها، وبالتالي يتصافحون القادة الكبار، ولا يتألم من بشاعة الحرب وقسوتها إلاّ المواطنين الأبرياء من كلا الجانبين، اذاً فالحرب هي أكبر الجرائم في العالم ودائمًا تكون من أجل الأرض أو المال أو البترول، لكنها تتستر تحت أردية دينية أو أخلاقية أو إنسانية، فضلًا عن ما يفعله الإعلام الحديث من دور كبير لتغطية الحقائق المادية بستائر من الروحانيات، لذلك سيبقى هذا الإقليم مشتع بنار الفتنة والحروب لأنّ روسيا لن ولم تتخلى عن القوقاز ولن ولم تسمح بالتسوية ما بين البلدين إلاّ في ما يخدم مصالحها.

الخاتمة

تُعدُّ منطقة القوقاز، منطقة ذات أهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية من الناحية العسكرية والاقتصادية، فمن الناحية العسكرية هو تكريس انتزاع القوقاز من روسيا الاتحادية وإضعافها إذ تمثل هذه الدول منطقة عازلة بين روسيا من جهة وتركيا التي تُعدُّ الحليف الاستراتيجي لأميركا من جهة أخرى، كما أنّها توفر ممرات جوية للطائرات الحربية الأمريكية التي تنطلق من قواعدها المنتشرة في أوروبا للوصول إلى أفغانستان، وأقامة قواعد عسكرية لحماية حقول النفط والتجارة البحرية، أمّا من الناحية الاقتصادية فان هذه المنطقة تشكل ممرات عبور متواصلة للطاقة، إذ تحتوي على ما يساوي ٢٠٪ من احتياطيات النفط في العالم، و١٣.٥٪ من احتياطيات الغاز في العالم، وتأمل أمريكا أن تحولها إلى مصدر بديل للطاقة يمكنها أن تسد حاجات الغرب اذا حدث أيّ خلل في شحن النفط من منطقة الخليج العربي.

كان للصراع المتكرر على ناغورني كاراباخ منذ عام 1988 هو عدم وجود حكم خارجي فعال وموثوق، ويمكن القول إنّ الصراع نشأ كصدام للطموحات السياسية لأراضي متنازع عليها تقليديًا في لحظة تراجع الإمبريالية، فضلًا عن زيادة

تعقيدات المصالح الإقليمية والدولية وتشابكها، والعداء بين أرمينيا وأذربيجان أدى لإتساع الفجوة بين مواقف الطرفين، مما زاد من شدة الصراع وقلل من فرص الحل السلمي، أن وقوف تركيا إلى جانب أذربيجان بسبب الروابط العرقية والدينية واللغوية تزيد من حساسية الأرمن، وبالرغم من دعم روسيا لأرمينيا بقوة إلاّ أنها تستفيد من ثراء أذربيجان وقد عملت مبيعات الأسلحة شكًا لبعض الأطراف في دور روسيا كمحايدة، أمّا بالنسبة لإيران فهي تدعم أرمينيا لأسباب اقتصادية وسياسية لأنّ أرمينيا بحاجة إلى النفط الإيراني، بينما تزداد الخلافات السياسية والفكرية وحتى الإعلامية بين أذربيجان وإيران، بينما تنظر الولايات المتحدة الأمريكية والغرب إلى أذربيجان بأنّها دولة حيوية ذات مميزات طاقوية وأنّها صديق استراتيجي وسياسي في المنطقة، ولكن تتعرض العلاقة فيما بينهم للتوتر والتراجع بسبب قوة الضغط اللوبي الأرميني في الكونغرس الأميركي.

على الرغم من سيطرة أذربيجان في الفترة الأخيرة على إقليم ناغورني كاراباخ وهدوء الأوضاع نسبيًا، إلاّ إنّ هذا لا يعني بانتهاء الحرب على الإقليم، بل بين الحين والأخر تحدث بعض المناورات ما بين الطرفين، إلاّ إنّ روسيا مسيطرة على الأوضاع في الإقليم بشكل واضح وكبير جدًا لأنّها تُعدُّ منطقة جنوب القوقاز هي جزء من الإرث السوفيتي التي ينبغي المحافظة عليها، فضلًا عن كونها مجال التوسع للإمبراطورية الروسية مقارنة مع حدودها الغربية والشرقية والشمالية، ومنطقة عمق جغرافي مهم ضد الهجمات القادمة من الغرب والشرق، وتُعدُّ منطقة تماس مع تركيا وإيران لذلك عملت روسيا على زحزحة الدول المنافسة وتوسيع سيطرتها تجاه الجنوب القوقازي.

وعليه فلا يزال وقف إطلاق النار بين أرمينيا وأذربيجان هشًا، إذ إنّ قرب القوات على الخطوط الأمامية من بعضها البعض ومن المناطق السكنية، والنزاعات اليومية حول قضايا ما بعد الحرب من إزالة الألغام إلى الوصول إلى الأراضي الزراعية، وإعتماد كل من الأرمن والأذربيجانيين على الطرق الرئيسية التي تعبر الجبهة كلها مصادر للتوتر، إذ يظهر التصعيد المتكرر مدى تقلب خط المواجهة، ولكن التفويض الواضح لقوات حفظ السلام الروسية وقناة إتصال منتظمة لحل النزاعات العاجلة ووصول منظمات الإغاثة الدولية إلى المناطق المأهولة بالأرمن في ناغورني كاراباخ من شأنه أن يقطع شوطًا طويلًا للمساعدة في تحقيق قدر من الأمن والاستقرار يصب في مصلحة جميع الأطراف.

واذا لم تبذل الجهات الفاعلة المحلية والدولية أيّ محاولة لمعالجة قضايا ما بعد الحرب -الأمن والاحتياجات الأساسية والنزوح- فمن المرجح أن تبقى ناغورني كاراباخ منطقة توترات منخفضة الحدة لعقود قادمة، لن تؤثر هذه التوترات على العلاقات بين أرمينيا وأذربيجان فحسب، بل ستؤثر أيضًا على جنوب القوقاز ككل، بما في ذلك الخطط كجزء من وقف إطلاق النار لإعادة بناء الروابط التجارية والبنية التحتية المتقطعة في المنطقة، وأخيرًا، فأن السلام ليس مجرد غياب الحرب، إلاّ أنّه أيضًا عملية تبحث عن الانتعاش الاجتماعي والاقتصادي، وإعادة إدماج المجتمعات المتضررة من الصراع، والاقتصاد الناجح القائم على المعرفة الذي يفيد جميع بلدان المنطقة، على الرغم من التعقيدات والصعوبات والتحديات العديدة التي تواجه جنوب القوقاز اليوم.

الاستنتاجات

يواجه جنوب القوقاز تحديات في تطوير مؤسسات سياسية قابلة للحياة، إذ لا تزال البلدان الثلاثة بحاجة إلى إحراز تقدم لضمان سيادة القانون والمزيد من التقدم في إضفاء الطابع الديمقراطي على المجتمع، ويعود هذا إلى التراث السياسي السوفيتي الذي تركه كتحديات معقدة وصلبة في المنطقة.

أن جميع الأطراف المتورطة في صراع ناغورني كاراباخ أرتكبت أنتهاكات جسيمة ضد حقوق الإنسان خلال الحرب الذي أستمرت 44 يومًا في عام ٢020.

أنهت قوة حفظ السلام الروسية الأعمال العدائية واسعة النطاق، وقد تسيطر على المنطقة لمدة عشر أو خمسة عشر عامًا أو حتى لفترة أطول قادمة، مما أدى إلى تجميد الصراع مرة أخرى، ولكن لا تزال الأعمال العدائية الأخيرة حاضرة في أذهان كلا الشعبين .

يخضع جزء جمهورية ناغورني كاراباخ غير المعترف بها، والتي لم تأخذها أذربيجان خلال الحرب الأخيرة لنفوذ روسي قوي، لذلك تُعدُّ روسيا هي اللاعب الدولي الأكثر نشاطًا في الصراع، إذ أن ظروف النضج تكون غائبة بعدم أستعداد روسيا للالتزام بإيجاد حل دائم طويل المدى للصراع في ناغورنو كاراباخ.

على الرغم من قيام حرب الأسابيع الستة التي حدثت عام 2020 بانهاء النظام القديم في جنوب القوقاز، لكن شكل النظام الجديد الذي سيأتي بعد ذلك ما زال مجهولًا وغامضًا.

التوصيات

ينبغي أن يكون هناك وقف فوري للخطاب العدواني والقومي المتفعم بالانتصار والاستفزاز، وأن تتوقف روايات الكراهية التي تغذيها القومية غير المتسامحة.

ينبغي للأطراف المشاركة في الصراع أن يعززوا المصالحة وبناء الثقة والتفاهم المتبادل من خلال القنوات الحكومية وغير الحكومية.

ينبغي على مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، والمنظمة الدولية للهجرة، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، الوصول إلى رعاية اللاجئين وإعادة رفات أسرى الحرب الذين سقطوا والتحقق في عمليات القتل خارج نطاق القانون.

يمكن للصليب الأحمر الموجود بالفعل على أرض ناغورنو كاراباخ أن يبني على جهوده السابقة لتسهيل الحوار حول القضايا المتعلقة بالمياه بين أرمينيا وأذربيجان على حدودهما الدولية لإعادة النظر في هذه المخاوف نفسها الآن، كما يمكن أن يساعد في تعقب الأشخاص الذين فقدوا أثناء الحرب وتحديد هويتهم من مقاتلين ومدنيين.

ينبغي على بلدان جنوب القوقاز أيضًا زيادة التعاون في جوارها، إذ ضاعت فرصة تعميق التكامل والاستقلال الإقليمي من خلال مشروع خط أنابيب باكو–تبليسي-جيهان، ومن شأن المشاريع الإقليمية المستقبلية التي تشمل جميع الدول القوقازية الثلاث أن تزيد من الترابط والتعاون الإقليميين، مما يمنح جميع البلدان مصلحة في أستقرار المنطقة وازدهارها.

المراجع والمصادر:

العربية

الكتب

عبد الحميد، معتز محي، (٢٠٢١)، قره باغ تاريخ الصراع، ط٢، مطبعة السيماء للنشر والتوزيع، بغداد.

عريقات، محمود سلامة، (٢٠٢١)، كراسات استراتيجية دراسات في مفهوم مختلف للتنظيم الدولي: المبادرات الاستراتيجية لحل نزاع إقليم كرباغ، المكتب العربي للمعارف، القاهرة.

المواقع الالكترونية

سعيد الحاج، (٢٠٢٠)، ناغورنو كاراباخ: ساحة صراع جديدة بين روسيا وتركيا، مركز الجزيرة للدراسات، https://studies.aljazeera.net.

المصادر الأجنبية

1. Emerson.M, (2020), Beyond Frozen Conflict Scenarios for the Separatist Disputes of Eastern Europe, Centre for European Policy Studies, Brussels.

2. Nagorno-Karabakh conflict: Operational Update December 2020, (2020), International Committee of the Red Cross ICRC, https://www.icrc.org.

3. Nagorno-Karabakh Conflict, (2020), https://www.tass.com.

4. Bivainis.A, (2022), Multi-dimensional assessment of the Second Nagorno-Karabakh War, The Baltic Institute of Advanced Technology (BPTI), https://securityanddefence.pl.

5. Atallah.Y and Others, (2021), 2021 Conflict Risk Diagnostic: Nagorno-Karabakh, https://www.google.com.

6. Novruzlu.T (2020), The South Caucasus: A Future Vision for Development and Regionalism, Journal of Central Asia and the Caucasus, No.1.

7. Tadevosyan.M, (2021), the concepts of victory and defeat in the recent Nagorno-Karabakh war. The narrative of the Armenian side, George Mason University, Annual World Convention of the Association for the Study of Nationalities.

8. Abushov.K, (2021), The Variants of Political Solutions for the Nagorno-Karabakh Conflict, Journal of Conflict Transformation, Caucasus Edition, No.1.

9. Whitehorse.A, (2020), what Future for Nagorno-Karabah in the Wake of the 2020 Six-week War? Consequence for Conflict Settlement in the South Caucasus Region, PfP Consortium Defense Academy and Security Studies Institute, Australian National Defense Academy.

10. Rademaker.M and Others (2021), Armenia and the future of the South Caucasus, The Hague Centre for Strategic Studies, Holland.

11. In Search of Sustaining Peace: A Case-Study of Peacebuilding in South Caucasus, (2020), the International Center on Conflict and Negotiation (ICCN).

12. Guliyev.F, (2020), The End of the "Nagorno-Karabakh" Region, global Policy, ADA University, Baku.

13 Poghosyan.B, (2021), the future of Nagorno Karabakh, s Research New Geopolitic ,Networkhttps://www.newgeopolitics.org.

14. Poghosyan.B, (2022), Scenarios for the Future of Nagorno Karabakh, The Armenian Weekly, https://Armenianweekly.com.

15. Chitadze.N, (2022), Economic Factors of the Nagorno-Karabakh Conflict, Black Sea Region Geopolitical Research Center, International Black Sea University.

16. The Nagorno-Karabakh Conflict: A Visual Explainer, (2022), International Crisis Group, https://www.crisisgroup.org.

17. Labarre.F and Niculescu.G, (2021), What Future for Nagorno- Karabakh in the Wake of the 2020 Six-Weeks War?, Federal Ministry of Defence Rossauer Lände, Vienna.

18. Joint Statement by the Heads of Delegation of the OSCE Minsk Group Co-Chair Countries, (2020), https://www.osce.org.

19. Waal.T.D, (2020), The Nagorny Karabakh Conflict in its Fourth Decade, Centre for European Policy Studies (CEPS), Brussels.

20. Ismailzade.F, (2020), the future of Karabakh: An Azerbaijani perspective, Daily Sabah, https://www.dailysabah.com.

21.Vanyan.m, (2020), Nagorno-Karabakh: What does the future hold, openDemocracy free thinking for the world, https://opendemocracy.net.

22. Calhoun.A.G, (2022), Armenia AndAzerbaijan Establish Border Commission to Decide Nagorno-Karabakh's Future, The Organization for World Peace, https://images.app.goo.gl.

23. Ebrahimi.S and Others (2020), The Future of the Role of Russia and Turkey in Karabakh Conflict from the Perspective of Decision Theory, International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences, University of Isfahan- Department of Political Science, Iran, No.1.

24. Marsili.M (2021), The Nagorno-Karabakh Conflict: A Legal Conundrum, Military Academy Research Center (CINAMIL), Military University Institute (CIDIUM).

25. Post-war Prospects for Nagorno-Karabakh (2021), International Crisis Group, Europe Report.

26. Call for Research: Future of Karabakh identity and security, (2021), USC Dornsife Institute of Armenian Studies, https://www.Armenian.usc.edu.

27. Russell.M (2020), Russia in the southern Caucasus, European Parliamentary Research Service (EPRS).

28. Improving Prospects for Peace after the Nagorno-Karabakh War, (2020), International Crisis Group, Brussels.

معضلة التحولات الديمقراطية في ظل الأزمات الاقتصادية: تونس نموذجا.

The Delimma of Democratic Transitions in light of Economic Crises: he Tunisia Model

حفيظ ديدون

كلية العلوم القانونية والاقتصادية المحمدية

جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب.

الملخص التنفيذي:

تناقش هذه الورقة أحد التحديات المرتبطة بالتحول الديمقراطي، والمتمثلة في الأزمة الاقتصادية التي تعرفها اقتصادات دول التحول خلال هذه المرحلة الموسومة بعدم اليقين المؤسسي، وذلك لاستكشاف مدى مساهمة تلك الأزمات والتدابير المتخذة لمواجهتها في فرص نجاح التحول أو فشله، انطلاقا من سياق تعامل الحكومات المنتخبة مع الازمة. ومن خلال النموذج التونسي الذي بنيت عليه آمال وأحلام شعوب كثيرة في العالم العربي، ستختبر تأثير الأزمة الاقتصادية وارتدداتها الاجتماعية والسياسية في سياق المعالجة الحكومية لهذه الازمة، على التحول الديمقراطي في تونس، انطلاقا من المسار الجديد الذي اتخذه الرئيس المنتخب، و تأثير ذلك المسار على التجربة الديمقراطية الفتية.

كلمات مفتاحية: التحولات الديمقراطية- الأزمة الاقتصادية- التحول الديمقراطي في تونس- الازمة الاقتصادية التونسية.

Abstract:

This paper discuses one of the challenges associated with the democratic transition, whish is represented in the economic crisis that transition countries are experiencing during this phase marked by institutional uncertainty, this is to explore the extent to whish these crises and the mesures taken to confront them contribute to the chances of success or failure of the transition, based on the context of the elected governments' dealings with the crisis. Through the Tunisian model on whish the hopes and dreams of many peoples in the Arab world were built; we will test the impact of the economic crisis and political repercussions in the context of the government's handling of this crisis on the democratic transition in Tunisia, based on the new path taken by the young president, and the impact of that path on the young democratic experience.

Keywords ; Democratic Transitions - Economoic crisis- Democratic Transition in Tunisia- Tunisian Economic Crisis.

مقدمة:

تشير تجارب التحولات الديمقراطية التي جرت وتجري في بلدان عديدة، إلى عدم يقينية المرحلة الانتقالية ومآلاتها؛ ففي حين استطاعت نماذج عديدة تكريس وترسيخ النظام الديمقراطي بعد مرحلة التحول، انتكست تجارب أخرى وعادة إلى الحكم الاستبدادي والسلطوي، وفشلت بذلك المرحلة الانتقالية بما تحمله من آمال الحرية والعيش الكريم؛ فتحولت هذه المرحلة بطموحاتها وآمالها إلى مرحلة من الاضطراب السياسي وغياب الاستقرار، وتعدد الأزمات الاجتماعية والاقتصادية.

ساهم الفشل الديمقراطي في عدة تجارب ببلدان العالم النامي إلى تحول الاهتمام الأكاديمي لعلم التحول من البحث حول الشروط المسبقة للديمقراطية، 402 *إلى البحث في محددات استدامة الديمقراطية بعد قيامها،* 403 *وهذا التحول في الاهتمام الأكاديمي نابع من انهيار بعد الديمقراطيات ونكوصها مرة أخرى إلى الحكم الاستبدادي، ومن ضحالة وعقم بعض النماذج الديمقراطية التي تم تبنيها بعد الموجة الثالثة للتحول؛* 404 *خاصة في ما يتعلق في مواجهة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية لمواطنيها.*

يرتبط غالبا نجاح أو فشل مرحلة التحول الديمقراطي بمحددات عديدة، وتقدم لنا أدبيات علم التحول « transitologie » *إرثا غنيا في هذا المجال، حيث تختلف وتتنوع محددات وجود الديمقراطية واستدامتها كما أشارت إليها أدبيات كثيرة؛ من الثقافة المدنية، وهو إرث غني بالدراسات الأكاديمية منذ توكفيل*405 *مرورا بسيديني فيربا وكابرييل ألموند،*406 *إلى المحددات المرتبطة بالطبقات الاجتماعية،* 407 *والمحددات الاقتصادية والاجتماعية والإرث الديمقراطي، والمجتمع التعددي والتركيبة السكانية، وحجم الدولة، ووجود الأزمات الاجتماعية والاقتصادية...الخ، ولا يسعنا المقام هنا للوقوف على كل هاته المحددات والشروط المصاحبة للديمقراطية والتي تعمل على ترسيخ الديمقراطية واستدامتها أو تعمل في سقوطها وانهيارها، لذلك سنفحص في هذه المقالة محدد دال تم الاستشهاد به كثيرا في تفسير*

402 تعتبر دراسة سيمون مارتن ليبست من أولى الأبحاث الأكاديمية التي بحثت في الشروط المسبقة والمواتية لقيام النظام الديمقراطي، ينظر:

Seymour martin lipset , Some social requisites of democracy “economic Development and political legitimacy”, the American science review ,vol. 53 No.1 (March.1959).

403 ينظر في هذا الخصوص مثلا لدراسة بروزرسكي وزملاؤه، حول الظروف المساعدة على استدامة الديمقراطية واستمراريتها:

Prezovski at all., Democracy well-being 1950-1990, (cambredge: Cambredg university press.1990).

404 استعمل أول مرة مصطلح الموجة الثالثة في كتاب: صمويل هنتنغتون، الموجة الثالثة: التحول الديمقراطي الديمقراطي في أواخر القرن العشرين، ترجمة عبدالوهاب علوب (الكويت: دار سعاد الصباح، الطبعة الأولى 1993)

405 توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، ترجمة أمين مرسي قنديل (القاهرة: عالم الكتاب 2017).

406 Sydney Verba and Gabriel Almend, Civil culture in Five Nation,London :SAGE Publication 1989.

407 ينظر في هذا الخصوص إلى العمل الفذ لبارينغتون مور، الأصول الاجتماعية للديكتاورية والديمقراطية، ترجة أحمد محمود (لبنان: المنظمة العربية للترجمة الطبعة الأولى 2008).

انهيار الأنظمة الديمقراطية وحتى الأنظمة الاستبدادية على حد السواء، ويتعلق الأمر هنا، بالأزمات الاقتصادية التي تعصف بالكثير من اقتصادات البلدان في طور التحول الديمقراطي، أو تلك التي تعرف اضطرابات سياسية وعدم استقرار سياسي.

تثير العلاقة بين الازمة الاقتصادية والانهيار الديمقراطي الكثير من النقاش العلمي، وفيما كانت تطرح في السابق كأحد الدوافع والأسباب لانهيار الأنظمة الاستبدادية، باتت حاليا تقدم كأحد الأسباب في تغيير النظام في الاتجاه المعاكس؛ أي من الديمقراطية إلى الاستبداد. تكرس الاستدلال بهذا المحدد بعدما عرفت دول عديدة جربت الديمقراطية حديثا انهيارا لتجاربها الديمقراطية في ظل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعاني منها، كفنزويلا، وروسيا، والبيرو وتايلاند ومجموعة من الدول الإفريقية... وقد تمت هذه الانهيارات للعملية الديمقراطية بواسطة قادة منتخبين، ساعدتهم ظروف الأزمة الاقتصادية من اعتلاء السلطة، ومكنتهم سلطاتهم التي حازوا عليها بواسطة الإرادة الشعبية من اتخاذ قرارات سياسية لتقييد المنافسة والتعددية، أدت في النهاية إلى تدنيس المؤسسات الديمقراطية الفتية في هذه الدول والعودة مرة أخرى إلى الحكم الاستبدادي، القائم على حكم الفرد شبه المطلق، وتقييدا كبيرا للحريات المدنية والسياسية.

تقدم لنا تونس نموذجا مثاليا للتحولات الديمقراطية التي تمت في ظل أوضاع اقتصادية غير مواتية؛ حيث بالرغم من أن الانتقال إلى النظام الديمقراطي الذي تم بعد الثورة قد أرسى دعائم الحريات السياسية والمدنية من خلال الدستور والمؤسسات الديمقراطية، إلا أن ظروف المرحلة وتجاذباتها وغياب الاستقرار السياسي، بالإضافة إلى الظروف الإقليمية الصعبة، أثرت على الاقتصاد التونسي وعمقت الأزمة الاقتصادية، وذلك في ظل غياب أي استراتيجية حكومية واضحة للخروج منها، فكان تأثير هذه الأزمة واضحا على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمواطن التونسي، مما زاد من خنق الشعب التونسي تجاه الأحزاب والطبقة السياسية؛ فكان رد الفعل الشعبي هو دعم أفراد للوصول إلى السلطة من خارج الطبقة السياسية التقليدية التي ظهرت بعد الثورة، باعتباها بديلا غير مجرب. لقد كان انتخاب الرئيس قيس سعيد مرحلة تحول جديدة في تونس، مستفيدا بذلك من سؤم الشعب التونسي من الطبقة السياسية التي قادت المرحلة الانتقالية نتيجة سوء الأوضاع الاقتصادية المتردية، ومن ظروف السياق الاقليمي المعاكس لأي تغيير ديمقراطي في المنطقة، فاتخذ بذلك قرارات سياسية والتي تم أغلبها في غياب أي سند دستوري، تبدو أنها تسير بالنظام السياسي ناحية الاستبداد مرة أخرى، ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث في كونه يعالج معضلة التحول الديمقراطي الذي تم في تجارب عدة، وذلك بالبحث في ظروف هيكلية محددة؛ خاصة في نموذج عربي، دائما ما تطرح فيه "الاستثنائية العربية"408 كمسلمة مسبقة لتفسير غياب الديمقراطية وفشلها، ومن ثم فإن هذه الدراسة تقوم على إشكالية التحول الديمقراطي في ظل ظروف الأزمة الاقتصادية، وانعكاس مسار هذه

408 *أنظر مثلا في هذا الخصوص، عزمي بشارة، في المسألة العربية: مقدمة لبيان ديمقراطي عربي، (لبنان : مركز دراسة الوحدة العربية، الطبعة الثانية 2010).*

الأزمة على التحول إلى الديمقراطية. سنقوم بالاجابة على هذه الاشكالية من خلال الاعتماد على المنهج التحليلي الاستنباطي القائم على أسلوب دراسة الحالة، والمنهج المقارن، وذلك انطلاقا من فرضيتين اثنتين:

تساهم الأزمة الاقتصادية في الانهيار الديمقراطي، وتونس لم تكن استثناءا من ذلك.

الاجراءات المتخذة لمواجهة الأزمة الاقتصادية من قبل الحكومات المنتخبة هي المحدد لانهيار الديمقراطية أو بقاءها.

تفرض علينا الاجابة على الاشكالية وفحص الفرضيات معالجة الموضوع في مبحثين، سنخصص للأول الانهيارات الديمقراطية التي تمت في ظل ظروف الأزمة الاقتصادية من خلال الوقوف على حجم الانهيارات الديمقراطية، والدراسات التي قاربت الموضوع، فيما سنخصص للثاني البحث في النموذج التونسي، وإيضاح حجم الأزمة الاقتصادية وتأثير ذلك على التحول الديمقراطي في هذا البلد.

المبحث الأول: الانهيار الديمقراطي وأسبابه.

تعددت تجارب الدول التي عرفت انهيارا للعملية الديقراطية بعد فترة من قيامها بالتحول الديمقراطي وقد تمت هذه الانهيارات في ظل تراجع الديمقراطية عالميا، وتطرح عدة أسباب ومحددات لهذا الفشل؛ وهي عديدة ومتنوعة، لذلك سنختبر المحدد المرتبط بالأزمات الاقتصادية وتأثيره على بقاء الديمقراطية أو انهيارها في فترة ما بعد التحول الديمقراطي.

أولا: الانهيارات الديمقراطية خلال الموجة الثالثة.

تزامنت التحولات الديمقراطية التي جرت أثناء الموجة الثالثة للتحول الديمقراطي، مع التحولات الهيكلية التي عرفتها اقتصادات كثير من دول العالم النامي في الثمانينات،409 نتيجة ارتفاع المديونية وحديتها. أدى هذا التزامن إلى بروز تحديات كبيرة للسطات الانتقالية أثر على استقرارها السياسي410؛ حيث كثيرا ما كان الحزب الذي أدار

409 *للمزيد حول الأزمات الاقتصادية خلال الفترة الانتقالية ينظر:*

Elias Papaionnou and Gregorios siourounis, Democrati and growth, the Economic journal, volume .118, n°532, 2008; Freud carolne and Melise jaud, regime change :democracy and crowth, peterson institus for international Economics (IIT), april, 2014 ; Ades A. and H.chua, the neighbor's curse: regional Instability and economic growth, journal of economic growth,n. 2 , (1997), Ben doudou makrem et Rahali faycel, Démocratie, Stabilité Politique et croissance économic: Estimation a partir d'une modèle panel dynamic, L'actualité économic , vol.94 ,n.1, mars 2018; Luiz carlos bresser pereira, Jose maria marvall, Adam prezowski, Economic reforms in new democracies :A social democratic Approche, (Cambridge university press, 1993)

410 *خلال الفترة الممتدة ما بين 1985 و 2004، انتهت الفترة الرئاسية لاثني عشر رئيسا عقب مظاهرات شعبية أو ضغط شعبي أرغمهم على تقديم استقالتهم، فقد أرغم الرؤساء إلى ترك مناصبهم في بوليفيا تحت الضغط الشعبي للمرة الثالثة خلال عشرين عاما، وفي الاكوادور للمرة الثالثة خالل عقد. وعندما تولى " نيستور كيرسنر " الرئاسة في ماي 2003 كان سادس رئيس ارجنتيني خلال ثمانية عشر شهرا، أنظر: لاري دايموند، روح الديمقراطية، ترجمة عبد النور الخراقي، (الدوحة: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الاولى 2014)،ص.292.*

المرحلة الانتقالية يفشل في النجاح بالانتخابات التالية، هذا إن لم يختفي عمليا، وقد حصل ذلك في اسبانيا والبرتغال واليونان والارجنتين وبوليفيا والبرازيل والإكوادور والبيرو والاوروغواي وكوريا والفيلبين411 وتونس. أدى غياب الاستقرار السياسي للحكومات المنتخبة في كثير من دول التحول الديمقراطي، إلى عدم متابعة الحكومات المنتخبة للسياسات الاقتصادية الهادفة إلى مواجهة الأزمة الاقتصادية، ساهم هذا الفشل الحكومي والحزبي في نماذج عديدة إلى ارتدادت سياسية انعكست سلبا على نموذج التحول الديمقراطي وأعاقته، نتيجة استمرار سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمواطنين، لكن في نماذج أخرى أدرات الحكومات الانتقالية المرحلة بكفاءة.

في تفسيره لإتجاهات الاصلاح الاقتصادي في أمريكا اللاتينية، وجد غييرمو أودونيل، أن الدول التي لم تتبع سياسات اقتصادية متطرفة (الاورغواي والشيلي)، كانت في حالة استعادة الديمقراطية، بعد فترة من الحكم العسكري، حيث بمجرد استعادة الديمقراطية شرع الكونغرس في الأوروغواي مثلا، بالعمل بفاعلية، ولم يكن في وسع أي رئيس أوروغوياني إقرار سياسة اقتصادية متطرفة... لذلك يتضح الفرق بين امتلاك أو عدم امتلاك شبكة من القوى المؤسسية الفاعلة التي تؤمن قاعدة لعملية صنع السياسة412؛ فالخبرة السياسية413 للعمل الديمقراطي ساعدت هذه البلدان في توطيد سريع نسبيا للمؤسسات الديمقراطية. لذلك كانت هذه الحالات هي أكثر النماذج نجاحا في سياستها الاقتصادية، حيث تابعت الحكومات السياسة الاقتصادية تدريجيا، وتمت مناقشة معظمها في البرلمان مع مختلف الجماعات؛ فلم تكن لها تبعات اجتماعية كبيرة على باقي أفراد الشعب. يقدم "روبرت كوفمان" و"ألفريد استيبان" حجة أخرى لتفسير خيارات السياسات الاقتصادية للحكومات المنتخبة؛ حيث تكون خيارات السياسات الاقتصادية مريحة لتك التي ورثت أوضاع اقتصادية جيدة عن أسلافها التسلطيين، كحالات التحول الديمقراطي في كوريا وتايوان، في حين تكون خيارات السياسات الاقتصادية صعبة ومحدودة في التحولات الناتجة عن أزمة النظام الاستبدادي كالتحول الذي وقع في الفليبين والأوروغواي... 414

غير أن هذا المحدد الدال لانهيار الديمقراطية في بلدان العالم النامي لا يخفي محددات أخرى لترسيخ النظام الديمقراطي ومنع الارتداد مرة أخرى إلى الحكم السلطوي، فقد تكون نماذج التحولات الديمقراطية في حاجة إلى

411 *مارك ف. بلانتر ولاري دايموند غييرمو أودونيل وأدم بروزرسكي وأخرون، الديمقراطية: أبحاث مختارة (بيروت: شركة الكبوعات للنشر والتوزيع، طبعة 2016)،ص.97-98.*

412 *أنظر المرجع نفسه، ص.ص.98-99.*

413 *للمزيد حول الخبرة السياسية وتأثير المؤسسات في حالة استعادة الديمقراطية على فرص استدامتها أنظر مثلا، مارك ف. بلانتر ولاري دايموند وأدم بريجوفسكي وأخرون، مرجع سابق، ص.ص.171-172.*

414 Robert kaufamne and stephan Haggaard, Political Economy of Transition democraty, (United Kingdom: Princeton University Press 1995).

الثقافة السياسية المدنية415 والتوافق السياسي وتعزيز المؤسساتية416، ومزيدا من توسيع المشاركة، كما قد تكون في حاجة إلى مزيد من النمو وتراكم الدخل القومي وزيادة الدخل الفردي، وتجاوز الأزمات الاقتصادية417، والاجتماعية التي ورثتها الديمقراطية الجديدة عن أسلافها الاستبداديين، ومحاربة الفساد والفقر وكبح التفاوت الاجتماعي، أو تعزيز دور مؤسسات الرقابة والمحاسبة، أو ربما في السيطرة المدنية على الجيش والقوات المسلحة، أو في مزيد من تعزيز حكم القانون و الشفافية.

على أي حال، تشير تقارير منظمة بيت الحرية إلى أن العالم منذ سنة 2006 دخل في حالات ركود ديمقراطي طويل، كانت هناك عدة أسباب لهذا الركود، أشار لاري دايموند إلى أربع أسباب تتمثل في تزايد معدل الانهيارات الديمقراطية، ثانيا؛ تدهور جودة واستقرار الديمقراطية في العالم، خاصة في دول الأسواق الناشئة (كالهند، وجنوب إفريقيا وتركيا...) أو كما يسميها لاري دايموند "الدول المتأرجحة"، ثالثا؛ تعمق الاستبداد بما في ذلك الدول المهمة والقوية من الناحية الاستراتيجية (كالصين وروسيا، والسعودية وإيران...)، رابعا؛ يبدوا أن الديمقراطيات الراسخة، بدءا من الولايات المتحدة الأمريكية تعمل بشكل سيء وتفتقر إلى الإرادة والثقة بالنفس لتعزيز الديمقراطية بشكل فعال في الخارج .418

من جهة أخرى، زادت الانهيارات الديمقراطية التي تتم من طرف قادت منتخبين أسعفهم مركزهم السياسي لاتخاذ قرارات، أعادت النظام الديمقراطي إلى الاستبداد مرة أخرى، مقابل تراجع الأشكال التقليدية القائمة على الانقلابات العسكرية. إذ يمكن أن تقع الانهيارات الديمقراطية نتيجة الانقلابات الذاتية التي يقوم بها الرؤساءّ؛ كالانقلاب الذاتي للرئيس فيجموري في البيرو، أو بالإجراءات التي اتخذها الرئيس التونسي قيس سعيد، بحل البرلمان والحكومة واستئثاره بالقرار السياسي في البلاد، حيث يتم استخدام السلطة لتدنيس المؤسسات والممارسات الديمقراطية من

415 *للمزيد حول دور الثقافة المدنية في وجود الديمقراطية وترسيخها، أنظر العمل المؤسس لتوكفيل حول ما لاحظه في دراسته لامريكا: توكفيل، مرجع سابق، أنظر أيضا عمل سيدني فيربا و غابرييل ألموند، لدور الثقافة المدنية في نشوء الديمقرا طية :*

Sydney Verba and Gabriel Almand ,op.cit

416 *صمويل هنتنغتون، النظام السياسي في مجتمعات متغيرة، ترجمة حسام نايل، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الاولى 2017).*

417 *يعتبر مثلا خوان لينز ولاري دايموند بأن الأزمات الاقتصادية تمثل أحد أبرز التهديدات للإستقرار الديمقراطي، انظر:*

Larry Daymond and Juan J.Linz, Introduction : Politics, Democracy, and Society in Latin American, In Larry Daymond and Juan J.Linz, and Seymour Martin Lipest, Democracy and Developing countries: Latin American (Boulder, Colo: Lynne Reinner, 1989).

418 Larry Daymond, Facing up to The Democratic Recession, journal of Democracy,Vol.26, n.1, January 2015.

قبل قادة منتخبين ديمقراطيا، وقد اتخذ ذلك أشكال متعددة كتزوير الانتخابات وتغيير في قواعدها، أو الخنق التدريجي للديمقراطية والتضييق على الحريات وسيادة القانون. 419

في دراسة حديثة قدمت باربرا غيدس وأخرون،420 مسحا شاملا لصعود الأنظمة الديكتاتورية الحديثة؛ فوجدت أن التحولات نحو الحكم الديكتاتوري كانت تتم غالبا عبر الانقلابات العسكرية، غير أن التحول نحو الديكتاتورية كان أيضا يتم عبر حزب فاز بانتخابات حرة ونزيهة، "قبل أن يستخدم سلطاته لتمرير تشريعات وقوانين لتحجيم المعارضة، ومن ثم يقود حكومته نحو الديكتاتورية"421، حيث تقوم حكومة منتخبة ديمقراطيا بتحويل نفسها ناحية الاستبداد، عادة من خلال منع المعارضة، واعتقال قادتها، أو إغلاق الهيئة التشريعية وخرق حقوق المعارضة وتزوير الانتخابات422، كما حدث في روسيا سنة 2000، وغينيا بيساو سنة 2002 وفنزويلا سنة 2004، و في أوكرانيا سنة 2012 وكينيا سنة 2007... وعلى العكس الانقلابات العسكرية التي تقوم على تهديدات ذات مصداقية باستخدام العنف المسلح، فإن المجموعات المنتخبة تستخدم استراتيجية وجودها في السلطة وتحكمها في أنظمة التشريع والقضاء؛ فتقوم عبر إجراءات قانونية أو تشريعية بحظر المعارضة423 والتضييق على المنافسة، و خنق الحريات المدنية والسياسية لتضمن سيطرتها على الانتخابات.

إذن، ما الذي يدفع بعض الحكومات المنتخبة ديمقراطيا لكي تنحو نحو الحكم الاستبدادي؟.

في مثل هذه الحالات غالبا ما تكون المؤسسات الديمقراطية مثل الأحزاب السياسية والبرلمانات ضعيفة التطور، وتفتقر البيروقراطية إلى الخبرة السياسية، والأكثر من ذلك، الاستقلالية والسلطة لإدارة الاقتصاد بشكل فعال. يؤدي ضعف الأداء الاقتصادي وتزايد عدم المساواة في تفاقم مشاكل إساءة استخدام السلطة وتزوير الانتخابات وانتهاك قواعد اللعبة الديمقراطية424؛ ففي روسيا تقلصت مساحة المعارضة تدريجيا، ونشاط المجتمع المدني الخارج عن سيطرة السلطات الحاكمة نتيجة استفحال الأزمة الاقتصادية425، كما اتخذت السلطات الحاكمة في فنزويلا نفس النهج في التضييق على المعارضة وحجب وسائل الإعلام المعارضة، والتضييق على المنافسة في الانتخابات، فكان

419Larry Daymond, Facing up to The Democratic Recession,op.cit.p.147.

420 *باربرا غيدس وأخرون، كيف تعمل الديكتاتوريات؟، السلطة وترسيخها وانهيارها، ترجمة عبدالرحمن عياش، (الدوحة: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى 2021).*

421 *المرجع نفسه، ص.19.*

422 *المرجع نفسه،ص.53.*

423 *المرجع نفسه، ص.55.*

424 Larry Daymond, Facing up to The Democratic Recession,op.cit, p.150.

425 Op.cit, p.151.

الانحدار الديمقراطي يتم تدريجيا في هذين الدولتين إلى أن تحولتا نحو الاستبداد مرة أخرى، ويبدو أن تونس تسير نحو ذلك الطريق في تقييد الديمقراطية من خلال الاجراءات التي اتخذها الرئيس المنتخب، بحل البرلمان والحكومة واستئثاره بجميع السلطات، نتيجة لاستفحال الأزمة الاقتصادية والاجتماعية في البلاد، ويكمن العامل الواحد بين هذه النماذج هو عدم قدرة الحكومات الديمقراطية المنتخبة في مواجهة الأزمة الاقتصادية ومعالجتها، الشيء الذي سمح بصعود زعماء سياسيين ساهموا في تقويض أسس المنافسة والتعددية في بلدانهم.

في أحيان أخرى تكون مشكلات الترسيخ والتوطيد أكثر استعصاء؛ سارت التحولات الديمقراطية في أغلبها إلى كسب رهان التوافق بين النخب والجماعات لتحقيق الاستقرار السياسي للنظام الجديد، وقد كان نجاح الانتقال في بعض الأحيان يتضمن "القبول بمجوعة من الاتفاقيات والمواثيق السياسية التي تحدد المجالات الحيوية التي تهم النخب" .426

تمثل التحولات الديمقراطية في أمريكا اللاتينية أكثر حالات التحول الديمقراطي التي أدارتها النخب العسكرية والاقتصادية، ففي البرازيل مثلا؛ نسق الجيش، بالتحالف مع نخب أخرى عودة النظام المدني، ورتب الرجوع إلى الحكم المدني بمجموعة من المواثيق والبنود الدستورية التي حافظت على مصالح الجيش427، وقد حدث الأمر ذاته في الشيلي عندما أدار الجيش والنخب المحافظة عملية التحول الديمقراطي، فحافظوا بذلك على بعض الامتيازات، مثل هذه الحالات تجعل الديمقراطيات مقيدة من جوانب كثيرة، لذلك فإن الإشكالات المهمة هنا تكمن في عملية الترسيخ الديمقراطي.

أشارت تيري لين كارل من خلال دراستها للتحولات في أمريكا اللاتينية والوسطى، أن هذه المرحلة تتطلب مهارات والتزامات من الجهات الفاعلة الرئيسية التي تختلف نوعيا عن تلك التي تظهر أثناء الانتقال. في هذه المرحلة الأخيرة من التوطيد، يجب على الجهات الفاعلة السياسية إثبات القدرة على التمييز بين القوى السياسية بدلا من جذبها جميعا إلى تحالف كبير، والقدرة على تحديد المشاريع السياسية المتنافسة وتوجيهها، بدلا من السعي لإبقاء الاصلاحات التي تحدث توترا وانقساما بعيدة عن جدول الأعمال، والاستعداد لمواجهة الاصلاحات التدريجية، لا سيما في مجالات الاقتصاد والعلاقات المدنية العسكرية، بدلا من تأجيلها إلى وقت لاحق،428 وهو ما تم بالفعل في تجارب عديدة بدول في أمريكا اللاتينية. لكن عندما لا يقوم الفاعلون السياسيون بدوهم لتعزيز الديمقراطية وترسيخها، فإن خطر الشعبوية يلقي بضلاله؛ ففي البيرو، قدم الرئيس فيجيموري على انقلاب ذاتي سنة 1992 وحصن

426 *غيورغ سورنسن، الدميقراطية والتحول الديمقراطي:السيرورات والمأمول في عالم متغير؛ (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى 2015)،ص.109.*

427 *المرجع نفسه، ص.ص.109-110.*

428 Terry Lynn Karl, Dilemmas of Democratization in L atin American, Comparative Politics, vol.23, no.1 (octo. 1990),p.17.

سلطاته من خلال تعطيل عمل البرلمان، وقد تم ذلك في إطار دعم شعبي كبير، نتيجة سئم الشعب من النخب السياسية وفسادها وفشلها في معالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، كما كان تأثير عودة البيرونية في الأرجنتين واضحا، وقد عكس صعود هذا التيار الشعبي مشكلات الترسيخ الديمقراطي، وحدية المشكلات الاقتصادية والمالية والاجتماعية، وكان صعود هوغو تشافيز في فنزويلا لنفس الأسباب، التي أدت إلى صعود الخطاب الشعبوي في هذه البلدان.

ينم وصول هؤلاء الزعماء إلى السلطة في بلدانهم عن الفشل في إدراة التحول الديمقراطي429؛ حيث لا تعمل السلطات الانتقالية بجهد واسع لمواجهة الأزمات الاقتصادية وحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، وتخفيض حدة اللامساواة في الدخل، الشيء الذي يؤدي إلى تراجع الدعم الشعبي لها، فيبرز بذلك الخطاب الشعبوي ويقدم حلولا سطحية لأزمات مستعصية، فيستهوي هذا الخطاب فئات كبيرة من السكان، وعندما يتيقن المنتخبون الجدد من الدعم الشعبي الكبير الممنوح لهم، فإنهم يعملون على توسيع سلطاتهم التنفيذية و تهميش باقي السلطات الأخرى،430 ويسعون إلى السيطرة على وسائل الإعلام، ويحصنون سلطاتهم بتشريعات وقرارت، ويضيقون على الحريات،431 ويحدون من المنافسة مستقبلا. وهنا تكمن معضلة التحول الديمقراطي في ظل هذه الظروف، حيث هناك دائما خطرا يتهدد هذه المرحلة يكمن في تحول الاهتمام الشعبي نحو بدائل غير ديمقراطية واستبدادية، ويمثل خطر الشعبوية أكبر تهديد في هذا السياق.

ثانيا: تأثير الأزمات الاقتصادية على الديمقراطيات الجديدة.

اعتمدت الكثير من الديكتاتوريات خلال القرن العشرين على شرعية الأداء، وخاصة منه الاقتصادي المرتبط بالنمو وزيادة الدخل القومي و الفردي، وحين افتقدت هذه النظم إلى شرعية الأداء انهار معظمها تحت وقع الأزمة

429 *للمزيد حول أزمة الديمقراطية وصعود الشعبوية أنظر مثلا، عزمي بشارة، الشعبوية والازمة الدائمة للديمقراطية، سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، العدد 40، شتنبر 2019،ص.ص.7-34. و مداني ليلى، تراجع جودة الديمقراطية في العالم ومخاطر صعود الشعبوية، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 13- عدد 4، يوليوز، 2021.ص.ص. 228-240.*

430 *تحدد قاعدة البيانات العالمية التي تحمل عنوان " الشعبوية في السلطة 1990-2018" فصلا بين حدود تأثير الشعبوية في الديمقراطيات الليبرالية الراسخة، وتأثيرها على الديمقراطية الناشئة من خلال ثلاث جوانب من المؤسسات الديمقراطية، وهي: جودة الديمقراطية على نطاق واسع، والضوابط والتوازنات على السلطة التنفيذية، والمشاركة السياسية. ووجدت الدراسة أن الحكم الشعبوي سواء من اليمين أو اليسار له تأثير سلبي على الأنظمة السياسية ويؤدي إلى خطر كبير على تآكل الديمقراطية، وأن هذا التآكل يمكن احتواءه من طرف الديمقراطيات الراسخة في حين قد تصل حدود تأثير الشعبوية إلى تهديد بقاء الديمقراطيات الوليدة، خاصة تلك التي تحولت من نظام سلطوي لا يزال في التطور تدريجيا باتجاه الديمقراطية. للمزيد أنظر:*

Jordan Kile and Limor Gultchin, and Authers, Populistin Power Around the World, 7th November 2018, Global challenges, https://institute.global/policy/populistts-world*appendix:-methodology.

431 *يهاجم الشعبويين الحقوق الفردية فأثناء فترة تواجدهم في السلطة انخفضت حرية الصحافة بنحو 7 في بالمئة والحريات المدنية بنسبة 8 بالمئة والحقوق السياسية بنسبة 13 بالمئة.* Jordan Kile and Limor Gultchin, and Authers, op.cit.

الاقتصادية. وهذه الحقيقة تنطبق جزءيا على الأنظمة الديمقراطية، فهي تعتمد كثيرا على شرعيتها الشعبية، لكن هذه الشرعية مرتبطة بأداءها وفعاليتها؛ خاصة وأن طموحات الأفراد والجماعات تزداد مع التحول إلى النظام الديمقراطي.

أكد هذه الحجة "روبرت كوفمان" و"ستيفان هكارد" في دراسة لهما، بالقول: "إن الأنظمة الديمقراطية وغير الديمقراطية معرضة لعدم الاستقرار في حالة الأزمات الاقتصادية على حد السواء".432 أوضحت نماذج كثيرة خيبة أمل من النظام الديمقراطي، خاصة أمام تحدي الأزمات الاقتصادية، فدب الشك لدى فئات اجتماعية كبيرة في قدرة الديمقراطيات الجديدة في مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية، وأعيد الجدل في كثير من الحالات حول صلاحية الديمقراطية في تطبيق نماذج إصلاح اقتصادي مؤلمة ومتطرفة لإعادة التوازن إلى الاقتصاد وتحقيق الاستقرار الاقتصادي،433 خاصة وأن الأنظمة الديمقراطية تكون تحت ضغط التأثير الشعبي على عملها، وتساهم المجموعات الإجتماعية المختلفة في تبني مصالحها الخاصة وتفرضها في أغلب الأحيان على الحكومات المنتخبة، في حين تكون الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للدولة في تدهور مستمر.

جادل خوان لينز مبكرا بأن الديمقراطية تنهار لأنها "تفقد الشرعية"، لكن أرجع فقدان الشرعية في الأنظمة الديمقراطية لفشل السياسيين الديمقراطيين في حل المشاكل السياسية.434 لقد كان عمل لينز مقدمة لمجموعة من الأدبيات الأكاديمية التي تركز ليس فقد على كيفية نشوء الديمقراطية وقيامها لكن في أسباب انهيارها. وبدءا من العمل الرائد الذي قام به غييرمو أودونيل،435 طور العديد من الباحثين نماذج نظرية معقدة تركز على دور الأزمات الاقتصادية في انهيار الديمقراطيات الجديدة،436 فيما حاجج أخرون بأن الأزمات الاقتصادية يمكن أن تؤدي أيضا إلى تغيير النظام في الاتجاه المعاكس ودفعه نحو تبني النظام الديمقراطي. 437

432 Robert kaufamne and stephan Haggaard, Political Economy of Transition democraty, (United Kingdom: Princeton University Press 1995) p.102.

433 *أنظر مثلا في هذا الخصوص لاستنتاجات دراسة روبرت وايد حول التأثير السلبي للتعددية والمنافسة في الدول النامية على النمو:*

Robert wade « Governing The market, Economic Theory and the role of government in west Asian Industiarialisation ». Princeton University Press.1990.

434 Juan Linz, Crisis, Breakdown and Re-equilibration, Baltimore : Johns Hopkins University Press, 1978.p.50

435 Guillemo O'Donnell, Modernisation and Bureaucratic Authoritarianism :Studies in South American Politics, Berkley : Institute of International Studies, University of California.1970

436 Mark J.Gasiorowski, Economic Crisis and Political Regime Change: An Event Historyb Analysis, American political science, vol.89, no.4 (december 1995).

437 Robert Kaufman, Transition to stable Authoritarian-corporate Regimes ; The Chilean Case, Beverly Hills: Sage 1979.

تقدم لنا الأدبيات المختصة نتائج متضاربة فيما يخص تأثير الأزمات الاقتصادية في تفسير تغيير النظم السياسية، وقد انساق أغلبها في اتجاه تغيير النظام من الديكتاتورية والاستبداد نحو الديمقراطية؛ فيما أكد عدد منهم، أن الأزمات الإقتصادية لم يكن لها تأثير دال في تغيير النظام، سواء إلى الحكم الديمقراطي أو الاستبدادي، فيما توصلت دراسات أخرى إلى أن الأزمات التضخمية التي أعاقت التحول الديمقراطي في الخمسينيات والستينيات، يبدو أنها سهلت التحول الديمقراطي في أواخر الثمانينات،438 لكن أزمات الركود لم يكن لها تأثيرات بمرور الوقت من هذا القبيل. هذه الفرضية تعاكس كليا استنتاجات جون تيوريل الذي وجد أن الأزمات الانكماشية لا التضخمية هي التي وحدها تعمل كمحدد دال على التحول الديمقراطي،439 والحجج المتعلقة بالتضخم تدعم بوضوح حجج هنتنغتون440 وريمر441 القائلة بأن العمليات التي تؤثر على التحول الديمقراطي في موجة، تختلف جدا عن التي قبلها.

على العموم، كرست الأدبيات الكلاسيكية، خلال النصف الثاني من القرن العشرين العلاقة القوية بين الأداء الاقتصادي وبقاء الأنظمة، وخاصة الديمقراطيات.442 وهذا ما توصل إليه بروزوفسكي وزملاؤه حول تأثير النمو الاقتصادي والدخل، على بقاء الديمقراطيات الجديدة والهشة؛ حيث عندما تواجه الديمقراطيات انخفاضا في الدخل يكون احتمال اختفاءها أكثر بثلاث مرات مما كانت عليه عندما تشهد نموا اقتصاديا.443 وأكدت أدبيات كثيرة هذه الحجة، وأضافت إليها أخرى الإرث الديمقراطي الطويل كمحفز للحفاظ على الديمقراطية أثناء الأزمات،444 ويعكس ذلك أن الديمقراطيات الضعيفة والهشة هي المعرضة أكثر من غيرها للإنهيار في مثل هذه الظروف، خصوصا عندما تتراكم الأزمة وتستمر على مدى سنوات. 445

---

438 Mark J.Gasiorowski, Op.cit, p.892.

439 *للمزيد أنظر، جون تيوريل، محددات التحول الديمقراطي: تفسير تغير أنظمة الحكم في العالم (1972-2006)، ترجمة خليل الحاج صالح، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، الطبعة الأولى 2019.*

440. *صمويل هنتنغتون، الموجة الثالثة، مرجع سابق،ص.130.*

441 Karen L. Remmer, Debt or Democracy : The Political Impact of the Debt Crisis in Latin American. In Debt and Transsfiguration, Prospect for Latin America's Economic Revival, ed. David Felix. Armonk, NY: Sharp. 1990.

442 Larrry Diamond, The impact of the Economic Crisis : Why Democracy survive, Journal of Democracy, vol.22, no.1, Junuary 2011,p.17.

443 *بوزووسكي وأخرون، مرجع سابق.*

444 Moller.J.Schmotz .A. Skaaring S.E, Economic Crisis and Democratic Breakdow in the interwar years: A reassessment, Historical Social Research, vol.2, no.40, 2015, pp.313-314.

445 Op.cit,p.314.

أعادت الأزمة الاقتصادية لسنة 2008 النقاش العلمي المنصب حول تأثير الأزمات الاقتصادية على الديمقراطية في الأدبيات الحديثة، حيث تسببت هذه الأزمة في أسوأ تراجع اقتصادي منذ أزمة الكساد العظيم، و شملت ارتداداتها وتأثيرها جميع دول العالم، وإن اختلفت حدة الأزمة من دولة إلى أخرى تبعا لارتباطها الاقتصادي في النظام المالي والاقتصادي الدولي، لكن يبدو أنه على الرغم من تبعاتها الاقتصادية فإن تأثيرها على الديمقراطيات بقي محدودا. 446

يفسر لاري دايموند ضعف تأثير الأزمة الاقتصادية لسنة 2008 على الديمقراطيات، بثلاث أسباب، واحدة يرجع تفسيرها لاستنتاجات دراسة بروزرسكي وزملاؤه، والأخرتين إلى ظروف التغيير الذي طرأ على الديمقراطيات منذ بداية الألفية؛ فالسبب الأول، يرجع إلى أن عمق الأزمة الاقتصادية الشديدة ضرب الاقتصاديات الغنية وذات الدخل المرتفع، وهذه الدول لها أنظمة ديمقراطية مرسخة مؤسساتيا، مما يؤكد حجة بروزرسكي بأن الديمقراطية لن تنهار أبدا في بلد غني. أما الثاني؛ فقد لاحظ لاري دايموند أن حتى الديمقراطيات الأحدث والأضعف من الناحية الاقتصادية طورت أشكال مؤسساتية سمحت للشعب بمعاقبة المسؤولين في الانتخابات وهزيمتهم، وبالتالي تم المحافظة على النظام الديمقراطي. يشير السبب الثالث، إلى أن الانهيارات الديمقراطية التي حدثت في بعض نماذج التحولات الديمقراطية، تسبق بكثير الركود العالمي، ويرجعها إلى سوء الإدراة الداخلية،447 وهو ما يفسر في أن الكثير من الحالات التي وقعت فيها الانهيارت الديمقراطية كانت المعدلات الاجمالية للنمو الاقتصادي جيدة إلى حد ما.448 وبالرغم من أن لاري دايموند لا ينكر تأثير الأزمات الاقتصادية على الانهيار الديمقراطي ولا يستبعده،449 إلا أن ما لاحظه من تجارب الانهيارات الديمقراطية منذ 1999 هو أنها جميعها تشترك في ميزة أساسية وهي ضعف الحوكمة وغياب الجانب الليبرالي فيها؛ حيث ينتشر سوء الادارة وانتشار الفساد وتجاوزات السلطات التنفيذية، وضعف سيادة القانون، واستمرار العنف وغياب فعالية الحكومة... وهو ما يمكن ملاحظته في نماذج كفنزويلا وجورجيا وروسيا ونيجيريا وهندوراس وكينيا وباكستان... .450

446 *نحن لا ننكر هنا آثار الازمة الاقتصادية في تحفيز حركات راديكالية مناهضة للديمقراطية، وأحزاب قومية متطرفة، مع صعود تأثير الخطاب الشعبوي في كثير من البلدان، وقد اتخذ هذا الأمر في الدول الأوروبية صراعا هوياتيا وقوميا موجه ضد المهاجرين والأقليات، وهو ما يعسكه زيادة تمثيل الأحزاب المتطرفة في المجالس التشريعية لكثير من البلدان الأوروبية (كالنمسا والمانيا وفرنسا ...)، لكن ذلك لم يؤدي إلى تهديد جدي للنظام الديمقراطي، أو تهديد للقيم الليبرالية داخل هذه الدول.*

447 Larrry Diamond, The impact of the Economic Crisis : Why Democracy survive, op.cit, p.18

448 *من جميع الحالات التي لاحظها لاري دايموند والتي وقعت فيها انهيارات ديمقراطية منذ 1999، وجد أن إثنى عشرة حالة كانت تعرف معدلات نمو إجمالية جيدة إلى حد ما، وباستثناء حالات قليلة عرفت تدهورا في نموها الاتصادي أثناء وقوع الانهيار الديمقراطي، وشملت جمهورية فيجي سنة 2000 ونيبال سنة 2002 وهندوراس سنة 2009 ومدغشقر سنة 2009 والنيجر سنة 2009، أنظر:*

Larrry Diamond, The impact of the Economic Crisis : Why Democracy survive,op.cit.p.20.

449 Op.cit p.18

450 Op.cit pp.20-21-22.

وبشكل عام، تشير الأدبيات الكلاسيكية إلى العلاقة القوية بين الأزمات الاقتصادية ومعضلة التحول إلى النظام الديمقراطي،451 غير أن جهود أبحاث حديثة تشكك في تلك العلاقة وتطرحها للمزيد من البحث والتمحيص كما رأينا في دراسة لاري دايموند، وهنا يمكننا أن نتسائل هل الأزمات الاقتصادية هي التي تحفز الانهيار الديمقراطي وتفشل تجارب التحول الديمقراطي، أم الحلول المقترحة لمواجهة هذه الأزمة ؟. والسؤال هنا نابع من ملاحظة أن بعض الديمقراطيات تنجو من الضغوط المرتبطة بالأزمات الاقتصادية، بينما تنهار ديمقراطيات أخرى في ظل ظروف مماثلة أو حتى أقل شدة.452

افترض مثلا ديفيد أندرسون وأخرون (في دراسة موسعة شملت الفترة مابين 1903 و 2010)، أن ذلك راجع إلى جودة البيروقراطية؛453 فكلما حازت الدول على بيروقراطية مدربة وفعالة كانت استجابة السلطات السياسية أسرع، وإدارتها للأزمة أكثر نجاحا، لأن البيروقراطية كما قام أودونيل هي أحد مفاتيح إدراة الأزمة،454 حيث تؤمن هذه الأخيرة سياسات أكثر حكمة وتنفيذا وأكثر انضباطا وسرعة وحيادية، وتحمي بعض المصاعب الناتجة عن الأزمات، لاسيما الفقر وتزايد عدم المساواة، وبالتالي تقليل الحوافز الجماهيرية للتعبئة ضد النظام. 455

يعكس هذا الافتراض، رفض التأثير المستقل للازمة الاقتصادية على فشل التحول الديمقراطي، لأن العلاقة تناسب فقط بعض الحالات وليس كل الحالات، كما أشارت أدبيات كثيرة، مما يعكس حقيقة أن الأزمات الاقتصادية مجرد محركات للتغيير وليس آلية حاسمة في نهاية المطاف لتغيير النظام،حيث يرجع ذلك إلى تعامل القادة الديمقراطيين مع عدم الرضا من الجماهير بسبب الفقر واللامساواة نتيجة حدية الأزمة الاقتصادية،الشيء الذي يزيد من عدم الثقة وانخفاض الايمان بالديمقراطية، مما يؤدي إلى حشد الحركات المناهضة لديمقراطية للقيام بتهديد جدي للنظام.456 ذلك ما تكشف عنه حالات التحول الديمقراطي؛ إذ تم في حالات عديدة أن

451 Svolik M. Whish Democracies Will Last ? Coups, Incumbent Takeovers, and the Dynamic of Democratic Consolidation, British Journal of Political Science, vol.45, no.4. 2015, pp.715-738; and Moller at.all, Economic Crisis and Democratic Breakdown in the Interwar Years: A Rassessment, Historical Social Resherch, vol.40, no.2, 2015,PP.301-31; and PrzewoskI.A. Democracy and Market (New york: Cambridge university press),1991.

452Moller.J.Schmotz .A. Skaaring S.E. Economic Crisis and Democratic Breakdow in the interwar years: A reassessment, Historical Social Research, vol.2, no.40, 2015, pp.303-304.

453 David D.E. Anderson and Suthan Krisharajan, Economic crisis, Bereaucratic Quality and Democraty Breakdown, Government position, vol.54, no.4, 2019,pp.715-744.

454 Guillemo O'Donnell, Modernisation and Bureaucratic Authoritarianism :Studies in South American Politics,p.1-30 and 70.

455 David D.E. Anderson and Suthan Krisharajan, op.cit, p.717.

456 Op.cit.719.

استجابة الحكومات المنتخبة للأوضاع الاقتصادية وأدارت الأزمة الاقتصادية بكفاءة، فيما كان القصور يعتري حالات أخرى مما كرس الأزمة الاقتصادية وزاد من أثارها السياسية على الديمقراطية.

المبحث الثاني: تأثيرالأزمة الاقتصادية على التحول الديمقراطي في تونس.

ساهمت الوضعية السياسية غير المستقرة للمرحلة الانتقالية في تونس لغياب اليقين حول مسار المرحلة ومآلها، وقد زاد من تعميق الأزمة الاقتصادية غياب أي استراتيجية حكومية واضحة لمواجهتها، مما ساهم في تعقيد الوضع الاقتصادي والاجتماعي في تونس، وأدى ذلك إلى السؤم والسخط من الوضع المتردي، وهو ما دفع غالبية المواطنين إلى تبني خيارات أخرى بعيدا عن النخب السياسية التي أدارت المرحلة الانتقالية، فكان انتخاب الرئيس الجديد تغييرا في قواعد اللعبة السياسية التي بدأت منذ 2011.

أولا: الأزمة الاقتصادية التونسية في فترة التحول الديمقراطي.

عرفت تونس احتجاجات بداية من 17 ديسمبر 2010، انتهت بسقوط النظام في 27 فبراير 2011، معلنة بذلك نجاح الثورة وتنصيب حكومة جديدة انتقالية، بعد القيام بالثورة انتقلت تونس إلى مرحلة بناء وإعداد مؤسسات دستورية تلبي تطلعات وطموحات الثورة التونسية، ثورة الحرية والكرامة457، بانتخاب الهيئة التأسيسية، ثم ثانيا من خلال إعداد الدستور الجديد، في ذروة طموح الشعب التونسي نحو الحرية458. إلا أن بناء المؤسسات الديمقراطية في تونس لم يكن دائما سلسا، حيث عرف فترات من المواجهة والصراع بين مختلف الفاعلين السياسيين خلال المرحلة الانتقالية، وكان من الممكن أن يعصف هذا الصراع بالتوازن الهش خلال هذه المرحلة خصوصا مع أحداث اغتيال محمد البراهمي في 25 يوليو 2013 وشكري بلعيد، والتي أدت الى استقالة الحكومة ونهاية فترة الترويكا ، وفي 21 ديسمبر 2014 انتخب الباجي قايد السبسي رئيسا لتونس، و تم تشكيل حكومة جديدة، فدخلت تونس مرحلة جديدة تتسم نسبيا بالاستقرار السياسي، بعد استكمال بناء المؤسسات الدستورية،لكن في ظل وضع اقتصادي غير مستقر وهش.

تبين لنا الدرسات الاقتصادية على أن الدول التي تمر بمرحلة تحول ديمقراطي تواجه في أغلبها تراجعا في نمو ناتجها الاجمالي لغياب الاستقرار السياسي خلال هذه المرحلة،459 غير أن النمو يتحسن بعد بضع سنوات من التحول، بفعل آليات التحفيز الاقتصادي التي اتخذتها الحكومات المنتخبة، وكذا من خلال تثبيت الاستقرار السياسي،

457 Ibid ,p.96

458 Mahmoud ben romdhane,Tunisie: La démocratue en quéte d'Etat(Tunisie : sud edition Avril 2018)p.185

459: *ينظر مثلا، بخصوص ذلك*

Elias Papaionnou and Gregorios siourounis,op.cit.; Freud carolne and Melise jaud, op.cit.

وعلى غرار باقي البلدان التي عرفت تحولات ديمقراطية، شهدت تونس مرحلة من عدم الاستقرار السياسي، أثر بشكل كبير على وضعية الاقتصاد التونسي.

لكن من خلال دراسة تطور مؤشرات الاقتصاد التونسي خلال السنوات العشر الاولى من المرحلة الانتقالية، أظهرت التحليلات التي أجريت أن تونس تعاني من انخفاض حاد في نموها الاقتصادي، سواء من حيث نسبة تراجع النمو أو من حيث مدة التراجع، وليس هناك أي توقعات لا من قبل السلطات الوطنية أو المؤسسات الدولية، للرجوع إلى المعدل المسجل سابقا قبل التحول، حيث سجلت تونس معدل نمو متوسط قدره 1.7 في المائة (شملت هذه الفترة المرحلة من القيام بالثورة سنة 2010 الى سنة 2018) مما جعلها تحتل المرتبة 31 من مجموع 41 دولة عرفت انتقالا ديمقراطيا، كما خسرت 2.9 نقطة من متوسط نموها السابق460، فأصبح الاقتصاد يعاني من الركود بعدما كان يحقق نسبة نمو 4,4 في المئة أثناء العشرية 2001 – 2010 .461

زاد الوضع تأزما مع السياسات الاقتصادية الكلية المعتمدة منذ 2011، التي لم تكن لها معالم واضحة؛ إذ كانت قائمة على سياسات وبرامج اجتماعية لم يكن لها تأثيرات إيجابية على النمو الاقتصادي بقدر ما مثلت عبئا إضافيا على ميزانية الدولة462، في مقابل ذلك فإن مجموع مكونات التموين العمومي تواجه تحدي الدين العام بشكل لا يمكن تحمله (ميزانية الدولة، المؤسسات العمومية، وصناديق الضمان الإجتماعي)، حيث أضحت السياسات العامة بعد الثورة آلية لاحتواء المطالب الاجتماعية، من خلال تقديم الوظائف لعشرات الألاف من العاطلين، وبالتالي زيادة عدد الموظفين في القطاع العام بشكل غير مسبوق، في نفس الوقت لم تعرف موارد الدولة زيادة كبيرة؛ فخلال سبع سنوات من قيام الثورة، زادت فاتورة أجور الموظفين بنسبة أكثر من الضعف حيث انتقلت من 6785 مليون دينار تونسي إلى 14644 سنة 2017، وهذا راجع إلى نسبة التوظيف غير المسبوقة في القطاع العام. كما أصبحت 73 في المائة من عائدات الضرائب توزع كمرتبات للوظائف في مقابل 53 في المائة سنة 4632010، وترجع هذه النسب المرتفعة في المقام الأول إلى زيادة الدعم المعمم وارتفاع فاتورة القطاع العام منذ 2011 ، والتي كان الهدف منها

---

460 Mahmoud ben romdhan, op. cit p. 48-49 *للمزيد حول هذه الدراسة أنظر:*

461 *عبد الجليل بدوي وأخرون؛ تونس الانتقال الديمقراطي العسير، الاشكالات والتحديات الاقتصادية والاجتماعية خلال مرحلة التحول الديمقراطي، (القاهرة: مركز الاهرام لدراسات حقوق الانسان؛ 2017)، ص.65.*

462 *علي الشابي؛ تحديات الاقتصاد التونسي في ظل المرحلة الانتقالية (2011-2017)، (الدوحة:مركز الجزيرة للدراسات؛ 15 ماي 2017)، ص.5.*

463 Mahmoud ben romdhan,Op. cit, P.28.

التخفيف من حدة التوترات السياسية والاجتماعية464، مما شكل ضغطا كبيرا على ميزانية الدولة، وبالتالي فقد سقطت تونس في إشكالية التوفيق بين الأداء الاقتصادي البحث والبعد الاجتماعي .465

إن تعامل الحكومات التونسية مع الأزمة الاقتصادية الحالية الناتجة عن غياب الاستقار السياسي لم يكن ناجعا، حيث زادت السياسات المتبعة الضغط على الموازنة العامة للدولة بسبب تدهور النشاط الاقتصادي466، فمنذ سنة 2010 كانت السياسة الاقتصادية أحادية الجانب، في اتجاه الطلب فقط، فكانت الزيادة غير المسبوقة في الانفاق العام وتشجيع الاستهلاك على حساب الاستثمار، ونتيجة لذلك بلغ العجز العام (الذي يشمل ميزانية الدولة والسلطات المحلية والمؤسسات المملوكة للدولة، وصناديق الضمان الاجتماعي) مستوى كبيرا، كما بلغ عجز الحساب الجاري 9 في المائة في المتوسط منذ عام 2012، وبالتالي أصبحت المديونية عند مستويات غير مسبوقة467. ولم يتأتى ذلك العجز من تراجع الاستثمار والعوائد فحسب، بل أتى أيضا من القرارات السياسية المتسرعة في شأن سياسات التوظيف الاجتماعي من أجل التخفيف من حدة التوترات الاجتماعية468. ومن ثم، فقد سقطت تونس فعلا فيما حذر منه كثير من الباحثيين469، من أن النظام الديمقراطي غير قادر على اتباع سياسة كبح الاستهلاك، نتيجة رضوخ القادة الديمقراطيين إلى إملاءات الناخبين بدعم الكثير من الرفاه470، على حساب الإدخار والاستثمار، في حين عارض المواطنون والنقابات في تونس بشدة إمكانية تنفيذ ميزانية تقشفية، والتي تهدف في جانب منها إلى زيادة الرسوم والضرائب غير المباشرة، وإثقال كاهل المواطن العادي بأعبائهاّ، ورفع أسعار السلع والمواد الغذائية المدعومة .471

464 *تقرير صندوق النقد الدولي، منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وأفغانستان وباكستان، نونبر 2013.*

465 *علي الشابي،مرجع سابق، ص.3* .

466 *أحمد الكواز وأخرون، السياسات التنموية وتحديات الثورة في الاقطار العربية، (الدوحة:المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الاولى)2017،ص.239.*

467 Mahmoud ben ramdhan, Op.cit. ,p.52.

468 *دارم البصار وأخرون، السياسات التنموية وتحديات الثورة في الاقطار العربية، (الدوحة: المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الطبعة الاولى.2017)،ص.182* .

469 *للمزيد حول هذه الدراسات ينظر:* Gregory Brunk, Gregory Caldera and Michels Lewis-Beck, Capitalism, Socialism, And Democracy: In imperical Inquiry, European Journal of Political Research, vol.15(1987); and Ross Burkhart, Economic Freedom and Democracy: Post-Cold War Tests, European Journal of political Research, vol.37(2000).

470 *غيورغ سورسن، حرجع سابق، ض.151.*

471 *دارم البصار، مرجع سابق، ص*184.

على أي حال، لم تكن تونس استثناءا من نماذج التحولات الديمقراطية التي جرت في بلدان عديدة، والتي عرفت معظمها تراجعا في نموها الاقتصادي ،472 لكن ما يلاحظ في النموذج التونسي، بعد أكثر من عقد من القيام بالتحول الديمقراطي، أنها اسمترت في خسارة معدل النمو، والتوقعات الحكومية ومن المؤسسات المالية الدولية لا توحي بتعافي الاقتصاد من أزمته، وأن تونس يمكن أن تدخل مرحلة الركود الاقتصادي الطويل، خصوصا في ظل الصراعات السياسية بين النخب، وغياب الاستقرار السياسي.

فهل يرجع ذلك إلى السياسات الاقتصادية للحكومات الانتقالية بعد الثورة، أم إلى الظرفية السياسية المتسمة بغياب الاستقرار السياسي، وانعدام اليقين بشأن مخرجات هذه المرحلة، الأمر الذي يحد من الاستثمار؟، أم أن تونس دخلت مرحلة التحول الديمقراطي الطويل الذي لا يأتي بأي نمو على الإطلاق؟. أم هناك عوامل جارجية أثرت في مسار تعافي الاقتصاد التونسي؟.

لاشك أن الأحداث التي تلت الثورة التونسية، أثرت على الاستقرار السياسي، فالصراعات السياسية بعد الثورة، واستكمال بناء المؤسسات الديمقراطية، بالإضافة إلى عدم استقرار الحكومات (تم تشكيل العديد من الحكومات خلال هذه المرحلة)، وغياب التجانس بينها، ثم الأحداث الارهابية التي عرفتها تونس، كلها أثرت على الاستقرار السياسي وكان لها بالغ الأثر على التراجع في النمو والتنمية الاقتصادية. كما أن طبيعة التحول في تونس (التحول من خلال ثورة شعبية، أو التحول بالضغط الشعبي)473، أو الاحلال حسب إنتنغتون474 ،التي لعبت فيها المظاهرات المكثفة والاحتجاجات والاضرابات دورا محوريا في سقوط النظام، ساهم في زيادة الازمة الاقتصادية نتيجة صراع النخب وخوفها على مصالحها الاقتصادية، وبالتالي عدم انخراطها بدافع التهميش في إدارة المرحلة الانتقالية475 أو حتى قيامها بأعمال تخريبية لإفشال الانتقال كالقيام بتهريب رؤوس الأموال نحو الخارج كما تم مع عائلة الرئيس السابق زين العابدين بن علي، ورفضها كل مبادرة لفتح ملفات الفساد المالي والاداري وكل مشروع إصلاحي يهدف إلى إعادة توزيع الثروة476، وذلك لغياب ترتيبات بين النخب والمعارضة (خاصة منها النخب الاقتصادية) حول كيفية

472 Regional Economic Outlook :Middle East and Centrale Asia ,Internationale Monetary Fund (IMF)(November 2012).

473 *رغم أن المظاهرات والاحتجاجات المكثفة كانت سببا مباشرا لسقوط النظام الاستبدادي في تونس سنة 2011، إلا أن دور النخب وادوارها الطلائعية لا يمكن تجاوزه أو إنكاره في تمكين المسار الديمقراطي خلال المرحلة الانتقالية في تونس، ينظر مثلا: مهدي مبروك وأحمد بوغانمي وحافظ عبدالرحيم وأخرون، النخب والانتقال الديمقراطي: التشكل والمهمات والأدوار (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الاولى2019).*

474 *للمزيد انظر؛ صمويل هنتنغتون؛ الموجة الثالثة، مرجع سابق ص* 117-124.

475 *علي الشابي؛ مرجع سابق؛ ص* 16..

476 *أنور الجمعاوي، مرجع سابق ص* 498.

إدارة المرحلة الانتقالية كما وقع في كثير من التحولات الديمقراطية خلال الفترة الانتقالية (البرازيل، الشيلي، جنوب إفريقيا، اسبانيا...).

من جهة أخرى لم تكن الأوضاع الاقليمية والدولية مساعدة على التحول الديمقراطي، فعلى المستوى الاقليمي لم تكن القوى الاقليمية تنظر بعين الرضا إلى التغيير الديمقراطي في تونس، وخصوصا في منطقة الخليج والدول المجاورة (السعودية، الإمارات، مصر...)477، هذه المخاوف مستمدة من التأثيرات المحتملة لموجات الثورات العربية على هذه الدول التي كانت مستقر ة إلى حد ما؛ فنظرية "كرات الثلج" أو "العدوى" أو "ظاهرة الدومينو"، حيث أن التحول الناجح في دولة يشجع على التحول الديمقراطي في دولة أخرى، وذلك لمواجهتها مشكلات مماثلة، أو أن النموذج يعد مثلا يحتدى478، يدفع الدول الأخرى إلى القيام بالتحول الديمقراطي، كان مطروحا بشدة لدى الأنظمة الاستبدادية في المنطقة، لذلك ركز العديد من بلدان الاستبدادية في المنطقة كل اهتمامها على النموذج التونسي؛ ففشل انتقالها الديمقراطي سيكون انتصارا لجميع الديكتاتوريات في المنطقة وهزيمة قاسية للديمقراطية479. وبعد نجاح الانقلاب العسكري في مصر ونكوصها مرة أخرى إلى الحكم العسكري، بالإضافة إلى الحرب الأهلية الليبية، توسعت رقعة الضغط الخارجي الاقليمي على النموذج التونسي باعتباره نموذج يهدد الدول الاقليمية وقابل للتصدير إليها، فعملت بعض القوى الإقليمية إلى محاولة إفشال التجربة وإجهاضها من خلال إثارة الأزمات الاقتصادية، أو الاحجام عن الاستثمار في الاقتصاد التونسي أو سحب رؤوس الأموال منها.

أما على المستوى الدولي؛ فإن للربيع العربي أثار وخيمة على الاستقرار الاقليمي والدولي، خصوصا مع تحول الثورات العربية في كل من سوريا، اليمن، وليبيا إلى حروب أهلية استغلتها الجماعات الارهابية لتثبيت وجودها في هذه البلدان، فتحول الاهتمام الدولي من دعم الديمقراطية إلى أولوية محاربة العنف والارهاب. من جهة أخرى، فإن تعامل الحكومات التونسية مع الأزمة الاقتصادية لم يكن ناجعا، فبالإضافة إلى ميل الحكومات التونسية المتعاقبة بعد الثورة نحو الاستهلاك على حساب الاستثمار نتيجة الضغوط الاجتماعية، فإن منوال التنمية الحالي يحرص بالأساس على تحقيق أعلى نسب نمو على حساب الاهتمام بالعمل على تحقيق التنمية الشاملة المتكاملة .480

477 *وجه الرئيس التونسي السابق محمد المنصف المرزوقي في كثير من لقاءاته الاعلامية اتهامات إلى الامارات، بأنها تعمل على محاولة إفشال الثورة التونسية، ومحاولة استنساخ النموذج المصري في تونس.*

478 *للمزيد حول تأثيرات التحولات الديمقراطية على الدول الاخرى أنظر: صمويل هنتنغتون؛ الموجة الثالثة للتحول الديمقراطي مرجع سابق؛ ص.169*

479https://www.lemaonde.fr/idees:article/2011/05/17/un-plan-economic-pour-soutnir-la-transition démocratique-en-tunisie.

480*عبد الجليل بدوي؛ مرجع سابق؛ ص* .68.

وبالتالي فإن تظافر هذه العوامل مجتمعة، زيادة على غياب الاستقرار السياسي خلال هذه المرحلة من التحول الديمقراطي في تونس، ساهمت في الأزمة الاقتصادية الحالية و تطورها، والتي انعكست سلبا في المؤشرات الاجتماعية وفرص تعزيز التنمية بعد الثورة، ومن ثم فإن هذه التحديات أعاقة الترسيخ الديمقراطي ونوعية الديمقراطية في تونس، ودفعت بالمواطن التونسي إلى دعم مرشح في الانتخابات الأخيرة من خارج الدائرة السياسية التقليدية.

ثانيا : النكوص الديمقراطي في تونس.

اتخذ الرئيس التونسي ، منذ 25 يوليو 2021، مجموعة من الاجراءات التي يهدف من وراءها حسب ما تم الإعلان عليه: " الحفاظ على مؤسسات الدولة من الانهيار، ومحاربة المفسدين". بدأت هذه القرارات بإقالة رئيس الحكومة، وتجميد أعمال البرلمان، ورفع الحصانة البرلمانية عن أعضائه وتعطيل صلاحياته التشريعية، فاستأثر الرئيس بعد ذلك بكل الصلاحيات التنفيذية والتشريعية، إضافة إلى منصب النيابة العامة، ليتم بعد ذلك تشكيل حكومة جديدة دون الموافقة البرلمانية، واستمرت الاجراءات المتخذة إلى أن تم الإعلان عن مشروع الدستور الجديد الذي وسع من صلاحيات السلطة التنفيذية في منحى يصبو نحو تعزيز النظام الرئاسي بسلطات مطلقة.

كانت هذه الاجراءات تمثل ذورة أزمة التحول الديمقراطي التونسي؛ فالمتتبع لمسار الانتقال الديمقراطي في تونس يستشف بأن هناك أزمات عديدة متراكمة، وصلت بالنموذج إلى الباب المسدود. كان الاستقطاب السياسي أبرز تجليات الأزمة التونسية التي تظهر على سطح واجهة الأحداث، لكن في الحقيقة شكل عمق الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التحدي الأبرز الذي واجه الديمقراطية التونسية.

لقد عبر الشعب التونسي عن ذلك في في استطلاعات الرأي المجراة، حيث اعتبر أكثر من 30 % من المتسطلعة أرائهم سنة 2020، أن سوء الأوضاع الاقتصادية هي أكبر مشكلة تواجهها تونس، تليها البطالة بنسبة 19.7%، وارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة بنسبة 15.8%، فيما عبر 2.8% فقط من أن عدم الاستقرار السياسي هي أكبر مشكلة تواجه تونس، و 2.4% اعتبر أن الحكم وسياساته هي المشكلة الأكبر.481 وقد ترسخ انطباع لدى غالبية التونسيين بأن الحكومات المتعاقبة بعد الثورة غير جادة في إيجاد حلول للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها البلاد، إذ 59% من التونسيين المستطلعة أرائهم في استطلاع 2018/2007 عبروا عن أن الحكومة غير جادة في حل أكبر المشكلات الاقتصادية، فيما يسود اعتقاد واسع بين التونسيين بفساد الطبقة السياسية، واستشراء الفساد المالي والإداري، حيث يعتقد أكثر من 90% من التونسيين أن الفساد منتشر جدا أو إلى حد ما، فيما عبر أكثر من 83% أن الفساد مستفحل جدا في استطلاعات 2020/2019،482 وجاءت الطبقة السياسية في المرتبة الاولى التي اعتقد

481 *أنظر، اتجاهات الرأي العام التونسي نحو التجربة الديمقراطية، سياسات عربية، العدد 52، المجل 9، سبتمبر 2021، ص.115.*

482 *المرجع نفسه، 115*

التونسيين أنها الفئات الأكثر مساهمة بالفساد بنسبة 43%، ورجال الاعمال والاقتصاديين في المرتبة الثانية بنسبة 34%.[483]

وكمحصلة لذلك، يمكن القول بأن الأزمات الاقتصادبة والاجتماعية كانت التحدي الأبرز الذي واجهه الحكومات التونسية ما بعد الثورة حسب الشعب التونسي، غير أن حكومات ما بعد الثورة لم تستطع التغلب على هذه المشكلات، ومواجهة حدية الأزمة الاقتصادية المتصاعدة؛ فنسب النمو في الناتج المحلي كانت أقل خلال السنوات العشر بعد الثورة، مما سجلته في السنوات العشر قبلها، وتراجعت الاستثمارت الأجنبية المباشرة بشكل كبير خلال هذه المدة. أدى كل ذلك إلى مشكل عدم الثقة في المؤسسات الدستورية التي تشكلت في فترة الانتقال الديمقراطي بتونس، إذ تكشف نتائج استطلاع الرأي إلى تراجع ثقة المواطنين بالبرلمان والأحزاب والنخب السياسية التونسية؛ فهناك فجوة راسخة بين المواطن والبرلمان بحسب استطلاعات الرأي منذ 2011 ، حيث 60% من التونسيين عبروا عن عدم ثقتهم في البرلمان، وقد انتقل عدم الثقة في هذه المؤسسة من 55% في استطلاع 2013/2012 إلى 64 % في استطلاع سنة 2020/2019، وتراجعت نسبة الثقة من 39% إلى 25% خلال نفس السنوات، لذلك فإن فجوة الثقة بالبرلمان التونسي تكاد تتعدى الثقة المبنية على تقييم الأداء وباتت أقرب إلى نطاق التساؤل حول شرعية إحدى أهم سلطات النظام السياسي التونسي، الذي تأسس بحسب دستور البلاد بعد الثورة.[484] وما يؤكد هذه النتائج في استطلاعات الرأي هو حصيلة النتائج الاقتصادية والاجتماعية المحققة خلال مرحلة النظام الديمقراطي، فالنمو الاقتصادي لا يتعدى % 2 خلال العشر سنوات الماضية، وفي بعض الأحيان يسجل نتائج سلبية للنمو، وتراجعت قدرة الاقتصاد التونسي في مواجهة المطالبة الاجتماعية المتزايدة، وزاد الضغط على ميزانية الدولة، فيما ارتفعت المديونية بشكل كبير.

تعطينا هذه النتائج تفسيرا أكبر للدعم الشعبي للإجراءات التي اتخذها الرئيس التونسي، حيث بالرغم من أن غالبية الشعب التونسي تعتبر أن النظام الديمقراطي هو النظام السياسي الأفضل، إلا أن انسداد الأفق السياسي وفشل الأحزاب السياسية والاتجاهات السياسية في معالجة الاشكالات الاقتصادية والاجتماعية بعد الثورة، دفعها إلى تبني البديل، لكن يبدوا هذا الدعم لم يكن شيكا على بياض؛ فالاستفتاء الشعبي الذي قاطعه الغالبية العظمى من الشعب التونسي على الدستورالجديد، والذي خول سلطات واسعة للسلطة التنفيذية التي يمثلها الرئيس، يؤكد أن الشعب التونسي لا زال يتشبث بالنظام الديمقراطي كنظام صالح للحكم، وتحول بذلك الاستفتاء على الدستور إلى استفتاء على شعبية الرئيس ومشروعيته.

483 *المرجع نفسه، ص.116.*

484 *المرجع نفسه، ص.110.*

ومن ثم، فإن الفجوة التي أحدثتها تجربة الحكومات ما بعد الفترة الانتقالية في تونس، ما بين طموحات الشعب التونسي في تحقيق الكرامة، وهو المطلب الأساسي للثوار إلى جانب الحرية (ثورة الحرية والكرامة)، والتوزيع العادل للثروات وتحسين ظروف معيشتهم والتغلب على الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وحلها، وما بين فشل الحكومات المنتخبة في إدراة المرحلة ومواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية والاستقطاب السياسي بين النخب والأحزاب، كان دافعا قويا ومحركا للتغيير بعيدا عن الطبقة السياسية التقليدية التي ظهرت بعد الثورة، غير أن هذا التحول أدخل تونس في دوامة من عدم اليقين حول مستقبل النظام الديمقراطي بفعل الاجراءات التي اتخذها الرئيس المنتخب.

كمحصلة لذلك، يمكن القول أن الازمات الاقتصادية كانت متلازمة التحول الديمقراطي خلال الموجة الثالثة كما توضحها الأدبيات البحثية الحديثة، لارتباط التحول بمرحلة من عدم اليقين السياسي والمؤسسي، ومن طبيعة الحال فإن هذا الوضع غير المستقر يؤثر لا محالة على الوضع الاقتصادي. وقد اختلف تعامل الحكومات المنتخبة في نماذج التحول الديمقراطي مع الأزمة، ويمكن أن يكون ذلك راجع إلى ظروف هيكلية ومؤسسية مستمدة من طبيعة النظام الاستبدادي السابق، غير أن دور الفاعلين السياسيين خلال هذه المرحلة تكون حاسمة لمعالجة الأزمة الاقتصادية وتدبير مرحلة التحول سياسيا واقتصاديا. لذلك فقد استطاعت نماذج عديدة مواجهة تحدي الأزمة الاقتصادية، فيما شاب القصور أخرى وهو ما ساهم في ارتدادات سياسية ساهمت فيها سوء الأوضاع الاقتصادية ومظالم الأفراد وسؤمهم من النخب الجديدة، الشيء الذي يدفعهم إلى تبني خيارات أخرى قد تكون شعبوية أو استبدادية.

خاتمة:

سارت التحولات الديمقراطية أثناء الموجة الثالثة إلى المرور بالأزمة الاقتصادية وتراجع النمو، وذلك لارتباط هذه مرحلة بعدم يقين وغياب الاستقرار السياسي، وضبابية حول نتائج المرحلة ومآلاتها. وقد اختلف تعامل الحكومات الانتقالية مع الأزمة الاقتصادية من دولة إلى أخرى؛ ففيما نجحت دول عديدة في إدارة المرحلة الانتقالية سياسيا واقتصاديا، اعترى القصور والفشل نماذج أخرى. كان النجاح أو القصور في بعض الأحيان مرتبط بظروف خارجية؛ ففي حين ساعدت ظروف التحول في جنوب أروبا وشرقها وجود منطقة جذب اقتصادي تتمثل في السوق الأوروبية المشتركة، كانت ظروف التحول في نماذج أخرى مضادة، كالسياق الاقليمي الذي جرى فيه التحول الديمقراطي التونسي.

أدت النماذج التي عرفت سياق ظروف الأزمة الاقتصادية الممتدة وغياب أي أفق لحلها أو معالجتها، إلى أزمة لنموذج التحول الديمقراطي نفسه، حيث ساهم ذلك في غياب الثقة لدى الأفراد والمواطنين من النظام السياسي والمؤسسات الديمقراطية الفتية ومن نظام الأحزاب السياسية ومن النخب السياسية، نتيجة لغياب أي تحسن في

شروط حيواتهم الاقتصادية والاجتماعية التي عقدوا عليها آمال كبيرة أثناء هذه المرحلة، وحين غابت هذه التحسينات نتيجة استفحال الأزمة الاقتصادية، دفع المواطنين نحو تنبي بدائل شعبوية وغير ديمقراطية.

في نماذج كهذه، غالبا ما يظهر زعيم سياسي يقدم خطابا سياسيا مغايرا ومتميزا عن الطبقة السياسية السائدة، يحاول بذلك تجاوز نظام الأحزاب السياسية، ويستفيذ من الدعم الشعبي المتزايد لخطابه، يقدم نفسه على أنه المنقد للوضع السياسي والاقتصادي المتردي، وحين يتقن من الدعم الشعبي الكبير له يقدم على قرارات سياسية تحد من المنافسة والتعددية ويقيد عمل المؤسسات الديمقراطية المستقلة كالبرلمان والسلطة القضائية.

في دراسة الحالة لدينا مثلت تجربة التحول الديمقراطي التونسي الفتية مجالا لاختبار فرضيات البحث والتحقق منها، مع الأخذ بعين الاعتبار محددات أخرى مرتبطة بشروط مسبقة كالسياق الاقليمي التي جرى فيه التحول الديمقراطي التونسي، والظروف الاقتصادية والاجتماعية المصاحبة لعملية التحول. وكشأن جميع التحولات الديمقراطية دخل الاقتصاد التونسي في أزمة منذ بداية الحراك، نتيجة غياب الاستقرار السياسي خلال هذه المرحلة، غير أن دوامة الازمة الاقتصادية استمرت وزادت تداعياتها بعد ذلك، ويرجع بذلك جزء كبير منها إلى غياب الإرادة السياسية والاستراتيجيات الحكومية لمواجهتها. فاستفحال الازمة الاقتصادية واستمرارها وغياب أي أفق لحلها أو مواجهتها نتيجة غياب الارادة السياسية، شكل أزمة نموذج التحول الديمقراطي التونسي، وكما تظهر بيانات استطلاعات الرأي تبوأت المطالب الاجتماعية والاقتصادية للشعب التونسي صدراة اهتماماته واعتب رأن الأزمة الاقتصادية والفساد أكبر تهديد للديمقراطية، غير أن تعامل الحكومات ما بعد التحول لم يكن ناجعا وموفقا، وهو ما حفز قطاعات كبيرة من االمواطنبن للتعبير عن سخطها وتوجسها من المؤسسات والعملية الديمقراطية برمتها، مما جعلها تتساهل مع بدائل أخرى لعلها تمثل مخرجا للأزمة. وعليه فإن الأزمات الاقتصادية لا تعتبر وحدها محفزات لتغيير النظام ناحية الاستبداد، بل الإجراءات المتخذة لمواجهة الأزمة، ومدى نجاح الحكومات أو فشلها في معالجة هذه الأخيرة. وفي تونس يبدو أن الفشل في معالجة الأزمة الاقتصادية حفزت مظالم المواطنين نحو انتخاب رئيس من خارج دائرة النخبة السياسية المنتمية للأحزاب التونسية باعتباره بديلا لها، غير أن ضمانات هذا التحول بانتخاب زعيم شعبوي، لم تكن نتائجها لصالح الديمقراطية وترسيخها في تونس كما تظهره الاجراءات الاستثنائية والغير الدستورية التي اتخذها.

المصادر والمراجع:

العربية.

بارينغتون، مور، الأصول الاجتماعية للديكتاورية والديمقراطية، ترجة أحمد محمود (لبنان: المنظمة العربية للترجمة الطبعة الاولى 2008).

باربرا غيدس وأخرون، كيف تعمل الديكتاتوريات؟، السلطة وترسيخها وانهيارها، ترجمة عبدالرحمن عياش، (الدوحة: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى 2021).

لاري، دايموند، روح الديمقراطية، ترجمة عبد النور الخراقي، (الدوحة: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الاولى 2014).

توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، ترجمة أمين مرسي قنديل (القاهرة: عالم الكتاب 2017).

صمويل، هنتنغتون، النظام السياسي في مجتمعات متغيرة، ترجمة حسام نايل ، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الاولى 2017).

صمويل، هنتنغتون، الموجة الثالثة للتحول الديمقراطي، ترجمة عبدالوهاب علوب (الكويت: دار سعاد الصباح الطبعة الأولى 1993)،

غيورغ سورنسن، الدميقراطية والتحول الديمقراطي:السيرورات والمأمول في عالم متغير؛(الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى 2015).

بشارة، عزمي، في المسألة العربية: مقدمة لبيان ديمقراطي عربي، (لبنان : مركز دراسة الوحدة العربية، الطبعة الثانية 2010).

بشارة، عزمي، الشعبوية والازمة الدائمة للديمقراطية، سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، العدد 40، شتنبر 2019.

مداني، ليلى، تراجع جودة الديمقراطية في العالم ومخاطر صعود الشعبوية، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 13. عدد 4، يوليوز، 2021.

مارك ف. بلانتر ولاري دايموند وغييرمو أودونيل وأدم بروزرسكي وأخرون، الديمقراطية: أبحاث مختارة (بيروت: شركة الكبوعات للنشر والتوزيع، طبعة 2016)

جون، تيوريل، محددات التحول الديمقراطي: تفسير تغير أنظمة الحكم في العالم (1972-2006)، ترجمة خليل الحاج صالح، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، الطبعة الأولى 2019.

عبد الجليل بدوي وأخرون؛ تونس الانتقال الديمقراطي العسير، الاشكالات والتحديات الاقتصادية والاجتماعية خلال مرحلة التحول الديمقراطي،(القاهرة: مركز الاهرام لدراسات حقوق الانسان؛ 2017)

علي، الشابي؛ تحديات الاقتصاد التونسي في ظل المرحلة الانتقالية (2011-2017)، (الدوحة:مركز الجزيرة للدراسات؛ 15 ماي 2017)،

أحمد، الكواز، وأخرون، السياسات التنموية وتحديات الثورة في الاقطار العربية، (الدوحة:المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الاولى)2017.

دارم، البصار، وأخرون، السياسات التنموية وتحديات الثورة في الاقطار العربية، (الدوحة: المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الطبعة الاولى.2017).

مهدي مبروك، أيمن بوغانمي، حافظ عبد الرحيم وأخرون، النخب والانتقال الديمقراطي: التشكل والمهمات والأدوار، الطبعة الأولى(الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، 2019).

اتجاهات الرأي العام التونسي نحو التجربة الديمقراطية، سياسات عربية، العدد 52، المجل 9، سبتمبر 2021،

تقرير صندوق النقد الدولي، منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وأفغانستان وباكستان، نونبر2013.

الأجنبية:

Ades A. and H.chua, the neighbor’s curse: regional Instability and economic growth, journal of economic growth,n. 2 , (1997).

Anderson, David D.E. and Suthan Krisharajan, Economic crisis, Bereaucratic Quality and Democraty Breakdown, Government position, vol.54, no.4, 2019.

Ben doudou makrem et Rahali faycel , Démocratie, Stabilité Politique et croissance économic: Estimation a partir d’une modèle panel dynamic, L’actualité économic , vol.94 ,n.1, mars 2018.

ben romdhane, Mahmoud,Tunisie: La démocratue en quéte d’Etat(Tunisie : sud edition Avril 2018).

Brunk, Gregory and Gregory Caldera and Michels Lewis-Beck, Capitalism, Socialism, And Democracy: In imperical Inquiry, European Journal of Political Research, vol.15(1987).

Burkhart, Ross, Economic Freedom and Democracy: Post-Cold War Tests, European Journal of political Research, vol.37(2000).

Caroline, Freud and Melise jaud, regime change :democracy and crowth , peterson institus for international Economics (IIT), april, 2014.

Daymond, Larry and Juan J.Linz, Introduction : Politics, Democracy, and Society in Latin American, In Larry Daymond and Juan J.Linz, and Seymour Martin Lipest, Democracy and Developing countries: Latin American (Boulder, Colo: Lynne Reinner, 1989).

Daymond, Larry, Facing up to The Democratic Recession, journal of Democracy,Vol.26, n.1, January 2015.

Diamond, Larrry, The impact of the Economic Crisis : Why Democracy survive, Journal of Democracy, vol.22, no.1, Junuary 2011.

Gasiorowski, Mark J., Economic Crisis and Political Regime Change: An Event Historyb Analysis, American political science, vol.89, no.4 (december 1995).

Karl, Terry Lynn, Dilemmas of Democratization in L atin American, Comparative Politics, vol.23, no.1 (octo. 1990).

Kile, Jordan and Limor Gultchin, and Authers, Populistin Power Around the World, 7th November 2018, Global challenges, https://institute.global/policy/populistts-world*appendix:-methodology.

Kaufamne, Robert and stephan Haggaard, Political Economy of Transition democraty, (United Kingdom: Princeton University Press 1995).

Kaufman, Robert, Transition to stable Authoritarian-corporate Regimes ; The Chilean Case, Beverly Hills: Sage 1979.

Lipset, Seymour martin , Some social requisites of democracy "economic Development and political legitimacy", the American science review ,vol. 53 No.1 (March.1959).

Linz, Juan, Crisis, Breakdown and Re-equilibration, Baltimore : Johns Hopkins University Press, 1978.

Moller at.all, Economic Crisis and Democratic Breakdown in the Interwar Years: A Rassessment, Historical Social Resherch, vol.40, no.2, 2015.

Moller.J.Schmotz .A. Skaaring S.E. Economic Crisis and Democratic Breakdow in the interwar years: A reassessment, Historical Social Research, vol.2, no.40, 2015.

O'Donnell; Guillemo, Modernisation and Bureaucratic Authoritarianism :Studies in South American Politics, Berkley : Institute of International Studies, University of California.1970.

O'Donnell, Guillemo, Modernisation and Bureaucratic Authoritarianism :Studies in South American Politics.

Papaionnou; Elias and Gregorios siourounis, Democrati and growth, the Economic journal, volume .118, n°532, 2008;

Pereira, Luiz carlos bresser, Jose maria marvall, Adam prezowski, Economic reforms in new democracies :A social democratic Approche, (Cambridge university press, 1993).

Prezovski at all., Democracy well-being 1950-1990, (cambredge: Cambredg university press.1990).

PrzewoskI.A. Democracy and Market (New york: Cambridge university press),1991.

Remmer, Karen L., Debt or Democracy : The Political Impact of the Debt Crisis in Latin American. In Debt and Transsfiguration, Prospect for Latin America's Economic Revival, ed. David Felix. Armonk, NY: Sharp. 1990.

Schmotz, Moller.J. .A. Skaaring S.E. Economic Crisis and Democratic Breakdow in the interwar years: A reassessment, Historical Social Research, vol.2, no.40.

Svolik M. Whish Democracies Will Last ? Coups, Incumbent Takeovers, and the Dynamic of Democratic Consolidation, British Journal of Political Science, vol.45, no.4. 2015.

Verba,Sydney and Gabriel Almend, Civil culture in Five Nation,London :SAGE Publication

1989.

Regional Economic Outlook :Middle East and Centrale Asia ,Internationale Monetary Fund (IMF)(November 2012).

Wade, Robert, « Governing The market, Economic Theory and the role of government in west Asian Industiarialisation ». Princeton University Press.1990.

https://www.lemaonde.fr/idees:article/2011/05/17/un-plan-economic-pour-soutnir-la-transition démocratique-en-tun

العقيدة السياسية لحزب الليكود ودوره في السياسة الخارجية الإسرائيلية

دراسة سياسية – تاريخية

Likud's political ideology and his role in Israeli foreign policy

Political-historical study

الباحث الاول : أ.م. مؤيد جبار حسن

الباحث الثاني : م.د. حوراء رشيد مهدي

الباحث الثالث : م.د. احمد فاضل حسون

باحثون في مركز الدراسات الاستراتيجية/العراق

الملخص:

تعد العقيدة السياسية لأي حزب سياسي ، الموجه الرئيس لافكار ونظريات وتوجهات المنتمين له ، وفي حالة (اسرائيل) تعد الاحزاب ظاهرة سياسية جديدة ومربكة بحكم حداثة عمرها وتنوعها الكبير لدرجة الاختلال في التوجهات والرؤى .

ومن بين ابرز الاحزاب الاسرائيلية، حزب الليكود الذي كان له ولقادته الاثر البالغ في مسيرة (اسرائيل) منذ نشأتها وحروبها التي اندلعت مع جيرانها العرب. فكان لليكوديين يرسمون السياسات الخارجية والداخلية ويتحكمون بمصير الشعب اليهودي وشعوب المنطقة الاخرى ايضا .

ومن هنا كان لدراسة عقيدة الليكود أهمية بالغة للتعرف على توجهات صانع القرار الاسرائيلي وتوجهاته بخصوص الاراضي المحتلة وسلام الشرق الاوسط ككل.

كلمات مفتاحية: العقيدة السياسية، حزب الليكود، دويلة (اسرائيل)

Abstract:

Abstract: The political creed of any political party is the main guide for the ideas, theories and orientations of its affiliates, and in the case of (Israel) the parties are a new and confusing political phenomenon due to their recent age and great diversity to the degree of imbalance in orientations and visions.

Among the most prominent Israeli parties is the Likud party, which and its leaders have had a profound impact on Israel's march since its inception and the wars that broke out with its Arab neighbors. It was for the Likudians to draw foreign and domestic policies and control the fate of the Jewish people and other peoples of the region as well.

Hence, the study of the Likud doctrine was of great importance to identifying the Israeli decision-maker's orientations and orientations regarding the occupied territories and the peace of the Middle East as a whole.

Keywords: political ideology, Likud party, state (Israel(

تمهيد:

في دويلة (إسرائيل) توجد الى جانب المؤسسات الرسمية الاخرى ، قوى أخرى ليست رسمية، وتتمثل في الأحزاب السياسية "المشاركة" و "غير المشاركة" في الائتلاف الحاكم هناك، بالإضافة الى جماعات الضغط والمصالح.

ما يميز هذه الأحزاب الإسرائيلية هو تعددها وتشتتها ، ومرد ذلك التركيب المتنوع والمتناقض للمجتمع الإسرائيلي نفسه، والتفاوت الواضح بين طبقاته وفئاته، التي هي عبارة عن مزيج متنافر من الجماعات ذات الأصول والتوجهات المتباعدة، والاتجاهات المختلفة ؛ فكريا ودينيا وثقافيا. ولهذا السبب فمن الطبيعي ان يؤدي هذا الاختلاف والتنافر الى ان تعبر كل فئة او جماعة عن نفسها في حزب سياسي خاص بها ويمثلها ، بعد ان اكد النظام الانتخابي القائم على التمثيل النسبي للأحزاب، الاتجاه نحو تعددية الأحزاب ، بما يضمن تمثيل الأحزاب الصغيرة تمثيلا يتناسب مع عدد المتنمين لها.

لقد اتفق الكثير من الباحثين على تصنيف الأحزاب الإسرائيلية الى : يمينية ويسارية ودينية ، استنادا الى منطلقاتها الأيديولوجية، لكن من الصعوبة القطع بدقة هذا التصنيف ، وذلك لان الأحزاب في (إسرائيل) تشترك جميعها في أيديولوجيا واحدة هي: الأيديولوجيا الصهيونية التي هدفها الاسمى منذ عام 1948 إقامة دولة يهودية في فلسطين عبر طرد و ابادة سكانها الأصليين واحلال اليهود المهاجرين محلهم. وبعد عام 1948 اصبح التوجه نحو الحفاظ على أمن هذه الدويلة واستمرارها ، والإبقاء على طابعها اليهودي ، عبر استمرار هجرة اليهود حول العالم ، والسعي الى استيعابهم داخل تلك الدويلة، بالإضافة الى ضمان تفوق الأخيرة على جيرانها العرب في كافة الصعد .

الهدف :سعى الباحثون الى تسليط الضوء على العقيدة السياسية التي تتحكم بمسيرة الأحزاب الفاعلة في دويلة إسرائيل ، والتي لها تأثير مهم على توجهات حكومة تل ابيب الحالية والمستقبلية في المنطقة والعالم . ومن ابرز تلك الاحزاب ، كان حزب الليكود، الذي ترأسته شخصيات يهودية كان لها باع طويل في تدعيم أركان الكيان الصهيوني.

الفرضية: افترض الباحثون ان العقيدة السياسية ،التي هي النصوص والأعراف التي يسير عليها الكيان السياسي ، لحزب الليكود الإسرائيلي ، كان لها تأثير كبير على منهجه في الحكم وبالتالي طريقة تعامله مع قضايا مصيرية مست دول وشعوب المنطقة واولها الشعب الفلسطيني الأبي.

المنهج :وفي المنهج العلمي المتبع في الدراسة فقد تم اعتماد المنهج الوصفي وهي طريقة ناجعة في وضع هذه الدراسة، وفيها يعمل الباحث او الدارس على مراقبة ظاهرة كالأحزاب اليمينية الاسرائيلية، ومن ثم تدوين جميع ما يتعلق بها ووصفه وصفًا دقيقا واضحًا، ويعتمد هذا المنهج ، أيضا، على خبرات الدارس ومهارته في تحديد سلوكيات تلك الظاهرة خلال الملاحظة.

ملاحظة: ان وضع كلمة (اسرائيل) بين قوسين دلالة عدم أعتراف الباحث بها كدولة، وأنها لا تعدو كونها كيان غاصب محتل لابد له من زوال، وتعود الارض التي يحتلها اليوم وباقي الحقوق المسلوبة لاصحابها الاصليين ،وهم العرب الفلسطينيين.

ان معرفة الفكر الذي يقود عمل عدوك ، وابرز عناصر قوته وضعفه ، تعد الخطوة الاولى باتجاه التفوق عليه وهزيمته. فمعركة الافكار أمضى واسبق من معارك السيوف والرصاص ، والعدو الصهيوني يعرف ذلك، ويستخدمه ضد مناوئيه من

العرب ، فنراه يشن حربا لا هوادة فيها ، ضد الفكر والوجود العربي –الاسلامي ، منذ أيجاده في قلب الشرق الاوسط ، الى يومنا هذا .

المبحث الأول: العقيدة لدى الأحزاب الإسرائيلية

تقوم الحياة السياسية في (دويلةإسرائيل) على الكثير من التيارات والأحزاب التي تشارك مع المؤسسات التي تعد رسمية في وضع السياسات العامة، ومما يميز "الأحزاب الإسرائيلية" ان معظمها هي امتداد للمؤسسات ذات التوجهات الاستيطانية التي كانت قائمة قبل إعلان الدويلة ،حالها حال باقي المؤسسات الاخرى، كما أنها أتت تعبيرا عن نشأة أوروبية في معظمها، وما يستتبع ذلك من توجهات فكرية استعمارية وتوسعية، تعتمد في عملها على اساليب (برجماتية) ترفع شعارات مثل: ارض الميعاد، والاشتراكية، والصهيونية، والعمل التعاوني، وغيرها .(485)

العقيدة (المذهب) بالمعنى السياسي : منظومة فكرية كاملة ترتكز على ملاحظة وتفسير الوقائع ذاتيا بقصد توجيه سلوك وعمل مجموعة إنسانية . (486) و(العقيدة): تعرف بانها مما لا يشك معتقده فيه ، كعقيدة اثبات وجود الخالق الله ، وبعثة الأنبياء والرسل، جمعه عقائد. (487)

485() *ابو بكر علي الهاشمي و محمد علي عز الدين، الاحزاب الاسرائيلية واثرها في رسم السياسة الخارجية، مجلة الاجتهاد للابحاث العلمية، جامعة الزيتونة ، العدد2، كانون الاول -2017، ليبيا، ص28.*

486() *احمد سعيفان، القاموس خاص بالمصطلحات السياسية والدستورية والدولية، مكتبة لبنان-ناشرون ، لبنان، 2004 ، ص241.*

487() *المعجم-الوجيز، مجمع-اللغة العربية، جمهورية-مصر-العربية ، دار التحرير للطباعة والنشر، 1989 ، ص427.*

وتمثل العقيدة لدى الأحزاب في (إسرائيل) في فكرة الصهيونية ، رغم اختلاف مذاهبهم ومشاربهم الا ان ما يجمعهم ويوحدهم هو فكرة الدولة اليهودية في قلب فلسطين المحتلة. وتعتمد دويلة (إسرائيل) نظام "التعددية الحزبية" في نظامها الانتخابي ، على عكس الولايات المتحدة الامريكية مثلا، و التي تعتمد على نظام مكون من حزبين كبيرين فقط. وهذا بالمجمل يعني أن عددا كبيرا من الأحزاب اليهودية سوف تتنافس على مقاعد الكنيسيت المائة والعشرين.

وللأحزاب الدينية مكانة مهمة في الصراع السياسي الإسرائيلي . على الرغم من انها فشلت مجتمعةً في الحصول على غالبية مقاعد «الكنيست»، إلّا أنها باتت في العقود الأخيرة تلعب، في معظم الأحيان، دوراً حاسماً في بناء الائتلافات وحتّى في إسقاطها. ولا شكّ في أن لهذه الأحزاب تأثيراً كبيراً في ازدياد سلطة الأصولية اليهودية، ودفعت الحكومات الإسرائيلية على تبنّي مواقف أكثر تطرّفاً. وغالباً ما تضطر الأحزاب «العلمانية» في رئاسة الحكومة، كـ«حزب الليكود»، إلى تقديم تنازلات للأحزاب الدينية ودعم مؤسّساتها بمخصَّصات مالية لنَيل رضاها. وهو ما اعترف به رئيس الحكومة الأسبق، إسحق شامير، في مذكّراته، حين قال: «كنّا مرغمين على التعايش مع الأحزاب الدينية منذ قيام الدولة».

وهنا يبدو ان الفكر الديني يقود الحياة السياسية في (اسرائيل) لدرجة ان حتى الاحزاب العلمانية أصبحت تتقرب الى المستعمرين هناك عبر أثارة المشاعر الدينية والتملق الى كبار الحاخامات ودعمهم ماديا ومعنويا .

لذا تبدو العقيدة التي تعتنقها الاحزاب الاسرائيلية خليط من الافكار الدينية والدنيوية ، وفيها الشيء الكثير من الانتهازية والمراوغة والمصلحية ، غير ان أهم أهدافها قيام دويلة (اسرائيل) بأي ثمن والمحافظة على وجودها السرطاني في قلب الشرق الاوسط.

الأحزاب الإسرائيلية :

وتنقسم الى أحزاب دينية ، وأحزاب علمانية ، ومنها ما قديم نشأ قبل احتلال فلسطين ومنها ما حديث نشأ بعد الاحتلال واستقرار الامر لليهود بعد الحروب التي خاضوها مع العرب.

1-الأحزاب الدينية: لقد كانت الأحزاب السياسية الدينية اليهودية جزءا لا يتجزء من المشهد السياسي الإسرائيلي. وفي الواقع، تعود جذورها الاولى إلى مؤسسات الحركة الصهيونية السابقة لقيام تلك الدويلة. وعلى مر السنين، مثّلت تلك الأحزاب اتجاهين دينيين مختلفين: القطاع الأرثوذكسي المتطرف (على سبيل المثال، حزب "أغودات إسرائيل") والحزب الأرثوذكسي أو الديني القومي (على سبيل المثال، حزب "همزراحي")، والذي عرف لاحقا بجزب المفدال الديني، أو الحزب الديني القومي.

فالتجمع اليهودي قام أساسا على فكرة الدين اليهودي الجامع بينهم، لذا كان للتأثير الديني عصا السبق في وجود وتشكيل الاحزاب الدينية .

وهناك أحزاب إسلامية عربية مثل "الحركة الإسلامية الجنوبية" وهي حركة (سياسية-دينية) تحمل الفكر الإخواني ،و كانت جزءا من الحركة الإسلامية العامة في دويلة (إسرائيل) التي تأسست سنة 1971. لكنها انشقت عن الحركة التي يتزعمها "رائد صلاح"*488 بعد توقيع (اتفاق اوسلو) عام 1993. وكان الخلاف يدور حول المشاركة في انتخابات الكنيست التي تقاطعها الحركة الإسلامية الشمالية بقيادة صلاح. ورغم احتفاظها بعقيدة محافظة واعتبارها أن الإسلام هو الحل، تدعو الحركة الجنوبية الى الاندماج في المجتمع الإسرائيلي.

2-الأحزاب العلمانية: ومنها احزاب يهودية واخرى عربية ، ولكن أغلب تلك (الأحزاب العربية) التي تم انشائها تباعاً منذ قيام دويلة اليهود عام 1948، كان برغبة فلسطينية، تهدف إلى إثبات الوجود العربي الفلسطيني، وللمحافظة على الحقوق الوطنية، وبتشجيع إسرائيلي، لأجل أن تعكس لدى المجتمع الدولي صورة (إسرائيل) كم هي ديمقراطية، لكن لم يتم منحها أي وزن سياسي يذكر، ولم يتم إفساح المجال امام تلك الاحزاب نحو اتخاذ أيّة قرارات مستقلّة يُمكن تحقيقها. ويعد انضمام "القائمة العربية الموحدة" الممثلة بـ 4 نواب في الكنيست إلى كيان ائتلاف حكومي في دويلة(إسرائيل) أول خطوة من نوعها لحزب من الاصول العربية في الدويلة المزعومة، التي يشكل العرب عشرين بالمئة من سكانها.

وبما ان الحياة السياسية في (اسرائيل) تستند كثيرا على "الاحزاب السياسية" التي تتشارك مع مؤسسات (الدويلة) الرسمية في وضع خريطة السياسات العامة، فقد وضع بعض الباحثين تصنيف اخر للاحزاب الاسرائيلية يقوم على اليسار واليمين واخرى دينية استناد الي منطلقاتها الايدلوجية، وهي كالاتي:

أولا: الأحزاب اليسارية: وتندرج تحت تصنيف "معسكر اليسار "حالياً في (إسرائيل)، وبالمعنى المتداول لحزبية الكلمة حزب (العمل الإسرائيلي)، الذي يحتل موضعا في الخريطة يمتد من جهة الوسط إلى جهة اليسار، و"كتلة ميرتس" التي تتكون من ثلاثة أحزاب هي : (شينوى) ..و(مبام) .. و(راتس).

ثانيا: الأحزاب اليمينية: يضم معسكر اليمين عدة أحزاب سياسية منها حزب الليكود ،

ثالثا : الأحزاب الدينية: وينقسم المتدينين في دويلة (إسرائيل) بالأساس إلى قسمين هما : "المتدينون الصهيونيون" : الذين يدعون بالعبرية " هتسيونيم هداتييم "، و"المتدينون المتشددون" : الذين يسمون " حريديم " (ومفردها يعني: حريدي)، ومن بين تلك الأحزاب هناك حزب المفدال ، و اغوادات يسرائيل.

*488*الشيخ رائد صلاح: (مواليد ام الفحم 1958) وهو من مؤسسي الحركة الإسلامية في إسرائيل بداية السبعينيات، وأحد رموزها إلى حين انشقاقها نهاية التسعينيات نتيجة لقرار بعض قادتها خوض انتخابات الكنيست عام 1996، ويلقبونه بشيخ الأقصى هو رئيس الجناح الشمالي للحركة الإسلامية الفلسطينية. وحاصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية. ويعد من أشهر الشخصيات السياسية وأبرزها مواجهة للسياسات العدائية الإسرائيلية.

رابعا: الأحزاب العربية: والتي تنشط في اوساط الفلسطينيين العرب في (إسرائيل) اذ ان هناك عدة أحزاب وقوى سياسية وهيئات تمثيلية ومحلية وقطرية، تأسس معظمها في العقدين الأخيرين، بسبب التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي طرأت بمرور الوقت على الفلسطينيين العرب في (إسرائيل). ومنها راكح والحزب التقدمي العربي.

خامسا: الأحزاب الروسية: وتستمد قوتها من (المهاجرين الروس) الذين يفوق تعدادهم النصف مليون مهاجر، ويعانون من صعوبات متنوعة في الاندماج في الحياة الاجتماعية والسياسية الإسرائيلية، ومن تلك الأحزاب (إسرائيل) بعالياه و (إسرائيل) بيتنا.

خلاصة المبحث: ان الاحزاب الاسرائيلية تتنوع بحكم تنوع الشتات اليهودي حول العالم ، لكن العقيدة الفكرية التي تجمع أغلبها هو العمل على تجميع يهود العالم في فلسطين العربية بغية خلق وطن مصطنع لليهود ، مستندين الى أرث ديني مزيف يدعي عائدية الاراضي المقدسة لهم منذ الاف السنين .

المبحث الثاني: مكانة الليكود بين الأحزاب الإسرائيلية

الليكود: هو عبارة عن تكتل من مجموعة أحزاب يمينية اسرائيلية، وقد تم تحوله إلى حزب واحد عام 1988. و جاء في البيان التأسيسي له أنه: "عبارة عن حركة وطنية - ليبرالية تسعى من أجل جمع الشتات اليهودي في أرض الوطن". وأن الحزب يؤمن بحرية الانسان والعدالة الاجتماعية. ولتحقيق هذا سيقوم الليكود بما يلي :

1- جمع شتات اليهود حول العالم في أرض (اسرائيل)، والحفاظ على حقهم المزعوم بالارض.

2- تعزيز القيم التي يؤمن بها الشعب الاسرائيلي في تراث هذا الشعب وإقامة نظام حكم ديمقراطي.

3- تنمية المؤسسات الاقتصادية والاهتمام بتطوير المدن والأحياء التي تعاني ضائقة اقتصادية واجتماعية.

4- الاعتناء بالقطاعات التعليمية، والصحية، والبيئية، والعمل للسكان في (اسرائيل).

5- السعي لدمج الأقليات المختلفة في حياة الدولة. و"الليكود" يؤمن بالحرب المستمرّة ضد العرب. ومقولة لا وجود لدولة فلسطينيّة، والحزب يدّعي منذ البداية وخلال الحملة الانتخابيّة أنّه لن يخوض أي مفاوضات إلّا بشرط الاعتراف بالدولة اليهوديّة. أمّا "الليكود" فيعد بالبناء والبناء والبناء. وهو يتحدّث عن بناء مستوطنات وبينها.(489)

(489) *رازي نابلسي، خطاب غبّاي: "الطبعة الليكودية" من حزب العمل، مركز مسارات للدراسات الفلسطينية، الرابط:* https://2u.pw/q5OBG

فالليكود ماهو الا حزب يميني تأسس عام 01973من اندماج حزبي: حيروت والأحرار، وهما كانا متكتلين في إطار كتلة غاحل (غوش حيروت ليبراليم/كتلة حيروت الأحرار)، ومن حزبين صغيرين هما المركز الحر .. والقائمة الرسمية، ومن مجموعة من أصول عمالية، كانت تنتمي إلى " حركة أرض إسرائيل الكاملة " ، وكان الداعي الأبرز الى تأسيسه زعيم الحرب أرئيل شارون، الذي قدم استقالته من الجيش، قبيل الانتخابات وانضم إلى حزب الأحرار، وكان الحزب الأكبر والأقوى في الليكود منذ تأسيسه هو " حيروت " الذي كان يتزعمه مناحم بيغن، واستطاع في نهاية الأمر من احتواء جميع الأحزاب ودمجها فيه، وقد تم ذلك سنة 1985،عندما حصلت موافقة الأحزاب المكونة لليكود، على التخلي عن أطرها ومؤسساتها المستقلة، والاندماج في حزب واحد، أو بالأحرى في حزب حيروت، وكانت الغاية من تشكيل الليكود هذا ، هو تكتيل اليمين في (إسرائيل) لحلول في كتلة برلمانية انتخابية واحدة . (490)

أسّس مناحيم بيغن تكتّل «الليكود»، اليميني الليبرالي، توطئة لانتخابات الكنيست الثامنة. وتعود الجذور الإيديولوجية لـ«الليكود» إلى عام 1931، العام الذي عُقد فيه المؤتمر الصهيوني السابع عشر، وظهر خلاله الشرخ بين الحركة العمّالية (اليسار الصهيوني) بقيادة حاييم وايزمن، وحركة التصحيح الصهيونية (اليمين الصهيوني) بقيادة زئيف جابوتنسكي؛ إذ هاجم جابوتنسكي وايزمن بسبب «موقفه المعتدل»، داعياً إلى انتهاج سياسة أكثر تطرّفاً حيال إنشاء «الدولة اليهودية»، معتبراً أن هدف الصهيونية هو إنشاء «مملكة إسرائيل» بغالبية يهودية على «ضفّتي نهر الأردن»، باستخدام القوة العسكرية والاقتصادية اليهودية ضد العرب. إضافة إلى ذلك، رفض جابوتنسكي فكرة بن غوريون إنشاء «دولة يهودية» عبر تسوية تقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين مرتبطتين باتحاد فيدرالي، مؤمناً بفكرة إنشاء «جدار حديدي»، أي أن يكون لـ(اسرائيل) حدود تستطيع من خلالها الدفاع عن نفسها من دون أي اعتبارات سياسية.

والملاحظ ان الحزب الأقوى والاكبر في تجمع (الليكود) منذ تأسيسه كان هو " حيروت " بزعامة (مناحم بيغن)، والذي تمكن في نهاية الأمر ، من احتوى جميع الأحزاب وضمها اليه ، وقد تم ذلك عام 1985 عندما وافقت الأحزاب المكونة لليكود، على التخلي عن أطرها ومؤسساتها المستقلة والاندماج في حزب واحد، أو بالأحرى في حزب حيروت، وقد كان الهدف من تشكيل (الليكود) هو تكتيل أحزاب اليمين في (إسرائيل) في كتلة برلمانية انتخابية موحدة، أملاً بإزاحة حزب (العمل) عن الحكم والحلول محله، وذلك من أجل تنفيذ برنامج اليمين السياسي والاقتصادي، لكن حزب (الليكود) لم يتمكن من تحقيق ذلك في انتخابات عام 1973 ، التي أجريت بعد مدة قصيرة من تأسيسه، على الرغم من التدهور الكبير الذي كان قد طرأ على شعبية حزب (العمل) بعد حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973، لكنه عاد

()490 *أبو بكر علي الهاشمي ومحمد علي عز الدين، الأحزاب الإسرائيلية واثرها في رسم السياسة الخارجية، مجلة الاجتهاد للأبحاث العلمية، العدد2، جامعة زيتونة، ليبيا، 2017 ، ص33.*

وتمكن من تحقيق ذلك في انتخابات سنة 1977، والتي أزاحت الحركة العمالية عن سدة الحكم وأحلت محلها اليمين بزعامة (الليكود) لأول مرة في تاريخ (إسرائيل).(491)

لكن تلك المكانة المهمة ، تأثرت بسبب عوامل متعددة منها : تكوين حزب (كاديما)الذي ادى ليس فقط لهيمنة تكتّل اليمين الوسطي ـ فحسب بل ساهَم أيضا عبر إبعاده أعضاء حزب الليكود وحزب العمل الوسطّيين، في تثبيت كلا اليسار واليمين. ففي حزب (الليكود) على سبيل المثال ، اجبر (بنيامين نتنياهو) على التَّجاُدل مع حركة القيادة اليهودّية وهي جناح ديني قومي للحزب، ادت عضوّيته في اللجنة المركزّية لليكود في خلال العقد الماضي، الى انتهاج سياسات أكثر قومّيةٍ ودينّيةٍ. (492) أّما الضربة المؤلمة التي أصاَبت سياسة (اسرائيل) التقليدّية فاشتملَت على تأسيس زعيم حزب الليكود السابق "أرييل شارون" حزب (كاديما) عام 2005ففي حين شَّكل حزب العمل الثقل السياسي المقابل للسياسة اليمينّية في (إسرائيل) طوال عقودٍ، أصبح حزب (كاديما) هو الثقل السياسي هذا ولكًّنه تميز بتعلّق أضعف بالمبادئ التأسيسّية التي تبناها مؤسسي الدويلة الليبراليون.(493)

وهناك من يضع حزب الليكود ضمن خانة (الحزب المهيمن) ، وحسب هذه المعايير المحددة للحزب المهيمن، من الصعب الحسم بأن "الليكود" هو حزب مهيمن في سياق الحياة السياسية الإسرائيلية، كما كان حزب "مباي" في العقود الأولى لقيام الدويلة المزعومة، كما أن الأدبيات غالبًا ما لا تذكر الحزب المهيمن في إطار النظام الديمقراطي. وعلى الرغم من أن الديمقراطية الإسرائيلية فيها كثير من الأعطاب الجوهرية النابعة من تعريفها بصفتها ديمقراطية ويهودية. فإنّها تحافظ على حيز كبير من الديمقراطية الإجرائية كتداول السلطة، وحيادية المؤسسات الرسمية خلال الانتخابات، وهي في النهاية ديمقراطية حقيقية لمجموعة إثنية قومية، وهي الأغلبية اليهودية. (494)

في جانب تعريف هوية (إسرائيل) ووظائفها نجد ان الأحزاب الأساسية كحزب (الليكود) و(حزب العمل) و(يوجد مستقبل) و(البيت اليهودي) وحزب (القائمة-تسيبي ليفني)، جميعها تتفق في برامجها السياسية على إعطاء تعريف (إسرائيل) كدولة يهودية، ووظائفها المشتقة من خلال هذا التعريف. (495)

()491أبو بكر علي الهاشمي ومحمد علي عز الدين، الأحزاب الإسرائيلية واثرها في رسم السياسة الخارجية، مجلة الاجتهاد للأبحاث العلمية، العدد2، جامعة زيتونة، ليبيا، 2017 ، ص.33

()492حاييم مالكا، مستقبل الشراكة الاستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية ، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ، أيلول-2011، ص.8

()493المصدر نفسه، ص.8

()494مهند مصطفى ، الانتخابات البرلمانية الاسرائيلية(الكنيست)2015، مجلة سياسات عربية، العدد14، ايار -2015 ، ص.35

495() اماطانس شحاتة، أنماط التصويت في إسرائيل وتحولات في مواقف المجتمع الإسرائيلي: انتخابات 2013نموذجا، برنامج دراسات اسرائيل، المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، 2015 ، ص6.

لذا لم يحصل التحول الاكبر، في المنظومة السياسية و الحزبية الاسرائيلية ، إلا في الانتخابات التي جرت سنة 1977، حين حصل حزب ((الليكود)) الذي تكون من تحالف قوى اليمين بقيادة حزب "حيروت" قبل انتخابات سنة 1973 ، على عدد مقاعد اكثر من حزب (العمل)، ونجح بعد ذاك " الليكود" في تكوين حكومة ائتلاف يمينية لأول مرة منذ إقامة دويلة (إسرائيل).

وبعد الانتخابات التي جرت سنة 1981 اتسمت المنظومة الحزبية في (إسرائيل) بكثرة الأحزاب واختفاء صفة الاحزاب الكبيرة المهيمنة، وهي حالة حدثت في جميع مفاصل الحزبية الإسرائيلية؛ اليمين واليسار والوسط.(496)

ومما تقدم يتضح ، ان الليكود مثل تجمع لاحزاب كبيرة وصغيرة كان هدفها أستلام السلطة ، ووضع خططها السياسية والاقتصادية والاجتماعية موضع التنفيذ، بعيدا عن ما أحدثه اليساريون في مسيرة دويلة (اسرائيل) وصراعها المستمر مع جيرانها العرب. وقد تولى قيادة هذا الحزب أبرز الشخصيات اليهودية والتي كان لها باع طويل في العمل السياسي داخل وخارج المنظومة السياسية الرسمية اليهودية .

المبحث الثالث: أثر الليكود على السياسة الاسرائيلية

للأحزاب السياسية مكانة مهمة في (إسرائيل) و في نظامها السياسي، إذ لها تاثير جلي في عملية صنع القرار الخاص بالسياستين الخارجية والداخلية، فإن كانت (الحكومة) هي المؤسسة السياسية الرسمية المسؤولة بصفة أساسية عن عملية صنع القرار وتنفيذه، فبالإمكان القول أن تلك الأحزاب هي من أهم مؤسسة سياسية غير رسمية تؤثر في رسم وتصميم السياسة العامة، وذلك من واقع أن البرنامج الانتخابي للحزب الحاصل على أكثرية مقاعد الكنيست في موضوعات السياسة الداخلية والخارجية هو في النهاية سيكون (البرنامج الحكومي).(497)

لقد حاز حزب الليكود على الأغلبية في (إسرائيل) عدة مرات ، وتولى منصب رئيس وزراء حكومات إسرائيل من حزب الليكود ، كل من : مناحيم بيغن (1977-1983)، ثم إسحاق شامير (1983-1984، 1986-1992)، وبنيامين نتنياهو (1996-1999) وأريئيل شارون (2001-2005) وأنشأ بعدها حزب (كاديما).

تقليديا، قام حزب (الليكود) بدعم إقامة المستوطنات في الاراضي الفلسطينية المغتصبة، ولكن خطة الانفصال لشارون، والتي قضت بإخلاء المستوطنين من "قطاع غزة"، أدت إلى نشوء معضلة فكرية لدى الحزب. وبالرغم من أن المعتدلين من المنتمين للحزب أيدوا الخطة، فالعديد من (الليكوديين)، من بينهم وزراء يمينيون واللجنة المركزية

496() *امطانس شحادة، البرامج السياسية لأحزاب اليمين في إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،* http://www.palestine-studies.org/ar/، *بلاتاريخ، ص2.*

497() *ابو بكر علي الهاشمي و محمد علي عز الدين، الاحزاب الاسرائيلية واثرها في رسم السياسة الخارجية، مجلة الاجتهاد للابحاث العلمية، جامعة الزيتونة ، العدد2، كانون الاول -2017، ليبيا، ص28.*

لحزب (الليكود) عارضوا فكرة ترك أية مستوطنات. وصوّت الحزب في شهر كانون الأول عام 2017 لمشروع قرار لبسط السيطرة الإسرائيلية على باقي المستوطنات في الضفة الغربية وغور الأردن.

تاريخ الحكومات الليكودية

أولا : مدة تولي مناحيم بيغن (1977-1983): حيث حكومة (إسرائيل) الثامنة عشر والتاسعة عشر ، وكان وزراء الخارجية كل من مناحيم بيغن و إسحاق شامير وكلاهما من الليكود أيضا.

المدة التي تولت فيها الحكومة الحادية عشرة التي ترأسها (مناحيم بيغن) حفلت بالعديد من الأحداث الهامة، من أهمها:

الاتفاقية الخاصة بالسلام بين إسرائيل وأكبر دولة عربية (أول معاهدة سلام المصرية -الإسرائيلية)،

اجتياح (اسرائيل) لجنوب للبنان

احتلال بيروت وهي ثاني عاصمة عربية بعد القدس.

تدمير (تموز) المفاعل النووي العراقي 1981.

ثانيا:مدة إسحاق شامير (1983-1984، 1986-1992): حيث حكومة إسرائيل العشرون والحادية والعشرون(كان وزيرا للخارجية)، ثم الحادية والعشرون الى الخامسة والعشرون، إذ عرفت حكومة زعيم حزب "الليكود" السابق (إسحق شامير) برفضها لمسيرة السلام الإسرائيلية العربية، واشتهرت عنه لاءاته الثلاث "لا للقدس"، "لا للدولة الفلسطينية"، "لا لعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم".

لقد تعامل (شامير) مع الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت خلال فترة رئاسته للوزراء بعنف شديد، وفي عام 1992 قرر الاعتزال عن العمل السياسي.

ثالثا :مدة بنيامين نتنياهو (1996-1999): حيث حكومة (إسرائيل) السابعة والعشرون والثانية والثلاثون والثالثة والثلاثون والرابعة والثلاثون والخامسة والثلاثون على التوالي ، وكان وزراء الخارجية في مدد توليه من الليكود كل من أريل شارون و يسرائيل كاتس . كما تولى هو شخصيا حقيبة الخارجية في الحكومة السابعة والعشرون والثالثة والثلاثون والرابعة والثلاثون.

ولغرض توضيح مواقف حزب (الليكود) في هذا الجانب، سنرتكز على ما صرح به رئيس الحكومة السابق(بنيامين نتنياهو) ومواقفه، وذلك باعتباره السياسي الاكثر شغلا لمنصب رئيس وزراء (اسرائيل) لخمس دورات انتخابية، والذي شدد دوماً على هوية (إسرائيل) كدويلة يهودية، بل انه جعل هذا الامر شرطاً أساسياً في عملية التفاوض مع

الفلسطينيين وممثلهم (منظمة التحرير الفلسطينية)، وكان "الليكود" الحزب الأول الذي ادرج تعريف (إسرائيل) بصفتها (دولة يهودية) و (ديمقراطية) في برنامجه الانتخابي عام 1999.(498)

نجح (نتنياهو) في زيادة عدد المستوطنات اليهودية وتوسعتها، كما استطاع تقديم الدعم المالي للمهاجرين اليهود الروس، وتمكن من المحافظة على خطه المتشدد تجاه العرب والفلسطينيين.

كما أمن نتنياهو بأيدولوجية (إسرائيل) الكبرى، وظهر ذلك واضحا في كتاباته وبخاصة كتاب "مكان بين الأمم" الذي ألفه عام 1995، و"محاربة الإرهاب" عام 1996، و"كيف يفوز الغرب" عام 1986.

حزب (الليكود) ركز في حملاته الانتخابية على الكثير من القضايا ومن بينها القضية الأمنية، حيث ادعى (نتنياهو) بأنّه الوحيد القادر على الدفاع عن المصالح الأمنية الإسرائيلية، وقد صور صعود اليسار على انه خطر يهدد أمن دويلة(إسرائيل) ومصالحها الاستراتيجية، في ظل تنامي التحديات الأمنية والاستراتيجية في المنطقة، كما قلل (الليكود) في حملته من أهمية القضايا الاقتصادية، محاولا تغييبها عن النقاش الجماهيري، فامتنع عن إصدار برنامج اقتصادي يوضح خططه ومشاريعه الاقتصادية للمرحلة القادمة، حتى لا يُخضع أفكاره للنقاش والنقد. فقام مناؤيه لاجل ضرب الصورة الأمنية التي رسمها (الليكود) عن نتنياهو ، باصدار بيان حذرت فيه ٢٠٠شخصية أمنية وعسكرية إسرائيلية خارج الخدمة، تمثّل التيار المركزي في المؤسسة الأمنية، من الضرر الأمني والاستراتيجي الذي سبّبه نتنياهو لـ (اسرائيل)، وقد شكلت هذه الشخصيات حركة اجتماعية عشية الانتخابات أطلقت على نفسها اسم "قادة من أجل أمن (إسرائيل)،" وكان هدفها المركزي ضرب الانطباع الذي بلوره (نتنياهو) عن نفسه أمام الجمهور الإسرائيلي بأنّه رجل الأمن وحاميه في الدولة.(499)

رابعا:مدة أريئيل شارون (2001-2003): حيث حكومة إسرائيل التاسعة والعشرون ، ووزير خارجية في الحكومة السابعة والعشرون .

ففي عام 2001، انتصر (شارون) ،وكان في 73 من العمر، انتصارا ساحقا بالانتخابات وتم تكليفه برئاسة الحكومة. فاستمر بالاعتماد الى السياسة الاستيطانية الواسعة، واوقف المفاوضات مع السلطة الفلسطينية، بعد موجة من العمليات ضد الإسرائيليين، وباشر في بناء جدار فصل يحاصر الضفة الغربية، "جدار أمني" بالنسبة لتل أبيب و "جدار العزل العنصري" بالنسبة للفلسطينيين. وفي عام 2005 أمر (شارون) بتفكيك المستوطنات في قطاع غزة، وسحب قوات الجيش الإسرائيلي، في خطوة اعتبرها البعض تطورا سياسيا والبعض الآخر رضوخا تكتيكيا للضغوط الدولية.

498() *امطانس شحادة، البرامج السياسية لأحزاب اليمين في إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،* http://www.palestine-studies.org/ar/، ص4.

()499*مهند مصطفى ، الانتخابات البرلمانية الاسرائيلية (الكنيست)2015، مجلة سياسات عربية، العدد14، ايار -2015 ، ص*38.

وفي عام 2005 أسس (أريل شارون)، بعد تركه لليكود، حزب "كاديما" الأقرب إلى الوسط. وكان ضامنا لإعادة انتخابه ولكن اصابته جلطة دماغية في 2006 وأغرقته في غيبوبة دائمة.(500) الى ان تم الإعلان عن وفاته في كانون الثاني / 2014

وكان لإسرائيل في عهده علاقات خارجية سرية مع بعض دول عربية ، اذ كشف ذلك رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق (إيهود أولمرت)، فمثلا علاقات "إسرائيل" بدولة "الإمارات "مستمرة منذ أكثر من 10 اعوام، وهي قد بدأت في عهد (أريل شارون) واستمرت خلال فترة ولايته.(501)

ان ابرز المرتكزات الفكرية للعقيدة السياسية لـ (حزب الليكود) ترتكز على حق الشعب اليهودي في ارض (إسرائيل)"، والحق في المطالبة بالسيادة على مناطق مثل (يهودا)و(السامرة) و(قطاع غزة) واعتباره حقا تعمل على تجسيده، وحاولت الحكومة برئاسة الليكود المحافظة على اتفاق(كامب ديفيد)، بترتيبات الإدارة الذاتية المتفق عليها ، والتي أكدت على عدم حدوث أي تقسيم جغرافي في أرض (إسرائيل) الغربية، وعدم قيام دولة فلسطينية فيها، اما "الإدارة الذاتية" التي اتفق عليها ليست دولة، وسيسعى (حزب الليكود) لاستئناف المفاوضات في شأن اتفاق لمنح السكان في يهودا والسامرة وقطاع غزة إدارة ذاتية كاملة،

وكان حزب (الليكود) يدعي ايضا ان لا مطامع لدويلة (اسرائيل) في دولة (لبنان) وسيستمر الجيش (الإسرائيلي) المحافظة على وجود الشريط الأمني من أجل ضمان سلامة الجليل القدس عاصمة للاحتلال الاسرائيلي، واعتبارها مدينة غير قابلة لأي تقسيم، فلقد اتخذ (الكنيست) بناء على اقتراح الحكومة برئاسة حزب (الليكود): قانون تطبيق قانون الدولة وقضائها وإدارتها على هضبة (الجولان)، وبذلك تقررت سيطرة الاحتلال الاسرائيلي الكاملة على هذا الجزء من البلد، واستأنف (الليكود) المشروع الاستيطاني بزخم في أرض (إسرائيل) بأسرها، وسيعمل على توسيع وتطوير المستوطنات التي تمت إقامتها هناك.(502)

لذلك يعد (الليكود) من اكثر الاحزاب متشدد فكريا في موضوع التنازل عن الاراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة لصالح الفلسطينيين ، ويؤيد الاستيطان ويدعمه بقوة، ويظهر ميلا أكبر للعنف و العدوان ، ومن الناحية الاقتصادية يمثل التيار الليبرالي الرأسمالي ، واستطاع الحزب من الحكم 1977-1984،ثم أضطر لمشاركة حزب (العمل) في الحكم 1984-1992، ثم عاد للحكم 1996-1999، وأخيرا عام 2001 قبل انشقاق "شارون" عنه وتأسيس حزب كاديما،

---

(500) *وفاة رئيس وزراء دويلة إسرائيل الاسبق أرييل شارون بعد غيبوبة دامت ثماني اعوام، قناة فرانس24، الرابط :* https://2u.pw/O43m1

(501) *أولمرت: علاقة "إسرائيل" بالإمارات بدأت في عهد شارون، موقع المدين، الرابط:* https://2u.pw/CAf62

(502) *ابو بكر علي الهاشمي و محمد علي عز الدين، الاحزاب الاسرائيلية واثرها في رسم السياسة الخارجية، مجلة الاجتهاد للابحاث العلمية، جامعة الزيتونة ، العدد2، كانون الاول -2017، ليبيا، ص 38.*

ورغم ان الحزب حصل على مقاعد اقل من حزب العمل سنة 1996، إلا ان انتخاب الاسرائيليين المباشر لنتنياهو زعيم الليكود أعطى المجال لليكود للحكم. (503) فللاخير شعبية كبيرة استغلها حزب الليكود.

تمكن حزب (الليكود) في العقد الاخير ان يكرس نفسه كحزب السلطة في (إسرائيل) ، بعد استمرار مدة حكمه بصورة متواصلة بواسطة رئيسه (بنيامين نتنياهو) ، الذي استلمه حزبا منهارا بعد انشقاق (اريل شارون) عنه. والى جانب تحوله الى حزب السلطة، فإنه وخلال العقد الاخير ، كان هذا الحزب قد مر بالكثير من التحولات السياسية والاجتماعية الداخلية ، والتي أحدثت فيه تغييرا داخليا من جهة، واحدثت تحولات في خطاباته من جهة اخرى. (504)

ويشير الاستاذ "محمد جمال الدين العلوي" الى انه على الرغم من وصول حزب (الليكود) الى السلطة عام 2003فقد كان تأثيره في السياسة الاسرائيلية ليس ببرنامج الحزب، بل عبر أفكار وشخصية قادته ، فمثلا (شارون) وموقفه من مشروع التسوية الدائمية (خارطة الطريق)، وطرحه (خطة الفصل) التي تضمنت الانسحاب احادي الجانب من المستوطنات الاسرائيلية في قطاع غزة، وتكرر ذلك عندما وصل حزب (كاديما) الى السلطة عام 2006وطرح (ايهود أولمرت) خطته الخاصة (خطة التجميع) التي تضمنت الانسحاب من بعض المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية ، محاولاً التأثير في السياسة الاسرائيلية عن طريق تسوية مرحلية للصراع الفلسطيني الاسرائيلي.(505)

وفي بحث اخر اعده مركز ترينـدز للبحوث استنتج انه في كل الأحوال، فإن الانتخابات في (اسرائيل) ، سواء كانت السابقة ام الحالية، فهي ستظل تثير الجدل في الداخل حتى يتم الاعلان عن حكومة جديدة، فإن تأثيرها سيكون محدودا على توجهات السياسة الخارجية ، لأن هناك "شبه إجماع" على أولويات هذه السياسة بغض النظر عمن سيشكل الحكومة، سواء كان من (اليمين) أو (اليسار) أو (الوسط)، إذ هناك رؤية مشتركة لطبيعة التحديات الخارجية و المخاطر التي تواجه دويلة(إسرائيل)، وكيفية تعاملها معها بما يضمن مصالحها وأمنها.(506)

وتصنف د. نرمين يوسف ثلاثة محاور رئيسة للسياسة الخارجية لليكود وتأثيرها على الكيان الاسرائيلي ، وهي:

أولا: التعاون الامريكي الاسرائيلي خلال عهد الرئيس كارتر وصولا الى الرئيس بوش: حيث شهدت العلاقات الامريكية الاسرائيلية تطورا كبيرا في عهد مناحيم بيغن زعيم تكتل الليكود ووصلت مرحلة التعاون بينهما الى درجة التحالف الاستراتيجي ووقع الطرفان اتفاقيات تفاهم منها: اتفاقية التفاهم المشترك عام 1979 ومذكرة التفاهم المشترك عام 1981 واتفاقية قرارات الامن القومي عام 1983 ، وهكذا فإن التعاون الامريكي -الاسرائيلي منذ عهد كارتر حتى عهد

503() *الاحزاب السياسية في اسرائيل، مؤسسة الابداع للابحاث والدراسات والتدريب، بلاتاريخ ، ص10.*

504()*نطوان شلحت، الاحزاب السياسية في اسرائيل، فصل من كتاب :دليل اسرائيل 2020، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ص.*282

505()*محمد -جمال الدين -العلوي، الأحزاب-وأثرها في رسم-السياسة الإسرائيلية، كلية العلوم السياسية –جامعة الموصل ، ص.*1

506()*الانتخابات الاسرائيلية 2021:قراءة في النتائج، وخريطة التحالفات، والتوجهات المحتملة، مركز ترندز للبحوث و، 2021 ، ص.*13

بوش مرورا بريغان ، كان قويا وفاعلا. فواشنطن ظلت تقدم الدعم السياسي والدبلوماسي والاقتصادي والعسكري لتل ابيب ، وبقيت جميع الادارات المتعاقبة تعمل على ان تكون لاسرائيل السطوة والسيطرة في المنطقة العربية.

ثانيا : العلاقات الاسرائيلية مع الاتحاد السوفيتي السابق : لم تكن العلاقات الاسرائيلية السوفيتية ، في يوم من الايام علاقات حسنة بالمعنى المتعارف عليه، فقد اقتصرت هذه العلاقات على التمثيل الدبلوماسي ، والتبادل التجاري المحدود، اما الهجرة اليهودية فكانت مقيدة منذ فترة طويلة ودخلت العلاقات بين البلدين مرحلة القطيعة بعد العدوان الاسرائيلي عام 1967. وهكذا اخذت (اسرائيل) تعمل بكل جهدها لاعادة وتطبيع العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ، من خلال إزالة الشيوعية والقضاء عليها، فعندما تولى غورباشوف الحكم في الاتحاد السوفيتي في اذار 1985، عقد أول لقاء بين الطرفين في فلندا لتسوية المسائل بين الطرفين ، خاصة وان موسكو كانت قد اقتنعت انه لا بد من وجود قناة للمحادثات السياسية بين الطرفين لتحقيق التسوية اللازمة في الشرق الاوسط. وهكذا ومنذ عام 1987، بدأت العلاقات السوفيتية الاسرائيلية تتقدم من خلال العلاقات التجارية والثقافية والسياحية، فقد جرى التوقيع على اتفاقيات تبادل افتتاح مكاتب تجارية بينهما.

ثالثا: الصراع العربي الاسرائيلي في قضيتي الاجئين والقدس: ففي موضوع اللاجئين شكلت تلك القضية الوجه الحقيقي للصراع العربي الاسرائيلي ، ومأساة القضية الفلسطينية. فهناك أعداد هائلة من الشعب الفلسطيني مازالوا يعيشون حياة اللجوء والشتات والمهجر الى يومنا هذا . ان امتناع (اسرائيل) عن السماح للاجئين الفلسطينيين بالعودة الى ديارهم لا يمكن تفسيره الا في ضوء الاعتبارات العنصرية ، وان أصل الصراع العربي الاسرائيلي يرجع الى فكرة الصهيونية التي تدعو الى انشاء الدويلة الاسرائيلية التي لا تتسع الا لليهود فقط. اما القدس ، فتعد مادة تثير مشاعر التعصب الديني عن اليهود ، لذا اخذت تستغله كعامل جذب لليهود حول العالم ودفعهم للهجرة الى فلسطين ، متخذين من جبل (صهيون) غرب القدس اسما للحركة . كما ركزت الصهيونية على المدينة المقدسة من خلال الاستيطان في داخل المدينة عام 1948 و عام 1967 عندما وقعت القدس تحت سيطرتهم ، فعملوا على توحيدها.(507)

الخاتمة والنتائج:

اعتمد مبدأ تجميع اليهود من حول العالم الى ارض فلسطين حل اقامة الدولة اليهودية تحت مسمى دولة (اسرائيل)، والتي منذ نشأتها الى يومنا هذا تعاني من مسألة الاعتراف بها ، مع جيرانها العرب وغير العرب ، رغم ان طائفة منهم اليوم اعترفوا بها واخر لا زال يعتبرها العدو الصهيوني المحتل للاراضي الفلسطينية والاقصى الشريف.

(507) *رمين يوسف غوانمة، حزب الليكود ودوره في السياسة الاسرائيلية 1977-1992 ، أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا/الجامعة الاردنية، 2001، الاردن، ص.*266

هذه الدويلة تكونت فيها احزاب سياسية ضمن العملية السياسية التي جرت هناك ، ودخلت اغلبها السباق السياسي للوصول الى سد الحكم ، ومن بين أهم تلك الاحزاب كان حزب الليكود ، والذي كان له ولقادته التأثير الابلغ في الفلسفة السياسية الاشمل التي تقود اسرائيل في المحافل الدولية والاقليمية.

وهنا نلاحظ ان العقيدة السياسية التي تبناها حزب الليكود هي ذاتها عقيدة الاحزاب اليهودية المتشددة لكن مع تساهل هنا وتنازل وقتي هناك ، لغرض كسب الوقت ونيل الحلفاء .

ولقد قاد الليكود زعماء يهود كبار ، كان لهم الاثر الواضح في أغلب السياسات الداخلية والخارجية ، التي سيرت (اسرائيل) الى ان وصلت الى ما وصلت اليه اليوم من قوة وتفوق على جميع الدول المحيطة بها .

لذا يعد الليكود من اكبر وأهم الاحزاب الاسرائيلية ، وله تاريخ مهم، عاصر فيه مراحل مختلفة من نشوء ونمو وبقاء الدويلة اليهودية على ارض فلسطين العربية، وخوضها صراعا داميا مع الجيران، لم ينتهي تماما الى يومنا هذا.

ورغم ان الانتخابات الاسرائيلية الاخيرة ، أشرت تراجعا لليمين والاحزاب الدينية وصعود التيار العلماني ، الا ان الحقائق الثابتة عن دويلة (اسرائيل) أنها اسيرة الماضي ولن تستطيع البقاء والاستمرار دون الرابطة الدينية اليهودية التي تشدهم لبعض، ومن دونها ستفتك بهم وتفرقهم الاختلافات والتناقضات بينهم ، والتي من الصعب تجاوزها والعيش بسلام.

لذلك نرى ان الاستراتيجية الاسرائيلية ، منذ قيام دويلتهم ، تعتمد خطة ابتكار عدو وتحشيد اليهود ضده، عبر بث الخوف والرعب من تنامي الخصوم والتذكير الدائم بأهوال السبي البابلي والهولوكوست الالمانية ، لكي يُقدم اليهود على الاتحاد ويكونوا اقوياء ويتناسوا خلافاتهم البينية، ومن دون استخدام رابطة الدين لن يستطيع أي حزب او قائد فعل ذلك.

وأخيرا ، ان العقيدة السياسية للاحزاب الاسرائيلية ، ومنها الليكود ، هي خليط من افكار دينية يهودية استعمارية استيطانية استعلائية ، وإن جاءت بلبوس حديثة وانماط حياتية متقدمة، ترى شعبها دون غيره، شعب الله المختار والوحيد صاحب الحق بالحياة .

وأبرز ما توصل اليه البحث من نتائج ، الاتي :

أولا: جميع الأحزاب اليهودية التي قدمت او تشكلت داخل الأراضي المحتلة الفلسطينية ، على اختلافها الأيديولوجي، تشترك في هدف وغاية واحدة هي أنشاء وبقاء الكيان الصهيوني المحتل.

ثانيا: يعد حزب الليكود حزبا رئيسا ومهما بين الأحزاب اليهودية الأخرى ، فكان له الدور الأكبر في التخطيط وقيادة مسيرة الكيان خلال سنوات طويلة وحروب خاضها مع الدول العربية.

ثالثا: يمكن القول ان حزب الليكود حزب قادة يعتمد عليهم في الوصول الى سدة الحكم بفعل الكاريزما والتأثير الذي يمتلكونه في أوساط اليهود من أمثال (مناحيم بيغن) و(اريل شارون) و(بنيامين نتنياهو).

رابعا: الليكود يمثل اليمين الذي ان ضعف فلن يموت ، وبحسب اخر الاستطلاعات فاز حزب الليكود اليميني بالمركز الأول بحصوله على 30 أو 31 مقعدا في البرلمان المكون من 120 عضوا، في الانتخابات الأخيرة الأول من تشرين الثاني2022. المراجع

1. ابو بكر علي الهاشمي و محمد علي عز الدين، الاحزاب الاسرائيلية واثرها في رسم السياسة الخارجية، مجلة الاجتهاد للابحاث العلمية، جامعة الزيتونة ، العدد2، كانون الاول -2017، ليبيا.

2. الاحزاب السياسية في اسرائيل، مؤسسة الابداع للابحاث والدراسات والتدريب، بلاتاريخ.

3. احمد سعيفان، القاموس الخاص بالمصطلحات السياسية والدستورية والدولية، مكتبة لبنان- ناشرون، ط1، لبنان، 2004

اماطانس شحاتة، أنماط- التصويت- في –إسرائيل- و-تحولات في -مواقف -المجتمع الإسرائيلي: انتخابات 2013نموذجا، برنامج دراسات اسرائيل، المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، 2015.

5. امطانس شحادة، البرامج السياسية لأحزاب اليمين في إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، http://www.palestine-studies.org/ar/، بلاتاريخ.

6. الانتخابات الاسرائيلية 2021:قراءة، في النتائج، وخريطة التحالفات والتوجهات المحتملة، مركز ترندز للبحوث والاستشارات، 2021.

7. انطوان شلحت، الاحزاب السياسية في اسرائيل، فصل من كتاب :دليل اسرائيل العام 2020، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

8. أولمرت: :علاّقة "إسرائيل" بالإمارات بدأت في عهد- شارون-، موقع المدين، الرابط: 62https://2u.pw/CAf

9. حاييم مالكا، مستقبل الشراكة الاستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية ، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ، أيلول-2011.

10. محمد- جمال- الدين العلوي، الأحزاب- وأثرها- في رسم السياسة -الإسرائيلية، كلية العلوم السياسية – جامعة الموصل، بلاتاريخ.

11. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية ، دار التحرير للطباعة والنشر، 1989.

12. مهند مصطفى ، الانتخابات البرلمانية الاسرائيلية(الكنيست)2015، مجلة سياسات عربية، العدد14، ايار- 2015 .

13. نرمين يوسف غوانمة، حزب الليكود ودوره في السياسة الاسرائيلية 1977-1992 ، أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا/الجامعة الاردنية، 2001، الاردن.

14. وفاة رئيس وزراء دويلة اسرائيل الاسبق أرييل شارون بعد غيبوبة دامت ثماني اعوام، قناة فرانس24، الرابط: https://2u.pw/O43m1

15. رازي نابلسي، خطاب غبّاي: "الطبعة الليكودية" من حزب العمل، مركز مسارات للدراسات الفلسطينية، الرابط: https://2u.pw/q5OBG